الكتاب الثالث

مفاتيح (علم التوحيد والشرك)

لبيان فقه أحكام التوحيد والشرك

في ضوء الكتاب والسنّة

وهدي السلف الصالح

وسبيل علماء أهل السنة والجماعة الأئمة الاعلام

وتهذيب الأخطاء المنسوبة إلى هذا العلم

جمع واعداد

مجدي محمد علي

حاصل على الشهادة العالمية في العلوم الشرعية

مفاتيح العلوم الإسلامية
التي يحتاجها طالب العلم الشرعي

سلسلة من المؤلفات تشمل أهم العلوم الإسلامية

جمـع وإعـداد
مجـدي محمـد علـي
حاصل على الشهادة العالمية في العلوم الشرعية الإسلامية

تشتمل هذه السلسلة: (سلسلة مفاتيح العلوم الإسلامية التي يحتاجها طالب العلم الشرعي)

(المجموعة الأولى): على مفاتيح عشرة علوم، من أهم علوم الإسلام،

الكتاب الأول: مفاتيح علم التقديس والتنزيه،

الكتاب الثاني: مفاتيح علم أحكام الإيمان والكفر

الكتاب الثالث: مفاتيح علم أحكام التوحيد والشرك

الكتاب الرابع: مفاتيح علم احكام الاتباع والابتداع (علم السنّة والبدعة)

الكتاب الخامس: مفاتيح علم الانتساب إلى أهل القبلة (أمة الإسلام)

الكتاب السادس: مفاتيح علم الانتساب إلى الجماعة الناجية (أهل السنّة والجماعة)

الكتاب السابع: مفاتيح علم السياسة الشرعية الإسلامية الرصينة،

الكتاب الثامن: مفاتيح علم العقيدة الإسلامية المتخصصة،

الكتاب التاسع: مفاتيح علم الفقه الإسلامي المنهجي المتخصص

الكتاب العاشر: مفاتيح علم التصوف الإسلامي الرشيد والتزكية الإسلامية السنية الصافية

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل،

الكتاب الثالث

مفاتيح (علم التوحيد والشرك)

لبيان فقه أحكام التوحيد والشرك

في ضوء الكتاب والسنّة

وهدي السلف الصالح

وسبيل علماء أهل السنة والجماعة الأئمة الاعلام

وتهذيب الأخطاء المنسوبة إلى هذا العلم

جمع واعداد

مجدي محمد علي

حاصل على الشهادة العالمية في العلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أولئك الذين أخطأوا في تفسير العبادة، ففسروها بمعناها اللغوي وهو الإتيان بأقصى غاية الذل والخضوع، **وذهلوا عن ضابطها الرصين** الذي يضبط أحكامها **ألا وهو اعتقاد الإلهية والربوبية لمن تُصرف له العبادة**، يا سادة: لقد كفر المشركون من كفار قريش بسبب اقرارهم بعبادة الأوثان، واقرارهم بأنها آلهة مع الله تنصر وتعز وتنفع وتضر، فسجدوا لها ودعوها وذبحوا لها ونذروا لها بهذا الاعتقاد، وزعموا أن لها شفاعة جبرية على الله بحكم المشاركة الجبرية في تدبير الكون، لذا **أهدي هذا الكتاب إلى أولئك** الذين ظنوا أن الشرك الأكبر يقع بمجرد السجود او الدعاء، أو النذر او الذبح، ولو كان كلامهم صحيحا، لكفرت الملائكة بمجرد السجود لآدم عليه السلام، ولوقع نبي الله يعقوب عليه السلام في الشرك الأكبر هو وكافة بنيه عندما خروا ليوسف عليه السلام سُجدا، **إنّ الذهول عن ضابط العبادة** التي يكون صرفها لغير الله شرك اكبر، ألا وهو اعتقاد الربوبية والإلهية لمن تُصرف إليه تلك العبادة، لهو أشد الخلل

والخطر في تكفير قطاعات عريضة من امة الإسلام من اهل لا إله إلا الله –محمد رسول الله واتهامهم بالشرك الأكبر لمجرد التوسل بالصالحين، وهذا التوسل خلاف فقهي وليس عقدي يوجب التكفير والتشريك، وقد اجازه الأكابر من علماء أمة النبي صلى الله عليه وسلم من السادة الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة، يا سادة المشركون هذا حالهم حكاه القرآن: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ} [الصافات: 35 و 36]، وكانوا يقولون، كما حكى عنهم القرآن الكريم: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ} [ص: 4 إلى 7]، يا سادة قد يقف الأبن البار أمام والديه في غاية التذلل والخضوع والخشوع والطاعة يقبل أرجلهم وأيديهم، ولا يقع في الشرك الأكبر أتدرون لماذا؟ لأنه خلا قلبه من اعتقاد الربوبية أو الإلهية لأحد أبويه، إلى هؤلاء المهوسين بالتشريك بلا علم ولا حلم –رحمة بهم– هذه مفاتيح علم التوحيد، التي تؤسس لهذا العلم الدقيق والعميق من علوم الإسلام، وهي المفاتيح التي قال بها الأكابر من علماء أمة النبي صلى الله عليه وسلم من السادة الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة، ففيها الشفاء والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 102]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب:70، 71]، أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم أما بعد: **فإنّ مفاتيح هذا العلم (علم التوحيد) غاية في الأهمية** لأنها تُحصن طالب العلم من الإفراط والتفريط، الافراط الذي يؤول إلى الغلو في التوحيد واتهام الأمة بالوقوع في الشرك في أعمال لا تبلغ بهم الشرك، وقد تكون

مسائل خلافية فقهية بابها الفقه وليس العقيدة، والتفريط الذي يضر بجناب التوحيد (أساس الدين) ويجرح نقاءه وصفاءه، وقد جمعت في هذا الكتاب – بحمد الله تعالى – الكثير من المفاتيح والقواعد العلمية المؤسسة لعلم التوحيد، والضابطة لمسائل التوحيد والسرك التي قررها وأصلها الأئمة الفقهاء الثقات، وقد جمعتها من أقوالهم ومؤلفاتهم، ما كان عملي فيها إلاّ البحث المتأني والجمع والترتيب لأحسن ما أتت به عقول العلماء والفقهاء المقتدى بهم في الدين، **وقد اشتمل هذا الكتاب على ستة فصول: [الفصل الأول]: أهمية علم التوحيد، وقد تناولت فيه هذه المفاتيح: (المبحث الأول):** التوحيد تعبير شرعي جاء في القرآن والسنة وهو المرادف لمعنى شهادة التوحيد، **(المبحث الثاني):** شهادة **التوحيد (لا إله إلا الله – محمد رسول الله) هي الجامعة لعلم التوحيد، (المبحث الثالث): مفاتيح مهمة تتعلق بالشهادتين باب الإسلام الأوحد، [الفصل الثاني]: مفاتيح العلم في قسم توحيد الذات أعظم أقسام التوحيد، وقد تناولتها – بحمد الله تعالى – في الكتاب الأول مفاتيح علم التقديس، [الفصل الثالث]: مفاتيح العلم في قسم توحيد أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله، وقد تناولتها أيضا في الكتاب الأول مفاتيح علم التقديس، [الفصل الرابع]: مفاتيح العلم في قسم توحيد الربوبية والعبودية، وقد تناولت فيه هذه المباحث: (المبحث الأول):** مفاتيح فهم معاني الربوبية والمقصود من توحيد الربوبية، **(المبحث الثاني):** مفاتيح تمنع من الغلو في توحيد الربوبية، **(المبحث الثالث):** مفاتيح فهم العبودية والمقصود من توحيد العبودية، **(المبحث الرابع):** مفاتيح تمنع من الغلو في توحيد العبودية، (المبحث الخامس): مفاتيح فهم معاني الشرك واقسام الشرك، (المبحث السادس): مفاتيح أخطاء الوهابيين في باب الشرك، (المبحث السابع): أخطاء الوهابيين في تقسيم علم التوحيد، **[الفصل الخامس]: تعقيبات على أخطاء في باب التوحيد والشرك تهذب هذا العلم، (المبحث الأول):** بيان دعوة الشيخ ابن تيمية في ميزان الإسلام ما لها وما عليها، **(المبحث الثاني):** بيان دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ميزان الإسلام ما لها وما عليها، **(المبحث الثالث): تعقيب مهم على كتاب كشف الشبهات، (المبحث الرابع): تعقيب مهم على** نواقض الإسلام العشرة التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، **(المبحث الخامس): تقييم الحركة السلفية المعاصرة ما لها وما عليها، (المبحث السادس):** مفاتيح مستفادة في علم التوحيد، من كتاب (السلفية المعاصرة شبهات وردود)، للشيخ عبد الرحمن المكي الهاشمي، يهذب فيه الأخطاء التي شابت الدعوة النجدية، في باب التوحيد والشرك، وبقية أبواب العلم، (المبحث السابع): مفاتيح مستفادة في علم التوحيد، من كلام الشيخ غيث بن عبد الله الغالبي، في رسالته (مسائل في التوحيد والشرك)، يهذب فيه

الأخطاء التي شابت الدعوة النجدية، في باب التوحيد والشرك، **[الفصل السادس]: مسائل فقهية خلافية ألحقت بباب التوحيد والشرك وليست منه، (المبحث الأول): تحقيق القول في التوسل، (المبحث الثاني): تحقيق القول في الاستغاثة والاستعانة، (المبحث الثالث): تحقيق القول في التبرك، (المبحث الرابع): تحقيق القول في بناء المساجد على المقابر، (المبحث الخامس): تحقيق القول في الزيارة وشد الرحال إلى قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، [الخاتمة وأهم التوصيات]**، أسأل الله الكريم سبحانه أن يمنّ علينا باستيعاب أدلة ومفاتيح هذا العلم الراسخ، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

***

الفصل الاول

مفاتيح المدخل إلى علم التوحيد

المبحث الأول: التوحيد تعبير شرعي جاء في القرآن والسنة وهو المرادف لمعنى شهادة التوحيد

المبحث الثاني: شهادة التوحيد (لا إله إلا الله – محمد رسول الله) هي الجامعة لعلم التوحيد

المبحث الثالث: مفاتيح مهمة تتعلق بالشهادتين باب الإسلام الأوحد وأساس التوحيد

المبحث الاول

التوحيد تعبير شرعي جاء في القرآن والسنة

وهو المرادف لمعنى شهادة التوحيد (لا إله إلا الله – محمد رسول الله)

[المفتاح الأول]: إطلاق كلمة [التوحيد] على هذا العلم جاءت بلفظها في القرآن والسنة: **ففي القرآن الكريم جاء** قوله تعالى: {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [الْأَعراف: 70]، و قوله تعالى: {ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ} [غافر: 12]، و قوله تعالى: {فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ} [غافر: 84]، و قوله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [الممتحنة: 4]، **وفي السنة النبوية تكرر ذكر التوحيد كثيرا فمن ذلك: قوله صلى الله عليه وآله وسلم لما بعث معاذًا إلى اليمن ((إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى)) [متفق عليه واللفظ للبخاري]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((من وحّد الله، وكفر بما يعبد من دونه، حرُمَ ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل)) [أخرجه مسلم]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((بُنى الإسلام على خمس على أن يُوحَّد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان)) [أخرجه مسلم]،** وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يعذب ناس من أهل التوحيد في النار، حتى يكونوا فيها حمما، ثم تدركهم الرحمة، فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة، قال: فيرش عليهم أهل الجنة الماء، فينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل، ثم يدخلون الجنة)) [أخرجه أحمد والترمذي]،

[المفتاح الثاني]: (التوحيد) في اللغة: مصدر وحد يوحد توحيدا، ووَحَّدَه تَوْحِيداً: جعَلَه وَاحِداً [تاج العروس: 9/266]، و **(التوحيد)** في الاصطلاح: هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً [شرح جوهرة التوحيد ص38]، **وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: (قال أبو القاسم التميمي في " كتاب الحجة ": التوحيد مصدر وحد يوحد، ومعنى وحدت الله اعتقدته منفردا بذاته وصفاته لا نظير له ولا شبيه، وقيل معنى وحدته علمته واحدا، وقيل: سلبت عنه الكيفية والكمية فهو واحد في ذاته لا انقسام له، وفي صفاته لا شبيه له، في إلهيته وملكه وتدبيره لا شريك له ولا رب سواه ولا خالق غيره) أهـ، فـ** (التوحيد) هو إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به من الإلهية والربوبية والتفرد في جناب ذاته وصفاته وأفعاله، **والتوحيد هو تحقيق مضمون شهادة (لا إله إلا الله)** التي هي كلمة

التوحيد وشعار المسلمين وهي باب الإسلام الأوحد، **وهي أعظم العلم بدين الله لأنها تجمع دين الله كله خروجا مما ينافيه، ودخولاً فيما يقتضيه، ورسالات الرسل** والأنبياء جميعاً قامت على هذه الكلمة كما أخبر تعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون}، وهو عين ما كلف الله به خاتم المرسلين علماً وعملاً، فالعلم في مثل قوله تعالى: {فاعلم أنه لا إله إلا الله}، والعمل في مثل قوله: {قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً}، وقوله: {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه}،

[المفتاح الثالث]: فضل التوحيد وأنه أساس الإسلام وأصل الدين وأعلى شعب الإيمان:

[1] التوحيد شهادة الله تعالى لنفسه، وهو شهادة الملائكة وأولي العلم لله كما في قوله تعالى {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: 18]، **[2]: التوحيد هو الذي كلف الله تعالى به رسله** كما في قوله تعالى {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} [محمد: 19]، وقوله تعالى {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه: 14]، وقوله تعالى {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص: 88]، **وما أرسلت الرسل إلا بالتوحيد** كما في قوله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الْأَنْبياء: 25] وقوله تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (36) } [النحل: 36]، وما خلق الله تعالى الجن والإنس لا لتحقيق التوحيد كما في قوله تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56]، والتوحيد هو أمر الله تعالى لعباده جميعا كما في قوله تعالى {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: 31]، **[3]: التوحيد هو أعلى شعب الإيمان** كما جاء في الحديث الصحيح: ((الإيمان بضعٌ وسبعون أو بضعٌ وستون شُعْبة، فأفضلُها قولُ: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شُعْبة من الإيمان)) أخرجه مسلم وهذه الشُّعَب جَمعت رأسَ الإيمان وأعلاه وهو التوحيد قول: (لا إله إلا الله)، **[4] فضل التوحيد**: (أ) **كلمة (لا إله إلا الله) هي العروة الوثقى**: قال تعالى: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك العروة الوثقى لا انفصال لها}، قاله سعيد بن جبير والضحاك، (ب) **وكلمة (لا إله إلا الله) هي العهد الذي ذكره الله عز وجل** إذ يقول: {لا يملكون

الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً}، قال ابن عباس رضي الله عنهما: شهادة أن لا إله إلا الله، (ت) **وكلمة (لا إله إلا الله) هي الحسنى** التي ذكرها تعالى في قوله: {فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى}، قاله أبو عبدالرحمن السلمي والضحاك، ورواه عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما، (ث) **وهي كلمة الحق التي ذكر الله عز وجل** إذ يقول: {إلا من شهد بالحق وهم يعلمون} قاله البغوي، وهي كلمة التقوى التي ذكرها تعالى في قوله: {وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها} رواه ابن جرير وعبدالله بن أحمد والترمذي، (ج) **وكلمة (لا إله إلا الله) هي القول الثابت الذي ذكره تعالى** في قوله: {يثبت الله الاذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة} وقد ثبت ذلك في الصحيحين عن البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم، (ح) **وكلمة (لا إله إلا الله) هي الكلمة الطيبة** المضروبة مثلاً في قوله تعالى: {ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وهو مروي عن علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، فأصلها ثابت في قلب المؤمن وفروعها العمل الصالح في السماء صاعد إلى الله عز وجل، وكذا قال الضحاك وابن جبير وعكرمة ومجاهد وغيرهم، (خ) **وكلمة (لا إله إلا الله) هي سبب النجاة من النار**، كما في صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار)، (د) **وكلمة (لا إله إلا الله) هي أفضل ما ذكر الله به عز وجل** كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله)) [حسنه الألباني في الصحيحة رقم 1503]، (ذ) **وكلمة (لا إله إلا الله) هي أثقل شيء في الميزان** كما في مسند الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أن نوحاً عليه السلام قال لابنه عند موته: ((آمرك بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعن في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة)لفصمتهن لا إله إلا الله))، وعند الترمذي والنسائي عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً، أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يارب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه

السجلات؟ فقال: فإنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء)) [صحيح الجامع الصغير 1772]، (ر) **<u>والموحدون لهم في الدنيا الأمن والهداية:</u>** قال الله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [سورة الأنعام: 82] وأخرج البخاري بإسناد صحيح أن ذلك قد شق على الصحابة الكرام فقالوا: (أينا لا يظلم نفسه) فبين لهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن الظلم المقصود في الآية هو: الشرك، وتلا قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [سورة لقمان: 13]، (ز) **<u>والموحدون حرم الله تعالى أجسامهم على النار:</u>** أخرج البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: ((فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)) [متفق عليه]، (س) **<u>والموحدون يغفر الله تعالى لهم،</u>** أخرج ابن ماجه، وابن حبان، وأحمد عن معاذ رضي الله عنه مرفوعاً: ((ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، يرجع ذلك إلى قلب موقن، إلا غفر لها)) وأخرج الترمذي عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ((قال الله: يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)) [رواه الترمذي وصححه الألباني]، (ش) **<u>والموحدون وعدهم الله تعالى بالجنة:</u>** أخرج البخاري ومسلم عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)) [متفق عليه]، وأخرج الشيخان عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ((ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة)) [متفق عليه]، وما أخرجه أحمد والنسائي عن معاذ مرفوعاً: ((من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، صادقاً من قلبه، دخل الجنة))، [أخرجه أحمد، والنسائي، وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط الشيخين]، **وقوله صلى الله عليه وسلم: ((من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة)) [رواه أبو داود والحاكم وصححه الألباني]، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((من مات وهو يعلم ألا إله إلا الله دخل الجنة)) [رواه مسلم]، وقوله صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة: ((فمن لقيت وراء هذا الحائط يشهد ألا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة)) [رواه مسلم]، وقوله صلى الله عليه**

وسلم: ((فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)) [أخرجه البخاري]،

[المفتاح الرابع]: لا يصلح شعارا للتوحيد سوى (لا إله إلا الله): فـ (الإله): هو الرب المعبود الذي له صفات الكمال، وليس هناك في الوجود كلمة تصلح للاعتراف بوجود الإله الرب المعبود الحق الذي له الكمال المطلق والتقديس المطلق، سوى كلمة (الإله)، ولهذا لا يصلح لشهادة التوحيد ولا يجزئ عن شهادة الموحد (لا إله إلا الله) شيء سواها، فلا يمكن أن يحل محلها قولنا (لا رب إلا الله)، ولا قولنا (لا معبود إلا الله)، ولا قولنا (لا قادر ولا عليم ولا سميع ولا بصير إلا الله)، لأنّ قول المسلم (لا إله إلا الله) يشمل ذلك كله، ويزيد عليه، فتوحيد الألوهية يدخل في معناه: توحيد جناب الذات تعالى وتقدس، وتوحيد الأسماء والصفات والأفعال، وتوحيد الربوبية فلا رب للكون سواه، وتوحيد العبودية فلا معبود بحق سواه، كل ذلك لله وحده لا إله إلا هو، **(لا إله إلا الله):** نفي وإثبات: نفي الند والشريك والكفء والمثيل عن الإله، ونفي جميع صفات الربوبية والإلهية عما سوى الله، واعتقاد أنه لا إله ولا رب ولا معبود بحق إلا هو،

[المفتاح الخامس]: معنى شهادة أن لا إله إلا الله: أن نشهد باللسان ونعتقد بالجنان اعتقاداً جازماً لا يقبل التردد ولا الشك أنه لا ند ولا شريك ولا كفء ولا مثيل لله، وأنّه واحد أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأنّه رب العالمين، له توحيد الربوبية فلا رب للعالمين سواه، وله توحيد الإلهية فلا إله إلا هو ولا معبود بحق سواه، فإذا قال العبد (أشهد أن لا إله إلا الله) فمعناه أنه لا أعتقد إلها ربا مدبرا لهذا الكون متصرفا فيه إلا الله ولا أعتقد معبودا بحق تصرف إليه العبودية سوى الله، ولا أعتقد التقديس المطلق والكمال المطلق إلا لهذا الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الغني الحميد المتفرد بالأسماء الحسنى والصفات العلى، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وليس له شريك، جلّ عن أن تحيط به الافهام والعقول، وتعالى عن أن تدركه الابصار، أو تبلغه الأوهام، وكل ما خطر بالبال فالله تعالى بخلاف ذلك، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

[المفتاح السادس]: معنى شهادة أن محمدا رسول الله: شهادة أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله تتضمن: أن نشهد باللسان ونعتقد بالجنان اعتقاداً جازماً لا يقبل التردد

ولا الشك أنّ النبي صلى الله عليه وسلم مرسل من عند الله لتبليغ دينه الإسلام، وانه صادق في كل ما يبلغه عن الله، وانه قد بلغ الرسالة وأكملها، وأدى الأمانة، ونصح الامة وتركهم على البيضاء ليلها كنهارها، وأنّه خاتم النبيين، ورسالته خاتمة الرسالات، وانها ناسخة لما قبلها من الشرائع، وانّ رسالته عامة لكل زمان بعده وكل مكان، وانها إلى كافة الثقلين إنسهم وجنهم، وأنّ الله تعالى أرسله رحمة للعالمين، وأن دينه الإسلام هو الدين الحق المعتبر عند الله وأنه لا يقبل الله تعالى بعد بعثته وإلى قيام الساعة دينا سواه، وانه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فيجب تصديقه في جميع ما أخبر به عن الله عز وجل والإيمان بأن ذلك كله من عند الله عز وجل، وانّه تجب طاعته واتباع شريعته، قال تعالى: { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا }، وانّ حبه صلى الله عليه وسلم من أعظم فرائض الدين، وانه يجب تعزيره وتوقيره وتعظيمه ونصرته صلى الله عليه وسلم، والصلاة والسلام عليه امتثالا لأمر الله، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56]،

[المفتاح السابع]: التوحيد يشمل كل ما تتضمنه شهادة الإسلام (لا إله إلا الله – محمد رسول الله) فهما باب الإسلام الأوحد: الشهادتان (لا إله إلا الله، محمد رسول الله): هما باب الإسلام الأوحد، فلا دخول إلى دين الله تعالى إلا بهما، **والشهادتان لا تنفك إحداهما عن الأخرى** ، لأنه إذا كانت شهادة (لا إله إلا الله) تعني توحيد الله تعالى في إلهيته، فإن شهادة (محمد رسول الله) تعني بيان ذلك التوحيد والطريق إليه، فلا تجزئ (لا إله إلا الله) وحدها للدخول في الإسلام، بل لا بد من اقترانها بـ (محمد رسول الله)، فهما شهادتان متلازمتان، وركن واحد أساسي للإيمان، والإسلام، ولا يصح إيمان الشخص ولا دخوله الإسلام دون الجمع بينهما، فهما لا ينفصلان، وهما أساس الإسلام، وبابه الأوحد، ولا يمكن قبول أحدهما بمعزل عن الآخر، و **بعد** بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإلى قيام الساعة لا تقبل شهادة التوحيد (لا إله إلا الله) إلا بإضافة شهادة الإتباع (أشهد أن محمد رسول الله) وإفراد الطريق إلى الله باتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، **والشهادتان لا تنفك إحداهما عن الأخرى لأنه إذا كانت شهادة (لا إله إلا الله) تعني توحيد الله تعالى، فإن شهادة (محمد رسول الله) تعني بيان الطريق لتحقيق التوحيد، فالشق الأول: (لا إله إلا الله) يعرف منه المعبود الحق عز وجل، وهو توحيد الإله الحق، والشق الثاني: (محمد رسول الله) يعرف منه كيف يوحد الله عز وجل، ودين**

الإسلام مبني على أصلين عظيمين: أولهما: توحيد الله تعالى، فلا شريك له وثانيهما: أن يوحد بما شرعة على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والتوحيد هو الدين كله أوله وآخره فأول ما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شهادة أن لا إله إلا الله وقال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله)) [متفق عليه]، وختم الأمر بالتوحيد فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة)) [صحيح مسلم]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لقنوا موتاكم لا إله إلا الله)) [صحيح مسلم]،

***

المبحث الثاني

شهادة التوحيد (لا إله إلا الله – محمد رسول الله)

هي الجامعة لعلم التوحيد

[المفتاح الأول]: أركان شهادة الإسلام (لا إله إلا الله – محمد رسول الله): لشهادة الإسلام (لا إله إلا الله – محمد رسول الله) ثلاثة أركان رئيسية تفهم من الشهادة، الركن الأول: توحيد الإلهية، ويشمل توحيد الله تعالى في الذات والأسماء والصفات والأفعال والربوبية والعبودية، والركن الثاني: البراءة من الشرك، والركن الثالث الإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإسلام،

[المفتاح الثاني]: (الركن الأول): (توحيد الإلهية): ويشمل توحيد الله تعالى في الذات والأسماء والصفات والأفعال والربوبية والعبودية)، (لا إله إلا الله) تعني توحيد الإلهية وهذا التوحيد يشتمل على هذه الأقسام: (أ) توحيد الله تعالى في ذاته، (ب) توحيد الله تعالى في أسمائه، (ت) توحيد الله تعالى في صفاته، (ث) توحيد الله تعالى في أفعاله، (ج) توحيد الله تعالى في ربوبيته لخلقه، (ح) توحيد الله تعالى بإفراده بالعبودية،

(أ) توحيد الله تعالى في ذاته: يعنى اعتقاد أنّ الله تعالى واحد أحد لا ند له ولا مثل له ولا كفء له، ولا شريك له، قال تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، {اللَّهُ أَحَدٌ} وصف الله تعالى بالأحدية المطلقة وسلب أي معنى من معاني الادراك عن جناب الذات، **أخص معاني الاحدية:** نفي الكثرة والانقسام في ذات الله، فالله (أحد): لا يقبل التجزؤ ولا الانقسام، و (الأحدية) تعني انتفاء الكثرة من جناب ذاته، فأحدية الذات معناها نفي الانقسام ونفي التجزؤ ونفي التركيب ونفي التبعيض، {اللَّهُ الصَّمَدُ} وصف لله تعالى بالصمدية المطلقة والكمال المطلق لله، له تمام الغنى والحمد يستحل التركيب على جناب ذاته سبحانه لأنّ الشيء المركب من مجموعة أجزاء محتاج في وجوده إليها والمحتاج لا يوصف بالصمدية المطلقة، وقد أجمعت الامة عدا المجسمة الضالة على تقديس جناب الذات الإلهي عن التبعض والتجزؤ، لدلالة اسم الله الاحد واسم الله الصمد على منع قبول الأجزاء والأبعاض والجوارح، وكذلك فإن ذات الإله إذا قبلت الانقسام فهذا يعني تعدد الآلهة لأنّ كل قسم سيكون إلها، وهذا اكبر الشرك بالله، فالله تعالى له الأحدية التي تنفي الكثرة والانقسام على ذات الله، {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} وصف لله تعالى بالقدم الذاتي الأزلي وتنزيهه سبحانه عن الحدوث أو قبول الحوادث {لَمْ يَلِدْ} لا ينفصل منه شيء {وَلَمْ يُولَدْ} منزه عن الحدوث لأنه القديم الأزلي الذي لا يكون منه شيء ولا يكون هو من شيء تقدس أن يكون منه شيء مخلوق وتقدس أن يقبل جناب ذاته الحدوث، {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}: تنزيهه سبحانه عن مماثلة الخلائق في جناب ذاته لا نظير له بوجه من الوجوه ولا كفء له ولا شبيه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض ولا تحله الحوادث ولا يحل في حادث ولا ينحصر فيه كان ولا مكان ثم خلق المكان لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان ولا يقهره حد ومقدار ولا يعرف بالحواس ولا يقاس بالناس وهو الغني عن كل شيء ولا يستغني عنه شيء ولا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء ومهما خطر بالبال أو توهمه الخيال فهو بخلاف ذي الإكرام والجلال، **[جناب الذات الإلهي موجود بلا كيف والعجز عن درك الادراك ادراك]، لقد جزم أهل التخصص في باب الإلهيات** – اهم وأصعب أقسام العقيدة – أنّ شرط

التكلم في (الإلهيات) المسائل المتعلقة بجناب الذات الإلهي: معرفة الواجب والجائز والمحال في حق الله تعالى، وتصفية الذهن عن شوائب المحسوسات وعوالق المرئيات فإن خالقها ليس كمثله شيء، وكل ما خطر بالبال فالله تعالى بخلافه، **إنّ (جناب الذات الإلهي) تعالى وتقدس: غيب الغيوب، لا يدرك**، لأنه فوق الحدود، وأنى للمخلوق المحدث المحدود أن يحيط بالخالق القديم اللامحدود، **أما العلم بالله وتقديسه وتنزيه والعلم بأسمائه وصفاته وأفعاله وكماله المطلق، فهذا أشرف العلوم، وأحمد العلوم، وأحسن العلوم، لأنه العلم المتعلق بالله، إذ هناك فرق بين المعرفة الممكنة والمعرفة المستحيلة**، المعرفة الممكنة تتأتى من معرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلا، ومن معرفة قواعد التقديس والتنزيه المستمدة من الكتاب والسنة والتي تمنع من الخلل عند الحديث عن جناب الذات، وهذه المعرفة من اعظم العلم، **أما (المعرفة المستحيلة)**: هي الإحاطة علما بالحق سبحانه، والإنسان مهما أوتي من علم، علمه محدود لأنه محدود، وكل مخلوق محدود لا يستطيع الإحاطة بحقيقة الله المنزه عن الحدود، **ليس كمثل وجوده وجود، منزه عن الجسمية ولوازم الجسمية من الأجزاء والابعاض والصور والأشكال والقهر بالكون في الأماكن وجريان الزمان، فلا يحتاج سبحانه في وجوده إلى مكان**، وعند تدبر آيات القرب مع آيات الاستواء مع آيات الإحاطة نصل إلى عقيدة راسخة مفادها أن الله تعالى منزه في قربه واستوائه واحاطته عن الحس والمسافة والكون في المكان، (الاستواء): استواء صفات الربوبية من التدبير والتصريف والتسخير قال تعالى: {ثم استوى على العرش يدبر الأمر}، كما أن (القرب): في قوله تعالى {فإني قريب} قرب الصفات من الرحمة والمغفرة واستجابة الدعاء، كما أن (المعية): في قوله تعالى {وهو معكم أينما كنتم} معية صفات (صفات العلم والسمع والبصر}، كما أن الاحاطة في قوله تعالى {وهو بكل شيء محيط} إحاطة صفات العلم والسمع والبصر، قال تعالى {احاط بكل شيء علما}، أما جناب الذات غيب الغيوب لا يدرك قال تعالى {ولا يحيطون به علما}، فالله موجود بلا كيف لا حد ولا مكان ولا زمان، غيب الغيوب لا يدرك ولا يُكيف، غيب الغيوب لا يدرك ليس كمثله شيء ولم يكن له كفوا أحد، **ويجب العلم بانّ الاستواء على العرش استواء صفات لا استواء ذات، ويجب العلم بانّ القرب من الخلق قرب صفات لا قرب ذات، ويجب العلم بانّ الإحاطة بالكون احاطة صفات لا احاطة جناب الذات، ويجب العلم بانّ الله تعالى وتقدس موجود بلا كيف، لقد ذكر الاستواء في سبعة مواضع من كتاب الله في كل موضع مفاتحه التي تدل على أنه استواء صفات التدبير والهيمنة والتسخير والربوبية، أما جناب الذات لا يدرك، غيب العيوب ليس كمثله شيء، موجود بلا كيف، ليس**

كمثله شيء ولم يكن له كفوا أحد، فعند تدبر آيات الاستواء وفهم مفاتيح فهمها نجدها كلها تدل لمن تدبرها بقرائنها بأن الاستواء المقصود هو استواء ملك وقهر وتسخير وهيمنة وربوبية للعالم، وبيان كمال قدرته التامة سبحانه في تدابير الملك والملكوت، فهذا هو التمدح المقصود بالاستواء، أما تفسير الاستواء بالجلوس والاستقرار كما يفعل اهل الحشو والتجسيم فهذا ليس فيه من المدح شيء وليس فيه من الكمال شيء، وآيات الكتاب الكريم جاءت لبيان كمال عظمة الخالق وجليل قدرته، **وأما ما يزعم به اهل الحشو من أنه استواء استقرار فهو باطل** لأن الله عز وجل منزه عن التغير والحدوث، والاستقرار يوحي بمعنى الحاجة وهل يحتاج الله لمخلوق حتى يستقر عليه وقبل الاستقرار أخبرونا ماذا كان حاله تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً، والتمدح لا يكون بالكون في المكان ولا بالاستقرار ولكن ببيان صفات القدرة والعظمة وهذا هو مقصود آيات القرآن، **(فإن قالوا): فأين الله، قلنا إنّ الله لا يغيب، وهو على كل شيء شهيد ومن كل خلقه قريب، وهو على العرش استوى وهو بكل شيء محيط، (جناب الذات لا يُدرك)، نعرفه سبحانه بكمال صفاته وجميل افعاله، أما جناب الذات فلا يحق لنا تكييف وجوده في مكان دون مكان، لأنّ القهر بالمكان صفة الاجسام، والله خالق كل شيء وهو القاهر فوق عباده، ولا يقهره شيء وهو الغني الحميد فلا يحتاج في وجوده إلى مكان، وكل الأماكن عنده سواء، (جناب الذات): غيب الغيوب لا تدركه الابصار، ولا نحيط به علما، والعجز عن الإدراك مقصود الإدراك**، وأما تلاعب أهل الحشو والتجسيم فتأولوا القرب بالعلم وتأولوا المعية بالعلم وتأولوا الإحاطة بالعلم ثم عند الاستواء قالوا بذاته، فمن أين أتوا بلفظ (بذاته) ولم يرد لا في كتاب ولا في سنّة، وإنما بما فهموه بعقولهم السقيمة التي لا تصلح إلا للتجسيم والتكييف ولا تصلح لاستيعاب التقديس ولا علم التقديس ولا قواعد التقديس، يجري بعقولهم التجسيم كما يجري داء الكلب بصاحبه نسأل الله السلامة، ليس كمثله شيء، لا في وجوده، ولا في ذاته ولا في صفاته وافعاله، وما لنا وللذات ونحن في العلم قطرة في محيط علم الله، قال تعالى: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: 85]، و(الاحدية المطلقة) بمفردها كعلم للتقديس، لمن يفهم بعض جوانبها، تؤدي إلى وضع الحاجز الذي يمنع من الولوج في التشبيه والتمثيل والتجسيم وغير ذلك من البدع الضالة في حق الله الملك القدوس سبحانه، والعيش مع الله على التنزيه والاعتراف بالعجز عن الإدراك والإحاطة كما في قوله تعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه: 110]، و(الخلق) عاجزون عن إدراك وجود الروح التي لا تفارق أجسادهم، إلا بآثار تلك الروح، كما قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: 85]،

فأنى لهم ان يدركوا شيئا من ذات الحق، سبحانه، جل جلاله وعظمت صفاته، لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، والحاصل جناب الذات الإلهي له الاحدية المطلقة، موجود بلا كيف والعجز عن درك الادراك هو غاية ما نقدر عليه من الإدراك، **[الكون كله مخلوق مصنوع]:** تحكمه منظومة قوانين جعلها الخالق اسبابا لاستقرار الكون بما فيه من مخلوقاته، وهذه القوانين تحكم المخلوقات فهم مقهورون تحت سلطانها، ومن تلك القوانين: الكون في المكان لا مناص لهم من الكون في مكان دون مكان، ويقهرهم المكان بالمسافات والابعاد، فلا يستطيعون الانتقال إلا بوسائل تقربهم من مكان إلى مكان، ويقهرهم أيضا الزمان بقوانينه فهم تحت قهر الزمان الحاضر، فلا يستطيعون العودة إلى الماضي ولا يستطيعون الاطلاع على المستقبل، والخلق، أما الخالق فلا يتقيد بشيء من تلك القوانين التي تقهر خلقه وتحكمهم، **والاستواء بمعنى العلو قد يكون بالرتبة وقد يكون بالمكان**، ونسبة المكان إلى الله محال، فلم يبق إلا العلو بالرتبة (رتبة الإلهية والربوبية والكمال المطلق)، **والاستواء بمعنى الجلوس لا يجوز** لأنّه لا يكون الجلوس إلا بالجوارح والله تعالى منزه عن الجارحة، كما لا يكون الجلوس إلا بمماسة واتصال وهما يستحيلان بين القديم والمحدث وبين الخالق والمخلوق وبين الرب والمربوب وبين الإله والمعبود، والاستواء بمعنى الكون في مكان لا يجوز لأنّ المكان يحيط بمن فيه ويحده ويحيزه وهو أكبر من المتمكن فيه، والله تعالى هو خالق المكان وهو القاهر للمكان وهو بكل شيء محيط، والعرش أعظم مخلوقات الله تعالى ومظهر قدرته وعظمته ولكنه ليس مكاناً للرحمن، لأن الرحمن هو خالق المكان وهو قيوم بذاته مستغن عن المكان والعرش محدود لأنه مخلوق، والرحمن تعالى جل عن الحدود فكما أن صفاته ليس لها حدود كذلك فليس لذاته حد ولا نهاية والكون كله فضلاً عن العرش محدود مقدر بنهاية فلا يصلح شيء منه أن يكون مكاناً لذات الرحمن تنزه سبحانه عن الأمكنة والأزمنة، وهو جل شأنه القريب منا، ولكنة قرب منزه عن الحلول والاتحاد والمسافة فهو قرب الصفات (صفات العلم والسمع والبصر والقدرة والرحمة والتصريف والتدبير) كما أن الاستواء استواء صفات (صفات الملك والكبرياء والجلال والعظمة) فهو سبحانه الملك القدوس المتكبر العظيم الجليل كما أنه العليم السميع البصير القدير الرحيم بالمؤمنين، فالقرب مظهر قدرته وعلمه ورحمته والاستواء مظهر ملكه وكبريائه وعظمته وجلاله، وكما أنه منزه عن الحلول والاتحاد والكون في الأرض لأنها خلقه، فهو سبحانه منزه عن ذلك كله في السماء أو العرش لأنها مخلوقاته، وتنزه عن المكان والزمان لأنها كذلك مخلوقاته، ثم بعد ذلك لا يكون إلا التنزيه المطلق توقن العقول المؤمنة في وجوده وتتحير

الألباب في كنه وجوده فضلا عن كنه ذاته والعجز عن درك الوجود محض إيمان ليس كمثله شيء ولا يحيطون به علماً ولم يكن له كفواً أحد، ولهذا اعتبر السلف الكرام الراسخون في العلم صفة الاستواء من المتشابهات التي لا يجوز الخوض في تفسيرها، لأنّ ظواهرها تدل على محدودية الخالق ونهاية ذاته، ومحاذاته للمخلوق وتمكنه في المكان، وكل ذلك علامات الخلق والحدوث وسمات المخلوق الناقص العاجز المحدود الذي ظهر عجزه بمحدوديته ونهاية غايته، أمّا الخالق البارئ المصور تنزه عن الحد والغاية وتنزه عن المقدار والنهاية، وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، وقد علم الراسخ في علم الأصول أنّ سياق آيات الاستواء جاء لبيان كمال الربوبية والهيمنة لقرينة قوله تعالى بعد ذكر الاستواء {يدبر الأمر}، **لقد أخطأت الطائفة الحشوية التي تنتسب إلى السلفية خطأ جسيما:** عندما قاسوا الخالق على المخلوق _ وتناسوا قواعد التسبيح والتقديس والتنزيه وانه ليس كمثله شيء وليس له مثيل ولم يكن له كفوا أحد _ فتخيلوا الخالق المعبود في جهة واحدة من جهات الكون هي جهة العلو الحسي المقاس بالأبعاد وتخلوه جالسا على عرش عظيم سبحانه وتعالى عما يصفون واختلفوا – بفهم سقيم بعيد عن التقديس – هل هو (سبحانه) بقدر العرش أم أكبر أم أصغر بمقدار أربعة أصابع وهل إذا نزل في الثلث الأخير من الليل يخلوا منه العرش أم لا، كل ذلك بما قاسته أوهامهم للخالق على المخلوق وبموجب جهلهم بقواعد التنزيه فأضروا بعقيدة المسلمين أيما ضرر وصدوا عن سبيل الله من حيث لا يشعرون، وهم يدعون التمسك بكتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وهدي السلف الكرام وأكرم بذلك من طريق، وأعظم به من منهاج، ولكن لم يكن لهم توسع في دراسة أدلة تنزيه الذات من الكتاب والسنة، ولهذا نرى بعضهم يجيز على الله تعالى الكون في المكان ويجوزون عليه الحد والمقدار ويجوزون عليه التغير والانتقال وهم لا يعلمون أن هذا كله من سمات الخلق والنقصان، ولو تواضعوا للعلم ودرسوا (علم توحيد الذات)، لو تواضعوا للعلم ودرسوا قواعد التسبيح والتقديس والتنزيه على يد المتخصصين لما كانوا على هذه الحالة التي بها صاروا أدنى مرتبة من العوام، لا يحترمون تخصصات أهل العلم بخاصة أهل الأصول، بل صاروا قطاعا للطريق إلى الله وقفوا على طريق المسلمين يكفرون ويبدعون ويفسقون من حيث لا يعلمون، نسال الله السلامة، وقصتهم معلومة وضلالهم بين، ومن أراد المزيد فعليه بكتابي الأول في سلسلة مفاتيح العلوم الإسلامية التي يحتاجها طالب العلم الشرعي، (مفاتيح علم التقديس)، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل،

(ب) توحيد الله تعالى في أسمائه: يعني أنّه سبحانه متصف بالأسماء الحسنى وما دلت عليه من كمال الذات والصفات والأفعال، لقوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [سورة طه: 8]، وقوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سورة الْأَعراف: 180]، وتوحيد الأسماء الحسنى يكون بإفراد الله عز وجل بالأسماء الحسنى لا يشاركه سبحانه فيها بإطلاقها غيره، إذ جل عن الشريك والكفء والسمي، والعلم بأسماء الله تعالى الحسنى أشرفُ العلوم لأنها تتعلق بمعرفة الله تعالى، ومعرفة صفاته، وكل اسم من أسماء الله الحسنى يدل على صفة علية يتصف بها الله عز وجل فالرحيم سبحانه متصف بالرحمة التي يرحم بها عباده والقدير جل شأنه متصف بالقدرة التي يدبر بها ملكه فلا يعجزه شيء والغفور تبارك وتعالى متصف بالمغفرة التي بها يغفر للتائبين والمنيبين، لا إله إلا هو، العليم الذي له كمال العلم، العزيز الذي له العزة التي لا تضام، العظيم الذي له العظمة التي لا ترام، القدير الذي له القدرة المطلقة والمشيئة النافذة، الجبار الذي له الجبروت والانتقام وهو الرحمن الرحيم الذي سعت رحمته كل شيء وسبقت غضبه تعجز الكلمات عن حمد ذاته واحصاء اسمائه وعن وصف صفاته، واتَّفَقَ أكثر علماءُ أهل السنة والجماعة على أنَّ أسماءَ الله تعالى غيرُ محصورة بعدد، وعلى أنها أكثرُ من تسعة وتسعين اسما، إذ أن صفاته تعالى لا حد لها وكمالاته لا تنتهي، لذا لا يجوز أن تكون أسماؤه محصورة بعدد محدد، كما أن لله تعالى أسماءً وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها ملك مقرب، ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ، كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (أسألُكَ بكُلِّ اسم هُوَ لَكَ سَمَّيتَ به نَفْسَكَ أوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا منْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ في كِتَابِكَ أَوِ اسْتَأْثَرتَ به في عِلْمِ الغَيبِ عِنْدَكَ) [أخرجه أحمد وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (ح: 3528)]، **ومن أحصى من هذه الأسماء الحسنى تسعة وتسعين اسماً دخل الجنة:** لما أخرجه البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) [متفق عليه]، ومقصود الحديث أن من أحصى هذا القدر من أسماء الله الحسنى (مائة إلا واحداً) دخل الجنة، وليس المراد من الحديث حصر الأسماء في هذا العدد، وقد جاء في الحديث (لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) [صحيح أبو داود (823)]، أما الحكمة في الاقتصار على هذا العدد المخصوص، فربما كان والله تعالى أعلم أنّ الأسماء وإن كثرت إلاّ أنّ معانيها قد ترجع في أصلها إلى التّسعة والتّسعين اسماً التي من أحصاها دخل الجنة، والمقصود بإحصاء الاسماء الحسنى التسعة والتسعين: قد يكون (الحفظ)، وهو الاقرب

لمقصد الحديث بدليل الرواية التي أخرجها مسلم وفيها بلفظ (مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)، وقد يكون المراد من الإحصاء (الفهم) أي فهم معانيها والمراد منها في بيان كمال أسماء الله وصفاته العلا، وأسماء الله الحسنى توقيفية لا مجال للاجتهاد إذ العقل قاصر عن الاجتهاد فيما لا يدركه لقوله تعالى: {ولا تقف ما ليس لك به علم} [الإسراء: 36]، وقوله تعالى: {قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون} [الأعراف: 33]، والمذهب عند أهل السنة والجماعة أن أسماءَ الله تعالى الحسنى توقيفية لا يجوز الاجتهاد فيها أو القياس، لأنها من الأمور الغيبية التي لا تُعلم إلا عن طريق الوحي، و**الأسماء الحسنى على كثرتها ليست مترادفة**، فإن كل منها يتضمن معنى لا يتضمنه غيره، لأنّ كل أسم منها يدل على صفة أو معنى خاص ومتميز يختلف عن الآخر، فهي أعلام وأوصاف، **الله تعالى هو (الرحمن) (الرحيم)**، ولكن (الرحمن) يختلف عن (الرحيم) في التفصيل، **(الرحمن)** ذو رحمة واسعة عامة، و**(الرحيم)** ذو رحمة خاصة دائمة لا تنقطع، **(الرحمن)** رحمته لجميع خلقه، **(الرحيم)** رحمته لعباده المؤمنين، **(الرحمن)** رحمته واسعة، و**(الرحيم)** رحمته دائمة، وكذلك **(العفو)** و**(التواب)** و**(الغفور)** و **(الغفار)** كلها تتعلق بالمغفرة، ولكن لكل منها معنى خاص، **(الغفور)**: يغفر الذنوب العظام، و**(الغفار)**: يغفر الذنوب الكثيرة والمتعددة، و**(العفو)**: يمحو السيئات ويتجاوز عنها ويمحو أثرها بالكلية و**(التواب)** هو الذي يوفق عبده للتوبة فيقبلها منه ويغفر له، كلها مترابطة ولكنها متفاوتة في دلالتها: (التواب): يشمل التوفيق والقبول والمغفرة، و**(الغفار)**: أعم في عدد الذنوب، و**(الغفور)**: في عظائم الذنوب، و**(العفو)** في محو أثرها بالكلية، فكلها تصب في رحمة الله ومغفرته لكن بتفاصيل دقيقة، **(التواب)**: هو الذي يقبل توبة عباده، ويعينهم عليها، ويغفر لهم بعد توبتهم. يجمع بين التوفيق للعمل الصالح والقبول والمغفرة مثل قوله تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه: 82]، **(الغفور)**: يغفر الذنوب العظيمة والكبيرة، ويسترها عن الناس مثل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: 4، 5]، و**(الغفار)** الذي يغفر الذنوب الكثيرة المتعددة وإن بلغت عنان السماء، و**(العفو)**: يمحو الذنوب المحو التام ويترك المؤاخذة عليها، كما جاء في الحديث: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي) [أخرجه الترمذي: 3513))]، و**(الخالق)** و **(البارئ)** و**(المصور)** كلها تتعلق بالخلق، **(الخالق)**: هو الذي يوجد الشيء من عدم، و**(البارئ)**: هو الذي يميزه عن غيره، و

(المصور): هو الذي يعطيه الصورة التي هو عليها، وكلها تدل على الخلق، وهذا الاختلاف في المعاني يثرى فهم المسلم لصفات الله الكاملة، الدالة على الكمال المطلق، وليست مجرد أسماء مختلفة تحمل نفس المعاني، فالأسماء الحسنى كلها تدل على الله، وكل أسم منها يكشف عن جانب فريد من صفات الله العظيمة، وكل اسم له أثره الخاص في فهم كمال الله وجلاله وجماله وعظمته، كما أنّ **تلازم الأسماء الحسنى بعطيها معان جديدة تدل على الكمال المطلق، فاقتران اسمه تعالى الحكيم باسمه تعالى العليم** كما في قوله تعالى: {وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [التحريم: 2]، (العليم): يعلم كل شيء، و(الحكيم): يضع كل شيء في موضعه اللائق به، فجمع الاسمين يدل على أن علم الله ليس مجرد معرفة، بل معرفة تامة مقرونة بالغاية والحكمة، **واقتران اسم الله اللطيف باسمه الخبير**، كما في قوله تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: 14]، (اللطيف): هو الذي يدرك دقائق الأمور ويوصل مصالح عباده بلطف وإحسان من طرق لا يعلمونها، و(الخبير): هو الذي الذي أحاط علمه بكل شيء، ظاهره وباطنه، وخفايا الأمور الدقيقة، واقتران الاسمين يفيد معنى جديدا، وهو أنّ الله تعالى يوصل مصالح عباده ويحقق لهم الخير من طرق خفية لا يدركونها، مستنداً إلى علمه التام بأسرار الأمور وبواطنها وخفاياها، فهو اللطيف الذي يوصل الخير بلطف، والخبير الذي يعلم أدق التفاصيل ليُوصل الخير ويحقق المصلحة بدقة لا تخطئ، وهكذا فإنّ اقتران الأسماء يزيدها معان جديدة، وبهذا يتضح معنى قول العلماء: أنّ علم الأسماء الحسنى لا يُدرك، ومعانيها فوق الحصر والفهم ولذلك كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: (أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك سميتَ به نفسَك، أو علَّمتَه أحدًا من خلقِك، أو أنزلتَه في كتابِك، أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندَك، أن تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي، و نورَ صدري، و جلاءَ حزني، و ذَهابَ همِّي)]أخرجه أحمد (3712) واللفظ له، وابن حبان 972))]، فعلم الأسماء واسع لا يُدرك، وقد وردت روايات في إحصاء الأسماء الحسنى، **وطريق الترمذي أصح شيء في الباب**، أخرج الترمذي عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ لله تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْماً مِائَةً غيرَ وَاحِدَةٍ مَنْ أَحْصَاها دَخَلَ الجَنَّة، هُوَ الله الَّذِي لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ الرَّحمنُ الرَّحيمُ المَلِك القُدُّوسُ السَّلاَمُ المُؤْمِنُ المُهَيمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّر الخَالِقُ البَارِىءُ المُصَوِّرُ الغَفَّارُ القَهَّارُ الوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الفتَّاحُ العَلِيمُ القَابِضُ البَاسِطُ الخافضُ الرَّافِعُ المعزُّ المذِل السَّمِيعُ البَصِيرُ الحَكَمُ العَدْلُ اللّطِيفُ الخَبِيرُ الحَلِيمُ العَظِيمُ الغَفُورُ الشَّكُورُ العَلِيُّ الكَبِيرُ الحَفِيظُ المُقِيتُ الحَسِيبُ الجَلِيلُ الكَرِيمُ الرَّقِيبُ المُجِيبُ الْوَاسِعُ الحَكِيمُ الوَدُودُ المَجِيدُ البَاعِثُ الشَّهِيدُ الحَق الوَكِيلُ القَوِيُّ المَتِينُ الوَلِيُّ الحَمِيدُ المُحْصِي المُبْدِيءُ المُعِيدُ

المُحْيِي المُمِيتُ الحَيُّ القَيُّومُ الوَاجِدُ المَاجِدُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ القَادِرُ المُقْتَدِرُ المُقَدِّمُ المُؤَخِّرُ الأوَّلُ الآخِرُ الظَّاهِرُ البَاطِنُ الوَالِي المُتَعَالِي البَرُّ التَّوَّابُ المنتَقِمُ العَفُوُّ الرَّؤُوف مَالِكُ المُلْكِ ذُو الجَلاَلِ وَالإكْرَامِ المُقْسِط الجَامِعُ الغَنِيُّ المُغْنِي المَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ النُّورُ الهَادِي البَدِيعُ البَاقِي الوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُور)، وهذه الرواية صححها ابن حبان والحاكم وحسنها النووي، وقد زعم البعض أن جمع الأسماء في الحديث مدرج، أدرجه بعض الرواة في الحديث، وهذا الأمر مستبعد، لأنّ الرواية قد تقبلها المتقدمون كالترمذي والحاكم وابن حبان، وتلقاها أهل العلم بالحديث وعوَّل عليها جميع من شرح الأسماء الحسنى، كابن مَنْدَهْ وابن العربي والبيهقي والغزالي والقرطبي والرازي وغيرهم، غاية الأمر قد يكون هناك اضطراب في ذكر بعض الاسماء، أو اسقاط بعضها سهواً، ولعل هذا الاضطراب هو ما دعا البخاري ومسلم إلى الاقتصار على أصل الحديث دون سرد الأسماء، ولهذا اجتهد الإمام ابن حجر رحمه الله في جمع ما ورد في القرآن الكريم من الأسماء الحسنى، بصيغة الاسم ممّا لم يذكر في رواية الترمذيّ، وهي سبعة وعشرون اسمًا، وضمّ إليها الأسماء الَّتي وقعت في رواية الترمذيّ ممّا ورد في القرآن بصيغة الاسم فصارت تسعة وتسعين اسمًا وكلّها في القرآن وهي: اللَّهُ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، الْغَفَّارُ، الْقَهَّارُ، التَّوَّابُ، الْوَهَّابُ، الخلاّقُ، الرَّزَّاقُ، الْفَتَّاحُ، الْعَلِيمُ، الْحَلِيمُ، الْعَظِيمُ، الْوَاسِعُ، الْحَكِيمُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، الْعَلِيُّ، الْكَبِيرُ، المحيطُ، القديرُ، المولى، النّصيرُ، الْكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، القريبُ، الْمُجِيبُ، الْوَكِيلُ، الْحَسِيبُ، الْحَفِيظُ، الْمُقِيتُ، الْوَدُودُ، الْمَجِيدُ، الْوَارِثُ، الشَّهِيدُ، الْوَلِيُّ، الْحَمِيدُ، الْحَقُّ، المبينُ، الْقَوِيُّ، الْمَتِينُ، الْغَنِيُّ، المالكُ، الشّديدُ، الْقَادِرُ، الْمُقْتَدِرُ، القاهرُ، الكافي، الشّاكرُ، المستعانُ، الفاطرُ، الْبَدِيعُ، الغافرُ، الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الكفيلُ، الغالبُ، الْحَكَمُ، العالِمُ، الرّفيعُ، الحافظُ، الْمُنْتَقِمُ، القائمُ، الْمُحْيِي، الْجَامِعُ، المليكُ، الْمُتَعَالِي، النُّورُ، الْهَادِي، الْغَفُورُ، الشَّكُورُ، الْعَفُوُّ، الرؤوف، الأكرمُ، الأعلى، الْبَرُّ، الحفيُّ، الربُّ، الإلهُ، الْوَاحِدُ، الأحدُ، الصَّمَدُ الَّذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد، [فتح الباري 11: 219]، قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سورة الْأَعراف: 180]

(ت) توحيد الله تعالى في صفاته: يعني تقديس الله تعالى في صفاته العلى ليس كمثلها صفات، هي صفات الكمال المطلق منزهة عن النقص والعيب، صفات الله تابعة لجناب ذاته، لها الكمال المطلق والقدم الازلي، لها الأولية بلا ابتداء، ولها البقاء بلا انتهاء، أزلية أبدية، فلا

بداية ولا نهاية، ولا حد ولا غاية، صفات مطلقة لها غاية الكمال والقدم، **وليس كثرة الصفات دليل على تعدد القدماء، بل الإله قديم واحد أحد بجناب ذاته**، وجناب ذاته تتصف بكمال صفاته، فالصفات للذات، تأخذ حكمها من حيث الكمال والإطلاق، هو (العليم) سبحانه: الذي ينكشف له كل معلوم من غير خفاء، فالعلم هي الصفة التي يتم بها الكشف والادراك، ولا يجوز أن نتوهم أنّ صفة العلم هي التي تكشف كل معلوم بل الذات هي التي تعلم وتدرك من حيث أنّ لها صفة العلم المطلق بكل شيء، فالله هو العليم الذي له صفة العلم، وهو (القدير) الذي إن شاء فعل وإن شاء ترك، وهو (الرحمن): الذي وسعت رحمته كل شيء، وهو (الرحيم): الذي رحمته ليس لها حد ولا غاية، هو المنعم ابدا، المتفضل دوما، ورحمته لا تنتهي، وهكذا فكل اسم من الأسماء الحسنى يدل على صفة محكمة من صفات الله، و**(الصفات الواجبة من جهة العقل)**: هي صفات الكمال التي أضدادها مستحيلة في حق الله تعالى، ولا يمنع كون وجوبها عقلا ان الشرع قد اتى بها، ولهذا قال علماء الاصول أن: صفات الوجود والقدم والبقاء والوحدانية والمخالفة للحوادث، والحياة والقيام بالنفس والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام، واجبة لله تعالى عقلا، لأن أضدادها مستحيلة في حق الله تعالى، ضد صفة (الوجود) العدم، وضد (القدم) الحدوث، وضد صفة (البقاء) الفناء، وضد (المخالفة للحوادث) المشابهة للحوادث، وضد صفة (الوحدانية) وجود الشريك، وضد صفة (الحياة) الموت، وضد صفة (القيام بالنفس) الاحتياج، وضد صفة (القدرة) العجز،، وضد صفة (الإرادة) الاضطرار، وضد صفة (العلم) الجهل، وضد صفة (السمع) الصمم، وضد صفة (البصر) العمى، وضد صفة (الكلام) البكم، و**(الصفات الواجبة من جهة الشرع)**: وهي الصفات التي يكون اثباتها عن طريق الشرع، ولا يلزم من اثباته استحالة ضده وانتفائه في حق الله تعالى، إذ أنّ الشرع دل على ثبوت صفة الرحمة لله وثبوت ضدها وهو شدة العقاب، وعند تطبيق تلك المصطلحات بدقة لن يكون هناك لبس في تعلم العلم، فإنّه إذا قيل واجب عقلي، فإنّ معناه الذي لا يُتصور في العقل عدمه، وبالتالي فإنّ وجود الله تعالى واجب عقلي لأنّه لا يُتصور في العقل عدمه، إذ وجود جميع تلك المخلوقات والنظام الذي هي فيه يوجب في العقل وجود خالقها الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، أما (الرحمة) التي يتصف بها الرحمن سبحانه فإنّها واجب سمعي شرعي وليس عقلي، وتعريفه كما ذكرنا هو الذي دل الشرع على وجوبه، وقد أعلمنا الله تعالى بتلك الصفة بقوله تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة: 98]، وكل اسم من أسماء الله الحسنى يدل على صفة ثابتة لله تعالى من جهة الشرع: ف **(الرحمن)**: يدل على صفة

الرحمة وعلى سعة رحمة الله، و **(الرحيم):** يدل على صفة الرحمة والإنعام على خلقه فهو المنعم ابدا، المتفضل دوما، ورحمته لا تنتهي، و **(الملك):** يدل على صفات الملك والحكم والأمر والنهي، و **(القدوس):** يدل على صفة التقدس من العيوب والتنزه عن النقائص وعن كل ما تحيط به العقول، و **(السلام):** يدل على صفة السلامة من النقص والعيب والفناء، و **(المؤمن):** يدل على صفة التأمين والصدق مع عباده فيما وعدهم به من الأجر والثواب، و **(المهيمن):** يدل على صفة الهيمنة والرعاية والوقاية والصيانة والرقابة والحفظ لكل خلقه، والقيام على خلقه بأعمالهم، وأرزاقهم، وآجالهم، و **(العزيز):** يدل على صفة العزة التي لا ترام والقوة التي لا تقهر، والغلبة على كل شيء، و **(الجبار):** يدل على صفات العظمة والجبروت والقهر ونفاذ المشيئة، و **(المتكبر):** يدل على صفة التفرد بالعظمة والكبرياء والتعالي عن مشابهة الخلق، و**(الخالق):** يدل على صفة التقدير والإيجاد لكل شيء والخلق لكل موجود سواه، و **(البارئ):** يدل على صفة إبراز خلقه إلى الوجود بقدرته لا عن مثال سابق، و **(المصور):** يدل على صفة التصوير، وأنه هو الذي صور جميع الموجودات، ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة، وهيئة منفردة، يتميز بها على اختلافها وكثرتها، وهكذا جميع الاسماء الحسنى تدل على صفات محكمة الله تعالى، وهذه الصفات التي تؤدي إلى المعرفة الصحيحة بالله تعالى، ومن عرف الله تعالى افرد له الربوبية والإلهية وكمال المحبة والتذلل والانقياد، أما (المتشابهات) فهي أخبار لا تدل بالضرورة على صفات، وقد سماها بعض العلماء بالصفات الخبرية، وهي تدخل في المتشابهات لأنها توحي بالمشابهة أو الجارحة أو التغير والحدوث، ومن ذلك (الوجه) و (النفس) و (العين) و (اليد) و (الأصابع) و (القدم)، ومنها ما يوحي بالجلوس والاستقرار كالاستواء، ومنها ما يوحي بالحركة والانتقال كالنزول والمجيء، ومنها ما يوحي بالانفعال كالغضب والفرح والسرور والضحك، وهذه في حقيقة الأمر أخبار تتضمن عند اثباتها على ظواهرها نقصاً يتنزه الله تعالى عنه، وهذه نثبتها على الوجه الذي يحمل المتشابه على المحكم، وعلى الوجه الذي يدل على الكمال، مع تنزيه الله تعالى عن أوجه النقص فيها، مع الاحتراس عن نفي ما أثبته الله تعالى، **ومثال ذلك (الوجه)** اثباته على ظاهره قد يوحي بالجارحة والجزء من الله، وهذا محال لأنّ الله تعالى أحد لا جزء له، صمد لا تركيب فيه، غني لا جارحة له، قهار لا حد له، متعال على النهاية فلا نهاية له، فينبغي أنّ نسلك في ذلك طرق الراسخين في العلم، **وهي أحدى ثلاث طرق** لا رابع لها، **(الطريق الأول)** اثبات الوجه على سبيل **الصفة** لا سبيل الجزء والجارحة، **(والطريق الثاني)** حمل الآية على المجاز المراد من الوجه وهو الذات، **(والطريق الثالث)**

تفويض علمها إلى الله مع المنع من تفسيرها على ظاهرها (الذي هو الجزء من الذات) مع تنزيه الله تعالى عن النقص، **ومثال الصفات الخبرية أيضا (الاستواء) فإنه إثبات لصفة خبرية** (جاء بها الخبر) ولكن اثباتها على ظاهرها قد يوحي بالحد والنهاية والأركان والاجزاء والجوارح، وهذه عن الله منفية، لأنّ الحد يعني النهاية والله تعالى منزه عن التناهي، لأنها سمة المخلوق المحدود، وكذلك فإنّ عقيدة المسلمين أنّ الله تعالى أكبر من كل شيء، وهو أكبر من الحدود، وكل محدود فإنه يجوز أن يكون ما هو أكبر منه، والله أكبر من كل تصور فوجب أن يكون منزها عن الحدود، كما أنّه الواحد القهار الذي قهر الحدود، وهو الكبير المتعال الذي تعالى عن النهايات، وإثبات الاستواء على معناه الظاهر (الجلوس)، قد يوحي بالمقابلة أو المحايثة بين الخالق والمخلوق وبين الرب والعرش المربوب، وهذا محال لأنّ الله تعالى قهار لا حد له، متعال على النهاية فلا نهاية له، فينبغي أنّ نسلك في ذلك طرق الراسخين في العلم، وهي أحدى ثلاث طرق صحيحة لا رابع لها، إما اثبات الاستواء على سبيل الصفة لا سبيل الجلوس والاستقرار، وإما حمل الآية على المجاز المراد من الاستواء وهو علو الهيمنة والربوبية والتدبير، وإما تفويض علمه إلى الله، (استواء على مراد الله ومراد رسول الله) مع المنع من تفسيره على ظاهره (الذي هو الاستقرار والجلوس على العرش) لأن ذلك تشبيه، وخروج عن إطار أهل السنّة إلى المشبهة، **ومسالك علماء أهل السنّة والجماعة في اثبات تلك الصفات الخبرية:** ثلاثة مسالك معتمدة، وما عداها ميل نحو الاعتزال أو الحشو، و **المسلك (الاول):** طريقة السلف إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة على مراد الله تعالى ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم، مع الإيمان به وعدم التعرض لمعناه، و **المسلك (الثاني):** اثباتها صفات لله تعالى منزهة عن كل ما يخالف الأدلة القطعية التي توافرت على أنه تعالى ليس جسما ولا متحيزا ولا متجزئا ولا متركبا ولا محتاجا لأحد، ومثال ذلك اثبات الوجه على أنّه صفة منزهة عن الجارحة والحد والصورة، واثبات الاستواء صفة لله تعالى منزها عن الجلوس والتحيز والحد والجهة الحسية، واثبات الضحك والغضب صفات لله تعالى منزهة عن التغير والحدوث والانفعالات الحسية، وإنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف فقلنا بها ونفينا عنها التكييف لقوله تعالى: {ليس كمثله شيء}، وقوله تعالى: {ولم يكن له كفوا أحد} وقوله تعالى: {هل تعلم له سميا}، **والمسلك (الثالث):** حملها على مجاز اللغة وحمل متشابهها على محكمها، ومثاله حمل الوجه على الذات، وحمل اليد على مقتضي الآية، ففي قوله تعالى: {بل يداه مبسوطتان} تحمل على الكرم والجود والعطاء، وفي قوله تعالى: {لما خلقت بيدي} بمزيد الإنعام والتفضل وزيادة

التكريم لا اكثر بقرائن قوله تعالى: {مما خلقت أيدينا أنعاما}، وقوله تعالى: {والسماء بنيناها بأيد}، وقوله تعالى: {إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون}، وهكذا، وقد تقدم بيان ذلك، وحمل الضحك في حديث (يضحك ربنا) إلى علامة الرضا وإرادة الثواب، وهكذا على ما تحمله اللغة من مجاز وبلاغة، **والفرق بين هذه المسالك**: أن المسلك الأول: يعامل الآيات والأحاديث على أنها من المتشابه فلا يجزم بانه صفات أو أخبار، فلا يفسر ولا يخوض ويرويها كما جاءت على مراد الله ومراد رسوله، والمسلك الثاني: يعامل الآيات والأحاديث على أنها تدل على صفات منزهة عن مشابهة المخلوقين ومنزهة عن المستحيلات في حق الله تعالى، والمسلك الثالث يعاملها على انها أخبار تحمل معاني محكمة وأخرى متشابهة فيتم حمل المتشابه على المحكم عملاً بقوله تعالى: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} فيفسرون الآية او الحديث بما سيق لأجله دون التعرض لمتشابه أو حمل المتشابه على المحكم، **فمثلاً حديث النزول** سيق لبيان فضل الثلث الآخر من الليل وليس لبيان كيفية النزول، فنفسره بذلك، ولا نتعرض للنزول، أو نجعل المقصود من النزول هو نزول الرحمة وقبول الدعاء، مع عدم نفي خبر النزول، وبهذه الاقوال الثلاثة أقرّت وقَبلت وأيدت مدارس أهل السنة والجماعة المتخصصة في العقيدة وهي مدارس الاثرية والأشعرية والماتريدية، وقالوا يجوز لكل مسلم أن يسلك أحد تلك المسالك الجائزة ولا تثريب عليه بها، وإنما الخلل لمن مال إلى المشبهة والمجسمة وأبى إلا الظاهر المتبادر إلى الذهن مع رفضه التنزيه، أو مال إلى المعتزلة وغامر ونفى ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة بحجة التنزيه، **(تنبيه): الخلاف بين أهل السنّة والجماعة وبين الحشوية يكمن في الصفات الخبرية، لأنّ الحشوية والمجسمة –وحدهم– مصرون على اعتماد ظواهر تلك المتشابهات، التي ترسم في أذهانهم شكل الذات، تعالى الله عما يصفون، وذلك لما ترسخ في أذهانهم من التشبيه والتجسيم، وهو داء عضال يشبه داء الكلب إذا تحكم في صاحبة فإنه يجري منه مجرى الدماء في العروق، ولهذا يمنعون التأويل ويحاربونه لأنه يعارض بدعتهم، كل الطوائف أقرت بالتاويل وقت الحاجة لضرورة التنزيه إلا هؤلاء، يجري التمثيل والتشبيه والتجسيم في تصوارتهم عن الله مجرى الدم في العروق نسأل الله السلامة،**

(ث) توحيد الله تعالى في أفعاله: يعني اعتقاد أنه لا خالق ولا مُؤثِّرَ في الوجود إلا الله، واعتقاد أنه لا يكون ثم فعل من الأفعال في الكون إلا بخلقه ومشيئته وإرادته وقدرته، هو سبحانه وحده المنفرد بخلق جميع الكائنات بلا واسطة، ليس في الوجود خالق غيره، ولا

يكون في ملكه إلا ما قدر وشاء وعمدة هذا التوحيد: قوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: 96]، وقوله تعالى: {قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الرعد: 16]، قوله تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}[الزمر: 62]، وقوله تعالى: { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: 96]، فالكون كله خلق الله، وكل ما في الوجود خلقه، وهذا التوحيد يعني أن كل وجود وكل حركة وكل سكون، وكل فعل في العالم يعود الي الخالق سبحانه، فهو مسبب الاسباب، حتى الافعال التي تصدر منا هي في الأساس من خلق الله تعالى، كما قال سبحانه: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: 96]، وقال تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: 29]، و(صفات الأفعال) كالخلق والرزق والإحياء والإماتة فهي تعلقات صفة القدرة، والقدرة صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة، لذا وجب أن يقال: أنّ الله سبحانه هو الخلاق منذ الازل، والخلق (أثر) لصفة الخلق عنده، لم يستفد من خلقهم اسم الخلاق، جميع الخلق قدماء الثبوت في علمه القديم الأزلي، وهم محدثون بإرادته القديمة، فما تعلق بالقديم الأزلي قديم أزلي، وما تعلق بالمحدثات محدث، قال الطحاوي رحمه الله – معبراً عن عقيدة أهل الإسلام –: (ما زال بصفاته قديما قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئا، لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليا، كذلك لا يزال عليها أبديا، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداث البرية استفاد اسم الباري، له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق) أهـ [العقيدة الطحاوية]، **جناب الحق سبحانه له الكمال المطلق،** وإنما الاكوان والخلائق والأعمال ظهرت كأثر لتجليات جناب الذات بأسمائه وصفاته، والأكوان ظهرت كآثار لرحمة الله، كما في قوله تعالى: {فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الروم: 50]، هو العالم قبل أن توجد المعلومات، وهو الخالق قبل أن يخلق الخلق، وهو الرازق قبل أن يرزق الخلق، لان أسماءه قديمة والخلق محدثون، ويستحيل أن يستفيد القديم من المحدث، وإلا لم يكن قديما، وكذلك فإن وجود الاكوان والمخلوقات ليس أمرا حتميا على الله لان هذا يُبطل كمال الإرادة والمشيئة، فإن الله تعالى له المشيئة المطلقة والارادة النافذة، قال تعالى: {فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}، وقال تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}، فالله تعالى أراد الكون على هذه الحال وتلك الصورة، ولذلك قال المحققون من اهل العلم: أن ذاته ما كملت بالصفات بل ذاته لغاية الكمال استلزمت صفات الكمال، وصفات الكمال استلزمت كمال الأفعال، و**حدوث الاكوان لا يغير شيئا ولا يضيف شيئا إلى جناب الذات الإلهي:** لأن له الكمال المطلق قبل خلق الخلق وبعد خلقهم،

فلم يستفد الرحمن من مخلوقاته شيء، وحدوث الاكوان لا يزيد شيئا لا في الأسماء ولا في الصفات، لأن لها الكمال المطلق الذي لا يقبل الزيادة أو النقصان لأنه إن قبل الزيادة كان قبلها ناقصا، وإن قبل النقصان لم يكن كاملا، وإنما التغيير من صفات النقص والله منزه عن الحدوث والنقصان، (إذن) العالَم موجود كأثر للكمال الإلهي وليس سببا في الكمال الإلهي، وفرق هائل بين الامرين، خلق الاكوان مِنّةُ من الرحمن على الخلائق وتفضل منه عليهم والله ذو الفضل العظيم، و **(توحيد الافعال)**: المقصود منه الاعتقاد بأنه لا خالق ولا مُؤثِرٌ في الوجود إلا الله، واعتقاد أنه لا يكون ثم فعل من الأفعال في الكون إلا بخلقه ومشيئته وإرادته وقدرته، هو سبحانه وحده المنفرد بخلق جميع الكائنات بلا واسطة، هو الخالق ولا خالق غيره، ولا يكون في ملكه إلا ما قدر وشاء قال تعالى: {قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الرعد: 16]، وهذا التوحيد يعني أن كل وجود و كل حركة وكل سكون، وكل فعل في العالم يعود الي الخالق سبحانه، فهو مسبب الاسباب، حتي الافعال التي تصدر منا هي من خلق الله تعالى، كما قال سبحانه:{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: 96]، وأهل العلم بالأصول متفقون في توحيد الأفعال على أنّ كل ما يكون في الكون، وكل ما يقع في الكون، إنما هو من خلق الله تعالى، (**مدى مسؤولية الإنسان على أفعاله وأعماله؟)**: **الاجابة لها شقان: (الشق الأول)**: الإنسان مخلوق ضمن مخلوقات الله، يجري عليه ما يجري على الجميع من مخلوقات الله تعالى، **فلا يكون في ملك الله تعالى إلا ما شاءه الله**، ولكن الله تعالى جعل للثقلين (الجن والإنس) نوعاً من الاختيار يجعل كلاً منهما مسؤول عن أعماله، له حرية الاختيار، وعليه أنّ يتحمل مسؤولية هذا الاختيار، عليه أن يختار بين طريق الهداية وطريق الضلال، وهو يتحمل نتائج هذا الاختيار، ولكن ليس معنى ذلك، أنّه يستطيع أن يخرج عن اطار قانون الله في الكون وأنّه وحده سبحانه الخالق لكل شيء، وأنّه لا يكون في ملكه إلا ما يريد، فمن اختار طريق الهداية فبفضل الله تعالى وتوفيقه، لما يعلمه الله تعالى من قدره الذي لم يطلع عليه غيره، ومن اختار طريق الضلال فبخذلان الله تعالى له بعدله وعلمه فيه وقدره الذي لم يطلع عليه غيره، **فليس عمل الإنسان جبراً من الله تعالى على العبد، وليس عمل الإنسان من خلق الإنسان، إذ ليس في الكون إلا خالق واحدٌ هو الله وحده**، كما قال تعالى: {قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الرعد: 16]، ومن طلب في القدر ما وراء ذلك فقد ساء الأدب مع الله، وسأل الله عمّا لا يحق له التدخل فيه، **وما أحسن ما قاله الطحاوي** وهو يعبر عن عقيدة المسلمين في القضاء والقدر: (وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق

والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال الله تعالى في كتابه : {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} فمن سأل : لِمَ فعل ؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين) أهـ [العقيدة الطحاوية]، فالخير والشر مقدران على العباد، ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله، وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، فمن هداه الله للطاعة فلا يشكر ولا يحمد إلا الله تعالى الذي وفقه لسلوك درب الطاعة، ومن كان على المعصية فليس له إلا أن يستعين بالله تعالى أن يخرجه منها إلى طريق الهداية والصلاح، ومن تنكب الطريق فلا يلومن إلا نفسه، فإنّ الله تعالى لا يظلم الناس شيئاً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، **و (الشق الثاني للإجابة): نظرية الكسب** التي وردت في القرآن وهي الحل الامثل لمتشابهات القضاء والقدر وتمثل التوسط ما بين بدعتي الجبر والقدر، وقد ورد الكسب في القرآن الكريم في أكثر من ستين آية، جميعها يشير إلى كسب الإنسان، وأنّه مسؤول عن كسبه، منها قوله تعالى: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [البقرة: 141]، وقوله تعالى: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [البقرة: 225]، وقوله تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [البقرة: 281]، وقوله تعالى: {الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [غافر: 17]، **عند التوفيق بين آيات الكسب، وآيات توحيد الأفعال**، والتي منها: **قوله تعالى:** {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: 96]، وقوله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: 29]، نجد أنّ توحيد الأفعال يستلزم اعتقاد أنّ كل حركة وكل سكون، وكل فعل في العالم يعود الي الخالق سبحانه، فهو مسبب الاسباب، حتي الأفعال التي تصدر منا هي من خلق الله تعالى، و (الكسب) يستلزم مسؤولية الإنسان على أفعاله وأعماله بدليل ترتب الثواب والعقاب على تلك الأعمال، إذن الكسب هو الاختيار، وهذه هي حدود قدرة الإنسان، أما الفعل في حد ذاته فهو مخلوق لله تعالى، وبمقتضى هذا الأصل فإن جميع أفعال الإنسان التي سيحاسب عليها إنما هي مخلوقة من الله مكسوبة من العبد، للعبد فيها الاختيار فإن شاء الله كانت لأنها خلقه، وإن لم يشأ لم تكن، فمن اختار طريق الهداية وسار فيه، فبفضل الله تعالى وتوفيقه، ومن اختار طريق الضلال وسار فيه فبخذلان الله تعالى له بعدله وعلمه فيه، فليس عمل الإنسان جبراً من الله تعالى على العبد، وليس عمل الإنسان من

خلق الإنسان، إذ ليس في الكون إلا خالق واحدٌ هو الله وحده، كما قال تعالى: {قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الرعد: 16]، ومن طلب في القدر ما وراء ذلك فقد ساء الأدب مع الله، وسأل الله عمّا لا يحق له التدخل فيه، قال تعالى : {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون}، هذا هو الكسب وتلك هي حدوده، وحاصله أنّ الإنسان له حرية الاختيار في أشياء يحاسب عليها، فإن حصل له الاختيار والعزم كان ذلك كسبه، وحاسبه الله تعالى على ما كسبت نفسه، ولكن لا يكون في ملك الله إلا خلق الله، وهنا تتدخل مشيئة الله في خلق عمله أو عدم خلقه، وتفسير الكسب على هذا النحو هو الحق العدل الوسط بين مذهبي الجبرية والقدرية، فالإنسان قادر على كسبه واختياره وبالتالي هو مسؤول عن أعماله، ولكنه غير قادر على إيجاد الفعل واختراعه بمقتضى محدودية قدرته، وفي هذا إثبات للقدرة الإلهية وانفرادها بالخلق، وبذلك ستصبح عقيدة الكسب هي الصيغة النهائية لعقيدة المسلمين في القضاء والقدر، **وفي القدر أسرار تتعلق بالربوبية**، لا يحق للعبيد تتبعها ولا السؤال عنها، فمن طلب في القدر ما وراء ما ذكرت من معاني الكسب، فقد ساء الأدب مع الله، وسأل الله عمّا لا يحق له التدخل فيه، قال تعالى : {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} فمن سأل : لِمَ فعل ؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين، فمن هداه الله للطاعة فلا يشكر ولا يحمد إلا الله تعالى الذي وفقه لسلوك درب الطاعة، ومن كان على المعصية فليس له إلا أن يستعين بالله تعالى أن يخرجه منها إلى طريق الهداية والصلاح، ومن تنكب الطريق فلا يلومن إلا نفسه، فإنّ الله تعالى لا يظلم الناس شيئاً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، فهذا هو الكسب وتلك هي حدوده، وحاصله أنّ الإنسان له حرية الاختيار في أشياء يحاسب عليها، فإن حصل له الاختيار والعزم كان ذلك كسبه، وحاسبه الله تعالى على ما كسبت نفسه، ولكن لا يكون في ملك الله إلا خلق الله، وهنا تتدخل مشيئة الله في خلق عمله أو عدم خلقه، و**أهل السنة والجماعة ينصون على أن للعبد كسب بلا خلق لعمله ولا جبر عليه**، وكل إنسان منصف يعرف الفرق بين الأفعال الجبرية كضربات القلب ونبضات الدم، وبين الافعال الاختيارية كأداء الصلاة أو تركها، وأهل السنة يصرحون بعدم الجبر، ردا على الجبرية، ويصرحون بعدم الخلق ردا على القدرية الذين زعموا أنّ الإنسان خالق لعمله، و أهل السنة والجماعة يقولون: أنه ليس للعبد في أفعاله الاختيارية إلا الكسب، فليس مجبورا كما تقول الجَبرية، وليس خالقا لها كما تقول المعتزلة، وتفسير الكسب على هذا النحو هو الحق العدل الوسط الملائم لعقيدة التوحيد ونصوص القرآن التي تؤكد انفراده سبحانه بالخلق لقوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: 96]. فلو قلنا بمشاركة الإنسان لله تعالى في خلق

الفعل لانتهى بنا الأمر إلى إثبات خالق مع الله تعالى ضدا على أصل التوحيد، وهو قول القدرية المعتزلة، ولو قلنا بانتفاء الاختيار والكسب لانتهى بنا الأمر إلى الجبر وهو قول الجهمية الجبرية، وتفسير الكسب على هذا النحو هو الحق العدل الوسط بين مذهبي الجبرية والقدرية، فالإنسان قادر على كسبه واختياره وبالتالي هو مسؤول عن أعماله، ولكنه غير قادر على إيجاد الفعل واختراعه بمقتضى محدودية قدرته، وفي هذا إثبات للقدرة الإلهية وانفرادها بالخلق، **وبذلك تصبح عقيدة الكسب هي الصيغة النهائية لعقيدة أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر**، وبها يبطل مذهب الجبرية القائم على أساس إنكار القدرة الحادثة، ويصبح التكليف لا معنى له في غياب إرادة وقدرة الانسان على الفعل، كما يسقط مذهب المعتزلة الذي يجعل العبد مخترعا لأفعاله ضدا على أصل التوحيد الذي يجعل الخالق سبحانه وتعالى متفردا بالوحدانية في خلق الأفعال، **وأهل السنّة والجماعة عند إقرارهم لمبدأ الكسب حققوا من خلاله مقصدين عقديين عظيمين: (الأول):** إثبات اختيار العبد ومسؤوليته عن الأفعال الاختيارية، **و(الثاني):** الحفاظ على جوهر التوحيد وعدم جرحه كما فعل التيار الاعتزالي من قبل، فمن اختار طريق الهداية فبفضل الله تعالى وتوفيقه، لما يعلمه الله تعالى من قدره الذي لم يطلع عليه غيره، ومن اختار طريق الضلال فبخذلان الله تعالى له بعدله وعلمه فيه وقدره الذي لم يطلع عليه غيره، فليس عمل الإنسان جبراً من الله تعالى على العبد، وليس عمل الإنسان من خلق الإنسان، إذ ليس في الكون إلا خالق واحدٌ هو الله وحده، ومن طلب في القدر ما وراء ذلك فقد ساء الأدب، وسأل الله عمّا لا يحق له التدخل فيه، كما قال تعالى في كتابه: {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون}،

(ج) توحيد الله تعالى في ربوبيته لخلقه: يعني أنّه لا موجد ولا خالق ولا مكون لهذا الكون كله بما فيه إلا الله رب العالمين، ولا رازق في الكون كله إلا الله رب العالمين، ولا مالك لا متصرف ولا مدبر للكون كله إلا الله رب العالمين، ولا سيد ولا مهيمن ولا حاكم ولا آمر في الكون كله على الحقيقة إلا الله رب العالمين، ولا ناصر ولا معين ولا معز ولا مذل ولا خافض ولا رافع ولا قابض ولا باسط إلا الله رب العالمين، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، والحاصل أن مصطلح توحيد الربوبية مصطلح عظيم لا يكون عليه إلا الموحدون الذين تبرؤا من كل شرك في الربوبية وتمثلوا قول الله تعالى {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام: 164]، والربوبية مصطلح شامل واسع يحمل معاني أساسية كثيرة: لا يقوم بتلك المعاني مجتمعة إلا مسمى الربوبية وتتمثل في كل معاني الإيجاد والخلق: {ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه} وتتمثل في كل معاني التربية من التنشئة والرعاية والتعهد والإمداد والرزق والاستصلاح

والهداية: {ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) }، ثم كل معاني التملك من الملك والتصرف والتدبير والتصريف ثم كل معاني العلو والسيادة والرئاسة والهيمنة والحكم والأمر ثم كل معاني النصر والعز والنفع والضر فمن ذلك كله تنشأ معاني الربوبية، فتلك عي معاني الربوبية والتي لا يحيط بها مصطلح آخر سوى (الربوبية)، وقد جاءت الآيات القرآنية متتالية تشير إلى حصر الربوبية في الله رب العالمين، قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الّذي خلقَ السَّمواتِ وَالارضَ في ستَّةِ أَيّامٍ ثُمَّ استوى على العَرشِ يُدَبّرُ الامرَ ما مِن شَفيعٍ إلاّ مِن بَعدِ إذنِهِ ذلِكم اللّهُ رَبُّكم فاعبدوهُ أَفلا تَذَكّرون} [يونس: 3]، وقال تعالى: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102) [الْأَنعام: 102]، وجاءت الآيات القرآنية تترا تدعو إلى توحيد الربوبية، كقوله تعالى {لَكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا} [الكهف: 38]، وقوله تعالى {وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا} [الكهف: 42]، وقوله تعالى {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [يوسف: 39]، وقوله تعالى {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 64]، وقوله تعالى {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[التوبة: 31]، و (توحيد الربوبية) مصطلح شامل يحمل اعتقاد معاني أساسية لا يقوم بتلك المعاني مجتمعة إلا مسمى توحيد الربوبية، لا يصح مصطلح توحيد الربوبية إلا باعتقادها جميعا، وإلا كان الشرك في الربوبية جليا، وتتمثل تلك الاعتقادات فيما يلي: اعتقاد أنه لا موجد ولا خالق ولا مكون لهذا الكون كله بما فيه إلا الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا رازق على الحقيقة في الكون كله إلا الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا مالك لا متصرف بيده ملكوت كل شيء ولا مدبر للكون كله على الحقيقة إلا الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا سيد ولا مهيمن ولا حاكم ولا آمر في الكون كله على الحقيقة إلا الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا ناصر ولا معين ولا معز ولا مذل ولا خافض ولا رافع ولا قابض ولا باسط إلا الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا شفيع في شيء من أمور الكون كله إلا من بعد إذن الواحد الأحد الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا شريك للرب الواحد الأحد الله رب العالمين في شيء من تلك المعاني التي يشملها توحيد الربوبية، لا يصح مصطلح توحيد الربوبية إلا بحصر معاني الربوبية في اللّهِ وحده، ولا يصح مصطلح توحيد الربوبية إلا باعتقادها جميعا لله رب العالمين وحده لا شريك له، ويشتمل توحيد الربوبية على

ثلاثة أقسام رئيسية: هي التوحيد في الخلق والتكوين، فلا خالق إلا الله، والتوحيد في التدبير والتصريف، فلا مدبر ولا مصرف للأمور إلا هو، والتوحيد في الحكم والتشريع، فلا حاكم ولا مشرع للبشر إلا هو، وتوحيد الربوبية علم عظيم من علوم العقيدة، سيأتي تفصيله إن شاء الله عند الحديث عن المقصود من توحيد الربوبية، والأسس والركائز التي تمنع من الغلو والغلط في فهم توحيد الربوبية

(ح) توحيد الله تعالى بإفراده بالعبودية: وذلك يعني إفراد الله تعالى بالعبادة، فلا معبود بحق إلا هو، وحتى نفهم توحيد العبادة لابد من فهم معنى العبادة وما هو أصل العبادة، وما هي صور العبادة، وكيف يكون توحيد العبادة، ومتى يكون الشرك في العبادة شرك أكبر مخرج من دين الإسلام، ومتى لا يكون كذلك، فالعبادة في اللغة: معناها اللغوي: غاية الخضوع والتذلل والاستسلام والانقياد، قال ابن منظور في لسان العرب: " أصل العبودية: الخضوع والتذلل،، التعبد التنسك، والعبادة الطاعة " أهـ [لسان العرب ج3 ص 272،]، وجاء في تهذيب اللغة: " المعبد المذلل..، (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) إياك نطيع الطاعة التي نخضع معها.. ومعنى العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع، ويقال طريق معبد إذا كان مذللا بكثرة الوطء.. فلان عابد وهو الخاضع لربه المستسلم لقضائه المنقاد لأمره، وقوله (اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ) أي أطيعوا ربكم، وقيل في قوله(إِيَّاكَ نَعْبُدُ) إياك نوحد، والعابد الموحد.. " أهـ [تهذيب اللغة ج2 ص136 -141،]، وجاء في تاج العروس: " وقوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) أي نطيع الطاعة التي يخضع معها، قال ابن الأثير: ومعنى العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع " أهـ [تاج العروس ج2 ص 410]، وقد اتفقت كلمة المفسرين على تفسير العبادة بغاية الخضوع والتذلل والاستسلام والانقياد لله رب العالمين، قال الطبري: " وتأويل قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} لك اللهم نخشع ونذل ونستكين إقرارا لك يا ربنا بالربوبية لا لغيرك.. إياك نعبد، إياك نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك، " أهـ [تفسير الطبري ج1 ص 103]، وقال القرطبي: " ونعبد معناه نطيع والعبادة الطاعة والتذلل وطريق معبد إذا كان مذللا للسالكين.. ونطق المكلف به إقرار بالربوبية وتحقيق لعبادة الله تعالى إذ سائر الناس يعبدون سواه من أصنام وغير ذلك " أهـ [الجامع لأحكام القرآن ج1 ص 142]، وقال البيضاوي " والعبادة: أقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد أي مذلل، وثوب ذو عبدة إذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى " أهـ [تفسير البيضاوي ج 1 ص 6]، وقال ابن كثير: " والعبادة في اللغة من الذل يقال طريق معبد وبعير معبد أي مذلل، وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال

المحبة والخضوع والخوف " أهـ [تفسير ابن كثير ج1 ص 27]، أما الضابط الرصين للعبادة : فإن ضوابط الفقه في الدين توجب وجود معنى وراء الطاعة والمحبة والخضوع والتذلل يستقيم له مسمى العبادة، فهذه المعاني قد تصرف للوالدين وتكون من أعظم البر بهما ولا يصح تسميتها عبادة قال تعالى {وَاخْفِضْ لَهُما جناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} [الإسراء: 24] ولا يعد التذلل لهما عبادة وكذلك من باب الأولى الطاعة والمحبة، وكذلك فما هو الفرق بين سجود الملائكة لله وسجودهم لآدم، الهيئة واحدة هي هيئة السجود (وهي أقوى هيئة تدل على التذلل والخضوع)، الفعل واحد هو السجود، والنية تختلف الاول بنية العبودية لله والثاني بنية طاعة الله تكريما لآدم، ومثال آخر يبين الفرق بين سجود نبي الله يعقوب لله وسجوده ليوسف عليهما السلام، الاول بنية العبودية لله والثاني تكريما ليوسف وهذا المعنى هو الضابط لفقه العبادة، إذن الاعتقاد (اعتقاد الإلهية والربوبية فيمن تُصرف إليه العبادات) هو ضابط الفقه في مسائل توحيد العبادة وشرك العبادة: فمن صرف مفردة من مفردات العبادة بنية العبودية لغير الله وقع في الشرك الأكبر ومن صرفها بغير نية العبودية لغير الله لم يكن شركا أكبر، وقد وفق علماء الأصول أيما توفيق في جعل ضابط الفقه في مسائل الإيمان والكفر ومسائل التوحيد والشرك هو الاعتقاد وليس مجرد فعل العبادة، ودليل هذه القاعدة الضابطة لفقه مسائل الأسماء والأحكام عامة، قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امري ما نوى)) [أخرجه مسلم]، ولاحظ القصر في الحديث للدلالة على أنه ضابط الحكم على العمل، ألا وهو النية، والنية هي الاعتقاد القلبي، و [العبادة] لها أصل وهو الاعتقاد، ولها صور تنطلق من تلك العقيدة: تتمثل تلك الصور في العديد من هيئات العبادة كالسجود والصلاة والذبح والدعاء وغير ذلك من هيئات العبادة، فمن صرف السجود _ وهو غاية مظاهر التذلل والخضوع _ لغير الله اعتقادا له بالربوبية أو بعض مفرداتها من التدبير والتصريف، أو الألوهية فهو مشرك بالله الشرك الأكبر ومن صرفه بغير اعتقاد الربوبية والألوهية لمن سجد له فلا يكون عبادة ومنه سجود الملائكة لآدم وسجود آل يعقوب ليوسف عليه السلام، هذا وإن كان النهي عن السجود لغير الله تعالى هو الذي جاء به الإسلام، ولكن من سجد بنية التكريم بغير اعتقاد، فلا يكفر عند الفقهاء، ولا يعد مشركاً بالله الشرك الأكبر المخرج من الملة، وإنما هي معصية من المعاصي التي لا يجوز فعلها بحال، ولكل مفردة من هذه العبادات ركنان: الركن الأول: الاعتقاد أو ما يسميه العلماء القصد والنية للعبادة، والركن الثاني: العمل العبادي الدال على الطاعة والانقياد، فمن صرف العبادة بركنيها إلى غير الله صار مشركا

الشرك الأكبر بالله وخرج من دين الإسلام إلى الكفر، ومن صرف العمل أو القول العبادي بغير اعتقاد ربوبية وألوهية لمن يصرف إليه فليس من الشرك الأكبر المخرج من الملة وفعله أو قوله يدور بين الشرك في إطار الملة أو البدعة أو المعصية ولا تستحل محارمه بغير اعتقاد، و[التعريف الصحيح الضابط لفهم توحيد العبادة]: هو: (إفراد الله تعالى باعتقاد الربوبية والإلهية، وافراد الله تعالى بأفعال العبد من سائر مفردات العبادة من صلاة وصيام ودعاء وذبح، ومن سائر أعمال القلوب العبادية كالتوكل والاستعانة واليقين)، وبالتالي يكون ضابط الشرك الأكبر المنافي لتوحيد الألوهية هو صرف العبادة إلى غير الله مع اعتقاد وجود نوع من شراكته مع الله في شيء الربوبية أو الألوهية، كأن يعتقد فيه نوع من التدبير والتصريف باستقلال عن الله، أو شفاعة ملزمة على الله، أو استحقاق أن يعبد من دون الله، فمن صرف السجود لمن يعتقد شراكته مع الله في صفات الربوبية أو الالوهية فقد أشرك في ألوهية الله تعالى، وأتى بالشرك الأكبر الذي لا يغفره الله لمن مات مصراً عليه، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله عند الحديث عن المقصود من توحيد العبودية، والأسس والركائز التي تمنع من الغلو والغلط في فهم توحيد العبودية

***

[المفتاح الثالث]: الركن الثاني من أركان شهادة التوحيد: (البراءة من الشرك):

(1) خطورة الشرك: (أ) الشرك هو ذلك الظلم العظيم، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13]، (ب) والشرك يحرم على صاحبه الجنة ويوجب الخلود في النار، قال تعالى: {وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: 72]، (ت) والشرك هو الإثم المبين الذي لا يغفره الله تعالى، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء: 48]، (ث) والشرك هو الضلال البعيد الذي لا يغفره الله تعالى، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: 116]، (ج) وهو الهلاك المحقق لصاحبه، كما وصفه الله تعالى بقوله: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: 30، 31]، (ح)

وهو يحبط العمل يوم القيامة، كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الزمر: 65، 66]، (خ) وهو الحسرة والندامة يوم القيامة، قال تعالى: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ * انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [الأنعام: 22 إلى 24]، (د) وهو الذنب الذي لا يغفره الله تعالى أبداً إلا أن يتوب صاحبه، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء: 48]، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: 116]، (ذ) وهو الخصام الأبدي في النار حيث يعض المشركون أصابع الندم، كما في قوله تعالى {وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أو يَنْتَصِرُونَ * فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: 91 إلى 98]، (ج) وهو أعظم الذنب كما جاء في الصحيح – عندما سئل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أي الذنب أعظم قال: ((أن تجعل لله ندًا وهو خلقك)) [متفق عليه]، وهو أكبر الكبائر، فقد أخرج البخاري ومسلم عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضيَ اللهُ عَنهُ قال: قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: ((ألا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ)) ثَلاثاً، قالوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قال: ((الإِشْرَاكُ بِالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئاً، فَقال: ألا وَقَوْلُ الزُّورِ)) قال: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ)) [متفق عليه]،

[(2) أنواع الشرك]: الشرك أنواع، فمنه الشرك الأكبر، وهو المخرج من الملة، والموجب للخلود الأبدي في النار وهو شرك اعتقاد يوجب اعتقاد شريك مع الله تعالى في ذاته أو اسمائه أو صفاته أو أفعاله أو في ربوبيته أو في ألوهيته أو في هذه الأقسام جميعها، ومنه الشرك دون شرك (الشرك الأصغر)، وهو شرك العمل بغير اعتقاد الشريك مع الله، ومنه الشرك الخفي وهو تعلق القلب بغير الله تعالى من سائر الأسباب، والشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة، وصاحبه مخلد في النار، وهو محبط لجميع الأعمال مبيح للدم والمال، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء: 48]، وقال الله تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزُّمَر: 65]، والشرك الأصغر (الشرك دون

شرك): وهو شرك العمل مع صحة اعتقاد القلب بالتوحيد، وهذا الشرك لا يخرج من الملة، ولا يخلد صاحبه في النار، بل يعذب بقدر ذنوبه ثم يخرج من النار، وقد يتوب الله عليه فلا يدخل النار، والشرك دون شرك لا يحبط جميع الأعمال، وإنما يحبط العمل الذي خالطه، ولا يبيح الدم والمال كالأكبر، وحكم فاعله حكم عصاة الموحدين، وقد يصبح أكبراً بحسب ما يقوم في قلب صاحبه من اعتقاد، فيجب على المسلم الحذر من الشرك مطلقاً، وهناك نوع ثالث من الشرك وهو الشرك الخفي: سمي بالخفي لأنه أخفى على القلب من دبيب النمل، وتخفى دقائقه على أهل التوحيد، ولهذا لا ينجو منه إلا الأنبياء والمرسلين، ومحاربة هذا النوع من الشرك هو من كمال التوحيد، ومثاله، تعلق القلب بالأسباب، وتعلق المحبة بالأبناء والأموال، وهكذا، وقد علمنا الرسول الكريم الاستعاذة من هذا الشرك بقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم)) [أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (18781)]،

[(3) ضابط الشرك الأكبر المحبط للعمل]: شرك العبادة قسمان أكبر يتعلق بالقلب والاعتقاد، وأصغر يتعلق بالعمل والجوارح، وهذا من أعظم الفقه في دين الله تعالى ومن الموازين الربانية لضبط مسائل وأحكام الشرك، وإلا دخلت الأمة في فوضى التشريك واتهام أهل الجهل والبدعة بالشر ك الأكبر المخرج من الملة والعياذ بالله، (أ) شرك العبادة الأكبر شرك اعتقاد: ويتناول اعتقاد استحقاق غير الله تعالى للعبادة والنسك، أو استحقاق غير الله تعالى للحكم والتشريع، أو استحقاق غير الله تعالى للطاعة والاتباع، فمن اعتقد أنّ غير الله تعالى يستحق العبادة ومفرداتها من صلاة وسجود وركوع وخشوع وعبادات القلب من خوف ورجاء ورهبة ورغبة، ومن اعتقد أنّ غير الله تعالى يستحق الحكم والتشريع فيحرم ويحلل كيفما أراد لا يسأل عما يحكم أو يأمر به مهما خالف دين الله تعالى، ومن اعتقد أنّ غير الله تعالى يستحق الطاعة المطلقة في كل ما يأمر أو ينهى ولو خالف شرع الله، وعلى ذلك فمناط الشرك الأكبر هو صرف تلك العبادات والطاعات لغير الله وهو يعتقد ألوهية من يصرف إليه العبادة، (ب) شرك العبادة أو شرك الألوهية الأصغر شرك عمل: ويتناول صرف بعض مفردات العبادة إلى غير الله تعالى مع سلامة الاعتقاد، أو الحكم العملي بغير ما انزل الله تعالى مع سلامة الاعتقاد بأن الله تعالى هو وحده الحكم المشرع، أو طاعة غير الله تعالى في معصية الله مع سلامة الاعتقاد بأنّ ما يفعله معصية تغضب الله تعالى لا يستحلها، (ت) ضابط الشرك في ألوهية الله تعالى: إن الاضطراب الحاصل في تحديد حقيقة الشرك الأكبر في العبادة والألوهية أوقع

الكثير من المنتسبين للعلم في اتهام المسلمين بالشرك، بمجرد البدعة التي ظنوها شركاً أكبر، وضابط الشرك في الألوهية يكون باعتقاد استحقاق غير الله تعالى للعبادة، وهو يكون بصرف العبادة أو بعض مفرداتها إلى غير الله بنية العبادة لمن يعتقد ألوهيته، وهذا الضابط هاهنا هام جداً كضابط لمسائل الشرك في الألوهية، فمن صرف العبادة أو مفرده منها كالسجود لغير الله بنية العبادة لمن يعتقد ألوهيته فقد أشرك بالله الشرك الأكبر المخرج من الملة، وأنا هنا أنبه لهذا الضابط، وذلك لأن السجود بنية الإكرام أو التعظيم وليس العبادة لا يكون شركاً أكبر بالله البته، وهذا بحمد الله لا خلاف فيه بين علماء المسلمين المحققين، (ث) قاعدة عظيمة في ضبط مسائل الشرك: الشرك الأكبر اعتقادي والشرك الأصغر عملي: فلا يكون العمل الشركي دالا على الشرك الأكبر إلا باعتقاد ألوهية غير الله واستحقاق غيره للعبادة، وهذا الضابط هو العاصم من التكفير واتهام المسام بالشرك الاكبر المخرج من الملة، بمعنى أنه كل من يقول أنا لا أعبد إلا الله وما أقوم به ليس عبادة لغير الله، لا يمكن أن يقال له: لا بل أنت مشرك، أنت تعبد غير الله لأننا نحن نعرف معنى العبادة وأنت لم تعرفها، هو مسلم بمجرد اعتقاده بأن العبادة لا تكون إلا لله ولم يقصد غير الله بالأعمال العبادية، وكل مقر بلسانه بكلمة التوحيد مسلم ليس لنا أن تتهمه بالشرك ما دام يأبى الشرك بالله، والاتهام بالشرك أخطر أنواع التكفير والمقر بلسانه بكلمة التوحيد(لا إله إلا الله) مسلم، ليس لنا أن تتهمه بغير ذلك، ما كان مقرا بأن الله هو الخالق المدبر المعبود وحده لا شريك ولا يمكن أن نحكم بكفره إلا إذا أنكر ما هو ضروري من الدين مع انتفاء الشبهة في حقه، وقد ردع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن اتهام اي مسلم بالشرك أو الكفر، ففي صحيح مسلم: ((إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما)) [صحيح مسلم ج1 ص 79]،

[المفتاح الرابع]: الركن الثالث من أركان شهادة التوحيد: (الإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم)]: ويتضمن هذا الركن عدة أمور أهمها ثمانية هي: (1) الإيمان به صلى الله عليه وآله وسلم رسولاً من عند الله، (2) وتتضمن اعتقاد صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخبر، (3) وتتضمن اتباعه صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته فيما يأمر وينهى، (4) وتتضمن تحكميه صلى الله عليه وآله وسلم في كل أمر، (5) وتتضمن تجريد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، (6) وتتضمن محبته صلى الله عليه وآله وسلم،

(7) وتتضمن تعظيمه وتوقيره صلى الله عليه وآله وسلم، (8) وتتضمن الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم

(1) الإيمان به صلى الله عليه وآله وسلم رسولاً من عند الله: الإيمان بكون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رسول من عند الله وكونه خاتم الأنبياء والرسل وكونه مرسل إلى الناس كافة وإلى قيام الساعة لا يقبل إسلام المرء إلا بهذا الإيمان وهذا الأمر تضمنته آيات كثيرة في كتاب الله تعالى: منها قوله تعالى {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً} [الأعراف: 158]، وقوله تعالى {وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيداً} [النساء: 79]، وقوله تعالى: {ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين} [الأحزاب: 40]، وتضمنته أحاديث كثيرة عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم: منها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم ((والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)) ويعلق النووي على هذا الحديث بقوله وفي هذا الحديث نسخ الملل كلها برسالة نبينا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – وفي مفهومه دلالة على أن من لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور وهذا جاء على ما تقدم في الأصول أنه لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح والله أعلم، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم " لا يسمع بي أحد من هذه الأمة " أي ممن هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته وإنما ذكر اليهود والنصارى تنبيهاً على من سواهما وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً فغيرهم ممن لا كتاب له أولى والله أعلم "، ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون))،

(2) وتتضمن اعتقاد صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخبر: ويدل عليه قوله تعالى: {وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى} [النجم: 3– 4]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: " لا أقول إلا حقاً قال بعض أصحابه فإنك تداعبنا قال إني لا أقول إلا حقاً "، وما أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أريد حفظه فنهتني قريش فقالوا إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ورسول الله يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن

الكتاب حتى ذكرت ذلك لرسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم فقال "أكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق"،

(3) وتتضمن اتباعه صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته فيما يأمر وينهى: بمعنى أن يعتقد المسلم اتباعه صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته فيما يأمر وينهى، فمن اعتقد أنه يسعه الخروج عن طاعة النبي أو يسعه الوصول إلى الله بغير سلوك طريقه صلى الله عليه وآله وسلم فقد كفر، قال تعالى: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين} [آل عمران: 64] و قال تعالى: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا} [الحشر: 7]، وقال تعالى: {وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله} [النساء: 64]، وقال تعالى: {ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين} [النساء: 13-14]،

(4) وتتضمن تحكميه صلى الله عليه وآله وسلم في كل أمر، وعدم التقدم على قوله بقول: فلا نقدم على قوله قول ولا على حكمه حكم ولا على سنته وهديه رأي لأحد كائناً من كان وفي ذلك يقول الله تعالى: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً} [النساء: 65]، ويقول تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم} [الحجرات: 1]، ويقول جل وعلا: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً} [الأحزاب: 36]، ويقول عز وجل: {ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون، إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون} [النور: 47-52]،

(5) وتتضمن تجريد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمع شرع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكمل الله تعالى الدين وأتم به النعمة ورضي للعباد جميعاً بعد

بعثته وإلى قيام الساعة دينه الذي جاء به من ربه ديناً قيماً لا يقبل من العباد جميعاً ديناً سواه، قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**} [المائدة:3]، وقال تعالى: {**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: 85**}، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يترك شيئاً يقربنا إلى الله إلا ودلنا عليه ولا شيئاً يبعد عن الله تعالى إلا ونهانا عنه وتركنا على محاجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ولذلك فكل محدثة في الدين بعده صلى الله عليه وآله وسلم بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، وحول تأكيد هذا الأمر جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، فمن ذلك قول الله تعالى: {**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**} [النساء : 115]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)) [أخرجه مسلم، صحيح مسلم مع شرح النووي 3: 380]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أحدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) [متفق عليه، صحيح البخاري مع الفتح 6: 230، صحيح مسلم مع شرح النووي 3: 379]، والقيد في الحديثين، قوله صلى الله عليه وسلم: (ليس عليه أمرنا)، و قوله صلى الله عليه وسلم: (ما ليس منه) والمعنى المستفاد من الحديثين، أنّ كل ما ليس له أصل في الدين فهو مردود على صاحبه، وما كان له أصل في الدين، فهو ليس بمردود، ومما يستفاد من الحديثين الشريفين معرفة شرطين للبدعة: الأول: أن ينسب إلى الدين، والثاني: أن لا يكون له أصل من دين الله يشهد له الحديث، فقوله صلى الله عليه وسلم (من أحدث في أمرِنا هذا) دل على الشرط الأول للبدعة وهو الإضافة إلى الدين، وقوله صلى الله عليه وسلم (ما ليس منه) دل على الشرط الثاني للبدعة ألا وهو أن لا يكون لها أصل من الدين تنتسب إليه، ونستفيد كونها بدعة ضلالة من قوله صلى الله عليه وسلم (فهو رد)، قال الشافعي رحمه الله: (البدعة بدعتان: محمودة ومذمومة، فما وافق السنة فهو محمود وما خالفها فهو مذموم) [أخرجه أبو نعيم بمعناه من طريق إبراهيم بن الجنيد عن الشافعي]، وجاء عن الشافعي أيضا ما أخرجه البيهقي في مناقبه قال " المحدثات ضربان ما أحدث يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو إجماعا فهذه بدعة الضلال، وما أحدث من الخير لا يخالف شيئا من ذلك فهذه محدثة غير مذمومة " انتهى، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((فإن من يعش منكم؛ فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة)) [أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وقال الترمذي حديث حسن صحيح

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (3: 119)]، والمراد ببدعة الضلالة ما أحدث غي الدين مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا وإن كان بدعة لغة، **وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:** (أما واللهِ إنّي لأخشاكم للهِ وأتقاكم له، لكنّي أصومُ وأفطرُ، وأصلي وأرْقدُ، وأتزوَّجُ النساءَ، فمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتي فليس مِنّي) [متفق عليه]، والشاهد قوله صلى الله عليه وسلم: (فمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتي فليس مِنّي)، فالاقتصاد في العبادة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم، وخير الهدي هدي النبي صلى الله عليه وسلم، ومن تلك الاحاديث استنبط العلماء شروطا لبدعة الضلالة أهمها: **(الشرط الأول):** أن تكون محدثة بعد زمن التشريع، **و(الشرط الثاني):** أن تُنسب إلى الدين يقصد بها القربة إلى الله تعالى، **و(الشرط الثالث):** أن تخالف الشرع، **و(الشرط الرابع):** ألا تكون واقعة تحت عموم ما ندب الله إليه وحضَّ عليه الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فلا يكون بدعة ضلالة: ما أحدث من مصالح دنيوية ولا يقصد بها الدين، وما أحدث مما فيه مصلحة ولا تخالف الشرع، وما أحدث في الدين من تجديد سنة اندرست، أو هيئة فيها مصلحة تندرج تحت عموم وأصل ندب إليه الشرع من أفعال المعروف، والخلاصة: أنّ البدعة الشرعية التي يقصد بها الضلالة هي كل محدثة في الدين وفيها مخالفة للشرع وليس لها أصل فيه، أما المحدثات التي لها أصل من الدين أو داخلة تحت شيء من مقاصده، أو أمر عام من أوامره، ولا تصادم نصاً من نصوص الشريعة، ولا خلاف فيما تدل عليه من الخير فهذه من المحدثات الحسنة التي جاء بها الحديث (من سن سنة حسنة فعمل بها، كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها، لا ينقص من أجورهم شيئا ومن سن سنة سيئة فعمل بها، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده لا ينقص من أوزارهم شيئا) [أخرجه ابن ماجة (203) واللفظ له، ومسلم (1017) بنحوه، والترمذي (2675) بنحوه]، أي والمعنى طريقة مرضية يقتدي فيها والتمييز بين الحسنة والسيئة بموافقة أصول الشرع وعدمها،

(6) وتتضمن محبته صلى الله عليه وآله وسلم: ومحبته صلى الله عليه وآله وسلم أصل عظيم من أصول الإيمان بالله، لأنه رسول الله، ولأنّه طريقنا إلى الله، ولا يكون العبد مؤمناً إلا بوجودها ولا يبلغ كمال الإيمان إلا بكمالها وهو أن تكون محبة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – تفوق محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، وقد جاء في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين))، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((فو الذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم

حتى أكون أحب إليه من والده وولده))، وجاء في الحديث الصحيح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا رسول الله والله لأنت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسي فقال: ((لا يا عمر حتى أكون أحب إليه من نفسك قال والذي بعثك بالحق لأنت أحب إلى من نفسي قال الآن يا عمر))، ومحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عظيمة لا حد لها، ولكن ينبغي عدم مجاوزة الحد في المحبة بحيث يدخل الأمر في الشرك الذي دخلت فيه النصارى بنسبة خصائص الربوبية أو الألوهية إلى عيسى بن مريم والزعم بأنه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا صحيح البخاري عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله))، ومما هو جدير بالذكر أن محبته – صلى الله عليه وآله وسلم تابعة لمحبة الله تبارك وتعالى إذ ليس في الوجود ما يستحق المحبة لذاته سوى الله تبارك وتعالى وكل محبوب سواه فمحبته تبع لمحبة الله عز وجل والرسول صلى الله عليه وآله وسلم أولى الخلائق بهذه المحبة ولكنها محبة في إطار محبة الله وطاعة في إطار طاعة الله،

(7) وتتضمن تعظيمه وتوقيره صلى الله عليه وآله وسلم: فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو خير خلق الله تعالى وأفضلهم، وهو أفضل الرسل وخاتم النبيين، وهو صاحب الوسيلة والفضيلة، وهو صاحب المقام المحمود مقام الشفاعة للناس يوم القيامة، أمر الله عز وجل بإجلاله وتوقير واحترامه، ونهى عن رفع الصوت بحضرته وأنذرهم بإحباط أعمالهم، وأثنى على الذين يغضون أصواتهم عند حضرته، فقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون * إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم * إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم} [الحجرات: 3 إلى 5]، ونهى سبحانه أن يدعي الرسول باسمه كما يدعي سائر الناس وإنما يدعي بالنبوة والرسالة فيقال يا رسول الله أو يا نبي الله قال تعالى: {لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً} [النور: 63]، وأمر سبحانه المسلمين بتوقيره فقال جل شأنه: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [سورة الفتح: 8، 9]،

(8) وتتضمن الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم: الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم حق له صلى الله عليه وآله وسلم على أمته، ولهذا أمر الله تعالى المؤمنين بالصلاة عليه قال تعالى: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً} [الأحزاب: 56]، وأفضل صلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي الصلاة الإبراهيمية وهي صيغة الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التشهد الأخير ولفظها ((اللهم صلى على محمد وعلى آله محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حمد مجيد))، وبعد فهذه أركان شهادة التوحيد (لا إله إلا الله – محمد رسول الله)، (لا إله إلا الله) كفر بالطاغوت وإفراد الله تعالى وحده بالعبادة و (محمد رسول الله) تجريد المتابعة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في توحيد الله تعالى،

***

[المفتاح الخامس]: نواقض شهادة الإسلام (لا إله إلا الله _ محمد رسول الله):

نواقض الشهادتين تشمل: كل ما ينقض شهادة (لا إله إلا الله)،: وذلك يكون بالوقوع في شيء من الشرك الأكبر بالله، ويكون كذلك بشيء من الكفر الأكبر بالله، وكلك كل ما ينقض شهادة (محمد رسول الله): وذلك بإنكار شيء من المعلوم من الدين بالضرورة من رسالة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم المتضمنة للقرآن والسنة الثابتة عنه صلى الله عليه وآله وسلم أو إنكار بعضها، أو الطعن في رسالته صلى الله عليه وآله وسلم أو شيء منها من القرآن أو السنة والطعن يكون بالتكذيب أو الشك أو الاستهزاء، أو الطعن فيه صلى الله عليه وآله وسلم أو إعلان كراهية ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الهدى، فتلك الأقسام تكاد تحوي نواقض الشهادتين المخرجة من دين الإسلام بالكلية وقد حدد الشرع عقوبة ذلك المروق من دين الله وتلك الفتنة بالقتل وذلك لأن الفتنة أشد من القتل والفتنة أكبر من القتل وذلك وفق أحكام الاستتابة التي قررها الفقهاء ولا يقوم بها إلا أولياء الامور ومن ينوب عنهم من القضاة،

[1] الشرك الأكبر بالله: الشرك الأكبر معناه اعتقاد وجود الشريك مع الله تعالى، قال تعالى {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} [النحل: 51]، **واعتقاد أن غير الله تعالى هو الإله** مثل قول النصارى في نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام، قال

تعالى {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: 72] **واعتقاد أن ذات الله تعالى منقسمة إلى أقانيم** مثل قول النصارى أن الله تعالى ثالث ثلاثة، قال تعالى {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة: 73]، **واعتقاد أن الله تعالى له أبناء أو بنات** تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، كقول النصارى بأن المسيح ابن الله وقول اليهود بان عزير ابن الله وقول مشركي العرب بأن الملائكة بنات الله، قال تعالى {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} [سورة مريم: 88، 95]، وكاعتقاد مشركي العرب في الجن، كما في قوله تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنعام: 100]، **ومن الشرك الاكبر اعتقاد أرباب من دون الله، ومن الشرك الأكبر اعتقاد استحقاق غير الله تعالى للعبادة، لأنه سبحانه هو المستحق للعبودية وحده لأنّه هو الرب الإله الحق، فلا تصرف العبادات إلا إليه**، قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الْأَنْبياء: 25]، وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36]، وقال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: 56]، وقال تعالى {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: 31]، **فمن صرف العبادة إلى غير الله مع اعتقاد وجود نوع من شراكته مع الله في شيء الربوبية أو الألوهية**، كأن يعتقد فيه نوع من التدبير والتصريف باستقلال عن الله، أو شفاعة ملزمة على الله، أو استحقاق أن يعبد من دون الله، فمن صرف السجود أو غيره من مفردات العبادة لمن يعتقد شراكته مع الله في صفات الربوبية أو الالوهية فقد أشرك في ألوهية الله تعالى، وأتى بالشرك الأكبر الناقض لأصل التوحيد، وهو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله لمن مات مصراً عليه، ومن صرفها بغير اعتقاد الشراكة مع الله تعالى في أي من صفات الربوبية أو الألوهية، فقد أتي بالشرك العملي الناقض للتوحيد الواجب، ووجب عليه التوبة إلى الله وتصحيح التوحيد بإفراد الله تعالى بمفردات العبادة وصورها التي لا ينبغي أن تصرف إلا لله، **ولابد من القول بأنّ الاعتقاد هو ضابط الفقه في مسائل العبادة:** فمن صرف مفردة من مفردات العبادة بنية

العبودية لغير الله وقع في الشرك الأكبر ومن صرفها بغير نية العبودية لغير الله لم يكن شركا أكبر، **وقد وفق علماء الأصول أيما توفيق في جعل ضابط الفقه في مسائل الإيمان والكفر ومسائل التوحيد والشرك هو الاعتقاد وليس مجرد فعل العبادة**، ودليل هذه القاعدة الضابطة لفقه مسائل الأسماء والأحكام عامة، قوله صلى الله عليه وسلم: ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امري ما نوى)) [أخرجه مسلم]، ولاحظ القصر في الحديث للدلالة على أنه ضابط الحكم على العمل، ألا وهو النية، والنية هي الاعتقاد القلبي، **والاعتقاد الضابط للعبودية هو اعتقاد الربوبية والألوهية أو شيئاً من مفرداتهما فيمن تصرف إليه العبادة**: فمن صرف الطاعة الممتزجة بالمحبة والذل والخضوع لغير الله معتقدا ربوبيته وألوهيته فهو عابد له من دون الله، ومن صرفها بغير هذا الاعتقاد فلا يصح تسميتها بالعبادة، **والشرك ظلم عظيم لكونه نقيض التوحيد الذي هو أساس الإسلام الأعظم ومبدؤه الأول** (لا إله إلا الله)، ولذلك جاء في القرآن الكريم بيان أن هذا الذنب العظيم الذي لا يغفره الله تعالى لصاحبه إلا أن يتوب عنه، **قال تعالى**: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: 72]، **وقال تعالى**: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} **[النساء: 116]**، **وقال تعالى**: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء: 48]،وقال تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: 65]، **وقال صلى الله عليه وسلم: ((من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار))** [أخرجه مسلم]،

[2] الكفر الأكبر: لما كان دين الإسلام هو الدين الذي لا يقبل الله تعالى من العباد جميعاً دينا سواه كان حتماً أن كل ما سواه هو من الكفر بالله تعالى، **والأصل في ذلك: قوله تعالى** {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: 19]، **وقوله تعالى** {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: 85]، وعلى ذلك فكل من لم يدخل في دين الإسلام بالشهادتين ويعتقد بلوازمهما فهو من الكافرين يتساوى في ذلك الحكم المشرك والمجوسي والملحد وعابد الصنم والوثني واليهود والنصارى، فإن كانت شريعة الإسلام قد خصت أهل الكتاب (اليهود والنصارى) بعدد من الأحكام الشرعية الخاصة كحل الذبائح وحل الزواج من نسائهم، وسمتهم بأهل الكتاب إلا أنهم كفار بالله جل وعلا وذلك لعدم دخولهم في دين الإسلام والتصديق برسالة النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم، **وشريعة الإسلام في ذلك واضحة تماماً:**

يقول الله جل وعلا: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهل الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البينة: 6]، وقوله عز وجل {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ،} [المائدة: 72]، وقوله جل وعلا {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ} [المائدة: 73]، وقوله تبارك وتعالى {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} [النساء: 150 – 151]، **وقوله صلى الله عليه وسلم:** ((والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ونصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) [أخرجه مسلم – شرح النووي ج2 ص 186]، **يقول النووي** في شرح صحيح مسلم: " وقوله صلى الله عليه وسلم لا يسمع بي أحد من هذه الأمة أي فيمن هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته، **وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيهاً على من سواهما** وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً فغيرهم ممن لا كتاب له أولى والله أعلم " [صحيح مسلم بشرح النووي ج 2 \ 188] **وعلى ذلك:** فكل من لم يدخل في دين الإسلام الذي جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم فهو من الكافرين، واعمالهم هباء، قال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: 23] وقوله تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف: 103 – 105]، **والكفر الأكبر** ضد لأصل الإيمان ولذلك فمنشأ الكفر الأكبر هو كفر القلب أو انتفاء أصل الإيمان أو أحد عناصره التي قررها العلماء وهي الإقرار والتصديق والانقياد، ومن أهم أنواعه: **كفر جهل وتكذيب:** وفيها ينتقي تصديق القلب مع عدم العلم بالحق في حق الله تعالى أو رسله أو كتبه أو ملائكته أو اليوم الآخر أو القدر، وفي ذلك يقول الله تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ،} [يونس: 39] وقوله تعالى {حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النمل: 84]، و**كفر الجحود:** وفيه يكون كتم الحق وجحده مع العلم بصدقه وفيه يقول الله جل وعلا: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [النمل: 14] وقال تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} [البقرة: 89] وقوله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة: 146]، **وكفر العناد والاستكبار:** وهذا ككفر إبليس الرجيم

لعنه الله وكفر غالب اليهود الذين شهدوا أن الرسول حق ولم يتبعوه، فإبليس اللعين لم يكذب في أمر الله تعالى له بالسجود وإنما أبى عن الانقياد كفر واستكباراً قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 34]، وغالب اليهود – غضب الله عليهم – يعلمون أن الرسول حق وأنه مرسل من عند الله ولكنهم منعهم العناد والكبر عن اتباعه قال تعالى: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ * بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ} [البقرة: 89 – 90]، **وكفر النفاق** حيث ينتفي تصديق القلب، مع انقياد الجوارح الظاهرة فهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ} [البقرة: 8]، وقال تعالى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ، **فهذه أهم أنواع الكفر** ومنشؤها جميعاً كفر القلب أو انتفاء أصل الإيمان، ومن ختم الله عز وجل عليه بالكفر فما له من هاد، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [البقرة: 6 – 7]، والكافر بالله الكفر الأكبر خالد في النار أبداً إن مات على هذا الكفر،

[3] النفاق الاعتقادي: النفاق: هو إظهار الإسلام باللسان وعلى الجوارح مع اعتقاد الكفر بالقلب وهذا النفاق شر من الكفر لضرر أصحابه بالمسلمين وخدعهم ومكرهم بهم ولأنهم تجرى عليهم أحكام دين الإسلام فينتفعون بها في الدنيا فإنهم في الآخرة في أدنى وأسفل مرتبة في النار، **قال تعالى**: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} [النساء: 145]،

[4] نواقض الشهادتين: إذا كانت الشهادتين (لا إله إلا الله – محمد رسول الله) هما الباب الأوحد إلى دين الإسلام ينطق بهما العبد فاهماً وقاصداً معناهما فيدخل إلى دين الإسلام ويكون له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ولا يرتد هذا العبد عن دين الإسلام إلا إذا أتى بما ينقض دعوى الشهادتين أو أحدهما عن قصد وإصرار، **وفي هؤلاء قال الله تعالى**: {إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ} [محمد: 25]، وقال تعالى: {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 217]، وفيهم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((من بدل دينه فاقتلوه)) [أخرجه البخاري]، **ونواقض الشهادتين تشمل: كل ما ينقض شهادة (لا إله**

إلا الله): وذلك يكون بالوقوع في شيء من الشرك الأكبر بالله كأن يعتقد أن مع الله آلهة أخرى تشاركه في بعض أفعاله أو صفاته، أو يكون باعتقاد صفات الربوبية المستحقة لله تعالى وحده لأحد من خلقه، أو إنكار ربوبية الله جل شأنه لخلقه أو إنكار بعضها أو الشرك فيها أو الطعن فيها والطعن يكون بالتكذيب أو الشك أو الاستهزاء، ويكون كذلك بإنكار ألوهيته تعالى لخلقه أو الشرك فيها أو الطعن فيها، ويكون بإنكار استحقاق الله عز وجل للعبادة وحده لا شريك له، أو باعتقاد استحقاق غير الله تعالى للعبادة أو شيء من مفرداتها، أو الطعن في العبادة بالشك أو التكذيب أو الاستهزاء، أو صرف شيء من العبادات إلى غير الله تعالى بقصد العبادة، ويكون كذلك بشيء من الكفر الأكبر بالله ومنه كفر القلب بشيء من شرع الله بما يضاد الإقرار أو التصديق أو الانقياد، **وكل ما ينقض شهادة (محمد رسول الله): وذلك بإنكار شيء من** المعلوم من الدين بالضرورة من رسالة النبي – صلى الله عليه وسلم المتضمنة للقرآن والسنّة الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم أو إنكار بعضها، أو الطعن في رسالته صلى الله عليه وسلم أو شيء منها من القرآن أو السنّة والطعن يكون بالتكذيب أو الشك أو الاستهزاء، أو الطعن فيه صلى الله عليه وسلم أو إعلان كراهية ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى، **فتلك الأقسام** تكاد تحوي نواقض الشهادتين المخرجة من دين الإسلام بالكلية وقد حدد الشرع عقوبة ذلك المروق من دين الله وتلك الفتنة بالقتل وذلك لأن الفتنة أشد من القتل والفتنة أكبر من القتل وذلك وفق أحكام الاستتابة التي قررها الفقهاء ولا يقوم بها إلا أولياء الامور ومن ينوب عنهم من القضاة،

***

المبحث الثالث

مفاتيح مهمة تتعلق بالشهادتين باب الإسلام الأوحد

[المفتاح الأول]: [من تشهد بالشهادتين حُكم له بالإسلام الظاهر والله يتولى السرائر]:

الشهادتان باب الإسلام الأول الذي من دخله دخل الإسلام وحكم له بالإسلام الظاهر وصار له اسم الإسلام وحكمه والله يتولى السرائر وهذا الأمر معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، قال النووي: " واتفق أهل السنّة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أنّ المؤمن الذي يُحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار لا يكون إلاّ من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقاداً جازماً خالياً من الشكوك ونطق بالشهادتين " أهـ، وقال ابن حجر: " أمّا بالنظر إلى ما عندنا فالإيمان هو الإقرار فمن أقر أجريت عليه الأحكام في الدُنيا ولم يُحكم عليه بكفر إلاّ إن اقترن به فعل يدل على كفره كالسجود لصنم " أهـ، فالإقرار بالشهادتين لازم للحكم بالإسلام الظاهر أما اعتقادهما فهو دليل على صحة الإيمان الباطن وباعتقادهما والنطق بهما يكون المرء من أهل القبلة على الحقيقة ولا يخلد في النار خلود الجاحدين، والأدلة على هذا الأصل كثيرة مستفيضة منها: (أ) الدليل الأول: ما أخرجه مسلم عن المقداد رضي الله عنه: ((أنه قال يا رسول الله أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فقاتلني فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ منى بشجرة فقال أسلمت لله أفأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال))، وفي رواية معمر ((فلمّا أهويت لأقتله قال لا إله إلاّ الله))، ومن تدبر الحديث علم يقيناً أنّ الحكم بإسلام المرء يكون بمجرد نطقه بالشهادتين أو ما يحل محلهما في القبول المجمل بدين الإسلام، مع أنّ الصورة المفترضة تدل يقيناً على أنّ هذا الرجل ما قالها إلاّ تقية وهرباً من القتل ومع ذلك أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم المقداد رضي الله عنه أن لا يقتله بل وأخبر بأنه إن قتله فقد قتل مسلماً، (ب) الدليل الثاني: ما أخرجه مسلم عن أسامه بن زيد رضي الله عنهما قال: ((بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحُرقة من جهينة، فصبّحنا القوم، فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلمّا غشيناهُ قال: لا إله إلاّ الله، فكفّ عنه الأنصاري، وطعنته برمحي حتى قتلته، قال فلمّا قدمنا، بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي: (يا أسامة! أقتلته بعد ما قال لا إله إلاّ الله؟) قال قلت: يا رسول الله! إنما كان متعوذاً، قال، فقال: (أقتلته بعد ما قال لا إله إلاّ الله؟) قال فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم))، وأخرج مسلم عن جندب بن عبد الله

البجلي رضي الله عنه الحديث وفيه: ((إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث بعثاً من المسلمين إلى قوم من المشركين، وإنهم التقوا فكان رجل من الشركين إذا شاء أنّ يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله، وإنّ رجلاً من المسلمين قصد غفلته، قال وكنّا نحدّث أنه أسامة بن زيد، فلمّا رفع عليه السيف قال: لا إله إلاّ الله، فقتله، فجاء البشير إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فسأله فأخبره حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع، فدعاه، فسأله، فقال: (لم أقتله؟) قال: يا رسول الله أوجع في المسلمين، وقتل فلاناً وفلاناً، وسمّى له نفراً، وإني حملت عليه، فلمّا رأى السيف قال: لا إله إلاّ الله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أقتلته؟ قال: نعم قال: فكيف تصنع بلا إله إلاّ الله إذا جاءت يوم القيامة، قال: يا رسول الله: استغفر لي، قال: وكيف تصنع بلا إله إلاّ الله إذا جاءت يوم القيامة، قال: فجعل لا يزيده على أن يقول: كيف تصنع بلا إله إلاّ الله إذا جاءت يوم القيامة))، ففي هذا الحديث برواياته المتعددة أوضح الدلالة بالحكم للمرء بالإسلام بمجرد قوله لا إله إلاّ الله وتلفظه بالشهادة، ولو تدبرنا نص الحديث لوجدنا أن جميع القرائن تدل على أنّ هذا الرجل ما قال الشهادة إلاّ تقية وخوفاً من القتل، ومع ذلك حكم له النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالإسلام، وعنّف أسامه أشد التعنيف مع أنه معذور بجهله لهذا الحكم وقد اجتهد فأخطأ بخلاف المقدام فإنه كان يستفتى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن واقعة لم تحدث فأعلمه بالحكم وأنه إن استحل قتله كفر، ومع تعنيفه لأسامه لم يرض أن يستغفر له وكان من قوله صلى الله عليه وآله وسلم له (أقال لا إله إلاّ الله وقتلته) و (فكيف تصنع بلا إله إلاّ الله إذا جاءت يوم القيامة) و (أقتلته بعد أن قال لا إله إلاّ الله) حتى تمنى أسامه رضي الله عنه أنه لم يكن أسلم قبل ذلك اليوم لما أقدم عليه من سفك دم رجل قال لا إله إلاّ الله فحكم له بالإسلام الظاهر والله يتولى سريرته ولم يأمرنا أن نشق عن قلبه حتى نعلم أقالها معتقداً لها أم قالها نفاقاً وتقية فهذا من علم الغيب الذي لا يعلمه إلاّ الله ولم يكلفنا سبل معرفته لأنه من الغيب الذي لا يعلمه إلاّ الله، (ت) الدليل الثالث: ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله فمن قال لا إله إلاّ الله عصم منى ماله ونفسه إلاّ بحقه وحسابه على الله))، وما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلاّ بحقها وحسابهم على الله))، وما أخرجه مسلم عن أبي مالك عن أبيه قال سمعت

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ((من قال لا إله إلاّ الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرُم ماله ودمه وحسابه على الله))، فهذه الأحاديث جميعها تدل على أنّ باب الإسلام مدخله هو الشهادتان فمن قال لا إله إلاّ الله دخل في الإسلام وعصم بالإسلام الظاهر نفسه وماله من القتل على سبيل الكفر وحساب الباطن على الله، (ث) الدليل الرابع: ما أخرجه مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنى رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك بهما إلاّ دخل الجنة))، وما أخرجه مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من مات وهو يعلم أنه لا إله إلاّ الله دخل الجنـة))، وما أخرجه مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من شهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله حرّم الله عليه النار))، فهذه الأحاديث تدل على أنّ من أتى بالشهادتين معتقد لهما (بالتصديق والانقياد) فهو في منجى من الخلود الأبدي في النار ومآله إلى الجنة برحمة الله، وقد تقدم شرح هذه الأحاديث في الباب الأول، والشاهد هاهنا أنه إذا كانت الشهادة تنجى من الخلود الأبدي في النار ومآل صاحبها المعتقد لها إلى الجنة والجنة لا يدخلها إلاّ نفس مؤمنة، فإذا كانت الشهادة تعطي صاحبها الإيمان على الحقيقة إن كان معتقداً لها، فمن باب الأولى أن تعطيه اسم الإسلام في الدُنيا ما كان مقراً لهما، مقراً لكل ما تتضمناه من عقائد وشرائع، فهو مسلم له اسم الإيمان وحكمه، (ج) الدليل الخامس: ما أخرجه مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمه: قل لا إله إلاّ الله أشهد لك بها يوم القيامة، قال: لولا أن يعيرنى قريش يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك فأنزل الله {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص: 56]))، وما أخرجه البخاري: ((في قصة الغلام اليهودي الذي كان يخدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعوده فقعد عند رأسه فقال له (أسلم) فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال أطع أبا القاسم فأسلم فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار))، والشاهد من الحديثين أنه لو لم تكن الشهادة إسلاماً يُنجى من الكفر في الدُنيا ومآل صاحبها في الآخرة إلى الجنة لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليحرص على أن يقر بها عمّه وأن يقر بها الغلام اليهودي، فلمّا أبى عبد المطلب كان مآله إلى النار ولمّا أقر بها اليهودي أنقذه الله تعالى بها من الكفر ومن النار، (ح) الدليل السادس: سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد دلت سيرته العملية في دعوة الناس إلى الإسلام وقبول الإسلام منهم ـ بما لا يدع مجالا للشك ـ أنه كان يقبل إسلام

من أقر بالشهادتين بمجرد الإقرار ثم لا يُترك بعد ذلك بل يؤمر بالفرائض ويُنهى عن المحرمات وهو داخل ضمن إطار الإسلام الذي دخله بإقراره المجمل بدين الإسلام متمثلاً في النطق بالشهادتين، ومن نظر في السيرة إلى قصص إسلام الصحابة علم يقيناً أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحكم بالإسلام الظاهر لكل من نطق بالشهادتين ولم يؤثر عنه ولو مرة واحدة أنه توقف في إسلام أحد حتى يؤدى شيئاً من فرائض الله بل كما نقلنا أنه كان يقبل إسلام البعض على شروطهم الفاسدة كما قبل من ثقيف إسلامهم مع اشتراطهم بعدم الصدقة والجهاد وقال سيتصدقون ويجاهدون وكما قبل من رجل الإسلام على أن يصلى صلاتين، ومنها استدل الفقهاء على صحة الإسلام مع الشرط الفاسد وقد تقدم ذكر ذلك، (قلت): ومع كل هذه الأدلة اليقينية السابقة، فقد غالى البعض وخالف هذه القاعدة واشترطوا حداً أدنى للحكم بإسلام المرء زائداً على حدّ الإقرار بالشهادتين، بمعنى أنهم لا يحكمون لأحد بإسلام حتى يأتي بهذا الحدّ الذي قرروه بعقولهم، ثم هم بعد ذلك مختلفون أشد الاختلاف في تقرير هذا الحدّ، فمنهم من جعله الشهادتان وجنس عمل الجوارح ومنهم من جعله الشهادتان والصلاة ومنهم من جعله الشهادتان والصلاة والزكاة ومنهم من قال هو جميع أركان الإسلام الخمسة وقالت الخوارج هو جميع فرائض الإسلام والكف عن جميع محرماته ونواهيه، وعلى مذهب هؤلاء الذين اشترطوا حداً زائداً للإسلام غير الإقرار بالشهادتين لا يُحكم لأحد بإسلام وإن أقر بالشهادتين حتى يأتي بحده الأدنى الذي قرروه بعقولهم المجردة، ومع أنهم جعلوه أصلاً يحكمون به على أهل القبلة إلاّ أنه لم يأت لا في كتاب الله تعالى، ولا في سنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والعجيب أنه لم يرد مجرد ذكره عن أحد من سلف الأمة، بل هو محدث أحدثه هؤلاء ثم حكموا به على أهل القبلة بمحض عقولهم وأهوائهم، (خ) فوائد متعلقة بهذا الأصل: (الفائدة الأولى): ليس معنى قولنا أنّ كل من نطق بالشهادتين حكمنا بإسلامه أنه في مأمن من الردّة بعد ذلك مهما قال أو فعل بعد النطق بهما، بل قد جعلت الشريعة الحكيمة اعتقادات وأقوال وأفعال ناقضه للإسلام ومن أتى بها عالماً مختاراً لها، قاصداً لفعلها فقد ارتد عن الإسلام، يُعامل معاملة المرتد من الاستتابة وأحكامها كما قررها الفقهاء، وفي مبحث نواقض الإيمان بيان لكثير من هذه الاعتقادات والأقوال والأفعال المخرجة من الملة بعد دخولها، و (الفائدة الثانية): أنه ليس المعنى من تقرير هذه القاعدة هو تقليل قيمة العمل وأهميه وإنما المعنى من تقرير هذه القاعدة هو ما دلّ عليه الشرع من كون الإقرار بالشهادتين أو ما يحل محلهما في بيان الإقرار المجمل بالإسلام كاف في الحكم على المرء بالإسلام ثم

يُعامل بعد ذلك معاملة المسلمين فإن أتى بناقض أقيمت عليه الحُجة الشرعية المعتبرة به عُومل معاملة المرتدين،

[المفتاح الثاني]: من مات على التوحيد استوجب وعد الله تعالى الجنة وإن دخل النار عُذّب فيها بقدر ذنوبه إلاّ أنه لا يخلد فيها خلود الجاحدين ومآله إلى الجنة برحمة الله تعالى ووعده إنه لا يخلف الميعاد]: والمقصود من هذا الأصل: أنّ من مات وهو مقر بشهادة التوحيد (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله) معتقد لها استوجب بفضل الله ورحمته الجنة، وهو يوم القيامة تحت مشيئة الرحمن إن شاء أدخله الجنة ابتداء وإن شاء أدخله النار بذنوبه ومعاصيه، إلاّ أنه لا يخلد في النار أبداً خلود الكافرين، ولكن مآله إلى الجنة لما أتى من توحيد الله عز وجل وقد دلّ على هذا الأصل: (أ) الحديث الأول: ما أخرجه البخاري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((يخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله وفي قلبه وزن بره من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله وفي قلبه وزن ذره من خير)) وفي رواية (من إيمان) مكان (من خير)، [صحيح البخاري ح(44)] ففي هذا الحديث دليل على أن من أتى بالإقرار (قال لا إله إلاّ الله) والاعتقاد (وفي قلبه وزن شعيره من إيمان) (وفي قلبه وزن بره من إيمان) (وفي قلبه وزن ذره من إيمان) فإنه لا يخلد في النار خلود الكافرين بل يخرج من النار إلى الجنة، (ب) الحديث الثاني: حديث الشفاعة اخرجه البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيه: ((فأقول يارب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان ... فأقول يارب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذره أو خردله من إيمان ... فأقول يارب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل،، ثم أعود في الرابعة فأحمده بتلك ثم أخِرّ له ساجداً فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع وسل تُعط واشفع تشفع فأقول يارب إئذن لي فيمن قال لا إله إلاّ الله فيقول وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلاّ الله)) [البخاري ح(7510)] ففي هذا الحديث كذلك دلاله على أن من قال لا إله إلاّ الله وفي قلبه اعتقادها فإنه في مأمن من الخلود في النار خلود الكافرين ولكنه يخرج منها برحمة الله إلى الجنة، (ت) الحديث الثالث: ما أخرجه مسلم رحمه الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((أشهد أنّ لا إله إلاّ الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلاّ دخل الجنة)) [صحيح مسلم ح (44)]، ففي هذا الحديث دلاله على أن الشهادتين مع الاعتقاد

لهما (غير شاك فيهما) سبب لدخول الجنة وإن طال زمان التعذيب في النار، (ث) الحديث الرابع: ما أخرجه مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من شهد أنّ لا إله إلاّ الله وأنّ محمد رسول الله حرّم الله عليه النار)) [صحيح مسلم ح(47)]، ومعنى الحديث أنّ من أقرّ بالشهادتين واعتقدهما حرّم الله عليه الخلود في النار وهذا ما يجب حمل الحديث عليه إذ عليه مذهب أهل السنّة الذين يقولون بأن أصحاب الكبائر تحت المشيئة وقد دلت الأخبار بيقين أنّ بعضهم يدخل النار بقدر ذنوبه ثم يخرج بالشفاعة أو ضمن أصحاب قبضة الرحمن الذين لم يعملوا خيراً قط، (قلت) ولهذا قال القرطبي في شرح حديث مسلم ((أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عنه الجنة)): " وظاهر هذا الحديث أنّ من لقى الله وهو يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده دخل الجنة ولا يدخل النار، وهذا صحيح فيمن لقي الله تعالى بريئاً من الكبائر فأمّا من لقى الله تعالى مرتكب كبيره ولم يتب منها فهو في مشيئة الله تعالى التي دلّ عليها قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ،، } [النساء: 48] وقد جاءت الأحاديث الكثيرة الصحيحة المفيدة بكثرتها حصول العلم القطعي أنّ طائفة من أهل التوحيد يدخلون النار ثم يخرجون منها بالشفاعة أو بالتفضل المعبّر عنه بالقبضة في الحديث الصحيح أو بما شاء الله تعالى فدلّ ذلك على أنّ الحديث المتقدم ليس على ظاهره فتعين تأويله، ولأهل العلم فيه تأويلان الأول: أن هذا العموم يُراد به الخصوص ممن يعفو الله تعالى عنه من أهل الكبائر ممن يشاء الله أن يغفر له ابتداء، وثانيهما: أنهم لا يحجبون عن الجنة بعد الخروج من النار وتكون فائدته الاخبار بخلود كل من دخل الجنة فيها وأنه لا يُحجب عنها ولا عن شيء من نعيمها والله تعالى أعلم " أهـ، (ج) الحديث الخامس: ما أخرجه مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ((ما من عبد قال لا إله إلاّ الله ثم مات على ذلك إلاّ دخل الجنة)) قلت (أي راوي الحديث أبو ذر رضي الله عنه) وإن زنى وإن سرق؟ قال (وإن زنى وإن سرق) قلت وإن زنى وإن سرق؟ قال (وإن زنى وإن سرق) ثلاثاً ثم قال في الرابعة (على رغم أنف أبى ذر) فخرج أبو ذر وهو يقول وإن رغم أنف أبى ذر))،

[المفتاح الثالث]: بعد بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يقبل الله تعالى من العباد جميعاً وإلى قيام الساعة ديناً سوى دينه الإسلام الذي جاء به من عند الله]: فإنّه لمّا كان دين الإسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله عز وجل هو الناسخ لما قبله من الشرائع والرسالات وهو المهيمن عليها جميعاً لذلك جاءت الأدلة على أن

الله تعالى لا يقبل من عباده بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإلى قيام الساعة ديناً سوى دينه الإسلام، وفي بيان هذا الأصل: قال الله تعالى {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: 19] وقال تعالى {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[آل عمران: 85] قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} وقوله{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} " إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرُسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى خُتموا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي سدّ جميع الطرق إليه إلاّ من جهة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فمن لقى الله بعد بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بدين على غير شريعته فليس بمتقبل كما قال تعالى{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}[آل عمران: 85] الآية وقال في هذه الآية مخبراً بانحصار الدين المتقبل منه عنده في الإسلام {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}" أهـ، وقال رحمه الله . عند تفسير قوله تعالى {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: 85] قال تعالى {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه} الآية أي من سلك طريقاً سوى ما شرعه الله فلن يُقبل منه {وهو في الآخرة من الخاسرين} كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ)) "، وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} [النساء: 150-151]، قال ابن كثير في تفسير الآية: " يتوعد الله تبارك وتعالى الكافرين به وبرسله من اليهود والنصارى حيث فرقّوا بين الله ورسله في الإيمان فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض فاليهود عليهم لعائن الله آمنوا بالأنبياء إلاّ عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمقصود أنّ من كفر من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فمن ردّ نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيماناً شرعياً إنما هو عن غرض وهوى وعصبية، ولهذا قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} فوسمهم بأنهم كفّار بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله أي في الإيمان وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} أي طريقاً ومسلكاً ثم أخبر عنهم فقال {أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا} أي كفرهم محقق لا محالة بمن ادعوا الإيمان به، لأنه ليس شرعياً إذ لو كانوا

مؤمنين به لكونه رسول الله لآمنوا بنظيره وبمن هو أوضح دليلاً وأقوى برهاناً منه، وقوله {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} أي كما استهانوا بمن كفروه به إمّا لعدم نظرهم فيما جاءهم به من الله وإعراضهم عنه وإقبالهم على جميع حطام الدنيا مما لا ضرورة بهم إليه، وإمّا بكفرهم به بعد علمهم بنبوته كما كان يفعله كثير من أحبار اليهود في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث حسدوه على ما أتاه الله من النبوة العظيمة وخالفوه وكذبوه وعادوه وقاتلوه، فسلط الله عليهم الذلّ الدنيوي الموصول بالذل الأخروي " أهـ، وقال تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 115] قال ابن كثير في تفسيرها: " وقوله {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى} أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فصار في شق والشرع في شق وذلك عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق وتبين له واتضح له، وقوله {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع وقد تكون اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما عُلم اتفاقهم عليه تحقيقاً، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفاً لهم وتعظيماً لنبيهم،، {نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} أي إذا سلك هذه الطريقة جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجاً له،، وجعل النار مصيره في الآخرة، لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلاّ إلى النار يوم القيامة " أهـ، (قلت): فكل من خالف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعدما أقيمت عليه الحُجة به فمأواه جهنم وساءت مصيرا، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((والذي نفسى محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلاّ كان من أصحاب النار))، قال النووي في درة من كلامه: " وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يسمع بي أحد من هذه الأمة أي ممن هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة، فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته، وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيهاً على من سواهما وذلك لأنّ اليهود والنصارى لهم كتاب فإذا كان هذا شأنهم مع أنّ لهم كتاباً فغيرهم ممن لا كتاب له أولى " أهـ، فكل من سمع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم لم يؤمن بالإسلام الذي بعث به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو كافر خالد مخلد في النار وبئس المصير،

[المفتاح الرابع]: بعد بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإلى قيام الساعة، من لم يأت بالشهادتين فهو كافر الكفر الأكبر، وهو إما كافر جاهل إذا كان لم يسمع بالنبي صلى الله

عليه وآله وسلم، أو كافر معاند إذا بلغته دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وجحد نبوته]: قال الله تعالى: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ * وَمَا تَفَرَّقَ الَذينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ * وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البينة: 1 إلى 6]، هذه السورة الكريمة تدلنا على أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكافة المشركين عبدة الأوثان والأصنام والنيران من العرب والعجم وغيرهم لم يكونوا منتهين عن كفرهم وشركهم حتى تأتيهم البينة، وهي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتلو عليهم القرآن الكريم وما فيه من دلائل التوحيد وشرائع الإيمان والإحسان، ثم أخبر سبحانه بأنّ مآل كل من كذّب بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنه كافر خالد في نار جهنم أبدا وهو من شر البرية، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا} [النساء: 150، 151]، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الرسول الخاتم الذي ختمت به الرسالات جميعاً، لقوله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الأحزاب: 40]، قال ابن كثير: " فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى والأحرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينعكس وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "، فمن المعلوم من الدين بالضرورة أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو خاتم النبيين وهو من باب الأولى والأحرى خاتم المرسلين فلا نبي بعده ولا رسول، ودينه هو الخاتم الذي ختم الله تعالى به الرسالات جميعاً، كما أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بُعث إلى الناس كافة وإلى قيام الساعة: وهذا الأمر يدلنا على عموم رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمن قال أنه رسول وأقر بذلك وصدقه ولكنه قال أنه رسول إلى العرب أو إلى زمان خاص فلا يُفيده إقراره ولا تصديقه شيئاً، وهو كافر على الإطلاق وعند التعيين تُقام عليه الحُجة بالكتاب والسنّة فإن جحد الحُجة كفر على التعيين، ويُستتاب فإن لم يتب كان حُكمه في الشرع القتل رده قال تعالى ـ في بيان هذا الأصل: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: 158] وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ: 28]، كما أنّ دينه صلى الله عليه وآله وسلم وشرعه الذي جاء به من عند الله تعالى هو الناسخ لجميع الشرائع قبله والمهيمن عليها جميعا، قال الله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة: 48]، ولذلك فإنّه بعد بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإلى قيام الساعة، كل من لم يشهد بالشهادتين فهو كافر، فإن كان لم يسمع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو كافر جاهل، وإن كان سمع به ولم يؤمن برسالته فهو كافر معاند، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((والذي نفسي محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلاّ كان من أصحاب النار)) [أخرجه مسلم]، وهو دلالة واضحة على أن اليهود والنصارى ومن دونهم بطريق الأولى مطالبون بالدخول إلى دين الإسلام وإلاّ كانوا من أصحاب النار ومنه ما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره بقوله: " روى الإمام أحمد عن عبدالله بن ثابت قال: جاء عمر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا رسول الله، إني أمرت بأخ لي يهودي من قريظة، فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ قال، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عبدالله بن ثابت: قلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال عمر: رضيت بالله رباً، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولاً، قال: فسرى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقال ((والذي نفسي بيده، لو أصبح فيكم موسى عليه السلام، ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين)) فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو خاتم الأنبياء إلى يوم الدين، وهو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر، لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم، فلابد في الإيمان من أن نؤمن أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين لا نبي بعده وأنّ الله أرسله إلى جميع الثقلين الجن والإنس، وعلى ذلك فبعد بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإلى قيام الساعة من لم يأت بالشهادتين فهو كافر الكفر الأكبر فإن سمع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو كافر معاند قامت عليه الحُجة ومن لم يسمع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو كافر جاهل لا يُعذب حتى تقوم عليه الحُجة الرسالية بالإسلام،

***

الفصل الثاني

مفاتيح العلم في قسم توحيد الذات أعظم أقسام التوحيد

(تنبيه): مفاتيح العلم في قسم توحيد الذات أعظم أقسام التوحيد، تناولتها بحمد الله تعالى في الباب الأول مفاتيح علم التقديس (علم توحيد الذات)، وأشير هاهنا: إلى أنّ قسم توحيد جناب الذات الإلهي: هو أساس التوحيد وأصله، إذ جميع أقسام التوحيد إنما تؤول إليه، فتوحيد الأسماء المقصود به توحيد أسماء ذات الله تعالى إذ الاسم للمسمى، والمسمى هو ذات الله، وتوحيد الصفات المقصود منه توحيد صفات الذات إذ تعود جميع الصفات إلى الذات الذي يتصف بهذه الصفات، كما أنّ توحيد الأفعال المقصود به بيان قدرة الذات على جميع الأفعال، وأنه لا يكون في ملك الله تعالى سوى أفعال الله تعالى، وتوحيد الربوبية ما هو إلا توحيد الذات المستحقة للربوبية على العالمين، وتوحيد الألوهية ما هو إلا اعتقاد استحقاق ذات الله تعالى للعبادة وحده، وعلى ذلك فتوحيد الذات أصل لكل أقسام التوحيد، وجميع أقسام التوحيد إنما يعود في نهاية المطاف إلى توحيد الذات، لذا فإنّ أهم أقسام التوحيد توحيد ذات الله تعالى، (وهذا القسم) هو حجر الزاوية في تجديد التوحيد ووحدة أهل التوحيد، وما أشد حاجة المسلمين إلى (علم التقديس) أو (علم توحيد الذات) أو (علم التنزيه) وذلك بجمع قواعد التقديس والتوحيد والتنزيه، التي تمنع من الخلل في علم العقيدة، والتي تمنع من الاعتزال والتجهم والتعطيل، وفي نفس الوقت تمنع من الحشو والتشبيه والتجسيم، وهذا العلم قد أفردت له الكتاب الأول من هذه المجموعة (مفاتيح علم التقديس علم توحيد الذات الإلهي)، فأحيل إليه لمعرفة أهم أقسام التوحيد (توحيد الذات) والله المستعان،

***

الفصل الثالث

مفاتيح العلم في قسم توحيد الأسماء والصفات والافعال

وهذا الفصل – أيضاً – بقواعده تناولته كاملا – بحمد الله تعالى – في الباب الأول: مفاتيح علم التقديس، وهذا القسم ضروري لفهم التوحيد من كافة جوانبه، والأسماء الحسنى تدل على صفات الكمال والجلال والإكرام لله تعالى، والعلم بأسماء الله تعالى الحسنى أشرفُ العلوم لأنها تتعلق بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته العلى، والعلم بصفات الله تعالى من أعظم العلم الراسخ بالله: لأنّها هي الطريق إلى معرفة الله، والقول في الصفات كالقول في جناب الذات تماماً، ليس كمثل ذاته ذات، وليس كمثل صفاته صفات، لا ندرك من معانيها إلا ما تحتمله عقولنا، وأنى للعقول المحدودة والأفهام المخلوقة أن تحيط علماً بالصفات المنزهة عن التناهي والحدود، ولهذا كانت القاعدة التنزيهية أنّ الله تعالى أجلّ من أن تدرك صفاته، وإنّما نصفه على قدر إمكاناتنا المحدودة لا على قدر عظمته وجلاله، تعالى الله علواً كبيراً عن أن يدرك المخلوق قدر صفاته، أما توحيد الله تعالى في الافعال: فـمعناه اعتقاد أنه لا خالق ولا مُؤثّرِ في الوجود إلا الله، واعتقاد أنه لا يكون ثم فعل من الأفعال في الكون إلا بخلقه ومشيئته وإرادته وقدرته، لا يكون في ملكه إلا ما قدر وشاء والإنسان مخلوق ضمن مخلوقات الله، يجري عليه ما يجري على الجميع من مخلوقات الله تعالى، فلا يكون في ملك الله تعالى إلا ما شاءه الله، ولكن الله تعالى جعل للإنسان نوعاً من الاختيار يجعله مسؤولا عن أعماله، وعليه أنّ يتحمل مسؤولية هذا الاختيار، ومن طلب في القدر ما وراء ذلك فقد ساء الأدب مع الله، وسأل عمّا لا يحق له التدخل فيه من ربوبية الله وقدر الله.

***

الفصل الرابع

مفاتيح العلم في قسم توحيد الربوبية والعبودية

المبحث الأول: مفاتيح فهم معاني الربوبية والمقصود من توحيد الربوبية

المبحث الثاني: مفاتيح تمنع من الغلو في توحيد الربوبية

المبحث الثالث: مفاتيح فهم العبودية والمقصود من توحيد العبودية

المبحث الرابع: مفاتيح تمنع من الغلو في توحيد العبودية

المبحث الخامس: مفاتيح فهم معاني الشرك واقسام الشرك

المبحث السادس: مفاتيح أخطاء الوهابيين في باب الشرك

المبحث السابع: مفاتيح أخطاء الوهابيين في تقسيم علم التوحيد

المبحث الاول

مفاتيح فهم الربوبية وما هو المقصود من توحيد الربوبية

[المفتاح الأول]: يتفرّع عن توحيد الأفعال توحيد الربوبية بجميع أقسامه: توحيد الربوبية معناه أنّه لا موجد ولا خالق ولا مكون لهذا الكون كله بما فيه إلا الله رب العالمين، ولا رازق في الكون كله إلا الله رب العالمين، ولا مالك لا متصرف ولا مدبر للكون كله إلا الله رب العالمين، ولا سيد ولا مهيمن ولا حاكم ولا آمر في الكون كله على الحقيقة إلا الله رب العالمين، ولا ناصر ولا معين ولا معز ولا مذل ولا خافض ولا رافع ولا قابض ولا باسط إلا الله رب العالمين، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، وهذه كلها متعلقة بأفعال الله تعالى، فالحاصل أن توحيد الربوبية بجميع أقسامه يتفرّع عن توحيد الأفعال،

[المفتاح الثاني]: (الرب) في اللغة العربية: هو المربي وهو المالك وهو المدبر المتصرف الذي بيده مقاليد كل شيء وهو السيد المطاع وهو الحاكم المهيمن، وعلى ذلك فالربوبية مصطلح شامل يحمل معاني أساسية لا يقوم بتلك المعاني مجتمعة إلا مسمى الربوبية وتتمثل في كل معاني الخلق والإيجاد وفي كل معاني التربية من التنشئة والرعاية والتعهد والاستصلاح ثم كل معاني التملك من الملك والتصرف والتدبير والتصريف ثم كل معاني العلو والسيادة والرئاسة والحكم والأمر ثم كل معاني الهيمنة والتدبير من الاعزاز والاذلال والهداية

والإضلال والنفع والضر، ثم كل معاني السيادة والملك والحكم والتشريع والامر والنهي والتحليل والتحريم، والحظر والإباحة، فمن ذلك كله تنشأ المعاني التي تساعد في فهم الربوبية،

[المفتاح الثالث]: معنى الرب في القرآن الكريم: (الرب) في القرآن الكريم مصطلح واسع يدل على عدة معاني مجتمعة بعضها إلى بعض، ولا يصلح لفظ آخر أن يحل محل لفظ (الربوبية) في الإحاطة بكل معانيه، ولهذا تكرر لفظ (الرب) في القرآن الكريم (987) قريب من ألف مرة بصيغ مختلفة تدل على شمول الربوبية لجميع العالمين منها (رَبِّ الْعَالَمِينَ) و (رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) و (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) و (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) و (رَبِّ الْعَرْشِ) و (رَبُّكُمْ) و (رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) و (رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) و (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا) و (وَرَبُّ الْمَشَارِقِ) و (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ) و (سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) و (رَبُّ الشِّعْرَى) و (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) و (رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ) و (رَبِّ الْفَلَقِ) و (رَبِّ النَّاسِ) ولهذا كان أكثرها تذكيرا بالربوبية في القرآن (رَبِّ الْعَالَمِينَ) لأنه يشمل العرش والسماوات والأرضين وما فيهما وما بينهما وكان أكثر دعاء الأنبياء (رَبِّ)، وقد جاءت كلمة (الرب) في القرآن بجميع ما جاء من معانيها في اللغة العربية لغة القرآن الكريم، فمما جاء على معنى المربي الكفيل بقضاء الحاجات، والقائم بأمر التربية والتنشئة، قوله تعالى -حكاية عن يوسف عليه السلام- { قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي} [يوسف: 23]، ومما جاء على معنى الكفيل والرقيب، والمتكفل بالتعهد وإصلاح الحال، قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: {فإنهم عدوٌ لي إلا رب العالمين، الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين} [الشعراء: 77-80]، وقوله تعالى: {وما بكم من نعمة فمن الله، ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون، ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون} [النحل: 53-54]ن وقوله تعالى: {قل أغير الله أبغي رباً وهو ربُّ كل شيء}، [الأنعام: 164]، وقوله تعالى: {ربُّ المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً} [المزمل: 9]، ومما جاء على معنى السيد المطاع الذي بيده مقاليد كل شيء وإليه يُرجع الامر كله، قوله تعالى: {هو ربكم وإليه ترجعون} [هود: 34]، وقوله تعالى: {ثم إلى ربكم مرجعكم} [الزمر: 7]، وقوله تعالى: {وما من دابةً في الأرض ولا طائرٍ يطير بجناحيه إلا أممٌ أمثالكم، ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربّهم يُحشرون} [الأنعام: 38]، (ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربّهم ينسلون) (يس:

51)، ومما جاء على معنى السيد الرئيس صاحب السلطة النافذ الحكم، والمالك لصلاحيات التصرف والمعترف له بالعلاء والسيادة، قوله تعالى: {اتّخذوا أحبارهم ورُهبانهم أرباباً من دون الله} [التوبة: 31]، أي يحلون لهم الحرام فيستحلونه، ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه، وقوله تعالى: {ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله}، [آل عمران: 64]، تعني النهي عن طاعة المخلوقين في معصية الخالق، حيث أن اتخاذ الأرباب لا يقتصر على السجود والركوع، بل يشمل أيضاً الطاعة العمياء في التشريعات والقوانين المخالفة لشرع الله، فتصبح هذه الطاعة بمثابة اتخاذهم أربابا من دون الله، أي أنزلوهم منزلة (الرب) تبارك وتعالى في قبول تحريمهم وتحليلهم لما لم يحرمه الله ولم يحله الله، ومما جاء على معنى الملك والمالك والسيد، قوله تعالى: {فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوفٍ} [قريش: 3-4]، وعلى ذلك فإنّ الربوبية مصطلح شامل واسع يحمل معاني أساسية كثيرة: لا يملأ معناها لفظ آخر لا الخلق ولا التكوين ولا الأمر ولا التدبير ولا الملك ولا التصريف ولا الحكم ولا التشريع ولا القهر ولا الجبروت لأن (الرب) يعني ذلك كله فهو المربي وهو المالك وهو المدبر المتصرف الذي بيده مقاليد كل شيء وهو السيد المطاع وهو الحاكم المهيمن، والربوبية مصطلح شامل يحمل معاني أساسية لا يقوم بتلك المعاني مجتمعة إلا مسمى الربوبية وتتمثل في كل معاني الإيجاد والخلق(ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه) وتتمثل في كل معاني التربية من التنشئة والرعاية والتعهد والإمداد والرزق والاستصلاح والهداية (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ثم كل معاني التملك من الملك والتصرف والتدبير والتصريف ثم كل معاني العلو والسيادة والرئاسة والهيمنة والحكم والأمر ثم كل معاني النصر والعز والنفع والضر فمن ذلك كله تنشأ معاني الربوبية، فتلك عي معاني الربوبية والتي لا يحيط بها مصطلح آخر سوى الربوبية،

[المفتاح الرابع]: توحيد الربوبية: مصطلح شامل يحمل اعتقاد معاني أساسية كثيرة: وفقاً لتعريف الربوبية، فإنّ (توحيد الربوبية) مصطلح شامل يحمل اعتقاد معاني أساسية لا يقوم بتلك المعاني مجتمعة إلا مسمى توحيد الربوبية، لا يصح مصطلح توحيد الربوبية إلا باعتقادها جميعا، وإلا كان الشرك في الربوبية جليا، وتتمثل تلك الاعتقادات فيما يلي: اعتقاد أنه لا موجد ولا خالق ولا مكون لهذا الكون كله بما فيه إلا الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا رازق على الحقيقة في الكون كله إلا الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا مالك لا متصرف بيده ملكوت كل شيء ولا مدبر للكون كله على الحقيقة إلا الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا سيد

ولا مهيمن ولا حاكم ولا آمر في الكون كله على الحقيقة إلا الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا ناصر ولا معين ولا معز ولا مذل ولا خافض ولا رافع ولا قابض ولا باسط إلا الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا شفيع في شيء من أمور الكون كله إلا من بعد إذن الواحد الأحد الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا شريك للرب الواحد الأحد الله رب العالمين في شيء من تلك المعاني التي يشملها توحيد الربوبية، لا يصح مصطلح توحيد الربوبية إلا بحصر معاني الربوبية في اللّهِ وحده، ولا يصح مصطلح توحيد الربوبية إلا باعتقادها جميعا لله رب العالمين وحده لا شريك له،

[المفتاح الخامس]: توحيد الربوبية قسم عظيم من أقسام التوحيد: قد مر بنا أن الربوبية مصطلح شامل واسع يحمل معاني أساسية لا يقوم بتلك المعاني مجتمعة إلا مسمى الربوبية وتتمثل في كل معاني الخلق والإيجاد وفي كل معاني التربية من التنشئة والرعاية والتعهد والاستصلاح ثم كل معاني التملك من الملك والتصرف والتدبير والتصريف ثم كل معاني العلو والسيادة والرئاسة والحكم والأمر والنهي ثم كل معاني الهيمنة من العز والذل والنفع والضر فمن ذلك كله تنشأ معاني الربوبية، وأنه لا يوجد مصطلح يشمل كل تلك المعاني مجتمعة سوى كلمة (الرب)، وقد جاءت الآيات القرآنية متتالية تشير إلى حصر الربوبية في الله رب العالمين، منها قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكمُ اللّهُ الّذي خلقَ السَّمواتِ وَالارضَ في ستَّةِ أَيّامٍ ثُمَّ استوى على العَرشِ يُدَبّرُ الامرَ ما مِن شَفيعٍ إلاّ مِن بَعدِ إذنِهِ ذلِكم اللّهُ رَبُّكم فاعبدوهُ أَفلا تَذَكّرون} [يونس: 3]، وقوله تعالى: {قُل أَئنَّكُم لَتكفُرونَ بِالّذي خلقَ الارضَ في يَومينِ وَتَجعَلونَ لَه أَندادا ذلكَ رَبُّ العالمين} [فصلت: 9]، وقوله تعالى: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [الْأَنعام: 102]، وقوله تعالى: {قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [الْأَنْبياء: 56]، وجاءت الآيات القرآنية تترا تدعو إلى توحيد الربوبية، منها قوله تعالى {لَكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا} [الكهف: 38]، وقوله تعالى {وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا} [الكهف: 42]، وقوله تعالى {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: 39، 40]، وقوله تعالى {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 64]،

وقوله تعالى {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 79، 80]، وقوله تعالى {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[التوبة: 31]، وقوله تعالى {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}[الأنعام: 164]،

[المفتاح السادس]: الأقسام الرئيسية لتوحيد الربوبية: يشتمل توحيد الربوبية على ثلاثة أقسام رئيسية: القسم الأول: التوحيد في الخلق والتكوين: والمقصود منه الاعتقاد بأنه لا خالق ولا مُؤثرّ في الوجود إلا الله، واعتقاد أنه لا يكون ثم فعل من الأفعال في الكون إلا بخلقه ومشيئته وإرادته وقدرته، هو سبحانه وحده المنفرد بخلق جميع الكائنات بلا واسطة، ليس في الوجود خالق غيره، ولا يكون في ملكه إلا ما قدر وشاء ويدل على هذا التوحيد: قوله تعالى: {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الرعد: 16]، قوله تعالى: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} [غافر: 62، 63]، وهذا القسم من الربوبية لظهوره لم ينازع فيه إلا القليل من الملاحدة، قال تعالى {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} [العنكبوت: 61]، وقوله تعالى {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [لقمان: 25]، وقوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} [الزخرف: 87]، **والقسم الثاني: التوحيد في التصريف و التدبير**: والمراد منه أنّ للكون مدبّراً و متصرفاً واحداً لا يشاركه في التدبير شيء فهو سبحانه المدبّر للعالم، ويدل على هذا التوحيد قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [يونس: 3]، وقوله تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [يونس: 31]، وقوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} [الرعد: 2]، وتوحيد التدبير والتصريف، لا يعارضه قوله تعالى – عن الملائكة –: {فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} [النازعات: 5]، لأنّ هؤلاء الملائكة مدبرات بأمر الله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولقد كان أكثر شرك العرب في الربوبية واقعاً في هذا الباب، فقد كانوا يظنون أنّ لآلهتهم نوع من الشراكة مع الله في تدبير أمورهم، وكانوا يعتقدون أنها تستطيع إعزازهم ودفع الضر عنهم، قال تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [سورة مريم] فالآية ظاهرة الدلالة في أنهم يعتقدون أنها تحقق لهم العز والاعزاز والإذلال من مفردات الربوبية، والمشركون اتخذوا من دون الله آلهة لتحقق لهم النصر، قال تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ} [سورة يس] والنصر من مفردات الربوبية إذ الرب هو الناصر والمعين، والمشركون على مر الأزمان يعتقدون أن أصنامهم تحقق لهم الحماية وأن لها القدرة على إلحاق السوء والضرر بمن يكفر بها ويذكرها بسوء، قال تعالى – حكاية عن قولهم واعتقادهم – {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ} [سورة هود] وهذا معتقد المشركين، وعلى ذلك فهم مشركون في الربوبية باعتقاد بعض مفرداتها وصرفها لمعبوداتهم مع الله، وكانوا يعتقدون أنّ لها الشفاعة الواجبة لهم عند خالق السموات والارض، ولهذا خاطبهم الله تعالى بنفي شفاعتهم التي يظنونها لآلهتهم التي عبدوها من دون الله تعالى، قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [يونس: 3]، **والقسم الثالث: التوحيد في الحاكمية والتشريع**: والمراد منه اعتقاد أنّ للإنسان مرجع واحد في الحكم والتشريع، هو شرع الله تعالى وحده، وحكمه تعالى وحده، فالله تعالى هو الرب الحاكم المشرع وحده لا شريك له في حكمه وتشريعه، والدليل على ذلك قوله تعالى: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ} [الأنعام: 57]، وقوله تعالى: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: 40]، وقوله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: 44]، {الظالمون}، {الفاسقون}، وقوله تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: 50]، **وتوحيد الحكم والتشريع**، لا يعارضه عمل الفقهاء والمجتهدين في تقنين الشريعة، لأنّ عملهم هو استخراج واستنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنّة وهو اجتهاد في معرفة شرع الله، لا إنشاء شرع جديد، وقد أجمع علماء أهل السنّة والجماعة: أنّ من استحل الحكم بغير ما

أنزل الله فقد كفر وأشرك، والضابط الفقهي للمسألة وهو الاستحلال، فمن استحل فقد كفر الكفر الأكبر، ومن أقر وحكم بغير ما أنزل الله، فهو كافر في إطار الملة (كفر دون كفر)،

***

المبحث الثاني

مفاتيح تمنع من الخلل في فهم معاني توحيد الربوبية

[المفتاح الأول]: المشركون كانوا معترفين ببعض مفردات الربوبية ولم يكونوا على توحيد الربوبية: مر بنا أن مفردات الربوبية كثيرة تشمل الخلق والرزق والتدبير والتصريف والرعاية والهداية والحفظ والسيادة والقهر والحكم والأمر، وتوحيد الربوبية لا يطلق إلا على من اعتقدها خالصة لله ليس له فيها شريك ولا معين، وقد كان المشركون على إيمان ببعض مفردات الربوبية كالخلق والرزق، وكفر بالبعض الآخر كالبعث والنشور والانفراد بتدبير الأمور، وكذلك كانوا يشركون أصنامهم مع الله ويعتقدون أن لها تدبيرا مستقلا في الكون وأنها تحفظهم وترزقهم وتنصرهم وتشفع لهم عند رب السماء والأرض شفاعة جبرية على الله بما لها من صفات الإلوهية والربوبية في اعتقادهم، وهؤلاء لا يمكن بحال وصفهم بتوحيد الربوبية لأنهم أشركوها لأصنامهم مع الله، كما لا يمكن بحال وصفهم بتوحيد الإلوهية إن عبدوا الله وأشركوا معه غيره من معبوداتهم الباطلة،

[المفتاح الثاني]: المشركون في كل زمان وفي زمان الرسول كانوا على الشرك في الربوبية: علمنا مما سبق أنّه لا يصح مصطلح توحيد الربوبية إلا بحصر معاني الربوبية في اللّهِ وحده، ولا يصح مصطلح توحيد الربوبية إلا باعتقادها جميعا لله رب العالمين وحده لا شريك له، والمشركون على مر عصور البشرية على كانوا على شرك الربوبية لأنهم ظنوا في آلهتهم التي عبدوها من دون الله النفع والضر والعز من دون الله واعتقدوا لها الشراكة مع الله في بعض أمر الكون واعتقدوا أنها تشفع لهم عند الله بما لها من شراكة جزئية في تدبير الكون، وبالتالي فهم قد صرفوا أكثر مفردات الربوبية لآلهتهم من دون الله، والأدلة على هذا الشرك في الربوبية كثيرة منها ما يأتي:

(أولا): القرآن الكريم يشير إلى الشرك الواقع في الربوبية عند الأمم السابقة في العديد من الآيات منها قوله تعالى {وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ} [آل عمران: 64]، وقوله تعالى: {وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا} [آل عمران:80]، وقوله تعالى: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ) [التوبة: 31،]، وقوله تعالى: {أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [يوسف: 39]،

(ثانيا): مشركو العرب اعتقدوا بأن لآلهتهم قدرة ذاتية على النفع والضر وهذا يعني ربوبيتها وهذا شرك في توحيد الربوبية وذلك باعتقادهم بقدرة غير الله على الضر والنفع والإعزاز والإذلال والنصر مستقلا عن الله، في مثل قوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [مريم: 81]، وقوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ} [يس: 74]، وقوله تعالى: {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ} [هود: 101]، وقوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ} [الأنبياء: 43]،

(ثالثا) الكفار يخوفون الرسل من بطش آلهتهم وهذا يعني اعتقادهم أنها تنفع وتضر استقلالا وهذا واضح لمن تدبره في مثل قوله تعالى: {إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ } [هود: 54]، وقوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: 36]، قال البغوي في تفسير الآية:{وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ} " وذلك أنهم خوفوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم معرة معاداة الأوثان، وقالوا: لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون " أهـ [تفسير البغوي ج4 ص 69،]، والخلاصة

أن المشركين كانوا يعتقدون بأن الآلهة التي عبدوها وآمنوا بها تضر وتنفع وتنتصر وتنتقم وتنصر ولهذا اتخذوها أربابا من دون الله لعلهم ينصرون،

(رابعا): اعتقاد المشركين بوجود الشريك الذي له تأثير مستقل في الخلق وتدبير مملكة الله، ولهذا أمر الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إخبار المشركين بالبراءة من الشريك كما في قوله تعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء: 111]، وهذا يعني أن شرك المشركين لا يقتصر على شرك العبادة، ولكن معه شرك الربوبية الي يشمل اعتقاد الشريك في الملك والتدبير،

(خامسا): اعتقاد المشركين بوجود الند لله:، والند كما جاء في معاجم اللغة هو الضد والشبيه والمثيل الذي له مشاركة في الملك والخلق والتدبير [انظر: تهذيب اللغة ج14 ص 51، و المفردات ص 486]، والمشركون كانوا يعتقدون في أصنامهم ومعبوداتهم أنها أنداد لله، والأدلة من القرآن الكريم على ذلك كثيرة منها: قوله تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ} [ابراهيم: 30]، وقوله تعالى: {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [فصلت: 9]، وقوله تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 22]، وقوله تعالى: {أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الشورى: 9]، وقوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 41]،

(سادسا): المشركون كانوا يساوون بين الله تعالى وبين معبوداتهم في الإلهية والربوبية : قال تعالى واصفا معتقد المشركين الذي أوداهم إلى النار: {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: 96 إلى 98] فهذه الآيات التي تحكي عقيدة المشركين و هي أنّهم جعلوا للّه سبحانه تعالى أنداداً و أنّهم كانوا يسوّون آلهتهم بربّ العالمين في صفات ربوبيته وتدبيره وتصريفه للكون وما فيه، ونستفيد مما سبق أنّ المشركين لم يكونوا على توحيد الربوبية أبداً، وأنّ من ظنّ أنهم كانوا على توحيدها لم يكن على صواب في ذلك، وأنّ أنواع الشرك في الربوبية كثيرة منها: من اعتقد أن غير الله شريك مع الله في شيء من الخلق والرزق، ومن اعتقد أن غير الله شريك مع الله في شيء من

تدبير الكون والتصريف، ومن اعتقد أن غير الله شريك مع الله في شيء من النصر والتأييد والإعزاز والإذلال والنفع والضر والهداية والإضلال، ومن اعتقد أن غير الله شريك مع الله في شيء من الحكم والأمر والتشريع والتحليل والتحريم، ومن اعتقد أن أحدا يستطيع الشفاعة عند الله على سبيل الاستقلال أو الحق الجبري على الله، وأنّ المشركين كانوا على الشرك في أكثر مفردات الربوبية، وأنّ توحيد الربوبية مصطلح عظيم لا يكون عليه إلا الموحدون الذين تبرؤا من كل شرك في الربوبية وتمثلوا قول الله تعالى {أفغير الله ابتغي ربا وهو رب كل شيء}

[المفتاح الثالث]: خطأ من ظن أن المشركين كانوا على توحيد الربوبية: من ذهب إلى أن المشركين وحدوا الله في الربوبية اعتمد على تلك الآيات التي رآها صريحة في إثبات بعض مفردات الربوبية لله، حيث تصرح الآيات بإقرار مشركي العرب بخالقيته ورازقيته وتدبيره لشئون الكون فمن ذلك قوله تعالى {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ * اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [العنكبوت] وقوله تعالى {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [لقمان] وقوله تعالى {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أو أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} [الزمر] وقوله تعالى {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} [الزخرف] وقوله تعالى {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [يونس] وقوله تعالى {قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ * بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [المؤمنون]، فمن ذهب إلى أن المشركين وحدوا الله في الربوبية اعتمد على تلك الآيات التي رآها تصرح بإقرار مشركي العرب بخالقيته ورازقيته

وتدبيره لشئون الكون ولكن عند جمع الآيات التي تتحدث عن حال الكفار والمشركين نجد أن فقه الآيات في إطار المجموع يدلنا على التالي: * الآيات فيها إقرار بخالقية الله وتدبيره للكون ولكنه إقرار بخالقية الله وتدبيره لا بتوحيده في ذلك، لأنهم يعتقدون بوجود آلهة صغيرة تشارك الله في تدبير شئون الكون فالمشركون يقرون بأن الله هو الخالق والمدبر لكن لا على أنه الأوحد في ذلك بل هو الخالق والمدبر الأكبر باعتبار أن الله كبير الأرباب والآلهة في عقيدتهم، ولكن معه أرباب وآلهة آخرون لهم دخل في بعض شئون الخلق والتدبير، ولذلك كثيرا ما يعترض القرآن عليهم الحاجة لاختلاق أرباب متفرقين {أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف]، * القول بأن المشركين يقرون حقيقة بأن الله هو الخالق الأوحد وهو المدبر الأوحد فيكونون موحدين في الربوبية ولا يرون أن هناك آلهة أخرى بيدها تدبير بعض الأمور قول غير صحيح، إذ إنهم يعتقدون بوجود موجودات مع الله لها قدرة ذاتية على النصرة أو الضر والنفع على نحو مستقل عن الله بل وبلا إذن من الله لأنهم شركاء لله {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} [الأنعام]، * الآيات ليست إقرارا بالوحدانية وإنما هي مجرد إقرار بخالقية الله ورازقيته وتدبيره للأمور باعتبار أنه الأكبر وعلى نحو وجود أرباب أخرى بقدرات ذاتية تنصر وتعز وتضر وتنفع وتشفع وعلى ذلك فالمقصود بالإقرار المذكور في الآيات الإقرار بأنه الخالق والمدبر الأكبر لا الإقرار بالتوحيد ونفي الآلهة الأخرى التي آمنوا بها، ويدل على ذلك قوله تعالى {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}[سورة الزمر] (والذين اتخذوا من دونه أولياء) فالمشركون اتخذوا من دون الله أولياء والولي هو الناصر والمعين والمشركون اعتقدوا ذلك في آلهتهم بدليل قوله تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا}[سورة مريم] فالآية ظاهرة الدلالة في أنهم يعتقدون أنها تحقق لهم العز، وقوله تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ}[سورة يس] فالآية ظاهرة الدلالة في أنهم يعتقدون أنها تحقق لهم النصر، وقوله تعالى {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ}[سورة هود] وهذا معتقد المشركين على مر الأزمان يعتقدون أن أصنامهم تحقق لهم الحماية وأن لها القدرة على إلحاق السوء والضرر

بمن يكفر بها ويذكرها بسوء، وعلى ذلك فهم مشركون في الربوبية باعتقاد بعض مفرداتها وصرفها لمعبوداتهم مع الله،

[المفتاح الرابع]: الرد الواضح على من زعم توحيد مشركي العرب في الربوبية:

تصفية للمنهج وتصحيحا للفهم في باب التوحيد والشرك ومنعا للغلو في هذا الباب، نقول أخطأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب عند قوله في أول مجموعة التوحيد: "وأما التوحيد فهو ثلاثة أنواع توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، أما توحيد الربوبية: فهو الذي أقر به الكفار على زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يدخلهم في الإسلام وقاتلهم رسول الله (ص) واستباح دماءهم وأموالهم وهو توحيده بفعله تعالى، والدليل قوله تعالى (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ) (قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ [مجموعة التوحيد ص3]، وقال أيضا بعدها بصفحات: " وبعد فهذه أربع قواعد من قواعد الدين يميز بهن المسلم دينه من دين المشركين: القاعدة الأولى: أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله (ص) كانوا مقرين لله بتوحيد الربوبية يشهدون أن الله هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر لجميع الأمور ولم يدخلهم ذلك في الإسلام والدليل قوله تعالى (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ)، [مجموعة التوحيد ص 15 – 16]، ولبيان الغلو في هذا القول نقول: (أولا): المشركون في زمان الرسول لم يكونوا أبدا على توحيد الربوبية إذ أن توحيد الربوبية لله يعني اعتقاد أن الله أن الله تعالى هو وحده الخالق الرازق الهادي الشافي المحيي المميت المتعهد بالتربية لجميع خلقه إذ هو رب العالمين، واعتقاد أن مقادير كل شيء بيد الله يرفع من يشاء ويخفض ويعز من يشاء ويذل ويهدي من يشاء ويضل ويوسع الرزق على من يشاء ويضيق ويحيي من يشاء ويميت، له في لك كله المشيئة المطلقة والإرادة النافذة لا حق لأحد في مراجعته وأمره كله عدل وفضل (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)، واعتقاد حقه المطلق في التشريع والحكم والأمر ((ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)، هذا هو توحيد الربوبية عند الموحدين، ومن اعتقد بأن هناك من يملك الضر أو النفع أو التصريف أو التدبير في حياة الناس وغيرهم من المخلوقات من دون الله فقد أشرك في ربوبية

الله عز وجل شركاً أكبر، ومن اعتقد أن لأحد من دون الله حق مطلق في التشريع المطلق بالتحليل والتحريم والحظر والإباحة والحكم والأمر والنهي دون الرجوع إلى حكم الله وشرعه فقد اتخذه رباً من دون الله، ومن اعتقد أنه يجوز التحاكم إلى شرع غير شرع الله فقد كفر بربوبية الله عز وجل لخلقه، هذا هو توحيد الربوبية عند المسلمين، (ثانيا): مشركو العرب اعتقدوا بأن لآلهتهم قدرة ذاتية على النفع والضر وهذا يعني ربوبيتها وهذا شرك في توحيد الربوبية وذلك باعتقادهم بقدرة غير الله على الضر والنفع والإعزاز والإذلال والنصر مستقلا عن الله، في مثل قوله تعالى (وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا) [مريم 81]، وقوله عز وجل) وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ([يس: 74]، وقوله تعالى (فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ) [هود: 101]، وقال تعالى (أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ) [الأنبياء: 43]، (ثالثا): الكفار يخوفون الرسل من بطش آلهتهم وهذا يعني اعتقادهم أنها تنفع وتضر استقلالا وهذا واضح لمن تدبره في مثل قوله تعالى (إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ) [هود: 54]، وقوله تعالى (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) [الزمر: 36]، قال البغوي في تفسير الآية:(وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ) " وذلك أنهم خوفوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معرة معاداة الأوثان، وقالوا: لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون " أهـ [تفسير البغوي ج4 ص 69،]، والخلاصة أن المشركين كانوا يعتقدون بأن الآلهة التي عبدوها وآمنوا بها تضر وتنفع وتنتصر وتنتقم وتنصر ولهذا اتخذوها أربابا من دون الله لعلهم ينصرون، (رابعا): اعتقاد المشركين بوجود الشريك الذي له تأثير مستقل في الخلق وتدبير مملكة الله، ولهذا أمر الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إخبار المشركين بالبراءة من الشريك كما في قوله تعالى (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء: 111]، وهذا يعني أن شرك المشركين لا يقتصر على شرك العبادة، ولكن معه شرك الربوبية الي يشمل اعتقاد الشريك في الملك والتدبير، (خامسا): اعتقاد المشركين بوجود الند لله، والند كما جاء في معاجم اللغة هو الضد والشبيه والمثيل الذي له مشاركة في الملك والخلق والتدبير [انظر: تهذيب اللغة ج14 ص 51 و المفردات ص 486]، والمشركون كانوا يعتقدون في أصنامهم ومعبوداتهم أنها أنداد لله، والأدلة من القرآن الكريم على ذلك كثيرة منها: قوله تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ) [ابراهيم (30)

]، وقوله تعالى: (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [فصلت (9)]، وقوله تعالى: (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة (22)]، وقوله تعالى: (أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الشورى: 9]، وقوله تعالى (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [العنكبوت: 41]، (سادسا): المشركون كانوا يساوون بين الله تعالى وبين معبوداتهم في الإلهية، قال تعالى واصفا معتقد المشركين الذي أوداهم إلى النار: {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء|96. 98]، فهذه الآيات . التي تحكي عقيدة المشركين و هي أنّهم جعلوا للّه سبحانه تعالى أنداداً و أنّهم كانوا يسوّون آلهتهم بربّ العالمين في صفات ربوبيته وتدبيره وتصريفه للكون وما فيه، (سادبعا): المشركون كانوا يلهجون بدعاء آلهتم رجاء نصرتها لهم واعزاوها لهم _ إذ لا يعقل في تاريخ البشر أن يدعو أحد أحدا لا يرجوه لتحقيق منفعة أو رد ضر وإلا خرج من دائرة العقلاء _ ورد الله تعالى عليهم اعتقادهم الباطل بقوله تعالى(والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون، أمواتٌ غير أحياءٍ وما يشعرون أيّان يبعثون، إلهكم إلهٌ واحدٌ) (النحل: 20–22) وبقوله عز وجل {فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لمّا جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب) [هود: 101]، ويظهر جليا من هذه الآيات أن مشركي العرب كانوا يتخذون آلهة لهم من دون الله وكانوا يدعونهم عند الشدائد ويستغيثون بهم اعتقادا أن آلهتهم هذه تسمع دعاءهم وتقدر على نصرهم وأنهم شركاء لله في ملكه العظيم، قلت ومن هنا نعلم عدم دقة التعبير بأن المشركين كانوا على توحيد الربوبية،

***

المبحث الثالث

مفاتيح فهم العبودية والمقصود من توحيد العبودية

(تنبيه) التعبير بتوحيد العبودية فيما يتعلق بتوحيد العبودية – بدلا مما اشتهر من كونه توحيد الألوهية – هو الفقه في الدين: لان من الفقه في الدين ملاحظة الفرق في الاصطلاح بين الألوهية وبين العبودية، وذلك لأنّ توحيد الألوهية يشمل جميع معاني التوحيد ويدخل فيه توحيد الأسماء والصفات والأفعال وتوحيد الربوبية وتوحيد العبودية، إذ ليس هناك في الوجود كلمة تصلح للاعتراف بوجود المعبود الحق المستحق لإفراد العبودية له، والاعتراف بوجود الرب الخالق القادر المدبر المتصرف المهيمن، والاعتراف بوجود الإله الذي له الكمال في كل شيء والذي له الجلال في كل شيء والذي له التفرد في كل شيء والذي له الأسماء الحسنى والصفات العلا، والمنزه عن المثيل والند والشريك، وليس هناك في الوجود كلمة تصلح لجميع معاني الكمال في الذات والكمال في الصفات والكمال في الأفعال والكمال في الربوبية بشتى خصائصها والكمال في استحقاق العبودية والتأله، سوى كلمة (الإله)، ولهذا ما كان يصلح لشهادة التوحيد وما كان يجزئ عن شهادة الموحد (لا إله إلا الله) شيء سواها، فلا يمكن أن يحل محلها قولنا (لا رب إلا الله)، ولا قولنا (لا معبود إلا الله)، ولا قولنا (لا قادر ولا عليم ولا سميع ولا بصير إلا الله)، وما ذاك إلا لأنّ، قول المسلم (لا إله إلا الله) يشمل ذلك كله، ويزيد عليه، فتوحيد الألوهية يدخل في معناها لزاماً توحيد الذات تعالى وتقدس، وتوحيد الأسماء الحسنى، وتوحيد الصفات العلى، وتوحيد الأفعال فلا خالق إلا الله، وتوحيد الربوبية فلا رب للكون سواه، وتوحيد العبودية فلا معبود بحق سواه، كل ذلك لله وحده لا إله إلا هو،

[المفتاح الأول]: مفهوم كلمة (العبادة والعبودية): العبودية هي الطاعة مع الخضوع والتذلل والاستسلام والانقياد لمن نعتقده إلها له صفات الربوبية، هذا هو المعنى الحقيقي بضابطه الفقهي للعبودية، فمن صرف مفردات العبادة لمن يعتقده إلها فقد اتخذه معبودا له سواء أكان هذا المعبود هو الله المعبود بحق، أو المعبودات الباطلة من دون الله،

[المفتاح الثاني]: الاعتقاد هو ضابط الفقه في مسائل العبادة: ضوابط الفقه في الدين توجب وجود معنى وراء الطاعة والمحبة والخضوع والتذلل يستقيم له مسمى العبادة، فهذه المعاني قد تصرف للوالدين وتكون من أعظم البر بهما ولا يصح تسميتها عبادة قال تعالى

{وَاخْفِضْ لَهُما جناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} [الإسراء:24] ولا يعد التذلل لهما عبادة وكذلك من باب الأولى الطاعة والمحبة، وكذلك فما هو الفرق بين سجود الملائكة لله وسجودهم لآدم، الهيئة واحدة هي هيئة السجود (وهي أقوى هيئة تدل على التذلل والخضوع)، الفعل واحد هو السجود، والنية تختلف الاول بنية العبودية لله والثاني بنية طاعة الله تكريما لآدم، ومثال آخر يبين الفرق بين سجود نبي الله يعقوب لله وسجوده ليوسف عليهما السلام، الاول بنية العبودية لله والثاني تكريما ليوسف وهذا المعنى هو الضابط لفقه العبادة، وعلى ذلك لابد من القول بأنّ الاعتقاد هو ضابط الفقه في مسائل العبادة: فمن صرف مفردة من مفردات العبادة بنية العبودية لغير الله وقع في الشرك الأكبر ومن صرفها بغير نية العبودية لغير الله لم يكن شركا أكبر، وقد وفق علماء الأصول أيما توفيق في جعل ضابط الفقه في مسائل الإيمان والكفر ومسائل التوحيد والشرك هو الاعتقاد وليس مجرد فعل العبادة، ودليل هذه القاعدة الضابطة لفقه مسائل الأسماء والأحكام عامة، قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امري ما نوى)) [أخرجه مسلم]، ولاحظ القصر في الحديث للدلالة على أنه ضابط الحكم على العمل، ألا وهو النية، والنية هي الاعتقاد القلبي، والاعتقاد الضابط للعبودية هو اعتقاد الربوبية والألوهية أو شيئاً من مفرداتهما فيمن تصرف إليه العبادة: فمن صرف الطاعة الممتزجة بالمحبة والذل والخضوع لغير الله معتقدا ربوبيته وألوهيته فهو عابد له من دون الله، ومن صرفها بغير هذا الاعتقاد فلا يصح تسميتها بالعبادة، ويتضح ذلك مع بيان العلاقة بين العبادة وبين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية في القرآن الكريم، فإنّ الآيات الحاثة على عبادة اللّه و المحذرة عن عبادة غيره، تعلل لزوم عبادته سبحانه بالألوهية تارة وبالربوبية أُخرى، و هذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ العبادة من شؤون الإله و الربّ، فلا يستحق العبادة إلا من كانت له صفات الربوبية والألوهية، ولما كان الكون كله بجميع موجوداته ليس له رب سوى الله ولا إله إلا هو كان هو المستحق وحده للعبادة، فمن الآيات الدالة على صرف العبادة لله وحده لأن له صفات الألوهية: قوله تعالى: {يا قَومِ اعْبُدُوا اللّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ} [الاَعراف: 59]، وقد وردت هذه الآية على لسان الانبياء والرسل في مواضع كثيرة من القرآن الكريم في سور الاَعراف و هود والاَنبياء والمؤمنون وطه، ونحن نلاحظ قوله تعالى {ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ} بمنزلة التعليل للأمر بحصر العبادة في اللّه تعالى و معناه: اعبدوا اللّه و لا تعبدوا سواه، و ذلك لاَنّ العبادة من لا تصرف إلا للإله الحق، ولا إله غيره، ومن الآيات الدالة على صرف العبادة لله وحده لأن له صفات الربوبية: قوله تعالى: {وَقالَ الْمَسِيحُ يا بَنِي

إسرائِيلَ اعْبُدُوا اللّه َرَبّي وَ ربَّكُمْ} [المائدة: 72]، وقوله تعالى: {إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمّةً واحِدة وأَنَا ربُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 92]، وقوله تعالى: {إِنَّ اللّهَ ربّي وَربُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقيم} [آل عمران: 51]، وقوله تعالى: {يا أَيُّهَا النّاسُ اعْبُدُوا رَبّكُمُ الّذِي خَلَقَكُمْ وَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} [البقرة: 21]، وقوله تعالى: {ذلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ خالِقُ كُلّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ"} [الأنعام: 102]، فقد علل سبحانه الأمر بعبادة اللّه تعالى في هذه الآيات بصفات الربوبية مما يدل بوضوح على أن ّالعبادة لا تصرف إلا لمن كان رباً له مفردات الخلق والرزق والتدبير والتصريف، وأمّا من كان مجرداً عن هذه المفردات فلا يصلح أن يكون معبوداً، ولا ينبغي أن تصرف إليه العبودية، والمتدبر للقرآن الكريم يجد أن الله سبحانه يذّكر الناس في العديد من الآيات بأنّه الرب الإله الخالق الرازق المحيي المميت، وإنّ الشفاعة له جميعاً، وعلى هذا الأساس فلا تصرف العبادة إلا إليه لأنه الرب المدبر، ولأنّه الإله الحق، أمّا المشركون – وقد تقدم بيان ذلك في فقه توحيد الربوبية – كانوا يعبدون الأصنام، ويزعمون أنّها تملك شيئاً من مفردات الربوبية أقلها الشفاعة اللازمة على الله تعالى – في ظنهم – بما لها من صفات الربوبية والشراكة في الألوهية – فكان القرآن يركز على تجريد تلك الأصنام من أي تدبير أو تصريف في الكون، وأنّ المدبر للكون كله هو الإله الحق، وحده لا شريك له،

[المفتاح الثالث]: خطورة الذهول عن فقه ضابط العبادة (اعتقاد مفردات الربوبية والألوهية أو بعضها للمعبود): نستفيد مما سبق بيانه أن من الفقه في فهم معنى العبادة: أن نعلم أن العبادة لها أصل هو اعتقاد الربوبية والألوهية لمن تصرف له الطاعة المصحوبة بالحب والتذلل والخضوع والخوف والرجاء، وبغير هذا الاعتقاد لا تكون الطاعة عبادة، ولها (للعبادة) صور تتمثل في العديد من هيئات العبادة كالسجود والصلاة والذبح والدعاء وغير ذلك من هيئات العبادة، فمن صرف السجود _ وهو غاية مظاهر التذلل والخضوع _ لغير الله اعتقادا له بالربوبية والألوهية فهو مشرك بالله الشرك الأكبر ومن صرفه بغير اعتقاد الربوبية والألوهية لمن سجد له فلا يكون عبادة ومنه سجود الملائكة لآدم وسجود آل يعقوب ليوسف عليه السلام، هذا وإن كان النهي عن السجود لغير الله تعالى هو الذي جاء به الإسلام، ولكن من سجد بنية التكريم بغير اعتقاد، فلا يكفر عند الفقهاء، ولا يعد مشركاً بالله الشرك الأكبر المخرج من الملة، وإنما هي معصية من المعاصي التي لا يجوز فعلها بحال،

[المفتاح الرابع]: خلاصة الأمر في تعريف العبادة: التعريف الصحيح للعبادة ينبغي أن يشتمل على الضابط الذي يمنع من اتهام المسلم بالشرك الاكبر وهو لم يتخذ مع الله تعالى إلهاً آخر، ويكون التعريف الصحيح للعبادة هو عبارة عن الأفعال والأقوال الظاهرة والباطنة الدالة على الذل والخضوع المقترن باعتقاد الربوبية والألوهية أو شيء من مفرداتهما في حقّ المخضوع له، فكل طاعة تقترن بالاعتقاد تكون عبادة، فمن صرفها لله وحده فهو موحد، وإن صرفها لغير الله تعالى كان مشركاً، والعبادة (أي عبادة)، لها أصل وصورة، فالأصل هو العقيدة الخاصة التي تدفعه إلى عبادة المخضوع له وهي اعتقاد الألوهية والربوبية فيه، والصورة هي الفعل أو القول الدال على الطاعة مع المحبة والخضوع و التذلّل، ومنه يتبين أنّ للعبادة ركن ركين، لا تكون عبادة بدونه ألا وهو العقيدة التي تدفع الإنسان إلى عبادة المعبود، فإن صرفها لله وحده كان عابدا موحدا لله، وإن صرف شيئاً منها لغير الله فقد عبده من دون الله، وأمّا الفعل أو القول كالسجود والذبح والدعاء فهذه مفردات للعبادة وصورٌ لها، فمن صرفها بغير اعتقاد ربوبية وألوهية لمن يصرف إليه فليس من الشرك الأكبر المخرج من الملة، وفعله أو قوله يدور بين الشرك في إطار الملة أو البدعة أو المعصية ولا تستحل محارمه بغير اعتقاد،

***

المبحث الرابع

مفاتيح مهمة تمنع من الغلو في توحيد العبودية

[المفتاح الأول]: الاعتقاد هو ضابط الفقه في مسائل العبادة: فمن صرف مفردة من مفردات العبادة بنية العبودية لغير الله وقع في الشرك الأكبر ومن صرفها بغير نية العبودية لغير الله لم يكن شركا أكبر، وقد وفق علماء الأصول أيما توفيق في جعل ضابط الفقه في مسائل الإيمان والكفر ومسائل التوحيد والشرك هو الاعتقاد وليس مجرد فعل العبادة، ودليل هذه القاعدة الضابطة لفقه مسائل الأسماء والأحكام عامة، قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امري ما نوى)) [أخرجه مسلم]، ولاحظ القصر في الحديث للدلالة على أنه ضابط الحكم على العمل، ألا وهو النية، والنية هي الاعتقاد القلبي،

[المفتاح الثاني]: الاعتقاد الضابط للعبودية هو اعتقاد الربوبية والألوهية أو شيئاً من مفرداتهما فيمن تصرف إليه العبادة: فمن صرف الطاعة الممتزجة بالمحبة والذل والخضوع لغير الله معتقدا ربوبيته وألوهيته فهو عابد له من دون الله، ومن صرفها بغير هذا الاعتقاد فلا يصح تسميتها بالعبادة، ويتضح ذلك مع بيان العلاقة بين العبادة وبين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية في القرآن الكريم، فإنّ الآيات الحاثة على عبادة اللّه و المحذرة عن عبادة غيره، تعلل لزوم عبادته سبحانه بالألوهية تارة وبالربوبية أُخرى، و هذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ العبادة من شؤون الإله و الربّ، فلا يستحق العبادة إلا من كانت له صفات الربوبية والألوهية، ولما كان الكون كله بجميع موجوداته ليس له رب سوى الله ولا إله إلا هو كان هو المستحق وحده للعبادة،

[المفتاح الثالث]: خطورة الذهول عن فقه ضابط العبادة (اعتقاد مفردات الربوبية والألوهية أو بعضها للمعبود): نستفيد مما سبق بيانه أن من الفقه في فهم معنى العبادة: أن نعلم أن العبادة لها أصل هو اعتقاد الربوبية والألوهية لمن تصرف له الطاعة المصحوبة بالحب والتذلل والخضوع والخوف والرجاء، وبغير هذا الاعتقاد لا تكون الطاعة عبادة، ولها (للعبادة) صور تتمثل في العديد من هيئات العبادة كالسجود والصلاة والذبح والدعاء وغير ذلك من هيئات العبادة، فمن صرف السجود _ وهو غاية مظاهر التذلل والخضوع _ لغير الله اعتقادا له بالربوبية والألوهية فهو مشرك بالله الشرك الأكبر ومن صرفه بغير اعتقاد الربوبية والألوهية لمن سجد له فلا يكون عبادة ومنه سجود الملائكة لآدم وسجود آل يعقوب ليوسف

عليه السلام، هذا وإن كان النهي عن السجود لغير الله تعالى هو الذي جاء به الإسلام، ولكن من سجد بنية التكريم بغير اعتقاد، فلا يكفر عند الفقهاء، ولا يعد مشركاً بالله الشرك الأكبر المخرج من الملة، وإنما هي معصية من المعاصي التي لا يجوز فعلها بحال،

[المفتاح الرابع]: في بيان خطورة الذهول عن فقه ضابط العبادة: يقول الشيخ سلامة القضاعي العزامي في كتابه فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان: " إنّ الغلط في تفسير العبادة، المزلقةُ الكبرى والمزلَّة العظمى، التي أُستحِلت بها دماءُ لا تحصى، وانتهكت بها أعراض لا تعد، وتقاطعت فيها أرحام أمر اللّه بها أن توصل، عياذاً باللّه من المزالق والفتن، ولاسيما فتن الشبهات، فاعلم أنّهم فسروا العبادة بالإتيان بأقصى غاية الخضوع، و أرادوا بذلك المعنى اللغوي، أمّا معناها الشرعي فهو أخصّ من هذا كما يظهر للمحقّق الصبّار على البحث من استقراء مواردها في الشرع، فانّه الإتيان بأقصى غاية الخضوع قلباً، باعتقاد ربوبية المخضوع له، فإن انتفى ذلك الاعتقاد لم يكن ما أتى به من الخضوع الظاهري من العبادة شرعاً، في كثير ولا قليل مهما كان المأتي به و لو سجوداً، ومثل اعتقاد الربوبية اعتقاد خصيصة من خصائصها كالاستقلال بالنفع و الضرّ، و كنفوذ المشيئة لا محالة و لو بطريق الشفاعة لعابده عند الربّ الّذي هو أكبر من هذا المعبود، و إنّما كفر المشركون بسجودهم لأوثانهم و دعائهم إيّاهم، وغيرهما من أنواع الخضوع لتحقّق هذا القيد فيهم، و هو اعتقادهم ربوبية ما خضعوا له، أو خاصة من خواصها كما سيأتيك تفصيله لا يصحّ أن يكون السجود لغير اللّه فضلاً عمّا دونه من أنواع الخضوع بدون هذا الاعتقاد، عبادة شرعاً (كسجود الملائكة لآدم)، فانّه حينئذٍ يكون كفراً، وما هو كفر فلا يختلف باختلاف الشرائع، ولا يأمر اللّه عزّ وجلّ به {قُلْ إِنَّ اللّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ} [الاَعراف: 28]، {وَلا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ} [الزمر: 7]، وذلك ظاهر إن شاء اللّه، وها أنت ذا تسمع اللّه تعالى قد قال للملائكة: {اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ ابلْيسَ أَبى وَ اسْتَكْبَرَ} [البقرة: 34]، و قال: {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ} [الاَعراف: 12]، وقال: {ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً} [الإسراء: 61]، والقول بأنّ آدم كان قبلة قول لا يرضاه التحقيق ويرفضه التدقيق في فهم الآيات كما ينبغي أن تفهم، فإن تعسّر عليك فهم هذا وهو ليس بعسير إن شاء اللّه تعالى، فانظر إلى نفسك فانّه قد يقضي عليك أدبك مع أبيك و احترامك له أن لا تسمح لنفسك بالجلوس أو الاضطجاع بين يديه، فتقف أو تقعد ساعة أو فوقها، و لا يكون ذلك منك عبادة له، لماذا لأنه لم يقارن هذا الفعل منك اعتقاد شيء من خصائص الربوبية فيه، و تقف في الصلاة قدر الفاتحة و تجلس فيها قدر التشهد و هو قدر دقيقة أو دقيقتين فيكون

ذلك منك عبادة لمن صلّيتَ له، و سرّ ذلك هو أنّ هذا الخضوع الممثّل في قيامك و قعودك يقارنه اعتقادك الربوبية لمن خضعتَ له عزّ وجل، وتدعو رئيسك في عمل من الاَعمال أو أميرك أن ينصرك على باغ عليك أو يغنيك من أزمة نزلت بك و أنت معتقد فيه انّه لا يستقل بجلب نفع أو دفع ضر، و لكن اللّه جعله سبباً في مجرى العادة يقضي على يديه من ذلك ما يشاء فضلاً منه سبحانه، فلا يكون ذلك منك عبادة لهذا المدعوّ، و أنت على ما وصفنا، فإن دعوتَه و أنت تعتقد فيه أنّه مستقل بالنفع، أو الضرّ، أو نافذ المشيئة مع اللّه لا محالة، كنت له بذلك الدعاء عابداً، و بهذه العبادة أشركته مع اللّه عزّ وجلّ، لأنك قد اعتقدت فيه خصيصة من خصائص الربوبية، فانّ الاستقلال بالجلب أو الدفع و نفوذ المشيئة لا محالة هو من خصائص الربوبية، والمشركون إنّما كفروا بسجودهم لأصنامهم و نحوه لاعتقادهم فيها الاستقلال بالنفع، أو الضرّ ونفوذ مشيئتهم لامحالة مع اللّه تعالى، و لو على سبيل الشفاعة عنده، فانّهم يعتبرونه الربّ الاَكبر و لمعبوداتهم ربوبية دون ربوبيته، و بمقتضى ما لهم من الربوبية وجب لهم نفوذ المشيئة معه لا محالة، ويدل لما قلنا آيات كثيرة كقوله تعالى: {أَمَّنْ هذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُركُمْ مِنْ دُونِ الرَّحمنِ إِنِ الْكافِرونَ إِلاّ في غُرُورٍ} [الملك:20]، وقوله: {أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَ لا هُمْ مِنّا يَصْحَبُونَ} [الاَنبياء: 43]، والاستفهام في الآيتين إنكاري على سبيل التوبيخ لهم على ما اعتقدوه، وحكى اللّه عن قوم هود قولهم له – عليه السلام–: {إِنْ نَقُولُ إِلاّ اعْتَراكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ"} [هود: 54}، وقوله لهم: {فَكِيدُوني جَميعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ * إِنّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبّي وَ رَبِّكُمْ،، } [هود: 55، 56]، و كقوله تعالى – موبخاً لهم يوم القيامة على ما اعتقدوه لها من الاستقلال بالنفع ووجوب نفوذ مشيئتها –: {أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أو يَنْتَصِرُونَ} [الشعراء: 92، 93]، وقولهم وهم في النار يختصمون يخاطبون من اعتقدوا فيهم الربوبية و خصائصها: {تَاللّهِ إِنْ كُنّا لَفِي ضَلالٍ مُبينٍ * إِذْ نُسَوّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمينَ} [الشعراء: 97، 98] فانظر إلى هذه التسوية التي اعترفوا بها حيث يصدق الكذوب، ويندم المجرم حين لا ينفعه ندم، فانّ التسوية المذكورة إن كانت في إثبات شيء من صفات الربوبية فهو المطلوب، و من هذه الحيثية شركهم و كفرهم، لاَنّ صفاته تعالى تجب لها الوحدانية بمعنى عدم وجود نظير لها في سواه عزّ وجلّ، وإن كانت التسوية في استحقاقها للعبادة فهو يستلزم اعتقاد الاشتراك فيما به الاستحقاق، وهو صفات الاَلوهية أو بعضها، وإن كانت في العبادة نفسها فهي لا تكون من العاقل إلاّ لمن يعتقد استحقاقه لها كربّ العالمين، تعالى اللّه عمّا يشركون،

وكيف يُنفى عنهم اعتقاد الربوبية بآلهتهم وقد اتّخذوها أنداداً و أحبوها كحبّ اللّه كما قال تعالى فيهم: {وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّهِ أَنْداداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ} [البقرة: 165]، والآنداد جمع (ند) وهو على ما قاله أهل التفسير واللغة: المثل المساوي، فهذا ينادي عليهم انّهم اعتقدوا فيها ضرباً من المساواة للحقّ تعالى عمّا يقولون، " أهـ [فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان: 111 _ 114]،

[المفتاح الخامس]: خطأ تصور البعض لفقه العبادة وضابطها: قال عبد الرحمن المكي الهاشمي في كتابه السلفية المعاصرة شبهات وردود – وهو يصف خطأ تصور البعض لفقه العبادة وضابطها " لما رأى القوم أنّ المشركين كانوا يتقربون لآلهتهم بالذبح والنذر والدعاء والاستعانة والاستشفاع والسجود والتعظيم ... الخ تخيَّلوا أنّ مجرد إتيانهم هذه الأمور لذاتها هو العبادة، وأنّ كل عمل يصلح للتعبد به لا يقع إلا عبادة إن وقعت لله فهي التوحيد، وإن وقعت لغيره فهي الشرك، ويرى السواد الأعظم من علماء المسلمين خطأ هذا المفهوم، وأن المشركين كانوا يأتون تلك الأعمال بنية العبادة لمن اعتقدوا فيهم شيئاً من صفات الربوبية أو خصائصها كتأثير بقدرة كن أو استقلال بالنفع والضّر والإعطاء والمنع أو نفوذ شفاعة عليه تعالى بمقتضى شراكته له في الربوبيه ونحو ذلك، وقد بينت آيات كثيرة أنّ هذا كان هو اعتقادهم في آلهتهم فحكى الله تعالى قول المشركين لهود عليه السلام: {إن نقولُ ألاَّ اعتَراك بعضُ ءالِهتِنَا بسوءٍ}، وقال تعالى: {قلِ اُدْعواْ شُرَكَآءَكُم ثُمَّ كِيدون فلا تنظرونِ}، وقال تعالى: {أَمن هذا الذِي هُو جُند لَّكم ينصُرُكُم مِّن دون الرحمن إن الكافرون إلاَّ في غرورٍ}، وعجز الآية {إنِ الكافرونَ إلاَّ في غرورٍ} يكشف أنّ اعتقادهم كان أنّ آلهتهم تنصرهم ثم انكشف يوم القيامة أنهم كانوا مغرورين، وقال تعالى: {وقيلَ ادعُوا شُركاءَكم فَدَعَوْهُم فلم يستجيبواْ لَهُمْ}، وقال تعالى: {وَمَا نرى مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ الذين زَعَمْتم أنهم فِيكُمْ شُرَكآءؤاْ}، وغير ذلك آيات كثيرة لا يتسع لذكرها المجال مما يدل على إشراك المشركين معبوداتهم في بعض خصائصه تعالى، فلما اعتقدوا لآلهتهم تلك الخصائص زاولوا تلك الأعمال لهم بنية عبادتهم، ومما يومئ إلى أنّ دعاء المشركين لآلهتهم كان مصحوباً باعتقاد صفات الربوبية فيهم من ضر ونفع استقلالاً قوله تعالى: {قُلِ ادعُوا الذين زعمتم من دونهِ فِلاَ يَمْلِكُون كَشْفَ الضُّرِ عَنكُمْ ولا تَحْوِيلاً}، ولو كان مجرد إتيان العمل الذي يصلح للتعبد به _ من دون اقتران نية العبادة لمن يعتقده رباً – هو الشرك إن وقع لغيره تعالى لما جاء بعض تلك الأعمال مأموراً به لغيره تعالى لأن الله تعالى لا يأمر عباده بالشرك ولا يرضى به ولا يأمر بالفحشاء، فالسجود مثلاً " وهو أقرب إلى

التذلل من سواه " لو كان مجرد إتيانه هو العبادة أو الشرك لما أمر الله به لآدم ولما حلّ في شريعة قط كالسجود ليوسف على وجه التحية والتكريم، فلما جاء السجود صالحاً لأن يكون سجود عبادة وشرك، وأن لا يكون سجود عبادة وشرك تبين أن إتيان أي عمل ليس عبادة لذاته ولا شركاً في نفسه إلا أن يجتمع مع إتيانه نية العبادة به لمن يعتقد فيه شيئاً من صفات الربوبية أو خصائصها، والتعظيم مثلاً لو كان مجرد إتيانه هو العبادة أو الشرك لما فرَّق بين تعظيم وتعظيم، فمنه ما هو كفر ومنه ما هو حرام كسجود التحية في شريعتنا، ومنه ما هو مكروه كالتمثيل قياماً بين يدي السلطان، ومنه ما هو مأمور به كتعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيم شعائر الله وتعظيم البيت بالطواف به والوقوف للدعاء عند الحجر وباب الكعبة والملتزم، وتعظيم الحجر الأسود بتقبيله ومس الركن اليماني والصلاة خلف المقام، فما جاء التعظيم صالحاً لأن يكون تعظيم عبادة وشرك وأن لا يكون تعظيم عبادة وشرك تبين أنّ مجرد التعظيم لشيء ليس عبادة له شرعاً حتى يجتمع الإتيان به نية العبادة لمن تعتقد فيه شيئاً من صفات الربوبية أو خصائصها، وحين يؤمر به لغير الله من غير أن تقترن به نية العبادة لغيره تعالى خرج عن كونه شركاً لأن فقدان نية العبادة فيه صرفته عن اعتباره عبادة لغير الله، ونية الامتثال صرفته إلى أنه عبادة للآمر وقربى إليه فالنية على هذا هي الحد الفاصل بين الحكم على العمل بأنه عبادة أو لا يدخل في مسماها، ولما رأى القوم أن من العمل أنّ القول لغير الله ما لا يعتبر شركاً، وأن ليس كل داع لأحد أو مستنجد به أو مستعين به يعتبر شركاً، فتشوا عن ضوابط لما يصل إلى درجة الشرك وما لا يصل إليه، فأجازوا من ذلك مما كان لحي حاضر فيما يقدر عليه، ومنعوا من ذلك ما كان لغائب أو ميت، ولا معنى لبناء الجواز والمنع على ما يقدر عليه وما لا يقدر عليه لأنه لا يعتقد أنّ العبد يخلق أفعال نفسه إلا المعتزلة ومن قلَّدهم، أما أهل السنة فحين يدعون أحداً أو يستنجدون به أو يستعينون به حياً كان أو ميتاً، حاضراً أو غائباً يعتقدون أنه لا يقدر على شيء ولا استقلال له بنفع أو ضر وإنما هو سبب من الأسباب يسخره الله، وطلب سليمان من اتباعه عرش بلقيس هو مما لا يدخل عادة تحت قدرة العبد ومع ذلك طلبه، ولا معنى كذلك لبناء الجواز والمنع على الحياة والموت لأن المعنى الذي أجيزت به الاستغاثة مثلاً بالاحياء هو أنهم سامعون قادرون على الدعاء وغيره وذلك موجود على أتم وجوهه في عامة موتى المسلمين فضلاً عن خاصتهم إذ صحت الأحاديث بحياتهم ولوازمها من السمع والبصر والكلام والسلام والتزاور والقدرة على دعائهم للأحياء لا سيما لقرابتهم وزوارهم، وفي كتاب "الروح" لابن القيم فصول فحواها "أنه

قد تواتر بأنّ لأهل القبور قدرة على التصّرف والترائي للأحياء "، وإذ تبين فساد ضوابطهم في الجواز والمنع تبين أنّ الضابط الصحيح للتفرقة بين الجواز والمنع هو أنه كان العمل أو القول لمن لا يعتقده رباً فليس من العبادة في شيء، أما إن وقع بنية العبادة لمن يعتقد ربوبيته واستقلاله بالنفع والضر وقبول شفاعته بحكم شراكته في الربوبية فذلك الذي يعتبر عبادة إن صرف الله وشركاً إن صُرف لغيره لا فرق في ذلك بين حاضر وغائب ولا ميت وحي ولا في الحياة الدنيا ولا في الآخرة ولا يوم القيامة، وما خلا عن نية العبادة لا يقال أنه عبادة لغير الله إلا أن يكون الشارع قد جعل نفس العمل كفراً كالسجود للصنم يكفر فاعله ولو لم تعرف نيته لأنّ ذلك إمارة على اعتقاد ربوبيته ومظنة للشرك، وبهذا البيان تعلم أنّ مسمى العبادة شرعاً لا يدخل فيه شيء مما يفعله السواد الأعظم من المسلمين من توسل واستغاثة وغيرهما، فعدُّ ذلك من الشرك المخرج عن الملة إنما يجر إليه الجهل بمعنى الشرك والعبادة) أهـ [السلفية المعاصرة ص 36، 37]

[المفتاح السادس]: التعريف الضابط لفهم توحيد العبادة: إنّ التعريف الصحيح الضابط لفهم توحيد العبادة هو إفراد الله تعالى باعتقاد الربوبية والألوهية، وافراد الله تعالى بأفعال العبد من سائر مفردات العبادة من صلاة وصيام ودعاء وذبح، ومن سائر أعمال القلوب كالتوكل والاستعانة واليقين، وقد شاب تعريف (العبادة) قصور عند بعض العلماء، ومن ذلك قول ابن تيمية رحمه الله في تعريف العبادة: (العبادة اسم جامع لكلّ ما يحبّه اللّه و يرضاه من الأقوال والأعمال الباطنية والظاهرية كالصلاة والزكاة والصيام، والحجّ، و صدق الحديث و أداء الأمانة، و برّ الوالدين و صلة الأرحام) [كتاب العبودية ص 38]، وهذا التعريف إن كان يُقصد به تعريف العبادات، فهو تعريف صحيح، أما إن كان القصد منه تعريف العبادة فهو تعريفٌ فيه قصور شديد لأنّه لم يبين الضابط الذي يفرق العبادة عن غيرها من الاعمال التي قد تشابه العبادة في الصورة ولكنها ليس المقصد منها العبادة، وقد مر بنا مثال السجود لآدم عليه السلام، وأنّه لم يكن عبادة لأنّه خلا منه الاعتقاد بربوبية وألوهية المسجود له، والمقصود أن ليس كل ما صرف لغير الله تعالى مما يشبه العبادة يكون شركاً بالله تعالى حتى يصاحبه اعتقاد ربوبية وألوهية من يصرف إليه العبادة، فإن خلا من الاعتقاد كان شيئاً آخر غير الشرك بالله،

[المفتاح السابع]: التعريف الضابط لفهم معنى الشرك الأكبر المناقض لتوحيد الألوهية: إنّ الشرك الأكبر المنافي لتوحيد العبودية هو اتخاذ إلها مع الله، قال تعالى: {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ } [النحل: 51]، أو هو اتخاذ آلهة مع الله، كما حكى القرآن الكريم عن كفار قريش: {{أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ} [ص: 5، 6]، أو **هو صرف العبادة إلى غير الله مع اعتقاد وجود نوع من شراكته مع الله في شيء من مفردات الربوبية أو الألوهية، كأن يعتقد فيه نوع من التدبير والتصريف باستقلال عن الله، أو شفاعة ملزمة على الله، أو استحقاق أن يعبد من دون الله، فمن صرف السجود لمن يعتقد شراكته مع الله في صفات الربوبية أو الالوهية فقد أشرك في عبوديته لله تعالى، وأتى بالشرك الأكبر الذي لا يغفره الله لمن مات مصراً عليه، وعلى ذلك فالضابط الأوحد في مسألة العبادة هو الاعتقاد القلبي، أما العمل العبادي المجرد عن الاعتقاد، فلا يكون فعله لغير الله عبادة أبدا، وفي قصة سجود الملائكة لآدم أكبر دليل على ذلك، وكذلك إلا لما جاز ان يسجد نبي الله يعقوب وبنيه ليوسف عليهم السلام،**

[المفتاح الثامن]: الفقه في مفهوم مفردات العبادة التي من صرفها لغير الله تعالى كان مشركاً الشرك الأكبر: ذكرنا أنّ العبادة لها أصل هو اعتقاد الربوبية والألوهية لمن تصرف له الطاعة المصحوبة بالحب والتذلل والخضوع والخوف والرجاء، وبغير هذا الاعتقادي لا تكون الطاعة عبادة من صرفها لغير الله تعالى كان مشركاً الشرك الأكبر، والعبادة لها صور ومفردات تتمثل في العديد من هيئات العبادة كالسجود والصلاة والذبح والدعاء وغير ذلك من هيئات العبادة، ولكل مفردة من هذه العبادات ركنان: الركن الأول: الاعتقاد أو ما يسميه العلماء القصد والنية للعبادة، والركن الثاني: العمل العبادي الدال على الطاعة والانقياد، فمن صرف العبادة بركنيها إلى غير الله صار مشركا الشرك الأكبر بالله وخرج من دين الإسلام إلى الكفر، ومن صرف العمل أو القول العبادي بغير اعتقاد ربوبية وألوهية لمن يصرف إليه فليس من الشرك الأكبر المخرج من الملة وفعله أو قوله يدور بين الشرك في إطار الملة أو البدعة أو المعصية ولا تستحل محارمه بغير اعتقاد،

[المفتاح التاسع]: الفقه في مفهوم (السجود) ومتى يكون صرفه لغير الله تعالى

الشرك الأكبر: من صرف السجود _ وهو غاية مظاهر التذلل والخضوع _ لغير الله اعتقادا له بالربوبية والألوهية فهو مشرك بالله الشرك الأكبر ومن صرفه بغير اعتقاد الربوبية والألوهية لمن سجد له – كأن فعله تكريماً أو تعظيماً فلا يكون عبادة، وقد مر بنا سجود الملائكة لآدم عليه السلام، ولو كان شركاً لما أمر الله تعالى به فإنّ الله تعالى لا يأمر بما هو شرك، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء: 48]، ومر بنا أنّ إخوة نبي الله يوسف عليه السلام خروا له سجدا، وكان ذلك جائز في شريعتهم ولو كان شركاً لما جاز في أي شريعة ربانية، قال الطبري: (وكان سجود الملائكة تكرمة لآدم وطاعة لله لا عبادة لآدم كما حدثنا به بشر.. عن قتادة قوله (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ) فكانت الطاعة لله والسجدة لآدم، أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته) أهـ [تفسير الطبري ج1 ص 327]، وقال القرطبي: (واختلف الناس في كيفية سجود الملائكة لآدم بعد اتفاقهم على أنه لم يكن سجود عبادة، فقال الجمهور: كان هذا أمرا للملائكة بوضع الجباه على الأرض كالسجود المعتاد في الصلاة) أهـ [الجامع لأحكام القرآن ج1 ص 276– 278]، وقال ابن كثير: (قال بعض الناس: كان هذا سجود تحية وسلام وإكراما قال تعالى {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا.. }، وقد كان هذا مشروعا في الأمم الماضية ولكنه نسخ في ملتنا) أهـ [تفسير ابن كثير ج1 ص 81]، وقد أخرج ابن ماجة في سننه: (أنّه لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ما هذا يا معاذ؟ قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فلا تفعلوا،) [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني،]، والحديث يدل على أن السجود بغير نية العبادة لا يكون كفراً بمجرده وإلا لبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم حكمه لمعاذ رضي الله عنه، وفقهاء أهل السنة متفقون على التفصيل في مسألة السجود تبعاً للنية، ومن ذلك قول الشوكاني في السيل الجرار: (اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار.. فلا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشر لا سيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام، ولا اعتبار بصدور فعل كفري لم يرد به فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملة الكفر، وأما قوله (ومنها السجود لغير الله) فلا بد من تقييده بأن يكون سجوده هذا قاصداً لربوبية من سجد له، فإنه بهذا السجود قد أشرك بالله عز

وجل وأثبت معه إلهاً آخر، وأما إذا لم يقصد إلا مجرد التعظيم كما يقع كثيراً لمن دخل على ملوك الأعاجم أنه يقبل الأرض تعظيماً له، فليس هذا من الكفر في شيء، وقد علم كل من كان من الأعلام أن التكفير بالإلزام من أعظم مزالق الأقدام فمن أراد المخاطرة بدينه فعلى نفسه جنى) أهـ،

[المفتاح العاشر]: الفقه في مفهوم (الدعاء) ومتى يكون صرفه لغير الله تعالى الشرك الأكبر:

ما قيل في السجود يقال مثله في الدعاء، وفقهاء أهل السنة متفقون على التفصيل في مسألة الدعاء تبعاً للعقيدة، فمن دعا من يعتقد فيه صفات الربوبية أو بعضها فهذا من الشرك الاكبر، ومن دعا بنية التوسل إلى الله تعالى بدعاء من يدعوه، فهذا باب آخر من أبواب الفقه موجود في أحكام التوسل، إلا أنّه ليس من باب الشرك واتخاذ آلهة من دون الله، كما أنّه ليس كل دعاء عبادة، فهناك الدعاء بمعنى النداء، كما في قوله تعالى: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} [القصص: 25]، وقوله تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا} [نوح: 5]، هذا أمر، والأمر الثاني أنّه ليس كل دعاء مسأله يكون دعاء عبادة، لأنّ دعاء العبادة من شرطه أن يدعو الداعي وهو يعتقد بألوهية وربوبية المستعان به على اجابة الدعاء، كأن يعتقد قدرته المستقلة على اجابة الدعاء، أو قدرته الذاتية على افادة الداعي من دون الله، ولأجل هذا المعنى كان دعاء عبدة الأصنام عبادة لاعتقادهم بألُوهيتها، كما قال تعالى: {فَما أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الّتي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ مِنْ شَيْءٍ} [هود: 101]، وقوله تعالى: {إِنَّ الّذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ} [الأعراف: 194]، وقوله تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلاً * أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ} [الإسراء: 56، 57] وقوله تعالى: {وَ لا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ} [يونس: 106]، فهذا هو الدعاء المساوي للعبادة، والذي صرفه لغير الله تعالى يكون شركاً بالله، لأنه مصاحب لاعتقاد ألوهية وربوبية المستعان به على اجابة الدعاء، فلو كان الداعي يعتقد فيمن يدعوه أحد صفات الربوبية والألوهية كالتصريف والتدبير من دون الله، فهذا الدعاء عبادة، وإن كان يتوسل به إلى الله فهذا توسل له حكم التوسل، وسيأتي بين حكم التوسل بتفصيل في كتاب التجديد في التوحيد، أما التفريق بين الحي والميت في الدعاء، فهو ضعيف فقهياً، ولا ينضبط بضابط صحيح، لانّ الخلاف موجود، في اعتبار الميت جماد لا يسمع أم هو حي حياة خاصة به، ولا تمنع من سماعه للحي، بأدلة عديدة من السنّة، مثل حديث ((أهل قليب بدر)) في الصحيح، وحديث:

((سماع الميت لقرع النعال))، وحديث ((السلام على الأموات عند الزيارة)) وغيرها كثير، فهذه أدلة قوية على سماع الاموات للأحياء، وأما الاستدلال بقوله تعالى {وما أنت بمسمع من في القبور} على أنه نفي لسماع الأموات للأحياء فليس المقصود ذلك، بل المقصود سمع إجابة وإيمان لا مجرد السمع الحسي لأنّ سياق الآيات في بيان أنّ الكافر لا يستجيب لدعوة الإسلام كما لا يستطيع الميت أن يستجيب لدعوة الإسلام، كما أنّ التفريق في الدعاء بين ما يقدر المرء عليه وما لا يقدر عليه، فهو ضعيف أيضاً، وليس له ضابط عام، وذلك لأنّ كل شيء يتم في اعتقاد كل مسلم بقدرة الله، فلا علاقة لقدرة المخلوق بالأمر، وأما الضابط الذي تنضبط له كل أطراف المسالة، هو ربط الدعاء بالاعتقاد، فمن يدعو الحي أو الميت، الضعيف أو القوي، ويناديه وهو يعتقد أنّه متصرف بالأمر استقلالاً أو أنّه شريك لله تعالى فهذا شرك أكبر يناقض توحيد الألوهية، ومن يدعو الميت ويناديه على أنه وسيلة إلى الله لا حول لها ولا قوة إلا بالله، يتقرب إلى الله تعالى بصلاحه، فهذا ليس بشرك ولا يناقض التوحيد، وإنما هو خلاف فقهي بين طوائف أهل السنة والجماعة، والخلاف الفقهي لا ينشأ عنه تبديع ولا تفسيق،

[المفتاح الحادي عشر]: الفقه في مفهوم (الذبح) ومتى يكون صرفه لغير الله تعالى الشرك الأكبر

: ما قيل في السجود يقال مثله في الذبح، وفقهاء أهل السنة متفقون على التفصيل في مسألة الذبح تبعاً للعقيدة، فمن ذبح لمن يعتقد فيه صفات الربوبية أو بعضها فهذا من الشرك الاكبر، ومن ذبح بنية الإكرام أو الاحترام، أو بغير نية التعبد واعتقاد ربوبية المذبوح له، فهذا من المحرمات ولكن لا يدخل في باب الشرك الاكبر، قال النووي: (قال الرافعي : واعلم أن الذبح للمعبود وباسمه نازل منزلة السجود، وكل واحد منهما من أنواع التعظيم والعبادة المخصوصة بالله تعالى الذي هو المستحق للعبادة، فمن ذبح لغيره من حيوان أو جماد كالصنم على وجه التعظيم والعبادة لم تحل ذبيحته، وكان فعله كفرا، كمن يسجد لغير الله تعالى سجدة عبادة، وكذا لو ذبح له أو لغيره على هذا الوجه، فأما إذا ذبح لغيره لا على هذا الوجه بأن ضحى أو ذبح للكعبة تعظيما لها لكونها بيت الله تعالى أو لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لكونه رسول الله فهو لا يجوز أن يمنع حل الذبيحة) أهـ [المجموع ج 8 ص 302]،

[المفتاح الثاني عشر]: الفقه في مفهوم (النذر) ومتى يكون صرفه لغير الله تعالى الشرك الأكبر

: ما قيل في السجود يقال مثله في النذر، فمن نذر لمن يعتقد فيه الربوبية

وصفاتها، فهذه عبادة صرفها لغير الله تعالى شرك أكبر، وفقهاء أهل السنة متفقون على التفصيل في مسألة، قال في (البحر الرائق): (وأما النذر الذي ينذره أكثر العوام.. إن ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى واعتقاده ذلك كفر اللهم إلا إن قال يا الله إني نذرت لك إن شفيت مريضي أو رددت غائبي أو قضيت حاجتي أن أطعم الفقراء، فيجوز بهذا الاعتبار) أهـ [البحر الرائق، ج 2 ص 320 -321]

[المفتاح الثالث عشر]: الفقه في مفهوم (الشفاعة) ومتى يكون اعتقادها لغير الله تعالى الشرك الأكبر: ما قيل في مفردات العبادة يُقال مثله في الشفاعة، فمن اعتقد لاحد شفاعةً الزاماً على الله تعالى بما للشافع من شراكة توجب له الشفاعة، فهذا من الشرك الأكبر، أما من اعتقد أنها تفضلٍ من الله تعالى لمن شاء من الصالحين من عباده، فهذه عقيدة أهل الإسلام، وهي ثابتة بفضل الله تعالى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، السجود يقال مثله في الذبح، وفقهاء أهل السنة متفقون على التفصيل في مسألة الشفاعة تبعاً للعقيدة، فمن صرفها لمن يعتقد فيه صفات الربوبية أو بعضها كالشراكة في التدبير أو الشفاعة للازمة على الله تعالى، فهذا الشرك الاكبر، والآيات التي تثبت الشفاعة تستثني من شاء الله تعالى، كقوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ} [طه: 109]، وقوله تعالى: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} [البقرة: 255]، قال القاضي عياض: (مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها بصريح قوله تعالى: {لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ}، وقوله تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى}، وأمثالها، وبخبر الصادق سمعا، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحتها في الآخرة لمذنبي المؤمنين وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها وتأولت الأحاديث الواردة فيها، واعتصموا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار واحتجوا بقوله {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} وبقوله: {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ}، وهذه الآيات في الكفار، وتأولوا أحاديث الشفاعة في زيادة الدرجات وإجزال الثواب، وألفاظ الأحاديث التي في الكتاب وغيره تدل على خلاف ما ذهبوا إليه، وأنها في المذنبين وفي إخراج من استوجب) أهـ [إكمال المعلم ج1 ص 565]،

[المفتاح الرابع عشر]: الفقه في مفهوم (الاستعانة) ومتى يكون اعتقادها لغير الله تعالى الشرك الأكبر: ما قيل في مفردات العبادة يُقال مثله في الاستعانة، فمن استعان

بمن يظن به صفات الربوبية والالوهية أو بعضها، فقد أشرك الشرك الاكبر المناقض لتوحيد الألوهية، ومن استعان بمن يظن فيه النفع بإذن الله تعالى وحده، فهذا لا علاقة له بمعاني التوحيد والشرك، وذلك لأنّ كل مسلم لابد له أن يستعين بالأسباب التي جعلها الله تعالى بمثابة القوانين الضابطة للحياة، فمن طلب المال استعان عليه بالعمل، وهو يعلم أنّ الرزق بيد الله تعالى، ومن طلب الولد استعان عليه بالزواج، وهو يعلم أنّ الولد بيد الله يهب لمن يشاء، ويجعل من يشاء عقيما، وهكذا، وقد جعل الإسلام الأخذ بالأسباب من أركان التوكل الصحيح على الله، وهو لا ينافي افراد الله تعالى بالاستعانة كما في قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5]، فالآية قصر للاستعانة بالله وحده، والقصد على وجه الاستقلال، فإنه لا يملك التدبير والتصريف إلا هو، وكما علمنا القرآن الكريم توحيد الاستعانة بالله تعالى، فقد علمنا الأخذ بالأسباب ومنها الاستعانة بالصبر والصلاة، كما في قوله تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} [البقرة: 45]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153} [البقرة: 153]، وضابط الاستعانة، أنّ من اعتقد أنّ أحداً له تأثير مستقل من دون الله فهذا شرك الاستعانة، ومن اعتقد أنّ الأمر كله بيد الله وحده لا شريك له، وليس لأحد معه أمر ولا تأثير، فلا بأس أن يأخذ بأسباب التوفيق والقبول والقربى من الله، والخلاصة أنّ الرب الناصر القادر هو الله وحده، ولكنّه ـ مع ذلك أقام هذا الكون على سلسلة من الأَسباب والعلل التي تعمل بقدرته وأمره، والأخذ بهذه الأسباب مع تعلق القلب بالله وحده هو عين التوكل على الله، وبعد فهذا هو الضابط العام لمفردات العبادات التي ينبغي أن لا تصرف إلا لله وحده، فصرفها لغير الله تعالى بنية العبادة لذلك الغير كفر وشرك بالله، وإن خلت من النية والاعتقاد، فهي وفق حكمها الشرعي فقد تكون شرك دون شرك وقد تكون كبيرة من الكبائر، وقد تكون جائزة كالاستعانة بالأسباب مع ربط القلب بخالق الأسباب،

***

المبحث الخامس

مفاتيح العلم في باب العلم بالشرك ونواقض التوحيد

[المفتاح الأول]: معنى الشرك ومفردات الشرك في عقائد المشركين

(1) معنى الشرك: الشرك هو اتخاذ آلهة مع الله ويشمل الشرك اعتقاد الشريك في ذات الله تعالى أو في أسمائه الحسنى أو في صفاته العلا أو في أفعاله الحكيمة أو في ربوبيته لخلقه أو في استحقاقه وحده للتأله والعبادة،

(2) مفردات الشرك في عقائد المشركين: اعتقاد الشريك في الذات، واعتقاد الشريك في الملك والتدبير، واعتقاد الند لله، واعتقاد المشاركة بين الله وبين معبوداتهم في الربوبية والألوهية، واعتقاد الولد والبنت لله، واعتقاد الشريك في الربوبية ومفرداتها من التصريف والتدبير، واعتقاد القدرة الذاتية لشركائهم على النفع والضر والإعزاز والنصر، واعتقادهم استحقاق معبوداتهم للعبادة من دون الله،

(أ) اعتقاد الشريك في الذات كشرك من جعل مع الله إلهاً آخر، وهذا كقول النصارى إن الله ثالث ثلاثة، وشرك عبّاد الأصنام والكواكب الذين جعلوها مع الله آلهة أخرى، ومن ذلك قوله تعالى – في حق النصارى –: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة: 73]، وقوله تعالى – في حق عباد الشمس والقمر والكواكب –: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [فُصِّلَت: 37]، وقوله تعالى – في حق مشركي العرب –: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ} [ص: 5، 6]،

(ب) اعتقاد الشريك في الملك: كما في قوله تعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء: 111]، وقوله تعالى: { الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: 2]،

(ت) **اعتقاد الند لله:** والند كما جاء في معاجم اللغة هو الضد والشبيه والمثيل الذي له مشاركة في الملك والخلق والتدبير [انظر: تهذيب اللغة ج14 ص 51 و المفردات ص 486]، ويدل عليه قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سبأ: 33]، وقوله تعالى: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} [الزمر: 8]، وقوله تعالى: {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [فصلت: 9]، وقوله تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ} [ابراهيم: 30]،

(ث) **اعتقاد التسوية بين الله وبين معبوداتهم في الربوبية والألوهية:** كما في قوله تعالى: {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: 96 إلى 98]، فهذه الآيات التي تحكي عقيدة المشركين وهي أنّهم كانوا يسوّون آلهتهم بربّ العالمين في صفات الربوبية والألوهية،

(ج) **اعتقاد الولد والبنت لله:** كما في قوله تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} [مريم: 88 إلى 95]، ولأنّه لا يجوز على الله تعالى الولد لأنّ الولد صنو أبيه والله تعالى ليس كمثله شيء، ولذا نجد القرآن الكريم يعالج تلك القضية بقوله تعالى – آمراً رسوله صلى الله عليه وآله وسلم – بقوله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ * سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الزخرف: 81، 82]، فالمعنى أنه لو كان ذلك جائزاً ممكناً حاصلاً فأنا أول المنقادين لأمر الله تعالى المتعبدين بطاعته، ولكنه لا ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً لان ذلك مستحيل في حق الأحد الصمد، ولهذا جاء التسبيح والتنزيه بقوله تعالى: {سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ}، فالولد من الاشياء المستحيلة في حق الله تعالى وتقدس، وقوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [سورة الإخلاص]، وقد نسب النصارى واليهود الولد إلى الله، كما في قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ

أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [التوبة: 30]، وقد نسب مشركو العرب البنت إلى الله تعالى، كما في قوله تعالى: {وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ} [النحل: 57]، وقوله تعالى: {فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ} [الصافات: 149]، وقوله تعالى: {أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ} [الطور: 39]، وقوله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} [النجم: 19 إلى 22]،

(ح) **اعتقاد الشريك في الربوبية ومفرداتها من التصريف والتدبير**: كما في قوله تعالى: {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} [سورة الأنعام: 164]، وقوله تعالى: {وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ} [آل عمران: 64]، وقوله تعالى: {والذين هم بربهم لا يشركون} [المؤمنون: 59]، وقوله تعالى: {وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا} [آل عمران: 80] وقوله تعالى: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ} [التوبة: 31]، وقوله تعالى: {أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [يوسف: 39]،

(خ) **اعتقاد القدرة الذاتية على النفع والضر والإعزاز والنصر**: كما في قوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [مريم: 81]، وقوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ} [يس: 74]، وقوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ} [الأنبياء: 43]وقوله تعالى: {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ} [هود: 101]، والمعنى أنّهم كانوا يدعونهم ويعبدونهم وهم ينتظرون أن يغنوا عنهم من الاله شيئا، وقد كان الكفار يخوفون الرسل من بطش آلهتهم وهذا يعني اعتقادهم أنها تنفع وتضر استقلالا وهذا واضح لمن تدبره في مثل قوله تعالى: {إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ} [هود: 54]، وقوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: 36] قال البغوي في تفسير الآية: {وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ}: " وذلك أنهم خوفوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معرة معاداة الأوثان، وقالوا: لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون " أهـ [تفسير البغوي ج4 ص 69،]، والخلاصة أن المشركين كانوا يعتقدون بأن الآلهة التي عبدوها وآمنوا بها تضر وتنفع وتنتصر وتنتقم وتنصر ولهذا اتخذوها أربابا من دون الله لعلهم ينصرون،

(د) **اتخاذهم أولياء ينصرونهم من دون الله**: كما في قوله تعالى: {أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الشورى: 9]، وقوله تعالى: {مَثَلُ

الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 41]، وقوله تعالى: {وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [النساء: 173]، وقوله تعالى: {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [الانعام: 14]،

(ذ) **اعتقادهم استحقاق معبوداتهم للعبادة من دون الله:** كما في قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 64]، و قوله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الْأَنْبياء: 25]، وقوله تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36]، و وقوله تعالى {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: 31]،

[المفتاح الثاني]: أنواع الشرك وأحكام كل نوع: الشرك أنواع، فمنه الشرك الأكبر، وهو المخرج من الملة، والموجب للخلود الأبدي في النار وهو شرك اعتقاد يوجب اعتقاد شريك مع الله تعالى في ذاته أو اسمائه أو صفاته أو أفعاله أو في ربوبيته أو في ألوهيته أو في هذه الأقسام جميعها، ومنه الشرك الأصغر، وهو شرك العمل بغير اعتقاد الشريك مع الله، ومنه الشرك الخفي وهو تعلق القلب بغير الله تعالى من سائر الأسباب، و **(حكم الشرك الأكبر):** الشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة، وصاحبه مخلد في النار، وهو محبط لجميع الأعمال مبيح للدم والمال، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء: 48]، وقال الله تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزُّمَر: 65]، و **(حكم الشرك الأصغر):** الشرك الأصغر لا يخرج من الملة، لكنه ينقص التوحيد، ولا يخلد صاحبه في النار، بل يعذب بقدر ذنوبه ثم يخرج من النار، وقد يتوب الله عليه فلا يدخل النار، والشرك الأصغر لا يحبط جميع الأعمال، وإنما يحبط العمل الذي خالطه، ولا يبيح الدم والمال كالأكبر، وحكم فاعله حكم عصاة الموحدين، وقد يكون الأصغر أكبراً بحسب ما يقوم في قلب صاحبه، فيجب على المسلم الحذر من الشرك مطلقاً، و **(حكم الشرك الخفي):** سمي بالخفي لأنه أخفى على القلب من دبيب النمل، وتخفى دقائقه على أهل التوحيد، ولهذا لا ينجو منه إلا الأنبياء والمرسلين، ومحاربة هذا النوع من الشرك هو من كمال التوحيد، ومثاله، تعلق القلب بالأسباب، وتعلق

المحبة بالأبناء والأموال، وهكذا، وقد علمنا الرسول الكريم الاستعاذة من هذا الشرك بقوله صلى الله عليه وسلم ((اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم)) [أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (18781)]،

[المفتاح الثالث]: أحكام المشرك – الشرك الأكبر – في الدنيا: المشرك لا يُقبل منه أي عمل مع الشرك، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزُّمَر: 65]، والمشرك لا تحل مناكحته،: قال الله تعالى: {وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [البقرة: 221]، والمشرك حلال الدم والمال: قال الله تعالى: {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة: 5]، والمشرك نجس لا يحل له دخول المسجد الحرام: قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 28]، والمشرك لا يرث المسلم وعكسه،: فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَرِثُ المُسْلِمُ الكَافِرَ وَلا الكَافِرُ المُسْلِمَ»، متفق عليه،، و تحرم ذكاة المشرك، وتسقط ولايته، ويسقط حقه في الحضانة، لأنه كافر، وإذا مات المشرك على الشرك فإنه لا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه، ولا يدعى له بالرحمة، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يورث، لأنه كافر،

[المفتاح الرابع]: أحكام المشرك – الشرك الأكبر – في الآخرة: إذا مات المشرك على الشرك فإن الله لا يغفر له، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا [48]} [النساء: 48]، وإذا مات المشرك على الشرك فإنها تحرم عليه الجنة تحريماً مؤبداً، قال الله تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: 72]، وإذا مات المشرك على الشرك فمأواه جهنم خالداً فيها أبداً، قال الله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ} [التوبة: 68]، وقال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ} [البقرة: 161، 162]، وَعَنْ عَبْدِالله بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

عَن النّبِيّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ الله نِدّاً دَخَلَ النَّارَ»، متفق عليه،

[المفتاح الخامس]: ضابط الشرك الأكبر المحبط للعمل

(1) الشرك قسمان: أكبر يتعلق بالقلب والاعتقاد، وأصغر يتعلق بالعمل والجوارح، وهذا من أعظم الفقه في دين الله تعالى ومن الموازين الربانية لضبط مسائل وأحكام الشرك، وإلا دخلت الأمة في فوضى التشريك والتكفير واستحلال دماء وأموال وحرمات أهل القبلة، واتهام أهل الجهل والبدعة بالشرك الأكبر المخرج من الملة والعياذ بالله،

(2) شرك العبادة الأكبر شرك اعتقاد: ويتناول اعتقاد استحقاق غير الله تعالى للعبادة والنسك، أو استحقاق غير الله تعالى للحكم والتشريع، أو استحقاق غير الله تعالى للطاعة والاتباع، أو استحقاق غير الله تعالى للولاء والبراء، فمن اعتقد أنّ غير الله تعالى يستحق العبادة ومفرداتها من صلاة وسجود وركوع وخشوع وعبادات القلب من خوف ورجاء ورهبة ورغبة، ومن اعتقد أنّ غير الله تعالى يستحق الحكم والتشريع فيحرم ويحلل كيفما أراد لا يسأل عما يحكم أو يأمر به مهما خالف دين الله تعالى، ومن اعتقد أنّ غير الله تعالى يستحق الطاعة المطلقة في كل ما يأمر أو ينهى ولو خالف شرع الله، وعلى ذلك فمناط الشرك الأكبر هو صرف تلك العبادات والطاعات لغير الله وهو يعتقد ألوهية من يصرف إليه العبادة، كما أنّ مناط الشرك الأكبر في مسألة الموالاة والمعاداة: هو موالاة الكافرين الموالاة القلبية الاعتقادية على الدين أو المعاداة القلبية الاعتقادية على الدين، فموالاة الكافرين لا تبلغ بصاحبها نقض التوحيد، والبلوغ بالردّة والكفر الأكبر حتى تكون موالاة قلبية متعلقة بكفرهم ودينهم، فمن والى الكفّار وشايعهم على الدُنيا لرحم أو حاجة وعقده سليم وقلبه سليم فهذا كفر في إطار الملة ولا يبلغ بصاحبه الكفر الأكبر المخرج من الملة، وإذا وجد في المسلمين من يوالي الكافرين بنوع من أنواع الولاء ثم أعلن بلسانه أنّ عقده سليم وقلبه سليم وأنه بريء منهم ومن كفرهم وأنه ما والاهم إلاّ مداراة أو مصادفة لرحم عندهم أو حاجة أو مصلحة فهذا لا تبلغ به الموالاة إلى الكفر الأكبر لسلامة قلبه وعقده وموالاته كفر في إطار الملة وصاحب الكفر دون الكفر عموماً على خطر عظيم لقربه من هاوية الكفر الأكبر، ومعاداة المؤمنين كذلك لا تبلغ بصاحبها الردّة والكفر الأكبر حتى تكون معاداة قلبه متعلقة بإسلامهم وإيمانهم، فمن عادى المؤمنين على دُنيا أو حاجة وعقده سليم وقلبه

سليم فكفره في إطار الملة ولا يبلغ بصاحبه الكفر الأكبر، وعلى ذلك فمناط الشرك الأكبر في مسألة الموالاة والمعاداة: هو موالاة الكافر ظاهراً وباطناً على الكفر و معاداة المؤمن ظاهراً وباطناً على الإسلام، فإذا تخلف هذا الضابط أو أحد شروطه وجوانبه كأن كانت الموالاة ظاهراً دون الباطن أو كانت لدُنيا وليست لدين فهي كفر في إطار الملة وليست كفراً أكبر، وليس بالأمر الهين لفظ الكفر ولا بالأمر السهل أن يوصف المرء بالكفر في إطار الملة فهو أشد وأخطر من الكبائر عامة، والمحرمات كافة لأنه قريب من الكفر الأكبر وصاحبه على خطر عظيم إن لم تتداركه رحمة الله بالتثبيت،

(3) شرك العبادة الأصغر شرك عمل: ويتناول صرف بعض مفردات العبادة إلى غير الله تعالى مع سلامة الاعتقاد، أو الحكم العملي بغير ما انزل الله تعالى مع سلامة الاعتقاد بأن الله تعالى هو وحده الحكم المشرع، أو طاعة غير الله تعالى في معصية الله مع سلامة الاعتقاد بأنّ ما يفعله معصية تغضب الله تعالى لا يستحلها، أو موالاة الكافرين الموالاة العملية لأجل الدنيا، مع سلامة العقد والقلب على الدين، أو معاداة المؤمن ظاهراً على الدنيا، وعقد القلب سليم على موالاة كل مسلم على الدين،

(4) ضابط الشرك في ألوهية الله تعالى: إن الاضطراب الحاصل في تحديد حقيقة الشرك الأكبر في العبادة والألوهية أوقع الكثير من المنتسبين للعلم في اتهام المسلمين بالشرك، بمجرد البدعة التي ظنوها شركاً أكبر، وضابط الشرك في الألوهية يكون باعتقاد استحقاق غير الله تعالى للعبادة، وهو يكون بصرف العبادة أو بعض مفرداتها إلى غير الله بنية العبادة لمن يعتقد ألوهيته، وهذا الضابط هاهنا هام جداً كضابط لمسائل الشرك في الألوهية، فمن صرف العبادة أو مفرده منها كالسجود لغير الله بنية العبادة لمن يعتقد ألوهيته فقد أشرك بالله الشرك الأكبر المخرج من الملة، وأنا هنا أنبه لهذا الضابط، وذلك لأن السجود بنية الإكرام أو التعظيم وليس العبادة لا يكون شركاً أكبر بالله البته، وهذا بحمد الله لا خلاف فيه بين علماء المسلمين المحققين،

(5) قاعدة عظيمة في ضبط مسائل الشرك: الشرك الأكبر اعتقادي والشرك الأصغر عملي: فلا يكون العمل الشركي دالا على الشرك الأكبر إلا باعتقاد ألوهية غير الله واستحقاق غيره للعبادة، وهذا الضابط هو العاصم من التكفير واتهام المسام بالشرك الاكبر المخرج من الملة،

بمعنى أنه كل من يقول أنا لا أعبد إلا الله وما أقوم به ليس عبادة لغير الله، لا يمكن أن يقال له: لا بل أنت مشرك، أنت تعبد غير الله لأننا نحن نعرف معنى العبادة وأنت لم تعرفها، هو مسلم بمجرد اعتقاده بأن العبادة لا تكون إلا لله ولم يقصد غير الله بالأعمال العبادية، وكل مقر بلسانه بكلمة التوحيد مسلم ليس لنا أن تتهمه بالشرك ما دام يأبى الشرك بالله، والاتهام بالشرك أخطر أنواع التكفير والمقر بلسانه بكلمة التوحيد(لا إله إلا الله) مسلم، ليس لنا أن تتهمه بغير ذلك، ما كان مقرا بأن الله هو الخالق المدبر المعبود وحده لا شريك ولا يمكن أن نحكم بكفره إلا إذا أنكر ما هو ضروري من الدين مع انتفاء الشبهة في حقه، وقد ردع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اتهام اي مسلم بالشرك او الكفر، ففي صحيح مسلم: ((إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما)) [صحيح مسلم ج1 ص 79]،

***

المبحث السادس

مفاتيح أخطاء الوهابيين في باب الشرك

[المفتاح الأول]: خطأ المقارنة بين جهل المسلمين وبين شرك المشركين الأصليين

: المسلم يعتقد أنّه لا معبود بحق سوى الله، والمشرك يتخذ من دون الله أندادا وشركاء، والموحد يقر ويعتقد أنّه لا إله إلا الله، والمشرك يعتقد بوجود آلهة مع الله، ويقول: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: 5]، والمسلم يعتقد أنّ: {اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ

يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، والمشرك ينسب إليه الولد والوالد والصاحبة والبنات، والمسلم يوحد الله تعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله، ولا يرى له مثيلاً ولا نظيراً في الأسماء والصفات والأَفعال فهو المتفرّد في أسمائه وصفاته وأفعاله، والمشرك يلحد في أسمائه ويشتق منها أسماء لآلهته، كالعزى من العزيز، ويلحد في صفاته وأفعاله، وينسب إلى آلهته صفات القدرة والنفع والضر والإعزاز والإذلال، ويسوي الأَصنامَ بربّ العالمين كما في قوله تعالى – وهم يتعاتبون في النار –: {**تَاللّه إِنْ كُنّا لَفِي ضَلالٍ مُبين* إِذْ نُسَوّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمين**} [الشعراء: 97، 98]، والموحد يعتقد أنّ الشفاعة لله جميعا، لقوله تعالى: {**قُلْ للّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً**}[الزمر: 44] وأنّ شفاعة الخلائق لا تكون قسراً على الله، وإنما لمن ارتضى، لقوله تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: 28]، والمشرك يعتقد وجود الشافعين إلزاما على الله بما لهم من شراكة – على اعتقادهم الباطل – مع الله، ويدل عليه قوله تعالى: {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ} [الأنعام: 94]، والمسلم يرى أنّ العزّة بيد اللّه سبحانه كما في قوله تعالى: { **فَلِلّهِ الْعِزَّةُ جَميعاً**})فاطر: 10) والمشرك يرى أنّ العزة بيد الأَصنام والأَوثان بدليل قوله تعالى: {**وَاتّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ آلهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً**} [مريم: 81]، والمسلم يرى النصر من عند الله تعالى وحده فهو الناصر وهو المعين، والمشرك يتخذ من دون الله آلهة لعلهم ينصرونه لقوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ} [يس: 74]، والمسلم يقر ويعتقد بنبوة ورسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويقولون (لا إله إلا الله – محمد رسول الله) معتقدين لها، والمشرك لا يؤمن بالرسول، ويقول – كما حكاه عنه القرآن الكريم –: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ * أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ} [ص: 4 إلى 8]، ولذلك لا يصح مقارنة أفعال جهلاء المسلمين ممن يتوسلون إلى الله تعالى بالصالحين من عباده ويفعلون أموراً تنسب إلى الجهل والبدعة ولا تنسب إلى الشرك في حق المسلم بحال، كالطواف حول القبور والتبرك بالصخور، وذلك لأنّ العقد سليم بأنّه لا إله إلا إله الله وأنّه لا معبود بحق سواه، وتلبسهم بصرف بعض العبادات جهلاً إلى غير الله لا يخول اتهامهم بالشرك الأكبر المخرج من الملة لأنّ ضابط الشرك الأكبر هو صرف العبادة بنية العبادة لمن تعتقد فيه الألوهية والربوبية أو شيء من صورهما، ومنه يتبين خطأ إمام الدعوة

النجدية الشيخ محمد ابن عبدالوهاب عندما قال: (فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين: أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما الشدة فيخلصون لله الدعاء كما قال تعالى: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا}.. الأمر الثاني: إن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة أو يدعون أشجارا أو أحجارا مطيعة لله ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك "[شرح كشف الشبهات ص 100- 103]، ومن المعلوم أن شرك الاولين اعتقادي فهم يأبون الانقياد للإسلام ويأنفون من قول لا إله إلا الله ومن الاعتراف بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وينكرون البعث والنشور فكيف نقارنهم بمن اتى بالشهادتين واعتقدهما وأقر بهما ورضي بالإسلام دينا، وقد أدى هذا الاعتقاد إلى تكفير طائفة عريضة من جهال المسلمين واتهامهم بالشرك الأكبر، واستحلال دمائهم وأموالهم، وما ذاك إلا بسبب عدم تحرير الضابط للتفريق بين الشرك الأكبر والأصغر، وأنّ الأول اعتقادي والثاني عملي، والمسلم لا يشرك الشرك الأكبر إلا باعتقاد آلهة مع الله وأنداد من دون الله يصرفون إليهم العبادة من دون الله، وهذا لا يكون من مسلم أبدا،

[المفتاح الثاني]: الخلط بين عقيدة المسلمين في الشفاعة وعقيدة المشركين في الشفاعة:

(الشفاعة): معتقد صحيح في دين الله ولا علاقة لشفاعة المسلمين بالشرك: هناك فرق أصيل بين عقيدة المسلمين في الشفاعة وعقيدة المشركين في الشفاعة، فالمسلم يعتقد أنّ الشفاعة تكون للصالحين فيما يأذن به الله ويرضاه سبحانه، كما في قوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا} [طه: 109]، وقوله تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: 28]، وقوله تعالى {مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ} [يونس: 3]، واعتقاد الشفاعة بهذه الضوابط لا يمكن أن يكون موجبا مستقلا للوقوع في الشرك الأكبر، بل هو على النقيض من ذلك توحيد وطاعة ووسيلة إلى رضا الله تعالى، أما المشركون فيعتقدون شفاعة آلهتهم ومعبوداتهم إلزاما على الله تعالى بموجب شراكتهم لله تعالى في ملكه وربوبيته وألوهيته، فهذه شفاعة شرك وكفران، ودليل ذلك قوله تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} [الأنعام: 94]، فالمشركون – كما تدل الآية –: {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ} يزعمون أن شفاعة معبوداتهم واجبة بما لها من شراكة مع الله، تعالى الله عما يشركون، ومنه يتبين خطأ من استدل بآية الزمر على اتهام المسلمين بالشرك لاتخاذهم بعض الصالحين شفعاء عند الله، وكما مر بنا شتان بين عقيدة المسلمين في الشفاعة وعقيدة المشركين في الشفاعة، فالمسلم يعتقد أنّ الشفاعة تكون للصالحين فيما يأذن به الله ويرضاه سبحانه، أما المشركون فيعتقدون شفاعة آلهتهم إلزاما على الله تعالى بموجب شراكتهم لله تعالى في ربوبيته وألوهيته،

[المفتاح الثالث]: خطأ اعتقاد أنّ الشفاعة يمكن أن يكون موجبا مستقلا للوقوع في الشرك الأكبر: استدل بعض المتعجلين بالآية: {أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (43) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الزمر: 43، 44] على اعتبار اعتقاد الشفاعة المجردة موجب مستقل للشرك الأكبر، وقد تقدم أنّ هناك فرق بين اعتقاد الشفاعة عتد المسلمين والمشركين، وكذلك فإن اعتقاد المشركين لم يكن بمجرد الشفاعة بمعنى الواسطة ولكن اعتقادهم كان بالشفاعة الجبرية بما لها من شراكة في الملك والتدبير، ومن تدبر آية الأنعام علم ذلك، قال تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} [الأنعام: 94]، فجمع الله تعالى بين اعتقادهم الشفاعة وزعمهم أن لها الشراكة في الربوبية والملك والتدبير {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ}،

[المفتاح الرابع]: خطأ الاستدلال بآية الزمر للتوصل إلى اتهام جهلاء المسلمين بالشرك: قال تعالى {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}[سورة الزمر: 3]، تبدأ الآية بذكر الدين الخالص الذي هو (التوحيد) ويشمل كافة أقسام التوحيد من توحيد الذات والأسماء والصفات والأفعال ويشمل توحيد الربوبية بكافة مفرداتها وتوحيد

الإلوهية بكافة مفرداتها، ثم قال تعالى: {والذين اتخذوا من دونه أولياء}، الولي في اللغة هو الناصر والمعين والمشركون اعتقدوا ذلك في آلهتهم بدليل قوله تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا}[مريم: 81]، فالآية ظاهرة الدلالة في أنهم يعتقدون أنها تحقق لهم العز، وقوله تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ}[يس: 74]، والآية ظاهرة الدلالة في أنهم يعتقدون أنها تحقق لهم النصر، وقوله تعالى {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ}[سورة هود] وهذا معتقد المشركين على مر الأزمان يعتقدون أن أصنامهم تحقق لهم الحماية وأن لها القدرة على إلحاق السوء والضرر بمن يكفر بها ويذكرها بسوء، وعلى ذلك فهم مشركون في الربوبية باعتقاد بعض مفرداتها وصرفها لمعبوداتهم مع الله، {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}، ويستفاد من الآية: أنهم أقروا بعبادة أصنامهم وهو شرك في العبودية والألوهية (ما نعبدهم)، وأنهم زعموا أن عبادتهم للأصنام من أجل أن تقربهم إلى الله، ويستفاد كذلك كذب دعواهم في أنهم ما عبدوها إلا لتقربهم إلى الله زلفى، بدليل رد الله تعالى عليهم بقوله في خاتمة الآية {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}، وكذبهم مفاده أنهم يعبدونها لأنهم يعتقدون أنها تنصرهم وتعزهم وتحميهم وتعتري أعدائها بسوء وضر، وهذا كله من أعظم الشرك بالله، وقوله تعالى: {كَاذِبٌ كَفَّارٌ} صيغة مبالغة من كافر لأنهم كفروا بربوبية الله وألوهيته وكذبوا على الله ورسوله،

[المفتاح الخامس]: خطأ جعلهم ضابط الشرك الأكبر هو مجرد اتخاذ الوسائل والشفعاء والوسطاء

: أخطأ من ظن أن اتخاذ الوسائط المجرد بدون أن يصاحبه اعتقاد ألوهية الوسيط هو الموجب لشرك العبادة الشرك الأكبر المخرج من الملة، وسبب هذا الخطأ هو عدم تحديد الضابط للشرك الأكبر في آيتين من كتاب الله هما: قوله تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: 3]، وقوله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [يونس: 18]، وقد مر بنا بيان الفقه المتعلق بالآية الأولى، وأهم ذلك: أنّ المشركين أقروا بعبادتهم لأصنامهم: {مَا نَعْبُدُهُمْ}، وهذا لا

يقر به مسلم أنه يعبد غير الله، والثاني: نجد أن الله تعالى قد كذبهم في ادعائهم بأن الغرض من عبادتهم هو التقرب إلى الله سبحانه ولهذا ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}، الثالث: ضابط الشرك الأكبر في الآيات هو اعتقاد آلهة مع الله وصرف العبادة لها، أما الآية الثانية فالمتدبر لها يفقه منها أمور ضرورية: الأول: الإقرار بعبادة غير الله {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}، والثاني: اعتقاد شركاء مع الله في ألوهيته {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}، والثالث: تكذيب الله تعالى لهم في ادعائهم بأنهم يتخذون هذه الأصنام مجرد شفعاء لهم عند الله: {قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ}، والرابع: ضابط الشرك الأكبر في الآيات هو اعتقاد آلهة مع الله وصرف العبادة لها، ومما سبق يعلم خطا من جعل ضابط الشرك الأكبر في الآيتين هو مجرد اتخاذ الوسائل والشفعاء والوسطاء، **وهذا كما جاء في كشف الشبهات:** يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (فإن قال (أي المسلم): الكفار يريدون منهم (أي الأصنام) وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر، لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم، فالجواب: أن هذا قول الكفار سواء بسواء، وأقرأ عليه قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)، وقوله تعالى (وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ} [شرح كشف الشبهات ص 85 – 86]، وقال أيضا: (وبعد فهذه أربع قواعد من قواعد الدين يميز بهن المسلم دينه من دين المشركين..، القاعدة الثانية: إن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ما أرادوا من قصدوا إلا قربة وشفاعة ودليل القربة قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} ودليل الشفاعة قوله تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ} [مجموعة التوحيد ص 15]، قلت: يفهم من كلامه أن ما يفعله المسلمون عند أصحاب القبور هو من جنس ما يفعله المشركون عند أصنامهم من عبادتها واعتبارها شفعاء إلى الله وهيهات فالفارق بينهم شديد، فالمسلمون لا يعتقدون أن مع الله آلهة أخرى، ويأنفون من صرف العبادة لغير الله، قد يكون فيهم جهل وبدعة، ولكن أن نتهم بالشرك الأكبر ونستحل دماءهم وأموالهم بذلك، فهذا من الغلو في باب التوحيد والشرك، بما لا يخضع لضابط الفقه الذي يجعل لكل حكم قدرا، ولكل مسألة ضابطا،

[المفتاح السادس]: الخلط بين مفهوم التوسل ومفهوم الشرك بالله وهذا إجرام في حق أمة التوحيد: إذ هناك فارق عظيم بين مفهوم التوسل وبين مفاهيم الشرك بالله:

(أ) التوسل هو التقرب إلى الله، والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود، **قال تعالى:** {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: 35]، والآية عامة في إثبات شرعية التوسل وفضيلته، ولم تتعرض للوسائل الشرعية الجائزة في باب التوسل، **وقال** تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} [الإسراء: 57]، والآية كذلك عامة في إثبات شرعية التوسل وفضيلته، ولم تتعرض كذلك لبيان الوسائل الشرعية الجائزة في باب التوسل، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء: 64]، تصرّح الآية الكريمة بأن التوسل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاستشفاع به إلى الله عز وجل والاستغفار منه لمغفرة المعاصي، مؤثر وموجب للتوبة والرحمة الإلهية، والآية الكريمة مطلقة لم تحدد الاستغفار بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حياته فقط، أو أنها صالحة إلى يوم القيامة، قال المانعون للتوسل بذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الآية تتعلق بحياته دون موته لأنه لا إدراك له بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فكيف يتوسل إلى الله تعالى لمغفرة ذنوبهم، **وقال المجيزون للتوسل** – وهم جمهور الفقهاء (المالكية والشافعية ومتأخرو الحنفية وهو المذهب عند الحنابلة) ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ [الموسوعة الفقهية: مادة وسل]: إن هذه الآية صالحة إلى يوم القيامة سواء في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بعد وفاته، لاسيما وقد جاءت الأدلة التي تدل على إدراك النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قبره لحال أمته – سياتي بيان أدلتهم –، وبالتالي فلا فرق بين حياته وموته، ومن فرق بين حياته وموته صلى الله عليه وآله وسلم فعليه أن يأتي بدليل مقيد للإطلاق الذي عليه الآية الكريمة،

(ب) الخطأ في فهم المقصود من التوسل: ظن البعض أنَّ المقصود من التوسل هو اتخاذ واسطة بين العبد وربه، وأدى هذا الظن إلى خلل في فهم موضوع التوسل، واعتقاد أنه مخالف للتوحيد ويفتح بابا إلى الشرك، وإلى غلو في تقييم بحث التوسل وإلحاقه بباب التوحيد، واعتقاد أن المتوسلين إنما يدعون غير الله، ويتخذونهم وسطاء يقربونهم إلى الله زلفا، وهذا خطأ جسيم وفهم خاطئ لموضوع التوسل، إذ التوسل إنما هو طلب القربى إلى الله تعالى بالوسائل الجائزة شرعاً، وليس من باب اتخاذ واسطة بين العبد وربه أبدا، وهذا هو السر في الخلاف الحاصل بين بعض طوائف أهل السنة والجماعة، فلو حررنا موضع النزاع في فهم التوسل، ونظرنا إلى الوسائل المشروعة للتوسل، فما أجازه الشرع من معاني التوسل أجزناه، وما منعه الشرع من

معاني التوسل منعناه، لا نفتئت على الشرع ولا نتقدم عليه برأي دون دليل، قال الشوكاني رحمه الله – وهو يحاول تصحيح هذا الخطأ –: **(وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل بالأنبياء والصلحاء من نحو** قوله تعالى {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} ونحو قوله تعالى {فلا تدعوا مع الله أحداً} ونحو قوله تعالى {له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء} ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه، فإن قولهم {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} مصرح بأنهم عبدوهم لذلك، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يعبده بل علم أن له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك، وكذلك قوله {ولا تدعوا مع الله أحداً} فإنه نهى عن أن يدعى مع الله غيره كأن يقول بالله وبفلان، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله فإنما وقع منه التوسل عليه بعمل صالح عمله بعض عباده كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم وكذلك قوله {والذين يدعون من دونه} الآية فإن هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه، وإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع خروجاً زائداً على ما ذكرناه كاستدلالهم بقوله تعالى {وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله} فإن هذه الآية الشريفة ليس فيها إلا أنه تعالى المنفرد بالأمر في يوم الدين وأنه ليس لغيره من الأمر شيء، والمتوسل بنبي من الأنبياء أو عالم من العلماء هو لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركة لله جل جلاله في أمر يوم الدين، ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبياً أو غير نبي فهو في ضلال مبين، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله {ليس لك من الأمر شيء} {قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً} فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أمر الله شيء وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فكيف يملك لغيره، وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء أو الأولياء أو العلماء، وقد جعل الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه وقال له سل تعطه واشفع تشفع وقيل ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه ولا تكون إلا لمن ارتضى، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل قوله تعالى {وأنذر عشيرتك الأقربين} يا فلان بن فلان لا أملك لك من الله شيئاً، يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئا ً، فإن هذا ليس فيه إلا التصريح بأنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يستطيع نفع من أراد الله ضره ولا ضر من أراد

الله تعالى نفعه، وأنه لا يملك لأحد من قرابته فضلاً عن غيرهم شيئاً من الله، وهذا معلوم لكل مسلم وليس فيه أنه لا يتوسل به إلى الله فإن ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر والنهي وإنما أراد الطالب أن يقدم بين يدي طلبه ما يكون سبباً للإجابة ممن هو المنفرد بالعطاء والمنع وهو مالك يوم الدين)) أهـ [رسالته الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد]، ويمكن القول بأن الذين يفسرون الشرك بالتعلق والتوسل بغير الله، إنما يصح كلامهم هذا إذا اعتقد الانسان بتأثير الوسائل والاسباب على نحو الاستقلال والاصالة، أما إذا اعتقد بأنها تؤثر بإذن الله فإنه لاشك لا علاقة له بالشرك، لاسيما إذا اتخذ الوسائل المشروعة للقربى من الله،

(ت) تحرير المعنى المقصود من التوسل: التوسل إنما هو طلب القربى إلى الله تعالى بالوسائل الجائزة شرعاً، والمتوسِّلُ المسلم الموحد لا يعبد إلا الله، ولا يرجو سوى الله، ولا يدع إلا الله وحده، فالله وحده – في عقيدة كل مسلم – هو المالك القادر المهيمن، وهو وحده المعطي والمانع، وهو وحده المعز والمذل وهو وحده النافع والضار ولكن المتوسّل اتخذ قربة شرعية جائزة – أجازها الكتاب والسنة – رجاء قبول مبتغاه عند الله، وليس التوسل – أبداً – اتخاذ واسطة بين العبد وربه، كما كان يفعل المشركون بقولهم: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: 3]، فشتان بين مسلم لا يعبد إلا الله، ويستأفف من نسبة عبادته إلى غير الله، ولا يرضى أبداً أن يقال عنه أنه عابد لغير الله، وهو يقر بالقرآن والإسلام وأركان الإيمان، ويشهد بالشهادتين (لا إله إلا الله – محمد رسول الله)، عن يقين واعتقاد، فهل يستوي هذا مع من يستنكف عن التوحيد والإسلام والإيمان، ويزعم أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ساحر كذاب، وقد صور القرآن الكريم حالهم بقوله تعالى: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ * أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ} [ص: آية 4 إلى آية 8]، فهل من العدل والإنصاف في دين الله تعالى أن نساوي بين توسل المسلم الذي أقر بالتوحيد والإسلام والإيمان، وبين اتخاذ المشرك وسائط إلى الله على زعمه الكاذب الذي كذبه القرآن الكريم، وجعله كاذب كفار حرمه الله تعالى من الهداية، قال تعالى: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: 3]، وعلى ذلك فإن المعنى المقصود من (التوسل) إذا قاله المسلم، هو طلب

القربى إلى الله تعالى بالوسائل الجائزة شرعاً، وليس المقصود به أبداً اتخاذ واسطة بين الله تعالى وبين العبد على غرار ما يفعله المشركون المنكرون لرسالة الإسلام، وفي الباب السابع تفصيل لمسألة التوسل بما يشفي الغليل ويمثل القول الفصل في التوسل ضمن إطار أهل السنة والجماعة إن شاء الله تعالى،

***

المبحث السابع

أخطاء الوهابيين في تقسيم علم التوحيد

[المفتاح الأول]: بيان أخطاء أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تقسيم التوحيد:

جعلوا للتوحيد ثلاثة أقسام هي توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، (العبادة) وتوحيد الأسماء والصفات، ولا مشاحة في التقسيم كما ذكرت ولكن هناك خلل في هذا التقسيم، ويتمثل الخلل في خمسة نقاط رئيسة: **(النقطة الأولى)**: إهمال أهم قسم من أقسام التوحيد ألا وهو توحيد جناب الذات مما آل بهم إلى الوقوع في بدعة التجسيم وإن زعموا غير ذلك، **(النقطة الثانية)**: الخلل في فهم توحيد الربوبية، حتى زعموا أن المشركين زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا على توحيد الربوبية ولم يكونوا كذلك، **(النقطة الثالثة)**: الخلل في فهم توحيد الألوهية (العبودية) فلم يحددوا أركان هذا التوحيد فآل بهم الحال إلى تكفير اهل القبلة واستحلال حرماتهم ودمائهم وأموالهم بغير حق، **(النقطة الرابعة)**: أنهم فرقوا بين الربوبية والألوهية مع أنّه لا يمكن الفصل

بينهما أبدا، بل التلازم بينهما جعل معاني الرب ندخل في معاني الإله، فالرب هو الإله، والإله هو الرب، والرب هو المعبود والمعبود هو الرب، **و (النقطة الخامسة):** الخلل في فهم توحيد الأسماء والصفات، مما أدى بهم إلى الوقوع في بدعة الحشو على حساب التقديس وأدى بهم إلى الغلو في التبديع وتبديع طوائف أهل السنة والجماعة القائمين على ثغور العقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية،

(النقطة الأولى من نقاط الخلل في تقسيم التوحيد): إهمال أهم قسم من أقسام التوحيد ألا وهو توحيد جناب الذات: مما آل بهم إلى الوقوع في بدعة التجسيم وإن زعموا غير ذلك، لقد أهملت الوهابية قسم توحيد الذات بكامله من تقسيمات علم التوحيد فوقعوا في بدع التجسيم والتكييف وإن لم يشعروا بذلك، **(توحيد الذات): وهو علم التقديس والتنزيه:** وهو أعظم أقسام التوحيد،، وهو حجر الزاوية في تجديد التوحيد ووحدة أهل التوحيد، والمقصود من (توحيد الذات) هو اعتقاد الكمال المطلق لله تعالى في ذاته، والتنزيه لجناب ذاته عن كل نقص، وهذا يستلزم تنزيه ذات الله تعالى عن مشابهة ذوات الخلائق لأنها موصوفة بالنقص من كل جهة، ولما كانت العبادة لا تصحّ إلاّ بعد معرفة المعبود، ومعرفة المعبود سبحانه تستلزم أول ما تستلزم توحيد وتقديس ذات المعبود سبحانه، لذا فإنّ أهم أقسام التوحيد توحيد الذات، وقد حجب الله تعالى عن الخلق كنه ذاته ليس كمثله شيء ولم يكن له كفوا أحد، لذلك فإن (توحيد الذات) لا معنى له إلا تقديس الذات وهو يتمثل في تنزيه ذات الله تعالى عن كل مثيل أو ند أو شريك والاعتراف والإقرار بالعجز والقصور عن معرفة الذات والتوقف عن التفكير في تكييف ذات الله تعالى، وإنما المقصود من هذا الباب _ بعد الاعتراف بالعجز عن تمثيل الذات وتكييف وجودها _ هو تصفية الاعتقاد عن كل شائبة تشبيه أو تمثيل أو تكييف فلا يبق في القلب والعقل إلا التنزيه المحض والتقديس الخالص لله تعالى، إنّ جميع أقسام التوحيد إنما تؤول إليه، فتوحيد الأسماء المقصود به توحيد أسماء ذات الله تعالى إذ الاسم للمسمى، والمسمى هو ذات الله، وتوحيد الصفات المقصود منه توحيد صفات الذات إذ تعود جميع الصفات إلى الذات الذي يتصف بهذه الصفات، كما أنّ توحيد الأفعال المقصود به بيان قدرة الذات على الأفعال، وأنه لا يكون في ملك الله تعالى سوى أفعال الله تعالى، فالأفعال تعود بالضرورة إلى أفعال الذات، وتوحيد الربوبية ما هو إلا توحيد الذات المستحقة للربوبية على العالمين، وتوحيد الألوهية ما هو إلا اعتقاد استحقاق ذات الله تعالى للعبادة وحده، وصرف العبادات جميعها لذات الله وحده لا شريك له، وعلى ذلك فتوحيد الذات أصل لكل أقسام التوحيد، وجميع أقسام التوحيد إنما يعود

في نهاية المطاف إلى توحيد الذات، ومن هنا كان توحيد الذات هو أهم وأشرف أقسام التوحيد، كما أنّه أساس التوحيد الذي هو حق الله تعالى على العبيد، وإنّ الذهول عن اضافة قسم توحيد الذات إلى أقسام التوحيد، سيؤدي ولا شك إلى خلل في فهم التوحيد والإحاطة بجوانبه، إذ توحيد الذات هو قسم التقديس الذي يعد مفخرة عقائد المسلمين الموحدين المقدسين، والذهول عن هذا القسم (قسم توحيد الذات) يؤدي إلى قصور واضح جلي في الإلمام بما يجب وما يجوز وما يستحيل في ذات الله تعالى، ولذلك فـإن من أعظم الخطر أن يتصدى أحد للحديث عن الله تعالى وعن صفاته وأفعاله، دون أن يكون له إلمام بهذا العلم الذي يمنع من الخلل عند الحديث عن جناب الذات الإلهي، أو أن يتصدى للحديث عن أهل السنّة والجماعة وإطارها العقائدي والفرق الضالة عنها في العقيدة، وهو لا يعرف قواعد هذا العلم الراسخ، والطامة المهلكة عندما يتصدر أحدهم لإصدار أحكام التبديع والتضليل للطوائف والفرق الإسلامية وهو يجهل هذا العلم، فيفتي ويبدع ويضلل بغير علم ولا فقه ولا هدى وهو يحسب أنه من المهتدين، فحرام على من يجهل قواعد هذا العلم أن يتصدر للتبديع والتضليل في باب العقيدة، لأنّ قواعد التقديس والتنزيه هي مبادئ الفقه في العقيدة، والفقه في التوحيد والتقديس، وهذا هو الفقه الذي لا يصح لأحد أن يتكلم في علم الإلهيات إلا وهو ملم به،

(النقطة الثانية من نقاط الخلل في تقسيم الوهابية للتوحيد): الخلل في فهم توحيد الربوبية، حتى زعموا أن المشركين زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا على توحيد الربوبية ولم يكونوا كذلك، لقد اعتقد هؤلاء أنّ مجرد اعتراف المشركين بأنّ الله خالقهم ورازقهم أنّهم هكذا على توحيد الربوبية، وهذا خطأ، لأنّ تخصيص الربوبية بالخالقية قصور في فهم معاني الربوبية التي تشمل كل خصائص الربوبية والإلهية وهي الصفات التي من أجلها استحق الرب أن يكون معبودا من خلق العالم وتدبيره وتصريفه وحق التشريع والغنى المطلق عن غيره، فـ (الربوبية): مصطلح واسع من أوسع مصطلحات الإلهيات، يحمل معاني الخلق والإيجاد والامداد لكافة الوجود بمن فيه وما فيه، والله تعالى هو رب العالمين، و (الربوبية) تحمل كل معاني التربية من التنشئة والرعاية والتعهد والاستصلاح ثم كل معاني الملك والتصرف والتدبير والتصريف ثم كل معاني العلو والسيادة والحكم والأمر ثم كل معاني الهيمنة من العز والذل والنفع والضر فمن ذلك كله تنشأ معاني الربوبية، ولا تصح الربوبية إلا بإفراد الله تعالى بها، و **(توحيد الربوبية)** مصطلح شامل يحمل اعتقاد افراد الرب تعالى بكل معاني الربوبية، لا يصح مصطلح توحيد الربوبية إلا باعتقادها جميعا، **لقد ظن الوهابية أن البشرية كلها على**

توحيد الربوبية وان المشكلة تكمن في توحيد العبودية وهذا من القصور في فهم معاني توحيد الربوبية خاصة والتوحيد بصورة عامة، فإنّ المشركون كانوا معترفين ببعض مفردات الربوبية ولم يكونوا على توحيد الربوبية، **فقد كانوا على إيمان ببعض مفردات الربوبية** كالخلق والرزق، **وكفر بالبعض الآخر** كالبعث والنشور والانفراد بتدبير الأمور، **وكذلك كانوا يشركون أصنامهم مع الله ويعتقدون أن لها تدبيرا مستقلا في الكون وأنها تحفظهم وترزقهم وتنصرهم وتشفع لهم عند رب السماء والأرض شفاعة جبرية على الله** بما لها من صفات الإلهية والربوبية في اعتقادهم، وهؤلاء لا يمكن بحال وصفهم بتوحيد الربوبية لأنهم أشركوها لأصنامهم مع الله، كما لا يمكن بحال وصفهم بتوحيد الإلهية إن عبدوا الله وأشركوا معه غيره من معبوداتهم الباطلة، والمشركون في كل زمان وفي زمان الرسول كانوا على الشرك في الربوبية كما كانوا على الشرك في الإلهية، وذلك لأنهم ظنوا في آلهتهم التي عبدوها من دون الله النفع والضر والعز من دون الله، قال تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [مريم: 81]، وقال تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ} [يس: 74]، (إذن) المشركون كانوا يعتقدون بأن الآلهة التي عبدوها وآمنوا بها تضر وتنفع وتنتصر وتنتقم وتنصر ولهذا اتخذوها أربابا من دون الله لعلهم ينصرون، **ونستفيد منه أنّ المشركين لم يكونوا على توحيد الربوبية أبداً**، وأنّ من ظنّ أنهم كانوا على توحيدها لم يكن على صواب في ذلك، استدل الوهابيون بقوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} [العنكبوت] و وقال تعالى {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} [الزخرف] وقال تعالى {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [يونس]، **وعند تدبر هذه الآيات** التي تتحدث عن حال الكفار والمشركين نجد فيها إقرار بخالقية الله وتدبيره للكون ولكنه ليس بتوحيد الربوبية، لأنهم يعتقدون بوجود آلهة صغيرة تشارك الله في تدبير شئون الكون فالمشركون يقرون بأن الله هو الخالق والمدبر لكن لا على أنه الأوحد في ذلك بل هو الخالق والمدبر الأكبر باعتبار أن الله كبير الأرباب والآلهة في عقيدتهم، ولكن معه أرباب وآلهة آخرون لهم دخل في بعض شئون الخلق والتدبير، ولذلك كثيرا ما يعترض القرآن عليهم الحاجة لاختلاق أرباب متفرقين {أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف]،

(النقطة الثالثة من نقاط الخلل في تقسيم الوهابية للتوحيد): الخلل في فهم توحيد الألوهية (العبودية) فلم يحددوا أركان هذا التوحيد ولم يفرقوا بين أصله وصوره فآل بهم الحال إلى تكفير اهل القبلة واستحلال حرماتهم ودمائهم وأموالهم بغير حق، وأصل (العبودية) هو الطاعة مع الخضوع والتذلل والاستسلام والانقياد لمن نعتقده إلها له صفات الربوبية، هذا هو المعنى الحقيقي بضابطه الفقهي للعبودية، فمن صرف مفردات العبادة لمن يعتقده إلها فقد اتخذه معبودا له سواء أكان هذا المعبود هو الله المعبود بحق، أو المعبودات الباطلة من دون الله، إنّ الاعتقاد هو ضابط الفقه في مسائل العبادة، ضوابط الفقه في الدين توجب وجود معنى وراء الطاعة والمحبة والخضوع والتذلل يستقيم له مسمى العبادة، فهذه المعاني قد تصرف للوالدين وتكون من أعظم البر بهما ولا يصح تسميتها عبادة قال تعالى {وَاخْفِضْ لَهُما جناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} [الإسراء: 24] ولا يعد التذلل لهما عبادة وكذلك من باب الأولى الطاعة والمحبة، وكذلك فما هو الفرق بين سجود الملائكة لله وسجودهم لآدم، الهيئة واحدة هي هيئة السجود (وهي أقوى هيئة تدل على التذلل والخضوع)، الفعل واحد هو السجود، والنية تختلف الاول بنية العبودية لله والثاني بنية طاعة الله تكريما لآدم، ومثال آخر يبين الفرق بين سجود نبي الله يعقوب لله وسجوده ليوسف عليهما السلام، الاول بنية العبودية لله والثاني تكريما ليوسف وهذا المعنى هو الضابط لفقه العبادة، **(إذن) لابد من القول بأنّ الاعتقاد هو ضابط الفقه في مسائل العبادة**، إنّ من الفقه في فهم معنى العبادة: أن نعلم أن العبادة لها أصل هو اعتقاد الربوبية والألوهية لمن تصرف له الطاعة المصحوبة بالحب والتذلل والخضوع والخوف والرجاء، وبغير هذا الاعتقاد لا تكون الطاعة عبادة، **و (للعبادة) صور تتمثل في العديد من هيئات العبادة** كالسجود والصلاة والذبح والدعاء وغير ذلك من هيئات العبادة، فمن صرف السجود _ وهو غاية مظاهر التذلل والخضوع _ لغير الله اعتقادا له بالربوبية والألوهية فهو مشرك بالله الشرك الأكبر ومن صرفه بغير اعتقاد الربوبية والألوهية لمن سجد له فلا يكون عبادة ومنه سجود الملائكة لآدم وسجود آل يعقوب ليوسف عليه السلام، هذا وإن كان النهي عن السجود لغير الله تعالى هو الذي جاء به الإسلام، ولكن من سجد بنية التكريم بغير اعتقاد، فلا يكفر عند الفقهاء، ولا يعد مشركاً بالله الشرك الأكبر المخرج من الملة، وإنما هي معصية من المعاصي التي لا يجوز فعلها بحال، **إنّ الذهول عن ضابط العبادة (اعتقاد مفردات الربوبية والألوهية أو بعضها للمعبود) آل بالوهابية إلى تكفير أهل القبلة واتهامهم بالشرك** لمظاهر شركية تنم عن الجهل عند بعض المسلمين وليس الشرك واستحلوا بها دماءهم وأموالهم، **وأهم**

الأسس وركائز التي تُعين على فهم توحيد العبودية فهما صحيحا: (أ) التفريق بين أصل العبادة وهو اعتقاد الإلهية والربوبية واستحقاق العبودية لمن تصرف له العبادة وبين صور العبادة من السجود والدعاء وغيره، **(ب)** الاعتقاد هو ضابط الحكم في مسائل العبادة: فمن صرف مفردة من مفردات العبادة بنية العبودية لغير الله وقع في الشرك الأكبر ومن صرفها بغير نية العبودية لغير الله لم يكن شركا أكبر، **(ت)** الاعتقاد الضابط للعبودية هو اعتقاد الربوبية والألوهية أو شيئاً من مفرداتهما فيمن تصرف إليه العبادة، العبادة لها أصل هو اعتقاد الربوبية والألوهية لمن تصرف له الطاعة المصحوبة بالحب والتذلل والخضوع والخوف والرجاء، وبغير هذا الاعتقادي لا تكون الطاعة عبادة من صرفها لغير الله تعالى كان مشركاً الشرك الأكبر، والعبادة لها صور ومفردات تتمثل في العديد من هيئات العبادة كالسجود والصلاة والذبح والدعاء وغير ذلك من هيئات العبادة، **(ث)** لكل مفردة من هذه العبادات ركنان: الركن الأول: الاعتقاد أو ما يسميه العلماء القصد والنية للعبادة، والركن الثاني: العمل العبادي الدال على الطاعة والانقياد، فمن صرف العبادة بركنيها إلى غير الله صار مشركا الشرك الأكبر بالله وخرج من دين الإسلام إلى الكفر، ومن صرف العمل أو القول العبادي بغير اعتقاد ربوبية وألوهية لمن يصرف إليه فليس من الشرك الأكبر المخرج من الملة وفعله أو قوله يدور بين الشرك في إطار الملة أو البدعة أو المعصية ولا تستحل محارمه بغير اعتقاد، **(ج)** كمثال (السجود) ومتى يكون صرفه لغير الله تعالى الشرك الأكبر: من صرف السجود _ وهو غاية مظاهر التذلل والخضوع _ لغير الله اعتقادا له بالربوبية والألوهية فهو مشرك بالله الشرك الأكبر ومن صرفه بغير اعتقاد الربوبية والألوهية لمن سجد له – كأن فعله تكريماً أو تعظيماً فلا يكون عبادة، وقد مر بنا سجود الملائكة لآدم عليه السلام، ولو كان شركاً لما أمر الله تعالى به فإنّ الله تعالى لا يأمر بما هو شرك، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء: 48]، ومر بنا أنّ إخوة نبي الله يوسف عليه السلام خروا له سجدا، وكان ذلك جائز في شريعتهم ولو كان شركاً لما جاز في أي شريعة ربانية، **(ح)** **والتعريف الصحيح الضابط لفهم توحيد العبادة**: هو إفراد الله تعالى باعتقاد الربوبية والألوهية واستحقاق العبودية وحده، وافراد الله تعالى بأفعال العبد من سائر مفردات العبادة من صلاة وصيام ودعاء وذبح، ومن سائر أعمال القلوب كالتوكل والاستعانة واليقين، وقد مر بنا مثال السجود لآدم عليه السلام، وأنّه لم يكن عبادة لأنّه خلا منه الاعتقاد بربوبية وألوهية المسجود له، والمقصود أن ليس كل ما صرف لغير الله تعالى مما يشبه العبادة يكون شركاً

بالله تعالى حتى يصاحبه اعتقاد ربوبية وألوهية من يصرف إليه العبادة، فإن خلا من الاعتقاد كان شيئاً آخر غير الشرك بالله، **(خ)** تعريف (الشرك الأكبر المنافي لتوحيد العبودية) الصحيح: هو صرف العبادة إلى غير الله مع اعتقاد وجود نوع من شراكته مع الله في شيء الربوبية أو الألوهية، كأن يعتقد فيه نوع من التدبير والتصريف باستقلال عن الله، أو شفاعة ملزمة على الله، أو استحقاق أن يعبد من دون الله، فمن صرف السجود لمن يعتقد شراكته مع الله في صفات الربوبية أو الالوهية فقد أشرك في عبوديته لله تعالى، وأتى بالشرك الأكبر الذي لا يغفره الله لمن مات مصراً عليه،

(النقطة الرابعة من نقاط الخلل في تقسيم التوحيد): أنهم فرقوا بين الربوبية والألوهية مع أنّه لا يمكن الفصل بينهما أبدا، بل التلازم بينهما جعل معاني الرب ندخل في معاني الإله، فالرب هو الإله، والإله هو الرب، والرب هو المعبود والمعبود هو الرب، فمن أقر بأن الرب سبحانه لا يوجد معه رب سواه فلن يعبد غيره، ولن يتخذ إلها سواه، **ولهذا جاء الحديث بانّ كل ميت سواء اكان مسلما ام كافرا سيسأل في قبره ثلاثة أسئلة**، من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟ فلا فرق بين قول من ربك وقول من إلهك لأنهما متلازمان، **وتوحيد الإلهية متفرع عن توحيد الربوبية وملازم له**، فالناس إنما يعبدون من يعتقدون فيه الربوبية سواء اعتقدوا فيه ربوبية مطلقة، وهذا ما أثبته المسلمون لله تعالى، إنّ الآيات الدالة على التلازم بين معاني الربوبية ومعاني الألوهية في القرآن الكريم: كثيرة جدا لان الرب هو الإله، والإله هو الرب، والرب هو المعبود والمعبود هو الرب، فمن أقر بأن الرب سبحانه لا يوجد معه رب سواه فلن يعبد غيره، ولن يتخذ إلها سواه، **ومن أمثلة هذا التلازم: قوله تعالى:** {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 64]، فالكلمة السواء كلمة التوحيد تشمل توحيد الألوهية (ألا نعبد إلا الله) وتوحيد الربوبية (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) الرب هو الإله والإله هو الرب، وقوله تعالى: {وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 80]، فالمعنى آلهة يعبدون من دون الله، لأنّ الرب هو الإله والإله هو الرب، **وفي قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام**، قال تعالى: {قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [الأنبياء: 53 إلى 56]، فالرب هو المعبود والمعبود هو الرب لا انفكاك في ذلك،

وفي ذكر محاجة سيدنا موسى لفرعون قال الله تعالى: {قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ} [الشعراء: 26 إلى 29]، فالرب هو الإله ولا فرق في ذلك، وفي قصة سيدنا يوسف عليه السلام: {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [يوسف: 39] والمعنى أألهة متعددون خير أم الله الواحد القهار، فالرب هو الإله والإله هو الرب، **وفي القرآن الكريم حكاية عن فرعون:** {فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} [النازعات: 24] هنا ادّعى فرعون الربوبية، وفي آية أخرى يدّعي الألوهية: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص: 38]، فلا تناقض لأنّ الرب هو الإله والإله هو الرب، **فمن ادّعى الربوبية فقد ادّعى الألوهية**، ومن ادّعى الألوهية فقد ادّعى الربوبية، ولا فرق بينهما في إفادة هذا المعنى، وفي السنّة كذلك، ففي صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وآله وسلم (ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا)، فالرب هو الإله وإلا لكان الأولى (من رضي بالله إلها) لأنّ الإلهية ثمرة الربوبية، وفي سنن أبي داود حديث الملكين فيسألانه (مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟)، والمعنى من إلهك الذي تعبد،

(النقطة الخامسة من نقاط الخلل في تقسيم التوحيد): الخلل في فهم توحيد الأسماء والصفات، فإنّ ما سماه أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب توحيد الأسماء والصفات هو التشبيه والتجسيم عند جماهير العلماء الراسخين في العلم، لقد بين الله تعالى في كتابه الكريم أنه تعالى خلق الأشياء وخصصها بماهي عليه من قدر معين في أحجامها وأجزائها وشكلها ومكانها وزمانها وصفاتها وغير ذلك من خصائص المادة والجسم، **قال تعالى:** {جعل الله لكل شيء قدرا}، **وقال تعالى:** {وإن من شيء إلاّ عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم} فهذه الآيات تعطيك أن كل مقدر بقدر محدود هو مخلوق، وتجعل ذلك التقدير سمة من سمات حدوثه، وبرهانا على كونه مخلوقا، وأن موجده ومخصصه بقدرة الذي هو عليه هو الله تعالى **فمحال أن يكون الوصف الذي يحتج به على الحدوث والمخلوقية وصفا لله تعالى في ذاته أو صفاته** أو أن يوصف تعالى بما هو من خصائص الأجسام ولوازمها كالتركيب والأجزاء والصورة والشكل والمكان والجهة والقرب والبعد والصعود والنزول والحركة والسكون، فاحتج الله على خلق الإنسان بتركيبه وصورته إذ قال: {في أي صورة ما شاء ركبك}، **وإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام الذي قال فيه ربه سبحانه:** {وتلك حجتنا ءاتيناها إبراهيم على قومه}، احتج على قومه لإبطال ألوهية الكواكب بحركتها ونقلتها لدلالتها على حدوث المتحرك ومخلوقيته وخص

هذا النوع من الحركة لأنه أظهر للمخاطبين في الاستدلال على المقصود، فيتعالى عن الجسمية ولوازمها: كالتركيب والأجزاء والصورة والمكان والجهة والقرب والبعد والحركة والسكون، **وقد قال تعالى:** {ليسَ كَمِثْلِهِ شيء وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}، هذه الآيةُ، إما أن يكون المراد {ليس كمثله شيء} في ماهية جناب الذات، أو أن يكون المراد ليس كمثله شيء في الصفات، ونفي المثلية التامة من كل جهة في الصفات غير صحيح، لان الله تعالى وصف نفسه في الآية بالسميع البصير، ووصف الإنسان أيضا بالسميع البصير، قال تعالى: {فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [الإنسان: 2]، **فدلت الآية: {ليسَ كَمِثْلِهِ شيء وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}**، على أن نفي المثلية من كل جهة إنما هو في جناب الذات، وليس الصفات، فيكون المعنى أن شيئا من الذوات لا يساوي الله تعالى في الذاتية، يمكن أن تكون هناك مثلية في بعض معاني الصفات، ولكن النفي المطلق للمثلية إنما هو في جناب الذات، **ولذلك فإن هذه الآية تقضي على كل أوهام اهل الحشو**، فأهل الحشو يتمسكون بما يوحي بشكل الذات، ولذلك يلوكون ألسنتهم بذكر الوجه والعين واليد والأصابع والانامل لأنها في الحقيقة أجزاء من ذات وليست صفات، فإن كان له وجه ويد وعين على الحقيقة المستعملة من لغة العرب كانت أجزاء من ذات، والله له الأحدية المطلقة التي تمنع من قبول الانقسام والأجزاء والابعاض، فهذا هو الفرق بين العلم والسمع والبصر وبين الوجه والعين واليد، واهل الحشو يلوكون بذكر الاستواء والنزول والمكان والزمان والحد وكلها تتعلق بشكل الذات، وتكييف الذات، ولذلك قال علماء الأصول: يجب تقديس الله عن كل معاني المثلية، وأن كل ما أوهم المثلية لجناب الذات فهو متشابه يجب رده إلى محكمه، والاستواء استواء صفات الربوبية من التدبير والتصريف والتسخير قال تعالى: {ثم استوى على العرش يدبر الأمر}، كما أن القرب في قوله تعالى {فإني قريب} قرب الصفات من الرحمة والمغفرة واستجابة الدعاء، كما أن المعية في قوله تعالى {وهو معكم أسنما كنتم} معية صفات (صفات العلم والسمع والبصر}، كما أن الاحاطة في قوله تعالى {وهو بكل شيء محيط} إحاطة صفات العلم والسمع والبصر، قال تعالى {احاط بكل شيء علما}، **أما جناب الذات غيب الغيوب لا يدرك** قال تعالى {ولا يحيطون به علما}، فمن جوز الحركة والنقلة والسكون والانتقال ومن جوز الصور والأشكال ومن جوز التغير والحدوث ومن جوز الجسمية ولوازمها على الله فقد رغب عن ملة إبراهيم حيث خالف الحجة التي آتاها الله إبراهيم على قومه من كون المتغير الذي يقبل الحوادث لا يكون إلها البته، وانّ قبول الحوادث بمعزل عن قدس الله الأعلى لدلالته على الحدوث والافتقار، وقد قال تعالى: { وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ} [البقرة:130]، ولذلك أطبق

الصحابة ومن بعدهم من محققي سلف الأمة وخلفها على أن ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة مما يوهم التشبيه بخلقه تعالى مصروف عن ظاهره الحسي المتعارف، فلا يفسر الاستواء بالجلوس والاستقرار على العرش،ولا يفسر الوجه والعين والقدم واليد والساق وسواها من الجوارح والأعضاء، وحسبك أنهم سموها صفات ولم يسموها أعضاء، ولا يفسر العلو والنزول والانتقال على المعنى الظاهر الحسي الذي هو من لوازم الأجسام، وبعد اتفاق سواد العلماء سلفهم وخلفهم على أن المعنى الظاهر الحسي الذي هو من لوازم الأجسام غير مراد، فهذا يعني اتفاق السلف والخلف على التنزيه، وعلى أنّ آيات الصفات وأحاديثها الصحيحة التي توهم تشبيها مصروفات عن كل ما يخطر في أوهام الواهمين،وما يرد على قلوب أولي التشبيه والتجسيم، غير أن غالب أحوال السلف بعد هذا التنزيه هو عدم تعيين المراد بل اكتفوا بقراءة ألفاظها كما وردت لا يبدلون لفظا بمقاربة ولا يتبعون ذلك بزيادة ولا تفسير، وذلك هو معنى قولهم: " أمروها كما جاءت" وتسميتهما الوجه واليد ونحوهما صفات لا أجزاء ولا أعضاء مع ما أثر عنهم من قولهم، " قراءتها تفسيرها " صريح في براءة ساحة أئمة الدين مما ألصقه بهم أهل التشبيه والتجسيم، وتوقفهم في بيان المعنى المراد منها لم يكن عن جهل منهم بما يصح أن يراد بها في المعاني اللائقة به تعالى، وإنما لأن باب اللغة فقد يكون للفظ معنيان صحيحان فكان الحذر عندهم من تعيين المراد أسلم، على أنهم في كثير من الحالات قد أوضحوا فيها لمعاني اللائقة به تعالى دفعاً للتشبيه، وهذا هو أحد منهجي السلف في معاملة المتشابهات، وهو ثابت عن الحبر البحر ترجمان القرآن عبد الله ابن عباس رضي الله عنه: كتأويله للساق في قول الله تعالى {يوم يُكشف عن ساق} بالكرب شديد [الطبري]، وتأويله للكرسي في قوله تعالى (وسع كرسيه السموات والأرض) بعلم الله [تفسير الطبري]، وتأويله رضي الله عنه للفظ (الأعين) في قوله تعالى (واصنع الفلك بأعيننا) قال رضي الله عنه: (بمرأى منا) [تفسير البغوي 2: 322]، وتأويله رضي الله عنه للفظ (الأيد) في قوله تعالى (والسماء بنيناها بأييد) قال رضي الله عنه: (بقوّة وقدرة) [القرطبي17: 52]، و تأويله رضي الله عنه للنور في قوله تعالى (الله نور السموات والأرض) بالهادي [تفسير الطبري (18: 135)]، فهذه هي تأويلات حبر الأمة وترجمان القرآن الذي دعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (اللهمّ فقّهه في الدين وعلمه التأويل)، **لكن أهل الحشو عموما لا يقبلون بالتقديس**، فأضافوا إلى صفات الله تعالى ما سموها الصفات الخبرية ومنها الوجه واليد والعين والساق، **وسماها ابن تيمية صفات أعيان** وليس للأعيان معنى سوى الأبعاض والأجزاء وكأنه لم يفهم مقصد الأحدية في قوله تعالى {قُلْ هُوَ

اللَّهُ أَحَدٌ} فهي بمنع من قبول الأجزاء والأبعاض، فهذا هو الفرق بين العلم والسمع والبصر وبين الوجه والعين واليد، وهم أهل زيغ يرومون تكييف الذات بتتبع المتشابهات، قال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ}، والدليل على ذلك ان كل مؤلفاتهم تتبع لهذه للمتشابهات: باب الوجه باب اليد باب العين باب الساق باب الاستواء باب النزول باب المجيء، كلها تتعلق بتكييف الذات وليس الصفات، فهذا ما آل إليه معتقد الوهابية في قسم توحيد الأسماء والصفات، ألا وهو الحشو والتشبيه واعتقاد التجسيم، وإن أنكروا ذلك بألسنتهم، فالاعتقاد لا محالة هو الحشو والتجسيم

***

الفصل الخامس

تعقيبات على أخطاء في باب التوحيد والشرك

تهذب هذا العلم

على منهاج أهل الحق أهل السنّة والجماعة

(تنبيه) هذا الفصل هو زبدة الكتاب وأهم ما فيه

لما حواه من تحقيق لمذهب اهل السنة في التوحيد

بعيدا عن الغلو والتقصير ولعل من اجله كان هذا الكتاب كله

المبحث الأول: دعوة الشيخ ابن تيمية في ميزان الإسلام

المبحث الثاني: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ميزان الإسلام

المبحث الثالث: تعقيب على كتاب كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب

المبحث الرابع: تعقيب على نواقض الإسلام العشرة التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب

المبحث الخامس: تقييم الحركة السلفية المعاصرة ما لها وما عليها

المبحث السادس: مفاتيح مستفادة في علم التوحيد من كلام للشيخ عبد الرحمن الهاشمي

المبحث السابع: مسائل مستفادة في علم التوحيد من كلام الشيخ غيث الغالبي

المبحث الاول

دعوة الشيخ ابن تيمية في ميزان الإسلام

[المفتاح الأول]: ابن تيمية رحمه الله كان موسوعة علمية، ولكن كانت تنقصه دقة المتخصصين في كل علم على حدة، فكل علم فيه المحكم والمتشابه ولا يعرف ذلك حق المعرفة إلا المتخصصين في هذا العلم أو ذاك، ولم يكن هو مطالبا بجمع العلوم كلها بدقه أهلها ومتخصصيها وهذا غير متيسر إلا للأنبياء، وللأسف لم يدع علماً من علوم الإسلام إلا تكلم فيه وخالف أهله بما يراه هو حقاً، وهاجم أهلَ كل علم في تخصصهم، فلم يحترم التخصص العلمي ولا اهله القائمين عليه، مع انّ الله تعالى دعانا إلى احترام أهل التخصص بقوله تعالى: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا } [النساء: 83]، فأهل الاستنباط لكل علم هم اهل الخبرة والتخصص ولا يمكن الهجوم على كل العلوم دفعة واحدة إلا بدراسة مقدماتها والتفريق بين محكمه ومتشابهها،

[المفتاح الثاني]: كتب في مسائل الإيمان ولم يكن قد ضبط أحكامها وفرق بين أصولها وفروعها ومحكمها ومتشابهها واكاد أجزم بأنه ألف فيه ولم يكن يعرف عناصر الأصل المنجي من الخلود الأبدي في النار (أقل ما يصح به الإيمان)، ولم يضبط مسائل الإيمان والكفر على طريقة الفقهاء ولا على طريقة أهل الأصول، وكتب فيه على طريقة الحشوية دون

ضبط لأصل الإيمان وأهم عناصره، ودون تفريق واضح للأصل عن الواجب، وخلط بين عناصر الأصل والواجب، وأدخل عمل الجارحة في أصل الإيمان فاقترب من مذهب المعتزلة، وسبب لدى تلامذته غلواً في التكفير، وأورث أتباعه غلوا في مسائل الإيمان ليقترب فيه من مذاهب الخوارج، وهرف فيه بما يردده الحشوية، وهاجم فيه الأشاعرة وصنفهم فيه ضمن المرجئة والجهمية، وهو لا يعرف أصول الإيمان ولا حده الادنى ولا أصله الفاصل بين الإيمان والكفر، ولا يفهم مراد الأشاعرة ولا حتى الماتريدية من قولهم في الإيمان مع أنّه الجمع العدل بين الآيات المتعددة، وهو الحمل المتقن للمتشابهات على محكماتها في باب الإيمان،، ولقد طالعت كتاب الإيمان له، فوجده – إحقاقا للحق – يتكلم في علم لم يضبط لأصوله وقواعده، بل هي عنده مشوشة غير منضبطة، يصنف فيه الطوائف على خلفية أهل الحشو لا أهل الأصول، بما لا يعرف عقباه من الانحراف نحو الغلو في التكفير، وكان يكفيه أن يقرأ قراءة فهم دقائق معدودة لما كتبه علماء العقيدة الحقيقيون المتخصصون من الأشاعرة والماتريدية، ويفهمه على يد مبتدئ من علمائهم ليستريح وليريح الامة من اللجاج والفرقة والغلو في كل أبواب الإيمان،

[المفتاح الثالث]: ألف في علم التوحيد ولكنه لم يكن يفرق ما بين أصل العبادة وصورها

، ولم يكن يفرق بين الركن الاعتقادي منها والذي هو أصل التوحيد، وبين الركن العملي الذي يمثل واجب التوحيد وتمامه، كتب في علم التوحيد ولم يكن يحمل متشابه التوحيد ويرده إلى محكمه، ولم يضبط مسائل التوحيد والشرك على طريقة الفقهاء ولا على طريقة أهل الأصول وسبب لدى تلامذته غلواً في اتهام المسلمين بالشرك، وأورث أتباعه غلوا في باب التوحيد والشرك كما أورثهم من قبل غلوا في مسائل الأيمان، ومشكلة الشيخ ابن تيمية أنه لم يفرق بين أصل العبادة وصور العبادة، ولم يجعل الاعتقاد القلبي هو ضابط الفقه في مسائل العبادة، ألا وهو اعتقاد الإلهية والربوبية لمن تُصرف إليه العبادة، فإنّ الجندي قد يصرف أنواع الطاعة والخضوع والتذلل للضابط ولا يسمى ذلك عبادة له، والملائكة سجدوا لآدم ولا يعني ذلك أنهم عبدوه، وآل يعقوب خروا سجدا ليوسف عليهم السلام ولم يكن ذلك عبادة له، فدل ذلك على أنّ العبادة لها معنى أبعد من مجرد العمل العبادي، فمن صرف مفردة من مفردات العبادة بنية العبودية لغير الله وقع في الشرك الأكبر ومن صرفها بغير نية العبودية لغير الله لم يكن شركا أكبر، وقد وفق الله علماء الأصول أيما توفيق في جعل ضابط الفقه في مسائل الإيمان والكفر ومسائل التوحيد والشرك هو الاعتقاد وليس مجرد فعل العبادة، ودليل هذه القاعدة الضابطة لفقه مسائل الأسماء والأحكام عامة، قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنما الأعمال بالنيات وإنما

لكل امري ما نوى)) [أخرجه مسلم]، ولكن الشيخ لم يحقق المسألة فظن انّ مجرد الفعل العبادي معناه العبادة، فكان هذا الغلط سببا في تكفير قطاع كبير من المسلمين واتهامهم بالشرك، وكان بمثابة مزلَّة كبرى أُستحِلت به دماءُ لا تحصى، وانتهكت به أعراض لا تعد، نعوذ باللّه من المزالق والفتن،

[المفتاح الرابع]: وكذلك عندما كتب في علم الاتباع والابتداع، (السنّة والبدعة) ولم يحدد بدقة المتخصصين شروط البدعة الضالة ولم يفرق بين الحسنة والسيئة فأورث أتباعه غلوا في باب السنّة والبدعة كما أورثهم من قبل الغلو في باب الإيمان والكفر وباب التوحيد والشرك، **فإنّ أهل الفقه في الدين المتخصصين جعلوا للبدعة الضالة شروطا لابد وأن تستوفيها، وإلا لم تكن بدعة ضلالة، واهم تلك الشروط، (الأول):** أن يكون مجالها في الدين، فالابتداع لا يكون إلا في الدين، وأن الأشياء العاديّة لا يدخلها الابتداع، **و(الثاني):** أن لا يكون لها أصل في الشرع، إذ لو كان لها أصل في الشرع فلا تكون بدعة، وعلى ذلك فكل محدث له دليل مقبول من الكتاب والسنة فلا يكون بدعة بل قد يكون سنة وفعل خير يؤجر عليه، أو يكون مصلحة مرسلة من مصالح الشرع المعتبرة،، **و(الثالث):** أن تخالف نصا من نصوص الشرع، **و(الرابع):** ألا تكون واقعة تحت عموم ما ندب الله إليه وحضَّ عليه الله أو رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، **فما لم تستوف تلك الشروط فليست ببدعة ضلالة** ، وهؤلاء الفقهاء الاصوليون المتخصصون قالوا بأنّ المحدثات إذا كانت مندرجة تحت أصل من أصول الشريعة، أو داخلة تحت شيء من مقاصدها، أو أمر عام من أوامرها، وإذا لم تحوي على أي مخالفة للكتاب أو السنة أو الإجماع ولا تصادم نصاً من نصوص الشريعة، ولا يكون في فعلها إلغاء لسنة من سنن الدين، وأن تكون حسنة من أمور الخير لا خلاف فيما تدل عليه من الخير، فهذه لا تكون بدعة ضلالة أبدا، **ولكن الشيخ لما لم يكن على دراية بتلك التفاصيل التي أصلها أهلها المتخصصون في باب السنّة والبدعة**، جعل كل محدثة بدعة وإن لم تستوف شروطها التي ذكرها الفقهاء، وزعم انّ كلمة (كل) قي حديث: ((وشر الأمور محدَثاتها، وكل محدَثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار)) [أخرجه النسائي]، تفيد العموم والشمول، **ونسي انها من الممكن أن تأتي على معنى الغالب** والأكثر وليس جميع مفردات البدع والمحدثات، وبالتالي يكون التحذير من بدع الضلالة التي تمثل غالب المحدثات، ولا يمنع ذلك من وجود محدثات لها أصل من الشرع وتدل على خير لا خلاف لأحد فيه، **فإنّ الذي يتدبر آيات الكتاب العزيز يدرك أن كلمة** ((كل)) قد تأتي والمراد بها التعميم الشامل فيما دخلت عليه، ومن ذلك قوله تعالى:

{وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، وقد تأتي، والمراد بها الخصوص، ومن ذلك قوله تعالى: {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيءٍ}، وقد علمنا أن باب الرحمة وباب التوبة لم يفتح لهم، **وقوله تعالى:** {تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلا مَسَاكِنُهُمْ}، فمساكنهم لم تدمر وكذلك الأرض والسموات لم تدمر، وقوله تعالى: {وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيءٍ}، أي مما يحتاج إليه المُلْك، وعلى هذا أفلا يمكن أن نفهم قوله صلى الله عليه وآله وسلم ((وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)) من باب العام الذي أريد به الخاص، وهكذا فهم الاصوليون تلك المفاتيح، الحديث ((كل بدعة ضلالة)) أنه من العام المخصوص أو الذي أريد به الخصوص، فالمقصود هنا المحدثات التي ليس في الشريعة ما يشهد لها بالصحة، فهي المرادة بالبدع، أما المحدث الذي يحمل النظير على النظير، فهذه سنة الخلفاء والأئمة الفضلاء،

[المفتاح الخامس]: وهكذا بدأ الخلل يظهر في باب الأسماء والأحكام عامة بما ينذر بظهور فهم موازي للإسلام يضاهي به فهم المدارس العلمية المتخصصة ويناطح كل مدرسة في تخصصها الذي قامت عليه وأحكمت أصوله وفروعه وفرقت بين محكمه ومتشابهه، **ثم كانت الطامة عندما بدأ يتكلم عن الذات الإلهي الأقدس** ولم يكن قد درس مقدمات الإلهيات ولا قواعد التقديس التي تمنع من الزلل عند الحديث عن جناب الله الأقدس، وكما أنّه ذهل ذهولاً شديداً عن علم التقديس (قسم توحيد الذات)، ولم يستطع هضمه، ولا معرفة قواعده فآل به ذلك إلى عداوة قلبية للسادة الأشاعرة حماة العقيدة والمؤصلين بحق لكل أبوابها على منهاج أهل السنّة والجماعة، وأدت تلك العداوة إلى الانتقاص من قدرهم بمناسبة وغير مناسبة، كما أنّها سببت خللاً عميقاً عنده عند الحديث عن اهل السنّة والجماعة وأهم صفاتهم وأهم أعلامهم، فأدخل الحشوية في إطار أهل السنّة، وأثنى على مؤلفاتهم، وفي المقابل صال وجال على علماء الأشاعرة المتخصصين في العقيدة دون أن يفهم منطلقاتهم التي استقوها من الكتاب والسنّة، والتي أجبرتهم على تبني مذهبهم في شتى أبواب علم العقيدة، **واكاد أجزم بأنه بعد جهوده الكثيفة في نشر مفاهيمه عن الإسلام بأنّه قد أفنى عمره في نصرة مذاهب الحشو والتجسيم وعدم التخصص على حساب أهل السنّة والجماعة أهل التخصص العلمي الدقيق في شتى علوم الدين**، وبدأ يبني فهما للإسلام يخصه وحده يجاهد من اجل ترسيخه بين المسلمين بديلا عن جميع التخصصات العلمية الإسلامية التي أفنى آلاف العلماء فيها أعمارهم،

[المفتاح السادس]: لقد اهتم ابن تيمية بإحياء مذهب السلفية على المفهوم الذي ظنه صحيحا، ولم يتبين الأفكار التي تسربت إليه بفعل احسان ظنه بالحشوية وروادها الأوائل الذين انتسبوا زورا إلى الحنابلة وإلى أهل الحديث، وظن أنهم على مذهب السلف ولم يكونوا كذلك، كما أنّه بسبب عدم قدرته على فهم علم التنزيه وهو علم عزير وبسبب عدم مقدرته على هضم مفرداته، هجم على النصوص الشرعية دون فهم حقيقي لمغزاها، ودون تفريق بين محكمه ومتشابهها، وبسبب جهله العارم بقواعد التقديس ومباحث علم أصول الدين لاسيما في باب الإلهيات، لذلك أصرّ على إبقاء أحاديث التشبيه والجهة بحالها من دون توجيه وتصرف، بل ودعا إلى حملها على ظاهرها المحال على الله، وهو لا يدرك أسباب استحالتها، ثم لم يكتف بذلك حتى هاجم التأويلات التي ذكرها الأصوليون في كتبهم لمنع التشبيه، والتوجيه لحمل الآيات والأحاديث على المعنى الذي لأجله سيقت تلك الآيات والاحاديث، فإن حديث النزول ليس الهدف منه الحركة والنزول من علو إلى سفل، ولكن الهدف منه بيان أفضلية ثلث الليل الأخير في إجابة الدعاء، ثم لم يهدأ حتى رفض تفويض معاني الآيات المتشابهات في الذات والصفات، والذي هو مذهب السلف الصحيح، والذي ليس لهم مذهب سواه، وهاجم الأثرية أتباع السلف وذلك بزعم أنّه مذهب التجهيل وأنّه من شر أقوال أهل البدع، ثم أوجب حمل الآيات والاحاديث المتشابهات في الذات والصفات الواردة في القرآن والسنة على ظاهرها الحقيقي في اللغة أي المعنى المادي الحسي، ويرفض حملها على المجاز، بزعم أنّه لا مجاز في القرآن والحديث!، ومذهبه هو أنّ الله تعالى موجود بذاته فوق العالم، والعالم المخلوق تحته، وهو موجود على عرشه، وأنه متناه من كل الجهات وانه متناه من جهة التحت يقينا، لمحاذاته للعرش وكأنه تصور الإله تعالى وتقدس جسما عظيما له طول وعرض وحجم وشكل وصورة وتخاطيط وانه يجلس على العرش، والكون كله تحته، أما من جهة فوق فليس فوقه شيء، وأنّه يتحرك ويقبل الحوادث وينزل إلى السماء الدنيا نزولاً حقيقياً بذاته، فقد قال (وتفسير النزول بفعل يقوم بذاته)، وعلى هذا المذهب فإنّه سبحانه يبقى نازلاً أبداً، لأنّ ثلث الليل لا ينقطع عن الارض لحظه واحدة بل يدور في أجزاء الأرض بدورانها، **كما دندن حول صفات الوجه واليدين والعينين والقدم والساق** بما يُخيل إلى العوام أنّها أجزاء من الذات، وليست صفات منزهة عن الجارحة والجسمية، **كما دندن حول الجسمية والتجسيم**، وأنه لا يوجد شرعاً أو عقلاً ما يمنع من أن يكون الله جسماً !!، فقال في كتابه بيان تلبيس الجهمية: (وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها أنه ليس بجسم) أهـ [بيان تلبيس الجهمية: 1: 101)]، وقال

في الموافقة: (كذلك قوله – تعالى – {لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وهو السَّمِيعُ البَصِيرُ}، وقوله {هَل تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}، ونحو ذلك فإنه لا يدل على نفي الصفات بوجه من الوجوه بل ولا على نفي ما يسميه أهل الاصطلاح جسماً بوجه من الوجوه) أهـ [موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول: 1: 62]، وعلى ذلك فهو لا يرى في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا في قول أحد من السلف ما يمنع أن يكون الله جسماً، مع أنّ إجماع أهل الأصول ممن يؤخذ بقولهم في العقيدة على تنزيه الله تعالى عن الجسمية ومعاني الجسمية، ومن ذلك قول الإمام أحمد، فقد نقل أبو الفضل التميمي رئيس الحنابلة ببغداد وابن رئيسها عن الإمام أحمد قال : (وأنكر أحمد على من يقول بالجسم وقال: إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طولٍ وعرضٍ وسمكٍ وتركيبٍ وصورةٍ وتأليف والله تعالى خارج عن ذلك كله، فلم يجز أن يسمى جسمًا لخروجه عن معنى الجسمية، ولم يجيء في الشريعة ذلك فبطل،) اهـ [اعتقاد الإمام أحمد (ص 7– 8)، ونقله الحافظ البيهقي عنه في مناقب الإمام أحمد]، **ودندن حول حديث خلق آدم على صورته**، بما يُشعر أنّ آدم على صورة الرحمن، وأنّ كل ذلك على الظاهر الذي يليق بذات الله تعالى، ويظن بعد هذا الحشو والتجسيم أنّه قد اصاب السنّة التي يعلم صغار طلبة العلم من الأصوليين أنّه محال على الله لأنّ فيه تجسيم وتمثيل بالحسيات وتكييف للذي تقدس ليس كمثله شيء، ووصف لله تعالى بالحد والنهاية والحدوث، **وهل بعد تلك العقائد يبقى لنا شيء من التقديس الذي حبى الله تعالى به أمة التسبيح والتنزيه والتوحيد**، ومن العجيب الذي تدمى له القلوب، أنّه لم يقنع بمفردات العقيدة الحشوية حتى أضاف إليها أُموراً تزيد الطين بلة، فعد السفر لزيارة الرسول الأعظم بدعة وشركاً، كما عدّ التبرّك بآثارهم والتوسّل بهم شيئاً يضاد التوحيد في العبادة، ومن أجل ذلك عادى وخالف أكابر أهل العلم في زمانه وما سبقه من أزمان، ولم يسلم من قلمه ولسانه الكثير من الهداة المهديين من علماء أهل السنّة والجماعة، نصحوه فلم يرعوى، ولم يتعظ من قوة ناصحه المشفق حتى أدركته المنية في سجن دمشق، وقد تأثر به عدد قليل من تلامذته، ولكنه لم يكونوا في مثل حماسه في نشر أفكاره، فهدأت الفتنة حنى جاء الوهابيون فأحيوا مذهبه بما فيه من طوام وأخطاء، محاولين سحب أهل السنّة والجماعة نحو مذهبهم الجديد، بإرهاب فكري يتمثل في تكفير المخالف أو تبديعه أو تضليله إذ هم لسان الحق وسطوته على الأرض كما يحسبون، وباختصار شديد أُشير إلى بعض اخطائه الجسيمة في أبوب العلم والدين والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل،

[المفتاح السابع]: لأنه لم يكن متخصصا في علم العقيدة وقع في أخطاء: أبرزها: **(أ)** أنّه لم يستطع تحديد دائرة المتشابه الصحيحة بدقه بسبب ذهوله عن قواعد التوحيد والتقديس والتنزيه التي لم يدرسها على يد متخصص ولم يستطع أن يفهمها بمفرده حتى سببت له جفاء وانحراف عن المتخصصين في علم اصول الدين، **(ب)** نسب إلى السلف مذهب إثبات المعنى عموماً، وقد كان هذا مذهبهم حقاً إلا في المتشابهات فقد كان مذهبهم تفويض المعنى، وليس اثباته لأنّ المتشابه ليس له معنى فيدرك، ولو كان له معنى لما كان متشابها، ثم لم يكتف بذلك حتى جعل مذهب التفويض – وهو لا يدرك أنه مذهب السلف الحقيقي – من شر مذاهب الفرق الضالة، **(ت)** نسب إلى السلف اثبات المعنى الظاهر مع أنّه متعذر في كل الصفات **(ث)** شنّ حرباً على التأويل مع أنّه لا مناص منه عند التعارض، فهناك آيات تدل على القرب، وآيات تدل على الاستواء على العرش، فلابد من تأويل قسم من تلك الآيات، وليست المعية بأجدر بالتأويل من الاستواء ولا العكس، فإنّ تأويل المعية بمعية العلم والسمع والبصر، ليس بأولى من تأويل الاستواء بالربوبية والهيمنة والتدبير والتصريف، **والمنهج الصحيح السوي يقتضي تأويل الجميع**، بمعنى حمل الجميع على المجاز اللغوي، فلا القرب قرب الذات، ولا الاستواء استواء الذات بالمعنى الحسي الذي يلائم المخلوق ولا يلائم الخالق، أو التفويض في الجميع، قرب ليس كمثله شيء، واستواء ليس كمثله شيء، **(ج)** جهله العميق بقواعد التقديس والتنزيه المستفادة من الكتاب والسنّة، فسبب خللا في استيعابه لمذهب أهل السنّة والجماعة في العقيدة، **(ح)** بسبب عدم تخصصه في العقيدة مال إلى مذاهب المجسمة والحشوية وأثنى على أهلها ومؤلفاتهم ونسبهم إلى السنّة، والسنّة منهم براء، **(خ)** تورط في نسبة الحد والجهة والمكان والحركة والانتقال إلى الله، مع أنها من المحال عند المتخصصين في علم العقيدة، **(د)** نسب علم (التقديس وقواعد التنزيه المستمدة من الكتاب والسنّة) إلى علوم اليونان وفلسفتهم، مع أنّه مستنبط من أدله الكتاب والسنَّة، وسار عليه أعلام الأئمة من علماء أهل السنّة والجماعة على مر عصور الإسلام، قال تعالى: {لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء: 84]، ولأنهم متخصصون علموه، وهو لمّا لم يكن متخصصا لم يعلمه، فأضر كثيرا بمن تأثر بكلامه فحرمه من أعظم علوم الإسلام الفقه الأكبر في الدين، **(ذ)** شنّ حملته الشعواء على علماء أهل السنّة والجماعة المتخصصين في العقيدة جميعا، وحارب تخصصاتهم، فوصف الأثرية أتباع الإمام أحمد رحمه الله الحقيقيون بأنهم أهل التجهيل، وأنهم شر فرق الإسلام لأنّهم مفوضة لعلم المتشابه، ونسب أعلام الأشاعرة والماتريدية إلى البدعة في العقيدة وإلى التوبة المزعومة عند الموت، وهي توبة مكذوبة موهومة إذ كيف

يتوبوا مما يعد أفضل حسناتهم في الرد على المجسمة والمشبهة والحشوية والمعتزلة وسائر الفرق الضالة، بل ونقل أقوال الحشوية فيهم بأنّهم الجهمية الإناث وأنّهم مخانيث المعتزلة، مع أنهم حصون الإسلام في علم العقيدة،

[المفتاح الثامن]: كذلك انفرد ابن تيمية رحمه الله عن جمهور علماء أهل السنّة والجماعة بأقوال شاذة وأطال في تقريرها مع أنّها مهما أطال في الكلام عنها لا يمكن أن تكون صحيحة، ومن ذلك:

(أ) إنكاره المجاز في القرآن، مع أنّه ذروة البلاغة والفصاحة وهو سنام اللغة والبيان بما فيه من الاستعارة والكناية والخيال، ولما كانت البلاغة هي ذروة البيان العربي، فلا غرابة في أن يكون القرآن الكريم هو مصدر البلاغة التي تحدى الله تعالى بها بلغاء العرب وفصحائهم، والقرآن الكريم لا تكاد تخلو منه سورة من المجاز، **ولولا أنّ مجال الحديث هنا لا يتناسب مع الإطالة في باب المجاز لسردت ستمائة آية تدل على المجاز**، ومن ذلك: التعبير عن الإيمان بالنور وعن الكفر بالظلمات، كما في قوله تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 257]، والتعبير عن القرآن بالحبل لأنّ فيه النجاة، كما في قوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: 103]، والتعبير عنه بالنور لأنّ فيه الهداية، كما في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: 52]، والتعبير عن المؤمن بالحي الذي يسمع ويبصر فيستفيد بما يسمع ويبصر، وعن الكافر بالميت الذي لا يسمع ولا يبصر لأنّه لا يستفيد بهما، وهذا كما في قوله تعالى: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ} [النمل: 80، 81]، **والتعبير عن التواضع ولين الجانب بخفض الجناح**، كما في قوله تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء: 24]، وقوله تعالى: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: 215]، ومعلوم أنّه ليس للمؤمن جناح يخفضه عند والديه، ولا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم جناح يخفضه للمؤمنين، وإنما هو مجاز عن التواضع ولين الجانب، **كما يعبر عن التواضع باللين، وعن القسوة بغلظة القلب** كما في قوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ

اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: 159]، **والتعبير بالقبض عن البخل** كما في قوله تعالى: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67} [التوبة: 67]، **والتعبير بالبسط عن غاية الكرم والسخاء** كما في قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة: 64]، فاليهود قصدوا بالغل وصف الله تعالى بالبخل {غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} أي غاية السخاء والكرم {يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ}، **والتعبير عن الرعاية والحفظ والكلاءة بالعين**، كما في قوله تعالى: {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ} [هود: 37]، وقوله تعالى: {وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ} [القمر: 13، 14]، والسفينة لا تجري في أعين الله، تعالى الله، وإنما هو تعبير مجازي عن رعاية الله تعالى وحفظه لأهل السفينة، وقوله تعالى: {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} [طه: 39]، وقوله تعالى: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ} [الطور: 48]، ومعلوم أنّ موسى عليه السلام لم يصنع على عين الله تعالى، {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}، ومعلوم أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن في عين الله، {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}، وإنما هو تعبير مجازي عن الرعاية والحفظ والكلاءة، والحاصل أنّه تكلف نفيه ولم يكن صوابا،

(ب) ومخالفته لجمهور الأصوليين والفقهاء في زعمه بأنّ خبر الآحاد يفيد اليقين، وليس يفيده بحال، لأنّ خبر الآحاد العدل وإن كان الراوي حافظاً ضابطاً فإنه غير معصوم من الخطأ في اللفظ أو السهو أو الوهم أو النسيان أو الرواية بالمعنى أو وضع لفظ مكان آخر – وهذا في السنّة كثير –، ومع هذا الاحتمال، فلا يبلغ بحال ما يفيد المتواتر من مرتبة اليقين، لاشك أنّه يوجب العمل، ولكنّه لا يفيد اليقين ما كان في مرتبة الآحاد،

(ت) دندن حول قدم بعض المخلوقات ووجودها مع الله كالعرش، وهذا يضاهي الفلاسفة بقدم العالم، **وأجاز التسلسل إلى ما لا بداية**، كما أجاز العقلاء التسلسل إلى ما لا نهاية، مع أنّ الفرق بينهما عظيم، والاول مستحيل لأنّه يؤول إلى قدم العالم، والثاني جائز كبقاء اهل الجنّة واهل النار إلى ما لا نهاية،

(ث) وقال بحدوث القرآن، وحدوث صفة الكلام، ووصف الله تعالى بالسكوت قياساً على صفة الكلام عند البشر، **وصرح بقيام الحوادث بذات الله تعالى**، حتى قال في منهاج السنّة النبوية

(1: 224): (فإن قلتم لنا: فقد قلتم بقيام الحوادث بالربّ، قلنا لكم: نعم، وهذا قولنا الذي دلّ عليه الشرع والعقل)،

(ج) **واخترع في صفات الله مقولة لا أساس لها من الصحة أو البرهان، وهي من الأمور المستحيلة في عُرف اهل الأصول، مقولة (أنّ صفات الله قديمة النوع حادثة الآحاد)**، وإذا كانت الآحاد على زعمه محدثة، والنوع يتكون من أفراده فكيف يكون النوع قديما وأفراده حديثة، وهل يقبل القديم الأزلي الحدث وهل آحاد الشيء تخالف جنسه، هذا من المحال عند اهل الأصول، وقد دخل عليه الشيطان من باب: أليس الله تعالى يرى مخلوقاته ويسمع كلامها وأصواتها، أليست محدثة والله يعلم بها ويراها ويسمعها فلماذا لا تعد هذه الرؤية والسمع حوادث تحل بالذات تعالى؟! **والجواب:** أنه ثبت باليقين القاطع أن الله تعالى وتقدس لا يتغير ولا ينتقل من حال إلى حال، لأن النقص لازم لذلك لزوما بينا، ولو تجددت لله صفات والعياذ بالله فلا بد وأن يكون تجددها كمالا بعد نقص أو كمالا زائد بعد كمال ناقص، وكل ذلك ينافي الكمال المطلق الذي لا يقبل الزيادة ولا النقصان، وكل هذا محال على الله تعالى وتقدس، وقد أجمعت الأمة أيضا على أن صفات الله الواجبة قديمة غير حادثة، والقول بأن لله علما حادثا بسبب حدوث معلوم لم يكن، أو سمعا حادثا بسبب حدوث مسموع لم يكن أو بصرا حادثا بسبب حدوث مبصر لم يكن أو إرادة حادثة بسبب حدوث مراد لم يكن !!! من قال هذا فقد أنكر الإجماع الضروري على قدم صفات الله، بجعله إياها حوادث متأثرة في وجودها بالمخلوقات الحادثة، فبدلاً من أن يصير الحادث خاضعا لعلم الله صار علم الله خاضعا للحادث فلا يكون ثم علم إلا بكون الحادث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، والواجب على المسلم الجزم بأن الله قد علم كل شيء وأدركه تمام الإدراك قبل حدوثه أزلا، على ما هو عليه بعد حدوثه، بحيث يجزم أن الله لم يحصل له بحدوث المخلوق علم جديد أو سمع جديد أو بصر جديد، ولا يُتصور مسلما عاميا فضلا عن عالم يعتقد في الله بتجدد العلم أو السمع أو البصر كلما جد حادث، فيكون الزمان فاعلا في الله ويكون علم الله الآن قد زاد عن ساعة مضت بقدر تجدد المعلومات أو بصر الله قد زاد بقدر تجدد المبصرات أو أنّ سمع الله قد زاد بقدر تجدد الأصوات فيكون قبل ساعة ناقصا عن حالته الآن ومع توالي الأزمان يزداد العلم والسمع والبصر والكلام ألا يعلم أنّ من قبل الزيادة كان ناقصا قبل قبول الزيادة فأين الكمال المطلق الذي يتصف به الله، ومن كان هذا حاله من قبول الحوادث وتجدد الصفات فهل يصلح للإلهية تعالى الله عن ذلك علوا عظيما، بل كل المسلمين عدا الكرامية ومن قال بقولهم في قبول الذات الإلهية للحوادث

يعتقدون بأن صفات الله تعالى قديمة ولا تقبل الحادث ومن قبل الحادث فهو حادث ومن كان حادثا انتفت عنه الإلهية والربوبية والكمال المطلق، فعلمه قديم وكلامه قديم وارادته قديمة وسمعه قديم وبصره قديم وكل صفاته قديمة لا يجري عليها زمان ولا تقبل التغير ولا تقبل لا زيادة ولا نقصان لأن من قبل الزيادة كان قبل الزيادة ناقصا ومن قبل التغير والحدوث لم يكن إلها أزليا له الكمال المطلق، ولولا الكرامية وأشباههم ما كنا نظن أن أحدا من أهل الإسلام يتجاسر على الله بهذا القول، بل عقيدة كل مسلم سوي أنّ الله تعالى علم الحوادث وسمعها وأبصرها وأرادها قبل حدوثها فلم يتغير بعد حدوثها عند الله شيء، ولم يزدد بكونها وحدوثها شيئا **فالحوادث هي الحادثة بإحداث الله إياها وليست صفاته هي الحادثة من علم وسمع وبصر وإرادة وكلام**، بل الصفات قديمة لا يحدها مكان ولا يجري عليها زمان ومن فهم هذا سهل عليه أمر التقديس والتنزيه، ولا يلزم من قولنا بقدم صفات الله من العلم والسمع والبصر أن تكون الحوادث قديمة فهي من اسمها حادثة بعد ان لم تكن، فالقديمة صفاته والقديم علمه وسمعه وبصره ومشيئته وإرادته وكلامه وسائر صفاته، أما المعلوم والمسموع والمبصَر، فمنه القديم الازلي كذات الله وصفاته ومنه المحدث كسائر مخلوقاته، فالعلم والسمع والبصر صفات قديمة لا يحدها مكان ولا يجري عليها زمان ومتعلقاتها هي الحادثة، فهو يعلم كل معلوم ويبصر كل مبصر ويسمع كل مسموع أينما كان، ويعلم المستقبل كما يعلم الماضي كما يعلم الحاضر لأن المستقبل والحاضر والماضي إنما يسري على المخلوق وليس الخالق، والأصوات كلها منكشفة على سمعه القديم سواء التي هي بالنسبة لنا ماضية أو حاضرة أو مستقبلة، لأنّ الأزمنة مهما تقلبت وتصرفت فلا تجري على الخالق وصفاته القديمة كعلمه وسمعه وبصره وإنما تقف الأمكنة والأزمنة على اختلافها بعدا وقربا حجابا وستارا عن سمع المخلوق وبصره لا عن سمع الخالق وبصره وعلمه، فتعالى الله عما يصفون، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور،

(ح) ودندن حول فعل الأسباب بقوة جعلها الله تعالى في طبعها، وهو قول يجرح توحيد الأفعال عند من يفهم أبعاده،

(خ) ودندن حول الصلاح والعدل من مبادئ المعتزلة، وهي أقوالٌ لا يرضى بها المتخصصون في العقيدة على منهاج أهل السنّة والجماعة،

(د) كما حام حول عدم عصمة الانبياء من الذنوب، واقتراف بعضهم للذنوب والتوبة منها، ينقل في ذلك الخلاف بما لا ينبغي حفظا لمقام الأنبياء،

(ذ) كما دندن حول فناء عذاب اهل النار هو وتلميذه ابن القيم مع ورود الخلود فيها في قريب من أربعين آية من آيات الذكر الحكيم منها قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [النساء: 168، 169]، وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [الأحزاب: 64، 65]، وقوله تعالى: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [الجن: 23]،

(ر) **قول ابن تيمية بقيام الحوادث بذات الله تعالى وهي من أبشع انحرافاته عن منهاج اهل السنّة فيما يتعلق بجناب الذات الإلهي:** حيث كان يعتقد أن الحوادث تقوم بذات الله تعالى أي أن الله تعالى لم يكن متصفاً بصفة ثم اتصف بها، **قال ابن** تيمية **في منهاج السنّة النبوية** (1: 224): (فإن قلتم لنا: فقد قلتم بقيام الحوادث بالربّ، قلنا لكم: نعم، وهذا قولنا الذي دلّ عليه الشرع والعقل)، **وقد اتبع ابن تيمية في عقيدته هذه الكرّامية شبرًا بشبر**، قال الإمام أبو المظفر الإسفراييني: (ومما ابتدعوه- أي الكرَّامية- من الضلالات مما لم يتجاسر على إطلاقه قبلهم واحد من الأمم لعلمهم بافتضاحه هو قولهم: بأن معبودهم محل الحوادث تحدث في ذاته أقواله وإرادته وإدراكه للمسموعات والمبصرات، وسموا ذلك سمعًا وتبصرًا، وكذلك قالوا: تحدث في ذاته ملاقاته للصفحة العليا من العرش، زعموا أن هذه أعراض تحدث في ذاته، تعالى الله عن قولهم) أهـ [التبصير في الدين (ص: 66- 67)]، فتبين مما أوردناه أن ابن تيمية ليس له سلف في هذه البدعة إلا الكرامية ونحوهم، وليس كما يدعي أنه يتبع السلف الصالح، نسال الله السلامة

[المفتاح التاسع]: وفي مجال الفقه: كان يشن بين الحين والآخر حروبا على أهله المتخصصين فيه بدعوى إتباع الدليل من الكتاب والسنة وتجريد الإتباع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وخالف الأئمة المجتهدين في مسائل عديدة، وأكثر المسائل التي خالفهم فيها كان الصواب معهم باتفاق الفقهاء، وكانت مخالفاته عبئا على المسلمين تزيد من فرقتهم بدلا من وفاقهم، مع أن أئمة هذه المذاهب الفقهية المعتمدة بلغوا القمة العالية في الفقه والعلم والورع، واتباع الكتاب والسنّة، أضف إلى ذلك قيام أصحابهم على ضبط أقوالهم، وكان من بركاتهم أن صقلت مدارسهم الفقهية – على مر عصور الإسلام – كل ما يتعلق بالفقه ومسائله، هذا علاوة

على خرقه الإجماع في كثير من مسائل الفروع، **حتى قال الإمام المجتهد الورع تقي الدين السبكي** الأنصاري الشافعي (683 – 756 هـ) في مقدمة كتابه الدرة المضية في الرد على ابن تيمية: (أما بعد: فإنه لما أحدثَ ابنُ تيمية ما أحدثَ في أصول العقائد، ونقضَ من دعائم الإسلام الأركان والمعاقد، بعد أن كان مستتراً بتبعية الكتاب والسنة، مظهراً أنه داعٍ إلى الحق هادٍ إلى الجنة، فخرج عن الاتِّباع إلى الابتداع، وشذَّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع، وقال بما يقتضي الجسمية والتركيب في الذات المقدسة، وأن الافتقار إلى الجزء ليس بمحال، وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى، وأنَّ القرآن محدَثٌ تكلَّم اللهُ به بعد أن لم يكن، وأنه يتكلم ويسكت ويحدث في ذاته الإرادات بحسب المخلوقات، وتعدى في ذلك إلى استلزام قدم العالم والتزامه بالقول بأنه لا أول للمخلوقات، فقال بحوادث لا أول لها فأثبت الصفة القديمة حادثة، والمخلوق الحادث قديماً، ولم يجمع أحد هذين القولين في ملّةٍ من الملل، ولا نحلة من النحل، فلم يدخل في فرقة من الفرق الثلاثة والسبعين التي افترقت عليها الأمة، ولا وقفت به مع أمة من الأمم همة، وكلُّ ذلك وإن كان كفراً شنيعاً مما تَقِلُّ جملته بالنسبة إلى ما أحدث في الفروع، فإن متلقي الأصول عنه وفَاهِمَ ذلك منه هم الأقلُّون، والداعي إليه من أصحابه هم الأرذلون، وإذا حُوققوا في ذلك أنكروه وفروا منه كما يفرون من المكروه، ونبهاء أصحابه ومتدينوهم لا يظهر لهم إلا مجرَّد التبعية للكتاب والسنة والوقوف عند ما دلت عليه من غير زيادة ولا تشبيه ولا تمثيل، وأما ما أحدثه في الفروع فأمرٌ قد عمَّت به البلوى، وهو الإفتاء في تعليق الطلاق على وجه اليمين بالكفارة عند الحنث، وقد استروحَ العامَّة إلى قوله وتسارعوا إليه وخَفَّت عليهم أحكام الطلاق، وتعدى إلى القول بأن الثلاثَ لا تقع مجموعة إذا أرسلها الزوج على الزوجة، وكتب في المسألتين كراريسَ مطوَّلة ومختصرة، أتى فيها بالعجب العجاب، وفتح من الباطل كلَّ باب، وكان الله تعالى قد وفَّقَ لبيان خطئه وتهافت قوله ومخالفته لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإجماع الأمة، وقد عرف ذلك خواصُّ العلماء ومن يفهم من عوام الفقهاء، ثم بلغني أنه بثَّ دعاته في أقطار الأرض لنشر دعوته الخبيثة، وأضلَّ بذلك جماعة من العوام) أهـ [مقدمة الدرة المضية]،

[المفتاح العاشر]: وفي مجال التزكية والتصوف: أفنى قسطا كبيرا من عمره في شن الحروب على مدارس التصوف، التي ثبت في عمق التاريخ تخصصها في باب التزكية والإحسان، فهل نهدم صروح التخصص على رؤوس ساكنيه، ونقوم بتجريح الاكابر فيه أم أنّ الاولى ترشيد أخطائها بالنصح والإرشاد، **لقد اصطلحت الأمة الإسلامية** في عمق تاريخها

الإسلامي ومنذ ما يزيد على ألف عام على تسمية العلم الذي يقوم على مرتبة الإسلام بعلم الفقه، والعلم الذي يقوم على مرتبة الإيمان بعلم أصول الدين، أو علم العقيدة، والعلم الذي يقوم على مرتبة الإحسان يبين حقائقها ومنازلها بعلم التصوف، والمقصود به: (التصوف الحق القائم على الكتاب والسنّة) وكما أنه من الخطأ أن نقول (الفقه مذهب إسلامي)، أو (العقيدة مذهب إسلامي)، فكذلك من الخطأ أن نقول (التصوف مذهب إسلامي)، لأن الفقه علم أساس من علوم الدين يتناول الشريعة، وكذلك العقيدة علم أساس من علوم الدين يتناول الاعتقادات الواجبة على كل مؤمن، وكذلك التصوف تماما، فهو علم أساسي من علوم الدين يتناول تحقيق (مرتبة الإحسان) أعلى مراتب الإسلام، **و(التصوف الحق)**: هو العلم الذي تخصص بتزكية الظاهر والباطن، قال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ}، وقد أجمع الفقهاء على أن الأمراض والآفات الباطنية (القلبية) كالكبر والحقد والحسد والغضب والطمع والبخل والبطر والخيلاء من الذنوب والكبائر القلبية التي تحتاج إلى توبة وطهارة وغالبها لا ينفك عنها بشر، **و (التصوف الحق)** هو العلم الذي اختص بمعالجة هذه الأمراض القلبية والعمل على تزكية النفوس والتخلص من صفاتها الناقصة الذميمة، قال حجة الإسلام الغزالي: (الدخول مع الصوفية فرض عين، إذ لا يخلو أحد من عيب، إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)، وقال العارف بالله أبو الحسن الشاذلي: (من لم يغلغل في علمنا هذا، مات مُصراً على الكبائر وهو لا يشعر)، **و(التصوف الحق)**: هو العلم الذي تحدث عن منازل السائرين إلى الحق المبين، وهو العلم الذي نتعلم منه كيفية السير إلى الله والسفر إلى الحق والدخول على حضرة ملك الملوك سبحانه في مقام المشاهدة والعيان، فلذلك قال الجنيد لسان أهل التصوف: (لو علمت أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه)، والمقصود به علم التصوف السني الحق القائم على أدلة الكتاب والسنة التي لا يعرف مفاتيحها حق المعرفة ولا يصل إلى معانيها إلا الاولياء المرشدون الراسخون في العلم، والشيخ رحمه الله يريد ان يحثو التراب لردم التصوف بكل معانيه ومفرداته، وهيهات هيهات،

[المفتاح الحادي عشر]: وفي مجال تعلق المسلمين بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم: أفتى بحرمة شد الرحال إلى زيارته صلى الله عليه وآله وسلم، مع أنّه لا علاقة لحديث شد الرحال بزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وزيارة المقابر كلها مسنونة، فكيف بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، أمّا حديث ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى)) [متفق عليه] فالمعنى المقصود منه فهو بتقدير محذوف

معناه: لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه بسبب فضل الصلاة فيه على غيره من المساجد إلا إلى ثلاثة مساجد فقد فضل الله تعالى الصلاة فيها على سائر المساجد، وهي المذكورة في الحديث المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف والمسجد الأقصى، ولا علاقة بين الحديث وبين زيارة القبر الشريف، إذ النهي متعلق بالمساجد فقط، ومتعلق بالصلاة فيها بسبب أفضلية الصلاة فيها، وإلا فشد الرحال إلى مساجد يتواجد فيها علماء لأجل طلب العلم، لا شيء فيها، بل جميع اهل العلم على مر عصور الإسلام، ما جمعوا العلم الشريف إلا بشد الرحال إلى المساجد لتلقي العلم من علمائها حيث لم توجد جامعات ولا مدارس يطلبون فيها العلم سوى المساجد، كما أن شد الرحال للتجارة جائز، وشد الرحال للسفر والاستمتاع جائز، وشد الرحال لزيارة الإخوان في الله تعالى جائز، فهل كل ذلك جائز، وشد الرحال لزيارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم غير جائز، على أنّه لم يذهب أحد من الأئمة وعلماء الملة إلى عصر بن تيمية إلى عدم شرعيته بل اتفقوا على أنها من أفضل العبادات وأرفع الطاعات، والجمهور على ندبها، وقال بعض المالكية: إنها واجبة وقال أكثر الحنفية أنها قريبة من الواجب، وقريب الواجب عندهم في حكم الواجب، وأول من خرق الإجماع فيه وأتى بشيء لم يسبق إليه عالم قبله في هذه المسألة هو ابن تيمية،

[المفتاح الثاني عشر]: في مجال الموقف من آل البيت رضوان الله تعالى عليهم،

أدى رده على الشيعة الضالة إلى الانحراف قليلاً عن آل البيت، فخانته ألفاظه عند الحديث عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وضعّف في فضائله أحاديثاً ليست بضعيفة، وحكم على أخرى بالوضع، ولا تبلغ هذا الحد، **حتى قال الحافظ ابن حجر** في لسان الميزان (6: 319) عند ترجمة والد الحلي الذي ألف ابن تيمية كتابه منهاج السنة النبوية في الرد عليه: (وكم من مبالغة له لتوهين كلام الحلي أدت به أحيانا إلى تنقيص علي رضي الله عنه) أهـ، **وقال في الدرر الكامنة:** أن ابن تيمية خطأ أمير المؤمنين عليًا كرم الله وجهه في سبعة عشر موضعا خالف فيها نص الكتاب، وأن العلماء نسبوه إلى النفاق لقوله هذا في علي كرم الله وجهه، ولقوله أيضا فيه: أنه كان مخذولا، وأنه قاتل للرئاسة لا للديانة) أهـ، [الدرر الكامنة: 1: 114]، كما خانته ألفاظه عند الحديث عن سيد شباب أهل الجنّة الحسين رضي الله عنه، وموقفه من أوضاع الأمة زمان يزيد،

[المفتاح الثالث عشر]: في مجال المعاملة مع أكابر علماء عصره، هاجم الأكابر ولم يتحر الأدب الواجب مع أكابرهم كحجة الإسلام الغزالي والإمام الرازي وغيرهما من الأكابر، وصال علي خيرة علماء عصره ونال منهم، وحاولوا مرارا وتكرارا أن يعلموه مفاتيح العلوم حتى لا يشذ عن العلم وأهله فمنعه كبره وحدة طبعه من التعلم على أيديهم او مراجعة أخطائه، فلما يأسوا من ذلك احتاطوا في تأديبه فلم يأمروا بقتله وإنما امروا بسجنه من أجل أن يحفظوا الناس من أخطائه، ومع ذلك لم يسلموا من لسانه وقلمه،

[المفتاح الرابع عشر]: ابن تيمية يفني عمره في الرد على أهل الحق الأشاعرة المتخصصين في العقيدة على منهاج أهل السنّة: ابن تيمية يفني عمره في الرد على أهل الحق الأشاعرة، وهو لم يستوعب علمهم ولم يصل إلى شيء من رسوخهم في علم العقيدة والأصول، **ومن ذلك كتابه (العقيدة الحموية)**: وهي جواب لسؤال ورد من حماه حول آيات الصفات كالاستواء وأحاديث الصفات كالأصابع والقدم، فتتطاول على مذهب أهل السنّة والجماعة من الأشاعرة بما لم يفهمه ولم يفرق بين المحكمات والمتشابهات من الصفات ومال إلى مذهب الحشو والتجسيم، واستطال به على اهل التخصص، وتطاول على الأشاعرة بأنّهم يقولون: مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم، وهم لم يُطلقوا القول بذلك، وحاشاهم وهم أهل الرسوخ في العلم والحق، ولكنّهم خصوه بما يتعلق بالرد على أهل البدع كالمعتزلة والحشوية وبما يتعلق بتقرير مذهب الفرقة الناجية، والانتصار لمذهب التسبيح والتقديس مذهب أهل الحق على مذاهب أهل الباطل والفرق الضالة، وإلا فهم يقولون بالتفويض كما هو حال السلف، وهل كان يسع السلف السكوت على بدع الحشو والتشبيه، وهم أرقى الناس تنزيها وتقديسا لله، **ومن ذلك أيضا كتابه: (نقض أساس التقديس)**: ويسمونه أحيانا (كتاب تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية) وأحياناً: (نقض تأسيس الجهمية)، **والكتاب من أسوأ كتب ابن تيمية** لأنه جعله خاصا بالرد على كتاب من أعظم كتب التنزيه والتقديس وبيان مذهب أهل الحق تجاه المعتزلة والحشوية الذين مال إليهم ابن تيمية وهو لا يعلم ما عند الرازي من العلم الراسخ، ويا ويله منه ومن أهل السنّة جميعا يوم القيامة، الأشاعرة، **ومن ذلك أيضا: كتاب (درء تعارض العقل والنقل)**، ألفه وهو لا يعلم ما هو العقل الصريح ولا ما هو النقل الصحيح ومعناه المقصود في الشرع والذي فهمه أهل التخصص من الأشاعرة والأثرية والماتريدية، فما كان أغناه عن الحديث عن علم لا يعلم أسسه ولا قواعده، ومن أفتى بغير علم لازمه الخطأ وفتن الناس عن الصواب، **ومن ذلك**

ايضاً: (القاعدة المراكشية) ألفها لإثبات العلو الحسي، والرد على أهل الحق فيما أصلوه من قواعد التقديس التي تعصم من الحشو في مسائل: (العلو) و (الاستواء على العرش)، **ومن ذلك ايضاً: (الرسالة التدمرية)** دندن فيها حول المتشابه من الصفات بقصد إثباتها على ظاهرها، وخاض في القدر بما لا يعلم من عواقب ولوازم الفساد في قوله، وأقله نصرة مذاهب المعتزلة والاقتراب منها، وما ألجأه إلى الخوض في ذلك كله إلا الجدال والخصومة مع أهل السنّة الأشاعرة، **ومن ذلك ايضاً: (شرح الأصفهانية)**، والاصفهانية متن في العقيدة مختصر لشمس الدين محمد بن محمود بن عباد الاصبهاني، على منهاج الأشاعرة، وهو لم يشرحها وإنما ألف شرح الأصفهانية بقصد الرد عليها، كما ألف تلميذه ابن أبي العز الطحاوية للرد على ما فيها من التقديس والتنزيه كقوله – أي الطحاوي – رحمه الله: (ومن لم يتوقَ النفيَ والتشبيهَ زلَّ ولم يصبِ التنزيهَ، فإنَّ ربّنا جلَّ وعلا موصوفٌ بصفات الوَحدانية، منعوتٌ بنُعُوتِ الفَرْدانية، ليس في معناهُ أحدٌ من البَرِيَّة، وتعالى عن الحدودِ والغاياتِ والأركانِ والأعضاءِ والأدوات، لا تحويهِ الجهاتُ الستُّ كسائرِ المبتدعات) أهـ، وها هنا رد ابن تيمية على الأصفهاني في كل مسائل التنزيه من كلامه في الصفات والإيمان والنبوات، وكأنّه لا يرضى عن الحشو بديلا، **ومن ذلك ايضاً: (المناظرة حول الواسطية)**، وهي تسجيل لما جرى حول كتابه (الواسطية) من مجالس ناقشه فيها الأشاعرة وبينوا له الصواب فلم يفهمه، ثم حشا مناظرته بالحشو في مسائل التأويل، والحرف والصوت، والاستواء، **ومن ذلك ايضاً: (الرسالة المدنية في الحقيقة والمجاز في الصفات)** نفى فيها المجاز وهو شطر اللغة الحسن وكابر الجمهور في إثباتهم للمجاز، وآل به نفي المجاز إلى الحشو في باب المتشابهات، وإثبات ظاهر المتشابهات بما يؤول إلى الفتنة والبدعة والتجسيم، ووصف الله تعالى بما يُفيد العلو الحسي على العرش، وبالغ في رد التاويل مع أنّه لا مناص منه، فإن أثبت العلو الحسي أول القرب والمعية لا محالة، وإن فهم المجاز في كليهما استراح وأراح، **ومن ذلك ايضاً: (التسعينية)** خصصها للحديث عن أنّ كلام الله تعالى لابد ان يكون بحرف وصوت، وأن الكلام إن لم يكن بصوت فلا يسمى كلاما، وخصصها للرد على أهل الحق (الأشاعرة) في مسألة الكلام النفسي التي جاء بها أولاً القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [المجادلة: 8]، فقد نسب الله تعالى إليهم القول: {وَيَقُولُونَ}، ولم يكن بصوت، {فِي أَنْفُسِهِمْ}، فلم يسمعهم أحد لأنّه كان كلاما نفسيا في أنفسهم وضمائرهم لم يسمعه أحد، ولكن سمعهم الله السميع العليم، فإذا جاز أن يُنسب إليهم قول النفس بلا صوت، أفلا نقدس كلام الله تعالى عن أن يشبه

كلام البشر، ولو تدبر قوله تعالى: {وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أو اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الملك: 13]، لعلم أنّ القول منه ما هو بصوت يُسمع، ومنه ما هو ليس بصوت فلا يُسمع، فقول النفس: {وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ}، قول ليس بصوت ولا يُسمع، وقول الجهر بصوت يُسمع: {أَوِ اجْهَرُوا بِهِ}، فلماذا المكابرة والجهل ومعاداة أهل القرآن وأهل التخصص العلمي في العقيدة، والمكابرة بزعم أن القول لا يكون إلا بصوت وأنّ القول لابد وأن يُسمع وإلا لم يكن قولا، وهذا القرآن ينطق بذلك، ولو تدبر قوله تعالى: {فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ} [يوسف: 77]، لعلم أنّ من القول قول السر: {فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ}، {قَالَ: أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا}، فالقول قول النفس لأنّ يوسف عليه السلام لم يقل لهم هذا القول وإنما قاله في نفسه فـقط، وعبر عنه القرآن الكريم بقوله: {قَالَ}، ومثله تماماً قوله تعالى: {يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا} [آل عمران: 154]، فالقول هاهنا هو القول النفسي بغير صوت، ولو تدبر قوله تعالى: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ} [الزخرف: 80]، فالله تعالى يسمع السر وأخفى، والسمع هاهنا لا يُشترط له الصوت، فلماذا التشنيع على أهل الأصول والتخصص، ولكنّه بالغ في الرد على أهل الحق من تسعين وجها من حشو الكلام وهرطقته مما لا يفهم هو المقصود منه، **ومما يُضحك المتخصصين على سوء فهمه ورداءة تصوره في كل ما يتعلق بالتقديس فإن قلبه أُشرب بالتشبيه، وهو لا يدرك أبعاد ذلكم التشبيه والذي لا يدركه إلا اهل التخصص الراسخين في علم التقديس، ومن ذلك ايضاً: (النبوات):** ما أتى فيه بشيء مفيد فالصواب فيه ما قاله المتخصصون من الأشاعرة وكل ما خالفهم فيه نصر فيه قول الحشوية ممن لا خلاق لهم ولا عقل ولا خلق، وبدلا من أن يشكر الأشاعرة على تقرير الحق في مسائل النبوات، (ومن لا يشكر الناس على المعروف لا يشكر الله) أخذ ينشر الزلات التي افتراها المغرضون على الباقلاني والغزالي مما يبرؤون من الفهم السقيم لها، **ومن ذلك ايضاً: كتابه (الإيمان):** غالى فيه بما يُقربه من مذهب المعتزلة وهرف فيه بما يردده الحشوية، وهاجم فيه الأشاعرة وصنفهم فيه ضمن المرجئة والجهمية، وهو لا يعرف أصول الإيمان ولا حده الادنى ولا أصله الفاصل بين الإيمان والكفر، ولا يفهم مراد الأشاعرة ولا حتى الماتريدية من قولهم في الإيمان مع أنّه الجمع العدل بين الآيات المتعددة، وهو الحمل المتقن للمتشابهات على محكماتها في باب الإيمان،، ولقد طالعت كتاب الإيمان له، فوجده – إحقاقا للحق – يتكلم في علم لم يضبط لأصوله وقواعده، وهي عنده مشوشة غير منضبطة، يصنف فيه الطوائف على خلفية أهل الحشو لا أهل الأصول،

بما لا يعرف عقباه من الانحراف نحو الغلو في التكفير، وكان يكفيه أن يقرأ قراءة فهم دقائق معدودة لما كتبه علماء العقيدة الحقيقيون المتخصصون من الأشاعرة والماتريدية، ويفهمه على يد مبتدئ من علمائهم ليستريح وليريح الامة من اللجاج والفرقة والغلو في كل أبواب الإيمان، **ومن ذلك ايضاً: كلامه في (شرح حديث النزول)** فسود الصفحات تلو الصفحات بالنزول الحسي وأنّه على حقيقته نزولا من العرش إلى السماء الدّنيا، وكأنّه يتكلم على ملك مجسم محدود ينزل ويصعد، وإن لم يكن كلامه في (شرح حديث النزول) من الحشو المرذول فليس في الدُنيا حشو ولا تجسيم، وما الفائدة من اثبات النزول على حقيقته، وحقيقته الهبوط من علو إلى سفل، فبالله هل تلك عقائد اهل السنّة المنزهين لله تعالى عن الشبيه والمثيل، أم عقائد المشبهين الذين يشبهون الله تعالى بخلقه في حركاتهم وسكناتهم ونزولهم وصعودهم، بالله عليك يا رجل إنّ الخالق لا يُشبه المخلوق في شيء، فالمخلوق محدود بالمكان يتحرك فيه ويصعد وينزل فيه، والله تعالى أن يحده حد أو يوفيه مقدار مهما كبر، فالله اكبر وأعظم واجل أن تحده الحدود، **قال الطحاوي في عقيدة المسلمين:** (فإنَّ ربّنا جلَّ وعلا موصوفٌ بصفات الوَحدانية، منعوتٌ بنُعُوتِ الفَرْدانية، ليس في معناهُ أحدٌ من البَرِيَّة، وتعالى عن الحدودِ والغاياتِ والأركانِ والأعضاءِ والأدوات، لا تحويهِ الجهاتُ الستُّ كسائرِ المبتدعات) أهـ، تنزه عن كل ما يخطر بأذهان البشر، ومنه النزول الحسي الذي يتوهمه أهل الحشو، وهل حديث النزول كان مراده تخيل النزول ومن ثم الصعود، أم مراده بيان فضيلة ثلث الليل والاستغفار فيه والتهجد فيه، لأنّ عبادة الليل أبعد ما تكون عن الرياء والنفاق، ولأنّ ثلث الليل يتوزع على انحاء الأرض كل لحظة، فلنا أن نتخيل النزول والصعود على مدار لحظات الليل والنهار، لأنّ الليل في الأمريكتين هو النهار في بلاد العرب، وثلث الليل في حق مسلمي أمريكا ليس كما هو في حق مسلمي البلاد العربية، فهل هذا هو ما يرمي إليه الحشو في شرح حديث النزول، وهل هذا هو الطريق الأمثل لشرح المتشابهات، التي كان السلف الصالح حقاً ينهون عن مجرد السؤال عنها، أن نشرح الحديث في قريب من مجلد نحشوه بالتشبيه والتجسيم،

[المفتاح الخامس عشر]: ابن تيمية يفني عمره في نصرة أقوال أهل الحشو التشبيه:

لقد اهتم ابن تيمية بإحياء مذهب السلفية على المفهوم الذي ظنه صحيحا، ولم يتبين الأفكار التي تسربت إليه بفعل احسان ظنه بالحشوية وروادها الأوائل الذين انتسبوا زورا إلى الحنابلة وإلى أهل الحديث،، وبسبب عدم قدرته على فهم علم التنزيه وعدم مقدرته على هضم مفرداته، فهجم عليها دون فهم حقيقي لمغزاها، وبسبب جهله العارم بقواعد التقديس ومباحث علم أصول

الدين لاسيما في باب الإلهيات، لذلك أصرّ على إبقاء أحاديث التشبيه والجهة بحالها من دون توجيه وتصرف، بل ودعا إلى حملها على ظاهرها المحال على الله، وهو لا يدرك أسباب استحالتها، ثم لم يكتف بذلك حتى هاجم التأويلات التي ذكرها الأصوليون في كتبهم لمنع التشبيه، والتوجيه لحمل الآيات والأحاديث على المعنى الذي لأجله سيقت تلك الآيات والاحاديث، فإن حديث النزول ليس الهدف منه الحركة والنزول من علو إلى سفل، ولكن الهدف منه بيان أفضلية ثلث الليل الأخير في إجابة الدعاء، ثم لم يهدأ حتى رفض تفويض معاني الآيات المتشابهات في الذات والصفات، والذي هو مذهب السلف الصحيح، والذي ليس لهم مذهب سواه، وهاجم الأثرية أتباع السلف وذلك بزعم أنّه مذهب التجهيل وأنّه من شر أقوال أهل البدع، ثم أوجب حمل الآيات والاحاديث المتشابهات في الذات والصفات الواردة في القرآن والسنة على ظاهرها الحقيقي في اللغة أي المعنى المادي الحسي، ويرفض حملها على المجاز، لأنه لا مجاز في القرآن والحديث!، ومذهبه هو التجسيم المحض، وأنّ الله تعالى موجود بذاته فوق العالم، والعالم المخلوق تحته، وهو موجود على عرشه، وأنه متناه من جهة تحت، أما من جهة فوق فليس فوقه شيء، وأنّه يتحرك ويقبل الحوادث وينزل إلى السماء الدنيا نزولاً حقيقياً بذاته، كما دندن حول صفات الوجه واليدين والعينين والقدم والساق بما يُخيل إلى العوام أنّها أجزاء من الذات، وليست صفات منزهة عن الجارحة والجسمية، كما دندن حول الجسمية والتجسيم، وأنه لا يوجد شرعاً أو عقلاً ما يمنع من أن يكون الله جسماً !!، مع أنّ إجماع أهل الأصول ممن يؤخذ بقولهم في العقيدة على تنزيه الله تعالى عن الجسمية ومعاني الجسمية، كما دندن حول حديث خلق آدم على صورته، بما يُشعر أنّ آدم على صورة الرحمن، وأنّ كل ذلك على الظاهر الذي يليق بذات الله تعالى، ويظن بعد هذا الحشو والتجسيم أنّه قد اصاب السنّة التي يعلم صغار طلبة العلم من الأصوليين أنّه محال على الله لأنّ فيه تجسيم وتمثيل بالحسيات وتكييف للذي تقدس ليس كمثله شيء، ووصف لله تعالى بالحد والنهاية والحدوث، وهل بعد تلك العقائد يبقى لنا شيء من التقديس الذي حبى الله تعالى به أمة التسبيح والتنزيه والتوحيد، ومن العجيب الذي تدمى له القلوب، أنّه لم يقنع بمفردات العقيدة الحشوية حتى أضاف إليها أُموراً تزيد الطين بلة، فعد السفر لزيارة الرسول الأعظم بدعة وشركاً، كما عدّ التبرّك بآثارهم والتوسّل بهم شيئاً يضاد التوحيد في العبادة، ومن أجل ذلك عادى وخالف أكابر أهل العلم في زمانه وما سبقه من أزمان، ولم يسلم من قلمه ولسانه الكثير من الهداة المهديين من علماء أهل السنّة والجماعة، نصحوه فلم يرعوى، ولم يتعظ حتى أدركته المنية في سجن دمشق،

[المفتاح السادس عشر]: من رؤوس المسائل الّتي طرحها ابن تيمية وأصرّ عليها وخالف الرأي العام لجمهور علماء المسلمين، ولأجلها اعتقل مرات عديدة ونفي إلى مصر وسجن ومات بسجنه: **(أ)** وجوب وصفه سبحانه بالصفات الخبرية المتشابهة كالوجه واليد والعين والمجيء والنزول والاستواء بنفس المعاني اللغوية الظاهرة المعروفة من اللغة من دون تصرّف، وسماها صفات اعيان، ولا معنى للعين إلا الجزئية والبعضية، مع أنّها أمور متشابهة لابد من ردها إلى أمهاتها من المحكم، وقد قام بذلك علماء الأصول مفاخر الإسلام ومعاقد الإيمان، فضبطوا علمها وابن تيمية لا يعلم عن هذا العلم شيئاً، **(ب)** تحريم التوسّل بالأولياء والصالحين، وتحريم الاستغاثة بالأولياء ودعوتهم لأنّها شرك بالله، مع أنّ الشرك ضد التوحيد، والتوحيد هو افراد الله تعالى بالعبادة، وللعبادة جانب أهم وهو اعتقاد الإلهية والربوبية في المعبود، وجانب آخر هو العمل العبادي كالسجود والدعاء وغيرهما من مفردات العبادة، فمن صرفها باعتقادها كان عابدا، ومن صرفها بغير اعتقاد، فهي أبعد ما تكون عن العبادة ومنه سجود الملائكة لآدم، فأين كل هذا من التوسل بالصالحين إلى الله تعالى لنيل الشفاعة عند الله، ومع ذلك وعلى سبيل التنزل فقصاراها مسائل خلافية لا يجوز الاحتساب فيها، ولا الأمر والنهي فيما ومع ذلك أفنى ابن تيمية حياته في نصرتها في أوقات كانت الأمة تنزف دماءها بسبب ضعفها أمام التتار، فهل كان صوابا أن يشغب على الأمة بمفردات حشوية لا تمت إلى الأصول بنسب ولا صلة، **(ت)** تحريم شدّ الرحال إلى زيارة النبي وتعظيمه بحجّة أنّها تؤدّي إلى الشرك، وهذا أطم الطامات، حيث انفرد به عن علماء الإسلام، وحمل حديث ((لا تشد الرحال)) على غير محامله، فقد سيق في بيان فضل المساجد الثلاث على غيرها، فادخل فيها زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا علاقة للزيارة بالحديث، بل علاقته أقرب إلى زيارة القبور، وهي جائزة باتفاق، وأولاها قبر سيد الأولين والآخرين الذي به صلى الله عليه وآله وسلم أخرجنا الله تعالى من الظلمات إلى النور، وما المانع أن يأتي بعده من يحرم شد الرحال للعمل أو طلب العلم، لأنّ مآخذها ومآخذ الزيارة سواء، وجميعها أجنبي عن فتوى تحريم شد الرحال، إنّ المسلمين – على مر عصور الإسلام – كانوا يحترمون قبر النبي ويزورونه، ولم تك الزيارة في تلك العصور أبداً ذريعة إلى الشرك، بل كان الهدف منها توقير النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيم قدره، وهو مطلب قرآني، قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} الآية، ولكن ابن تيمية، يُخالف ذلك كله، ويحرّم شدّ الرحال إلى زيارته صلى الله عليه وآله وسلم تمسكاً بحديث غير دال على ما ذهب إليه، فما ذنب

الإسلام والمسلمين، إن كانت بعض الأفكار الحشوية والخاطئة قد تسربت إلى عقل ابن تيمية ومن ثم إلى أتباعه، والحقيقة المؤسفة أنّ ابن تيمية لم يكن سلفياً واعيا، بل تسربت إليه العديد من مفردات المذهب الحشوي، تسربت إليه من مؤلفات الحشو التي سماها أصحابها بكتب السنّة والشريعة والتوحيد، وظن هو أنّ لها من اسمها نصيب، مع أنّ فيها من الحشو ومحاربة الأصول وهدم الصروح العلمية والقواعد التقديسية والأصول التنزيهية الكثير والكثير مما أضر به، وبأتباعه من بعده،

[المفتاح السابع عشر]: إنّ الموالين لابن تيمية والمقتفين أثره يصفونه بالسلفية، ويعتقدون فيه بأنّه محيي مذهب السلف، ومجدد السلفية، ولكنّه للأسف لم يجدد سوى المدرسة الحشوية بجميع مفرداتها، وأخص صفاتها من محاربة التخصص العلمي والاستهانة به والجهل المطبق بقواعد التقديس والتنزيه والتوحيد، هاجم الأصول والفروع والوسائل، وأخذ يهوش على المتخصصين، فنصحوه ووعظوه، فلما خافوا من فتنته للعامة والجهلاء سجنوه وخافوا الله تعالى فيه فلم يقتلوه، ثم لم يهدأ حتى دخل في دهاليز مظلمة من الحديث عن علم الكلام والمعقول والمنقول، وهو لا يدرك المعقول ولم تتهيأ له الفرصة في تعلمه على يد المتخصصين، فجال وصال وقطع الطريق على العلماء والفقهاء والعارفين ثم لم يهدأ حتى نال من منزلة سيد الأنام بأن حرّم التبرك والتوسل به إلى الله تعالى، مع أنّه أفضل الوسائل وأقصر الطرق إلى رضا الله، ثم أضحك الثكلى بتحريم التبرك وقصد زيارته عليه الصلاة والسلام، في زمان كانت الأمة جميعا على جواز تلك الأعمال وأنّها من فضائل الأعمال، ثم دخل هو في دهاليز الألغام بان تحدث عن ليث بني غالب وباب العلوم والمعارف أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، بما لا ينبغي، إذ لكل مقام مقال، وهل الرد على الروافض يُجيز له رفع الحشمة والادب مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم تكلم عن الطاهر المطهر سيدنا الحسين، بكلام لا ينبغي، وهل التمحل في الدفاع عن يزيد يُجير سوء الأدب مع السادة الكرام، **فهذه كلها من مفردات الحشو التي لم يتنبه إليها ابن تيمية، فتعجل بتبنيها ونشرها**، وهي لا تمت إلى السلفية بنسب ولا صلة، **فهل من السلفية** اتهام المسلمين بالشرك بدعوى التوسل، والتوسل مسالة فقهية على مر عصور الإسلام، ولم يجعلها من أبواب العقيدة والتوحيد والشرك، أحد قبل ابن تيمية، **فهل كان السلف** قبله على ضلالة عندما اوردوها في أبواب الفقه، وكيف تكون سلفية في مسالة نُخالف فيها السلف، إنّ السلف الصالح في حياة النبي وبعده كانوا يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، لما له من كرامة عند اللّه، ولم يخطر ببال أحد أن التوسل

إلى الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم شرك أو ذريعة إلى الشرك، وكان هذا ديدن السلف في جميع العصور، فهل لمنكر التوسل أن يصف نفسه بالسلفية، ثم يتطاول على بقية المسلمين باللقب، فيرميهم بالشرك والضلالة والبدعة والكفران، **ثم هل من السلفية** في شيء أن يأتي أحدهم بجمع الاحاديث التي تتعلق بالصفات الخبرية، ويسردها في مؤلف واحد يُوهم التشبيه والتجسيم، ويمتحن الناس باعتقادها، **هل هذه سلفية، أم حشوية**، لقد كان الإمام مالك ابن أنس إمام السلفية بحق عندما كان يمنع من رواية الاحاديث التي تتعلق بالصفات الخبرية، خوفا من تتبع المتشابهات، وكان يمنع في مجلسه من مجرد السؤال عنها، فكيف ينتسب إلى السلفية من يجمع تلك المتشابهات ويسردها في مؤلف واحد يُوهم التشبيه والتجسيم، ثم ينسب ذلك إلى السلف، ما أشد حاجة السلفية المعاصرة من تنقيتها من أدران الحشو والتجسيم والغلو في التكفير والتشريك والتبديع، والله الهادي إلى سواء السبيل،

[المفتاح الثامن عشر]: هل يصح بعد تلك المخالفات والمجازفات: أن يعتبر مذهبه هو الممثل والمتحدث الرسمي الصحيح عن الدين واهله، وعن السلفية والسلف، وعن العقيدة المنجية وأصولها، وعن الفقه وأدلته، وعن التزكية وأسرارها، نعم نقدر له مكانته، ولكنّه ليس بالمعصوم، ولا بالمتخصص في علم معين يُقتدى به فيه، نحترم علمه ونذكر أخطاءه، ونضيف علمه إلى تراث أهل الإسلام، بعد غربلته على أيدي المتخصصين، ونستدل بأقواله، ولا مانع عند الخطأ أن نقول: أخطأ في تقرير تلك المسألة، ولا زلت أقول وأوقن أنّ ابن تيمية لو فهم علم التقديس وقواعد التنزيه على يد متخصص، لكان آية في العلم، ولتغيرت الكثير من موازين التقييم عنده، ولا يغرنّك رده على الأكابر في علم التقديس والتنزيه كالرازي وفحول الأشاعرة، فردوده خواء عن معرفة مقصود تنزيههم لأنّه ولج علما لا يتقن أصوله، فأخذ يحشو في الردود حشواً، وما أسوأ ردّه على كتاب تقديس الرازي، يرد الصواب بالخطأ ويجول ويصول ويجادل في اثبات خطأ الصواب وصواب الخطأ، ولا يغرنك محاولة اثباته عدم التعارض بين النقل والعقل، بجر ما توهمه معقولاً، إلى فهمه القاصر الذي فهمه بالخطأ من المنقول، فلا هو – يرحمه الله – يدرك المعقول على وجهه لأنّه غير متخصص فيه، **وهل أقل المعقول إلا معرفة ما يجوز وما يجب وما يستحيل في حق الخالق سبحانه**، وهل أقل المعقول إلا التفريق الأصولي بين القديم والمحدث وهو لا يدركه، وهل أقل المعقول إلا معرفة قواعد التنزيه التي تمنع التمثيل والتشبيه والتجسيم والحشو عند الحديث عن ما يتعلق بالله تعالى، وهو يرحمه الله لا يدرك ذلك البته، وأنا لا أتجنى عليه، يرحمه الله فقد أمضيت ثلاثين سنة في دراسة كتبه ومعرفة مداركها

ووجه المخالفة فيها لأكابر المتخصصين من علماء أهل السنّة والجماعة، وأعلم علم اليقين أنّه لو درس المعقول على وجهه لما كان هذا حاله في التنزيه والتقديس، وإنما كان يجعل المحسوس مكان المعقول وهو يتحدث عن المعقول، ولا يتبين الفارق بينهما مع أنّه فارق عظيم عند أهل التخصص والعرفان، ثم ما يفهمه من المنقول ليس هو بفهم الاكابر الذين ضبطوا الأصول في العقيدة، لأنّه لا يمتلك أدواتهم ولا حواجزهم في منع الولوج في الفهم الممنوع، ولذلك وقع في بعض المخالفات التي حاول فيها سحب الأمة بعيدا عن وسطيتها بين المعتزلة والمجسمة، إلى ناحية المجسمة، – وهو لا يدرك ذلك – بحسن ظن أنّه يريد سحبها إلى السلفية التي فهمها وعاش حياته من أجلها، وهل كان السلف إلا أكابر المقدسين والمنزهين والمسبحين، ولكن أبى الله تعالى الصحة والكمال إلا للمتخصصين من أهل العلم كلٌ في علمه الذي تخصص فيه، وأتمنى أن تتكامل اللحمة بين طوائف أهل السنّة والجماعة، فنأخذ بأحسن ما خط قلم الإمام أحمد بن تيمية ونتجنب غرائبه وأخطاءه، ونقول أصاب في كذا، وأخطأ في كذا، وخالف الجمهور في كذا، ونأخذ بقوله في كذا، ونخالفه في كذا، فتتقارب الصفوف بدلاً من شقها وتنازعها ليس على مدى القرب والبعد عن أصول الإسلام، وإنما على أساس الولاء والبراء لدعوة ابن تيمية، أما انتصارا لها وإما انتصارا لرافضيها ومحاربيها،

(فائدة): الفرق الجوهري بين مدارس المتخصصين في علوم الإسلام، وبين مدرسة الإمام ابن تيمية العلمية، أنّ مدارس المتخصصين في علوم الإسلام، سواء في العقيدة أو الفقه أو التزكية، أنّ كل واحدة منها تخصص في علم معين، ثم كان التمحيص والتأصيل والتهذيب في النور على أيدي مئات إن لم يكن آلاف المتخصصين المنتسبين إلى تلك المدارس، فصنعت في النور، وهذبت في النور، وانتشرت في النور، فكانت في مأمن من الخطأ والخلل الجسيم، وها هي مدارس العقيدة: الأثرية والأشعرية والماتريدية ملئت الأرض نوراً وانتسب إليها على مر العصور أكابر العلماء، وأساطين أهل العلم، وها هي مدارس الفقه عمت أرجاء الأرض وانتسب إليها سواد أهل السنّة والجماعة، وهكذا مدارس التربية والتزكية التي نشرت الإسلام شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، أمّا مدرسة ابن تيمية فبسبب مخالفة ابن تيمية لعلماء أهل عصره من شتى الطوائف، ولا يعقل فسادهم جميعا وصلاحه قد صُنعت في السجون والخفاء، ولم يطلع عليها سوى فئة قليلة من اتباعه، ولم تُوصل في النور، ولم تهذب كما كان يفعل علماء المذاهب في تخصصهم، ثم اختفت كتبه ومعارفه حتى تبناها ونشرها الشيخ محمد ابن عبد الوهاب بقوة السيف والسنان، وفي ظل هذا الجو الملبد بغيوم الارهاب الفكري بالتكفير والتبديع لمن يخالف

هذه المنظومة الفكرية والعقدية، استكان من استكان ونشأ جيل لا يعرف إلا ما رأى، فلم تُوصل الأفكار في أجواء حرية الفكر ودقة التخصص، كما حدث مع سائر مدارس التخصص الفكري الإسلامي،

***

المبحث الثاني

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ميزان الإسلام

[المفتاح الأول]: تبنى محمد ابن عبد الوهاب بقوة السيف والسنان نشر كتب وأفكار ابن تيمية والتي تبين لنا خطؤها، ولكن زاد الطين بلة بما أضاف إليها من اجتهادات خاطئة في مباحث توحيد الألوهية، وفي مباحث توحيد الربوبية، وفي مباحث تقرير حقيقة الشرك الأكبر، وفي مجال نقل مباحث خلافية من علم الفقه كالتوسل والتبرك وبناء المساجد على القبور وشد الرحال لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علم العقيدة وإلصاقها بالتوحيد والشرك، وفي مجال الخطأ في الهجوم على علم التصوف برمته، بحسنه وسيئه، واعلان الحرب على أهله واستحلال حرماتهم لمسائل لا تبلغ بهم هذا الحال أبدا، وكانت فتنة عظيمة عمت جزيرة العرب لسنوات عديدة استحلوا فيها دماء المسلمين، وهاجموا البلدان وقتلوا المسلمين دون تمييز بين رجل وامرأة وطفل، حتى انهم كانوا يذبحون الرضيع على صدر أمه، كما قتلوا من وجدوا في المساجد والبيوت وكانوا يلاحقون الفارين يضربون أعناقهم، وأرعبوا الصغير

والكبير وبطشوا بالقبائل حتى أبيدت قبائل بأكملها، وما ذلك إلا بناء على عقيدتهم التي ترمي أهل ملة التوحيد بالشرك الأكبر لتستحل بذلك دماءهم وأموالهم، وكانت فتنة عظيمة وأحداث دامية ارتكبها الوهابيون في حق المسلمين لا تختلف أبدا عن تصرف الخوارج مع أهل القبلة، إذا تمكنوا منهم فاستحلوا دماءهم واموالهم، وباختصار شديد أُشير إلى بعض أخطائه الجسيمة في أبوب العلم والدين والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل،

[المفتاح الثاني]: ففي مجال توحيد الألوهية: أخطأ في تفسير العبادة، ففسرها بمعناها اللغوي وهو الإتيان بأقصى غاية الذل والخضوع، **وذهل عن ضابطها الذي يضبط أحكامها** ألا وهو الإتيان بأقصى غاية الذل والخضوع لمن يعتقده إلها له صفات الإلهية واستحقاق العبادة من دون الله، أو لمن يعتقده رباً أو له بعض مفردات الربوبية استقلالا كالقدرة على النصرة والعز والنفع والضر من دون الله، وكنفوذ المشيئة لا محالة و لو بطريق الشفاعة لعابده عند الربّ خالق السموات والأرض، الّذي هو أكبر الآلهة في اعتقاده ولهذا قالوا: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ} [ص: 5 و 6]، وقالوا: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفي} [الزمر: 3]، وقد كفر المشركون بسجودهم لأوثانهم و دعائهم إيّاهم، وغيرهما من أنواع الخضوع لتحقّق هذا القيد فيهم، و هو اعتقادهم ربوبية ما خضعوا له، أو خاصة من خواصها كما سيأتيك تفصيله لا يصحّ أن يكون السجود لغير اللّه فضلاً عمّا دونه من أنواع الخضوع بدون هذا الاعتقاد، عبادة شرعاً (كسجود الملائكة لآدم)، فانّه حينئذٍ يكون كفراً، وما هو كفر فلا يختلف باختلاف الشرائع، ولا يأمر اللّه عزّ وجلّ به {قُلْ إِنَّ اللّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ} [الأعراف: 28]، {وَلا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ} [الزمر: 7]، وذلك ظاهر إن شاء اللّه، ولكن لما رأى الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنّ المشركين كانوا يتقربون لآلهتهم بالذبح والنذر والدعاء والاستعانة والاستشفاع والسجود والتعظيم ... الخ ظنّ أنّ مجرد إتيانهم هذه الأمور لذاتها هو العبادة، وأنّ كل عمل يصلح للتعبد به لا يقع إلا عبادة إن وقعت لله فهي التوحيد، وإن وقعت لغيره فهي الشرك، فأدى ذلك إلى الغلط في تصور العبادة والشرك المقابل لها، وإنّ الغلط في تفسير العبادة، كان المزلقةُ الكبرى والمزلَّة العظمى، الذي أُستحِلت به دماءُ لا تحصى، وانتهكت به أعراض لا تعد، عياذاً باللّه من المزالق والفتن،

[المفتاح الثالث]: وفي مجال توحيد الربوبية: قال في مجموعة التوحيد: " وبعد فهذه أربع قواعد من قواعد الدين يميز بهن المسلم دينه من دين المشركين: **القاعدة الأولى:** أن الكفار

الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا مقرين لله بتوحيد الربوبية يشهدون أن الله هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر لجميع الأمور ولم يدخلهم ذلك في الإسلام والدليل قوله تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُون}" أهـ [مجموعة التوحيد ص 15 – 16]، والخطأ في هذا القول بين لأسباب عديدة، **منها:** أنّ توحيد الربوبية لله يعني اعتقاد أن الله أن الله تعالى هو وحده الخالق الرازق الهادي الشافي المحيي المميت المتعهد بالتربية لجميع خلقه إذ هو رب العالمين، له في لك كله المشيئة المطلقة والإرادة النافذة لا حق لأحد في مراجعته وأمره كله عدل وفضل {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون}، واعتقاد حقه المطلق في التشريع والحكم والأمر {ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين}، **هذا هو توحيد الربوبية عند الموحدين**، ومن اعتقد بأن هناك من يملك الضر أو النفع أو التصريف أو التدبير في حياة الناس وغيرهم من المخلوقات من دون الله فقد أشرك في ربوبية الله عز وجل شركاً أكبر، ومن اعتقد أن لأحد من دون الله حق مطلق في التشريع المطلق بالتحليل والتحريم والحكم والأمر والنهي دون الرجوع إلى حكم الله وشرعه فقد اتخذه رباً من دون الله، ومن اعتقد أنه يجوز التحاكم إلى شرع غير شرع الله فقد كفر بربوبية الله عز وجل لخلقه، هذا هو توحيد الربوبية عند المسلمين، **أما مشركو العرب فقد اعتقدوا بأن لآلهتهم قدرة ذاتية على النفع والضر** وهذا شرك في الربوبية وذلك باعتقادهم بقدرة غير الله على الضر والنفع والإعزاز والإذلال والنصر مستقلا عن الله، ويتضح ذلك في مثل قوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [مريم: 81]، وقوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ} [يس: 74]، **وكانوا يخوفون الرسل من بطش آلهتهم** وهذا يعني اعتقادهم أنها تنفع وتضر استقلالا وهذا واضح لمن تدبره في مثل قوله تعالى: {إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ} [هود: 54]، وقوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: 36]، والخلاصة أن المشركين كانوا يعتقدون بأن الآلهة التي عبدوها وآمنوا بها تضر وتنفع وتنتصر وتنتقم وتنصر ولهذا اتخذوها أربابا من دون الله لعلهم ينصرون، وكذلك فإن اعتقاد المشركين كان يقوم على اعتقاد وجود الشريك الذي له تأثير مستقل في الخلق وتدبير مملكة الله، ولهذا أمر الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إخبار المشركين بالبراءة من الشريك كما في قوله تعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء: 111]، وهذا يعني أن شرك

المشركين لا يقتصر على شرك العبادة، ولكن معه شرك الربوبية الي يشمل اعتقاد الشريك في الملك والتدبير، وكذلك اعتقاد المشركين بوجود الند لله، والند كما جاء في معاجم اللغة هو الضد والشبيه والمثيل الذي له مشاركة في الملك والخلق والتدبير [انظر: تهذيب اللغة ج14 ص 51 و المفردات ص 486]، والمشركون كانوا يعتقدون في أصنامهم ومعبوداتهم أنها أنداد لله، والأدلة من القرآن الكريم على ذلك كثيرة منها: قوله تعالى:: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ} [ابراهيم: 30]، وقوله تعالى: {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [فصلت: 9]، وقوله تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 22]، وقوله تعالى: {أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الشورى: 9]، وقوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 41]، كما أنّ المشركين كانوا يساوون بين الله تعالى وبين معبوداتهم، كما في قوله تعالى – واصفا معتقد المشركين الذي أوداهم إلى النار–: {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: 96 إلى 98]، فهذه الآيات . التي تحكي عقيدة المشركين و هي أنّهم جعلوا للّه سبحانه تعالى أنداداً و أنّهم كانوا يسوّون آلهتهم بربّ العالمين في صفات ربوبيته وتدبيره وتصريفه للكون وما فيه، كما أنّ المشركين كانوا يلهجون بدعاء آلهتهم رجاء نصرتها لهم واعزازها لهم، إذ لا يعقل في تاريخ البشر أن يدعو أحد أحدا لا يرجوه لتحقيق منفعة أو رد ضر وإلا خرج من دائرة العقلاء، ورد الله تعالى عليهم اعتقادهم الباطل بقوله تعالى: {والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون * أمواتٌ غير أحياءٍ وما يشعرون أيّان يبعثون * إلهكم إلهٌ واحدٌ} [النحل: 20إلى 22]، وبقوله عز وجل {فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لمّا جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب) [هود: 101]، وقوله تعالى: {وما يتّبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون} [يونس: 66]، ويظهر جليا من هذه الآيات أن مشركي العرب كانوا يتخذون آلهة لهم من دون الله وكانوا يدعونهم عند الشدائد ويستغيثون بهم اعتقادا أنّها تسمع دعاءهم وتقدر على نصرهم وأنهم شركاء لله في ملكه العظيم، وبعد كل هذا الشرك الجلي في الربوبية يزعم الوهابيون أنّهم على توحيد الربوبية،

[المفتاح الرابع]: وفي مجال الخطأ في تقرير حقيقة الشرك الأكبر واتهام الأمة بالوقوع في الشرك الأكبر: فكما كان الخطأ في تقرير العبادة كان كذلك الخطأ في تقرير الشرك، وأنّه

ليس مجرد صرف صور العبادة كالسجود والدعاء والذبح وغيرها من صور العبادة لغير الله تعالى، ولكنه الصرف المُصاحب بالاعتقاد لمن يصرف إليه صورة العبادة أنّه إله معبود أو رب قادر، وإلا لم يكن شركا أكبر يُخرج من الملة إلى الكفر الاكبر، ومن ذلك الخطأ في فهم آية الزمر، ومعرفة حقيقة اعتقاد المشركين بربوبية معبوداتهم: قال تعالى {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفي إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [سورة الزمر: 3]، والولي في اللغة هو الناصر والمعين والمشركون اعتقدوا ذلك في آلهتهم بدليل قوله تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [مريم: 81]، فالآية ظاهرة الدلالة في أنهم يعتقدون أنها تحقق لهم العز، **وقوله تعالى** {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ} [يس: 74]، والآية ظاهرة الدلالة في أنهم يعتقدون أنها تحقق لهم النصر، وقوله تعالى {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ} [سورة هود] وهذا معتقد المشركين على مر الأزمان يعتقدون أن أصنامهم تحقق لهم الحماية وأن لها القدرة على إلحاق السوء والضرر بمن يكفر بها ويذكرها بسوء، وعلى ذلك فهم مشركون في الربوبية باعتقاد بعض مفرداتها وصرفها لمعبوداتهم مع الله، {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفي} **ويستفاد من الآية** : أنهم أقروا بعبادة أصنامهم وهو شرك في العبودية والألوهية (ما نعبدهم)، وأنهم زعموا أن عبادتهم للأصنام من أجل أن تقربهم إلى الله، ويستفاد كذلك كذب دعواهم في أنهم ما عبدوها إلا لتقربهم إلى الله زلفي، بدليل رد الله تعالى عليهم بقوله في خاتمة الآية {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}، وكذبهم مفاده أنهم يعبدونها لأنهم يعتقدون أنها تنصرهم وتعزهم وتحميهم وتعتري أعدائها بسوء وضر، وهذا كله من أعظم الشرك في ربوبية الله تعالى وإلهيته لعباده، وفي الحديث (أنا أغنى الأغنياء عن الشرك)، وقوله تعالى: {كَاذِبٌ كَفَّارٌ} صيغة مبالغة من كافر لأنهم كفروا بربوبية الله وألوهيته وكذبوا على الله ورسوله،

[المفتاح الخامس]: والخطأ في نقل مباحث خلافية من علم الفقه كالتوسل والتبرك وبناء المساجد على القبور وشد الرحال لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علم العقيدة وإلصاقها بالتوحيد والشرك، وليس المقصد من الدعاء إلى تحقيق تلك المسائل هو الانتصار لرأي فقهي على حساب آخر، وليس هو من قبيل تهوين ما يفعله بعض الجهلاء عند مقابر الصالحين، فإن المساجد بيوت الله تعالى في الأرض، وهي دور العبادة والطاعة والصلاة، ولابد من تنزيهها عن أفعال الجاهلين وغلو المغالين وتسيب المستهترين، وإنما المقصد الأساس من ذلك هو بيان أنّ هذه المسائل تتبع الفقه ولا تتبع التوحيد، وتتبع السنّة والبدعة ولا تتبع

الشرك والتوحيد، وتتبع الصواب والخطأ ولا تتبع الإيمان والكفر لأنّ المسلمين – على مر عصور الإسلام – مهما بلغ الجهل منهم مبلغه، فلم يعبدوا إلا الله ولم يصرفوا العبادة إلا إلى الله، كيف وشعارهم هو (لا إله إلا الله)، ومن ثم تهذيب مسائل التوحيد والشرك، فلا يشوبها شائبة الغلو والجفاء، واتهام المسلمين بالشرك الأكبر وهم منه برآء، فعلاج الخلل لا يكون بالخلل، وعلاج الخطأ لا يكون بالخطأ، وعلاج التفريط لا يكون بالإفراط، ودين الله تعالى عدل بين ظلمين، ووسط بين طرفين،

[المفتاح السادس]: والخطأ في الهجوم على علم التصوف برمته، بحسنه وسيئه، واعلان الحرب على أهله واستحلال حرماتهم لمسائل لا تبلغ بهم هذا الحال أبدا، وإخراجهم من دين المسلمين أو من اطار أهل السنّة والجماعة بظلم وبغي ناشئ عن الغلو في فهم مفردات التوحيد والشرك والسنّة والبدعة، وقد كان الإمام ابن تيمية يفصل في مسائل التصوف، وجعلهم طوائف منهم الصديقون والأولياء، ومنهم الأدعياء المرتزقة، ومنهم أهل الجهل والخرافة، ومنهم أهل البدعة والضلالة، ولكن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب لم يفصّل وإنما اعتبر التصوف برمته ضلال ينبغي أن يُزال، مع أنّ السبب الاساس الذي أُنشأ من أجله التصوف هو تزكية الباطن، وقد كان هو العلم المتخصص في إصلاح القلب وسلامته وتزكيته، وتخليته عن صفاته الذميمة، وتحليته بعظيم الآداب والأخلاق، وقد أجمع الفقهاء على أن الأمراض والآفات القلبية كالكبر والشح والحقد وغيرها من الذنوب والكبائر القلبية التي تحتاج إلى توبة وطهارة وغالبها لا ينفك عنها بشر، والتصوف هو العلم الذي اختص بمعالجة هذه الأمراض القلبية والعمل على تزكية النفوس والتخلص من صفاتها الناقصة الذميمة، كما أنّه هو العلم الذي تخصص في بيان درجات الإحسان ومنازل المقربين من رب العالمين وهو العلم الذي تخصص في رسم الطريق العلمي العملي الذي يوصل المسلم إلى أعلى مقامات الكمال الأخلاقي مع الله تعالى ومع الناس، وقد كان السادة الصوفية الحقة هم العلماء العاملون الصادقون والمرشدون المربون والعارفون بمناهج التربية والإحسان، وبالتالي فإن إلصاق كل التهم بالصوفية دون تفريق ودون مبالاة بما دس على بعضهم، أو قالها بعضهم في ساعة ذهول لا يقصدها، أمر لا ينبغي، إن كلمة (صوفي) كانت على مر عصور الإسلام السابقة – منذ القرن الثالث الهجري وإلى يومنا هذا – كلمة ثناء، وصفة مدح، فلا يعقل أن ينادي اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى اقتلاع التصوف من جذوره، وابادة التصوف وأهله، وردم التراب على تراث المتصوفة بحجة تطهير المنهج من المبتدعة، فهل بعد هذا من تنطع، وأين يذهب أكثرية أهل السنة والجماعة في العالم اليوم في

مصر والسودان وبلاد الشام، ودول المغرب العربي واندونيسيا والباكستان وغيرها من بلاد المسلمين، وليس معنى ذلك أن نبرأ جميع الصوفية من الخطأ، فهناك من أدعياء الصوفية من أساء للصوفية أكثر من أعداء التصوف،

[المفتاح السابع]: استحلال دماء وأموال مخالفيه: فقد استحل دماء المسلمين في نجد والحجاز بتهم الشرك والكفر والخروج من ملة الإسلام، ونظرة عابرة إلى تاريخ نجد لابن غنّام، نعلم كيف كانت (الغزوات) ! على أعراب نجد والحجاز، وكيف كانت الدماء والحُرمات تُستحل حتى في المساجد، والغنائم توزع على المجاهدين وكأنّهم يحاربون عُباد الأوثان، لا مسلمين يقولون (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ويعتقدون أنّه لا إله إلا الله، وأنّ كل ما جاء به رسول الله تعالى من عند الله حق يدينون به لله،

[المفتاح الثامن]: غلو الدعوة الوهابية في تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وحرماتهم

: هناك العديد من نصوص محمد بن عبد الوهاب والتي آلت به إلى تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وحرماتهم، ومن تلك النصوص، قوله: – وهو يتحدث عن أربع قواعد في التوحيد –: (الأُولى): إنّ الكفار الذين قاتلهم رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم مقرّون بأنّ اللّه هو الخالق الرازق المدبر، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام لقوله تعالى: {قُلْ مَنْ يَرزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالأرضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأبصَارَ ...، فَسَيَقُولُونَ اللّه فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ} [يونس: الآية ٣١]، (الثانية): إنهم يقولون: ما دعونا الأصنام وما توجهنا إليهم الاّ لطلب القرب والشفاعة لقوله تعالى: {الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَولِياءَ مَا نَعْبُدُهُم اِلاّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللّه زُلفي} [الزمر: الآية ٣]، وقوله: {وَيَعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللّه مَالا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُم وَيَقُولُونَ هَؤلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّه} [يونس: الآية ١٨]، (الثالثة): إنّه ظهر صلى الله عليه وآله وسلم على قوم متفرقين في عبادتهم، فبعضهم يعبد الملائكة، وبعضهم الأنبياء والصالحين، وبعضهم الأشجار والأحجار، وبعضهم الشمس والقمر، فقاتلهم ولم يفرق بينهم، (الرابعة): إنّ مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين، لأن أولئك يشركون في الرخاء، ويخلصون في الشدة، وهؤلاء شركهم في الحالتين لقوله تعالى: {فَإِذا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ دَعَوا اللّهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُم إلَى البَرِّ إذا هُمْ يُشْرِكُونَ} [العنكبوت: الآية ٦٥]، [رسالة أربع قواعد ص ١ . ٤] وهو يقصد بمشركي زمانه كافة المسلمين دون أتباعه، وذلك لأنهم يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في شدتهم ورخائهم، ولذلك صاروا عنده أغلظ من مشركي عهد الرسالة، هذا مع أن التوسل بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم جائز

عند جمهور الفقهاء، وقصاراه أنّه من المسائل الفقهية الخلافية وليس من مسائل التوحيد والشرك، كما أنّ هناك فرقاً جلياً بين المسلمين وعبدة الأوثان والأصنام، فإنّ المسلمين يعبدون اللّه وحده، ولا يتوجّهون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ بقصد أن يدعو لهم عند اللّه، ويشفع لهم عنده، وأين هؤلاء من عبدة الطاغوت الذين كانوا يعبدون الأصنام ولا يعبدون اللّه، ويتوجهون إليها على أنها آلهة تملك ضرهم ونفعهم، وهذا الخطأ أدى به إلى استحلال دمائهم على أنّهم مشركون، وقد تكرر هذا الخطأ في رسالته كشف الشبهات، حيث يقول في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " أرسله إلى أُناس يتعبّدون ويحجّون ويتصدقون ويذكرون اللّه كثيراً، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات بينهم وبين اللّه، يقولون نريد منهم التقرب إلى اللّه، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة وعيسى ومريم وأُناس غيرهم من الصالحين " [كشف الشبهات: ص ٣]، فانظر كيف وصف المشركين بأنّهم يتعبّدون ويحجّون ويتصدقون ويذكرون اللّه كثيراً، وهذه مغالطة فجة، فإنّ كفرهم كان في عبادة غير الله، وانكار رسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ثم اتخاذهم واسطة على سبيل الشراكة، كما ذكرنا في كتاب الاصلاح الثالث " التأسيس في علم التوحيد "، فالوساطة لم تكن قط سبب شركهم، وإنّما عبادة غير الله: {ما نعبدهم إلا}، فقد أقروا بعبادتهم، ثم الوساطة الجبرية على سبيل الشراكة مع الله، وهذه وتلك لم يفعلها مسلم قط، إذ المسلم لا يعبد إلا الله، وهو بريء عن عقيدة الواسطة الشركية التي تكون جبرا على الله، وقصاراه التوسل بمن لهم جاه عند الله لقبول الأعمال، دون أي اعتقاد في شفاعتهم الجبرية على الله، ويقول في موضع آخر ما نصه: " إنّ التوحيد الّذي جحدوه هو توحيد العبادة، الّذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد، كما كانوا يدعون اللّه سبحانه ليلا ونهاراً، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من اللّه ليشفعوا له، أو يدعو رجلا صالحاً مثل اللات، أو نبياً مثل عيسى " [كشف الشبهات، ص ٤]، وهو هنا لا يفرق بين الدعاء وبين العبادة، مع أنّ الدعاء لا يكون عبادة حتى يصاحبه اعتقاد الإلهية أو الربوبية لمن يدعوه، ولو كان الدعاء لعبد صالح من عباد الله، لعل الله تعالى ان يستجيب دعوته، فلا تكون الدعوة لهذا العبد عبادة له، وإنّما توسل به إلى الله، ويقول أيضاً: " تحققت أنّ رسول اللّه قاتلهم ليكون الدعاء كله للّه، والذبح كله للّه، والنذر كله للّه، والاستغاثة كلها باللّه " أهـ، وهذه كما ذكرت في كتاب التجديد الثالث " التجديد في علم التوحيد " كلها مفردات للعبادة إن اشتملت على اعتقاد الإلهية والربوبية لمن تُصرف له كانت عبادة، وإن لم تشتمل على تلك العقيدة لم تكن عبادة، ويقول أيضاً: « إنّ المشركين يقرّون بالربوبية وإن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء »، وهذا خطأ، لأن كفرهم

إنما كان لعبادتهم الملائكة والأنبياء لا لتعلقهم بها إذ ليس مجرد التعلق مع الاعتراف بعبوديتهم وعدم تفويض الأمر إليهم موجباً للتكفير، ويقول أيضاً: « إنّ الذين قاتلهم رسول اللّه مقرّون بأن أوثانهم لا تدبّر شيئاً وإنما أرادوا منها الجاه والشفاعة »، وهذا أيضاً خطأ، لأنّ كفرهم لم يكن لأجل طلب الشفاعة، بل لعبادتهم قال تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّه مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُم وَيَقُولُون هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّه} [يونس: الآية ١٨]، ويقول: " إنّ اللّه كفّر من قصد الأصنام، وكفّر من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول اللّه " أهـ، وهذا أيضاً خطأ، لأنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم كفّر من عبد الصالحين، لا من قصدهم، فمن قصد الصالحين لطلب الدعاء لا يكون كافراً أبداً، ويقول أيضاً – وهو يعلّم أتباعه كيف يناظرون المخالف–: " اقرأ عليه: {ادعوا ربّكم تضرعاً وخفيةً إنه لا يحبّ المعتدين} فإذا أعلمته بهذا فقل له: هل علمت هذا عبادة للّه ؟ فلا بد أن يقول نعم، والدعاء مخ العبادة، فقل له: إذا أقررت أنها عبادة، ثم دعوت تلك الحاجة نبياً أو غيره، هل أشركت في عبادة اللّه غيره؟ فلابد أن يقول نعم " أهـ، وهذا أيضاٍ خطأ، لأنّ الدعاء بنية العبادة، والدعاء لمن يعتقده ربا وإلهاً، عبادة، وما خلا عن ذلك فليس بعبادة، والدعاء مخ العبادة لمن دعا من يعتقد أنه يدعو الرب الإله، فأين ذلك من دعوة الأنبياء والصالحين بمعنى التوسل بهم إلى الله، والذين يتكلم عنهم الشيخ مسلمون، لا يعبدون غير الله، ويعلمون أنّ هؤلاء عبادا صالحين لا يملكون شيئاً لأنفسهم ولا لغيرهم، إلا الشفاعة بفضل الله، فلا يجوز تشبيه دعاء الكافرين والمشركين لمن يظنون فيهم نوعا من الألوهية والربوبية، وبين دعاء المسلمين الموحدون، وبهذه القواعد المغلوطة توصل الوهابيون إلى تكفير المسلمين واستحلال محارمهم، بزعم انهم أشد كفراً من المشركين الأصليين،

[المفتاح التاسع]: مآسي المسلمين من غلو الوهابيين: ترتب على غلو الوهابيين في فهم مسائل وأحكام التوحيد والشرك: استحلال دماء المسلمين، لغير سبب شرعي صحيح، وإليك الأمثلة: **(أ) هاجم الوهابية الطائف ليحرروها من الشرك!!** وكانت تحت حكم الشريف غالب حاكم مكة، ودخلوها عنوة في ذي القعدة 1217هـ: 1802م فقتلوا الناس بدون تمييز بين رجل وامرأة وطفل، حتى انهم كانوا يذبحون الرضيع على صدر أمه، كما قتلوا من وجدوا في المساجد والبيوت ولاحقوا الفارين من المدينة فقتلوا أكثرهم، وأعطوا الأمان للبعض فلما استسلموا ضربوا أعناق فريق منهم، وأخرجوا فريقاً إلى أحد الأودية، واسمه وادي الوج، فتركوهم مكشوفي العورة ومعهم النساء، ويذكر المؤرخ الشهير عبدالرحمن الجبرتي – وهو ذو هوى وهابي – في كتابه (تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار) أنهم (حاربوا الطائف وحاربهم أهلها ثلاثة

أيام حتى غلبوا فأخذ البلدة الوهابيون، واستولوا عليها عنوة، وقتلوا الرجال وأسروا النساء والأطفال، وهذا رأيهم مع من يحاربهم) [من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي ص 90]، **(ب) احتلال مكة المكرمة**: بعد إرعاب أهل الحجاز بقتل النساء والأطفال خلال احتلال الوهابية للطائف عام 1217 هـ: 1802 م، بدأوا بمهاجمة مكة المكرمة بعد استيلائهم على الطائف مباشرة فدخلوها سنة 1218هـ: 1803م كما ذكر ذلك عبدالله بن الشريف حسين في (صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر)، أما مؤرخ الوهابية عثمان بن بشر الحنبلي النجدي فيذكر ذلك في أحداث سنة 1220هـ، ومن أحداث تلك الفترة المشؤومة في محرم 1220هـ: 1805م أن الوهابية راحوا يقتلون الحاج ويأسرون من يمر بهم، واشتدَّ الغلاء في مكة بشكل فاحش لم تشهده من قبل حتى باع أهل مكة أثاثهم وحلي نسائهم بعشر القيمة، ليشتروا أقوات أطفالهم بأضعاف أثمانها، ومات الكثير من أهل مكة جوعا وانتشرت جثث الأطفال في الأزقة، بل وكما يذكر مؤرخ الوهابية عثمان النجدي في كتابه عنوان المجد في تاريخ نجد (ج1، ص 135) أن لحوم الحمير والجيف بيعت فيها بأغلى الأثمان، وأكلت الكلاب، وأخذ الناس يهجرونها نتيجة الخطر الجاثم على أطرافها، فلم يبق فيها إلا النادر من الناس، **(ت) منع الحجاج من الوصول إلى بيت الله الحرام**: يذكر المؤرخ عثمان بن بشر الحنبلي في كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد) من أحداث 1221 هـ الحادثة التالية ص 139: " فلما خرج سعود من الدرعية قاصداً مكة أرسل فرَّاج بن شرعان العتيبي، ورجالا معه ... وذكر لهم أن يمنعوا الحواج التي تأتي من جهة الشام واسطنبول ونواحيهما، فلما أقبل على المدينة الحاج الشامي ومن تبعه، وأميره عبدالله العظم باشا الشام فأرسل إليه هؤلاء الأمراء أن لا يقدم وأن يرجع إلى أوطانه، ويقول مفتخراً ج1 ص 143 ولم يحج في هذه السنة أحد من أهل الشام ومصر والعراق والمغرب (أي بلاد المغرب العربي كله) وغيرهم إلا شرذمة قليلة من أهل المغرب لا اسم لهم " أهـ، **(ث) من مجازر الوهابية ضد الحجيج**: في سنة 1341هـ: 1921م التقت سرية من الوهابيين بحوالي ألف من أبناء اليمن القادمين لأداء فريضة الحج، فلما وصل الفريقان إلى وادي (تنومة) والوهابيون في الجهة العليا بينما اليمنيون في الجهة الدنيا، انقض المسلحون على الحجاج بأسلحتهم فأبادوهم فلم ينج منهم إلا اثنان، وقد برر الوهابيون هذه الفعلة بأنّهم ظنوا أن مجموعة الحجاج مجموعة مسلحة من أهل الحجاز فاشتبكوا معها، وهو عذر أقبح من ذنب كما ترى، [صفحات من تاريخ الجزيرة العربية، لمحمد عوض الخطيب، ص 198-199، عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر الحنبلي،ص 139]، **(ج) حرق المكتبة العربية بمكة المكرمة**:

أحرق الوهابية المكتبةَ العربية في مكة المكرمة وهي من أنفس مكتبات العالم، إذ كانت تحوي ستين ألفاً (60،000) من الكتب النادرة، وحوالي أربعين ألف (40،000) مخطوطة، بعضها مما أملاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبعضها كتبه الخلفاء الراشدون وسائر الصحابة، ومنها ما هو مكتوب على جلود الغزلان والعظام والألواح الخشبية والرقم الفخارية والطينية، كما كانت المكتبة تشكل في جانب منها متحفاً يحتوي على مجموعة من آثار ما قبل الإسلام وبعده، **(ح) استباحة دماء المسلمين في المساجد**: جاء في كتاب تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام: " يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (إن عثمان بن معمَّر – حاكم بلد عيينة – مشركٌ كافر، فلما تحقق المسلمون من ذلك تعاهدوا على قتله بعد انتهائه من صلاة الجمعة، وقتلناه وهو في مصلاه بالمسجد في رجب 1163 هـ، ولنا أن نتساءل كيف يكون مشركاً من قُتل في مصلاه بالمسجد يوم الجمعة، وهو يعبد الله، **(خ) الهجوم على الكويت**: وذلك بزعم أنّهم مشركون حلال الدم والمال، فوجهوا إليها الغارات تنهب وتقتل وتسلب وتسبي، وكانت الحملة الأولى سنة 1205 هـ: 1790 م، ثم تلتها حملة أخرى سنة 1213هـ: 1798 م، وثالثة سنة 1223 هـ: 1808 م ووصلوا في هذه الأخيرة إلى الجهراء، وأعادوا الكرة سنة 1338 هـ: 1920م فكانت معركة (الجهراء) المعروفة، **(د) البطش والإبادة لجميع قبائل العرب التي تُخالفهم**: لقد نالت شدة وبطش الوهابية العديد من المسلمين، حتى أبيدت قبائل بأكملها ومواقفهم مع العجمان والخوالد وآل رشيد معروفة، وما ذلك إلا بناء على عقيدتهم التي ترمي أهل ملة التوحيد بالشرك الأكبر لتستحل بذلك دماءهم وأموالهم ونساءهم، ومن أراد أن يتتبع أحكامهم على المسلمين، وكيف أخرجوهم من الملة والدين، واعتقدوا فيهم أنهم مشركون، فليرجع إلى كتاب (مجموعة الرسائل والمسائل النجدية) فإنه سيجد في ذلك العجب العجاب، وكذلك كتاب (عنوان المجد في تاريخ نجد) الذي ألفه أحد علماء الوهابية وهو عثمان بن بشر النجدي الحنبلي، ونشرته مكتبة الرياض الحديثة بالمملكة العربية السعودية، فإن في هذا الكتاب من تعسفهم ومعاملتهم للمسلمين معاملة الكافرين الصرحاء ما تشيب منه الولدان، **(ذ) حرب أهل المدينة**: جاء في كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد: " أجمعوا على حرب المدينة ونزلوا عواليها ...، وضيَّقوا على أهل المدينة، وقطعوا عليهم السوابل، وأقاموا على ذلك سنين " أهـ، **(ر) غزو الشام**: وقد غزا الوهابية هذيل الشام بقيادة عثمان المضايفي في حوالى سنة 1214هـ: 1799م فقتلوا وسبوا النساء، ثمَّ غزوا اللفاع حيث يقيم أشراف بني عمرو فقتلوا منهم عدداً، ونهبوهم وسلبوا النساء حتى أنهم جردوهن من الثياب، فطلبوا الأمان وتوهبوا،، ابادة أهل الحجاز في تربة وحزبة: وهما قريتان بالحجاز

انقض عليهما جنود الوهابية في أواخر شعبان 1337هـ: 1919م فقتلوا ونهبوا واعتدوا على الأعراض وأحرقوا النخيل، وقد أحصي من قتل في تربة وحدها فبلغوا ثلاثة آلاف من المدنيين العزَّل، **(س) غزو الإحساء**: جاء في عنوان المجد: في أحداث 1210 هـ، " فلما استووا على ركائبهم (أي الجند الوهابي) وساروا ثوروا بنادقهم دفعة واحدة، فأظلمت السماء وأرجفت الأرض، وثار عج الدخان في الجو، وأسقط كثير من الحوامل في الإحساء، ثم نزل سعود في الرقيقة ... فأقام في ذلك المنزل يقتل من أراد قتله، ويجلي من أراد جلاءه، ويحبس من أراد حبسه، ويأخذ من الأموال، ويهدم من المحال، ويبني ثغوراً، ويهدم دوراً، وضرب عليهم ألوفاً من الدراهم وقبضها منهم .. ثم يقول عن القتل وذلك بعد الاستسلام.. فهذا مقتول في البلد، وهذا يخرجونه إلى الخيام، ويضرب عنقه عند خيمة سعود، حتى أفناهم إلا قليلا، وحاز سعود في تلك الغزوة ما لا يحصى)، **(ش) غزو البحرين وقطر وعمان**: امتنع العتوب في البحرين عن دفع الجزية فهاجمهم الوهابية وقتلوا منهم الكثير، وأوقعوا بهم خسائر جسيمة.. وقد هاجم الوهابية البحرين مرات عديدة، ومنها الحادثة الشهيرة التي رواها مؤرخ الوهابية عثمان النجدي في كتابه (عنوان المجد) حين قتل الوهابية من أهل البحرين 1400 رجل فانتقم الله لأهل البحرين فانفجر البارود داخل السفن الوهابية المغيرة فمات الجند الوهابي حرقاً وغرقا، يقول صاحب عنوان المجد، " ثم دخلت السنة السادسة بعد المائتين والألف وفيها غزا سليمان بن عفيصان بأمر عبد العزيز بجيش من أهل الخرج وغيرهم، وقصد قطر المعروف بين عمان والبحرين، فصادف منهم غزواً نحو خمسين مطية فناوخهم، فقاتلوا وهزمهم سليمان، وقتلهم إلا القليل، وأخذ ركبهم، ويقول كذلك، عندما تحدث عن أحداث 1209 هـ (.. ثم سار بهم إبراهيم بن عفيصان فقصد ناحية قطر، وأغار على أهله فأخذ إبلا كثيرة من بواديهم وأموالهم، **(ص) غزوة الشقرة على قبائل شمر**: جاء في عنوان نجد: " وفيها (أي سنة 1206 هـ) كانت غزوة الشقرة وذلك أن سعوداً سار بالجيوش الكثيفة من جميع نجد الحاضرة والبادية، وقصد ناحية جبل شمر، وقد ذكر له قبائل كثيرة من البوادي من مطير وحرب وغيرهم، وهم على الماء المعروف بالشقرة قريب من جبل شمر، فعدا عليهم سعود وأخذهم جملة وحاز منهم أموالاً عظيمة، الإبل أكثر من ثمانية آلاف بعير، وأخذ جميع أغنامهم ومحلتهم وأمتعتهم، وأكثر من عشرين فرساً، قتل عليهم عدة رجال، ثم رحل سعود بجميع تلك الغنائم وأخرج خمسها !! وقسم باقيها غنيمة في المسلمين للراجل سهم وللفارس سهمان " أهـ، فمتى كان هؤلاء كفاراً تحلُّ دماؤهم وأموالهم، ووجه الوهابية قواتهم إلى عمان، يقول مؤرخهم عثمان بن بشر النجدي: " ثمَّ سعود أرسل إلى

عمان عبدالله بن مزروع صاحب منفوحة وعدة رجال من أهل نجد و أمرهم بنزول قصره البريمي المعروف في عمان، مطلق المطيري بجيش من أهل نجد ...، فقاتل أهل الباطنة سحار ونواحيها، وقاتلوا سعيد بن سلطان صاحب مسكة (مسقط) ودام القتال بينهم وقتل من عسكر عزان مقتلة عظيمة بلغت القتلى نحو خمسمائة رجل، ثم أنه اجتمع مع مطلق المطيرى جميع من هو من رعية سعود من أهل عمان، فنازل أهل سحار بألوف من المقاتلة، ودخلت سنة خمس وعشرين وهم على ذلك يقتلون ويغنمون، وأخذ مطلق ومن معه قرى كثيرة من نواحى سحار من أهل الباطنة، وبايع غالبهم على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، ولم يبق محارب إلا مسكة ونواحيها مملكة سعيد وما تحت ولاية عزان من سحار، وغنموا منها غنائم كثيرة، وبعثوا الأخماس إلى سعود في الدرعية " أهـ، **(ض) غزو العراق واليمن والشام:** يقول صاحب عنوان المجد، " وفيها (أي سنة 1220 هـ) سار سعود بالجيوش المنصورة، والخيل والجياد المسومة المشهورة من جميع نجد ونواحيها وبواديها، وقصد جهة الشمال نوازل بلد المشهد المعروف في العراق، وفرق عليه المسلمين من كلِّ جهة، وأمرهم أن يتسوروا الجدار على أهله !! ... ثم رحل منه سعود فانحاز على الزملات من عربان غزية فأخذ مواشيهم ثمَّ ورد الهندية المعروفة، ثم اجتاز بحلل الخزاعل، وجرى بينه وبينهم مناوشة قتال وطرد خيل، ثم سار وقصد السماوة وحاصر أهلها ونهب من نواحيها ودمَّر أشجارها، ووقع بينهم رمي وقتال، ثم رحل منها وقصد إلى جهة البصرة ونازل أهل الزبير ووقع بينه وبين أهله مناوشة قتال ورمى، ورحل منه إلى وطنه " أهـ، ولقد احتل الوهابية صنعاء وأمعنوا فيها قتلا، ونهبوا خيراتها، يقول مؤرخهم في غزو الحديدة: " وحاصروا بندر الحديدة وأخذوه ...فتجهز صالح المذكور إلى زبيد وجنوده وقومه فسار إليه بجيش عديد من قبائل عديدة حاضرة و بادية نحو ثلاثة الآف مقاتل فنازل أهل زبيد وأخذوه عنوة ونهبوا منها من الأموال والأمتاع شيئا كثيرا ..، وعزل صالح الأخماس وبعثها إلى الدرعية " أهـ، فأي إسلام هذا الذي يحلُّ الإغارة على المسلمين ؟ وفي بلاد الشام: هاجم الوهابية حوران سنة 1225هـ: 1810م فأحرقوا ونهبوا وسبوا بعد أن قتلوا حتى الأطفال ناهيك عن الكبار، ثمَّ توسعت الغزوات الوهابية حتى بلغت مدينة حلب وقطعوا الطريق بين الشام والعراق، وكانت سراياهم تصل إلى القادسية، وقد قتلوا خلقاً كثيراً خلال غاراتهم تلك، (وبعد) فهذه بعض الأحداث الدامية التي ارتكبها الوهابية في حق المسلمين، ولنا أن نقول: ما هو الفرق بين تصرف الخوارج وتصرف هؤلاء مع أهل القبلة من المسلمين، وهل كانوا حقيقة

يُقاتلون كفاراً مشركين، أم يُقاتلون أهل الإسلام والتوحيد، الذين يدينون بلا إله إلا الله ؟ وكيف بعد ذلك أنّ نصدق أنّهم السلفية على طريق السلف، اللهم اهد قومنا فإنهم لا يعلمون،

[فائدة]: ميزان نبوي لمعرفة الحق في هذه الامة: حتى نعرف الحق عند كثرة الاختلاف بين طوائف الامة، وضح لنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ميزانا دقيقا، أخرج ابن ماجة في سننه ح (٣٩٥٠): عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، يَقُولُ: ((إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلَافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ))، فقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ))، يدل على أن اجماع علماء الامة حق، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلَافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ)) يدل على أنه عند الاختلاف يكون الصواب والرشاد مع رأي الكثرة من العلماء، والمراد (بالسواد الأعظم) هم سواد علماء أمته صلى الله عليه وآله وسلم لأن العلماء ورثة الانبياء وهم أهل الاستنباط والإفتاء، ولا يرد على ذلك استدلال البعض بقوله تعالى: {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}، وقوله تعالى: {وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}، فإن مورد تلك النصوص هو كثرة الكفار في الأرض وقلة المؤمنون فيها، ولم يزعم أحد أن الصواب يكون في جانب الكثرة المطلقة من كفار ومؤمنين، ولكن ندعي أن الصواب يكون في جانب السواد الأعظم من علماء الأمة، وأنّ الخطأ يكون فيمن شذ عنهم، **فالقاعدة النبوية ترشدنا إلى اتباع سواد علماء الامة الاعظم على مر عصور الإسلام**، لقد اصطلحت هذه الجماعة التي تمثل سواد الأمة الإسلامية الأعظم منذ أوائل ظهورها: على تسمية العلم الذي يشرح أركان الإسلام بعلم الفقه، والعلم الذي يشرح أركان الإيمان بالعقيدة، والعلم الذي يشرح مقام الإحسان بعلم التصوف، ففي العقيدة تأسست لهم ثلاث مدارس: **(المدرسة الأثرية)، (والمدرسة الأشعرية)، (والمدرسة الماتريدية)**، وبها اكتملت علوم العقيدة، وفي الفقه تأسست لهم أربعة مذاهب، وهي: المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي، وبها اكتملت علوم الفقه، وقد تنوعت طرق التزكية التي يسلكها الربانيون في تربيتهم للسالكين إلى منازل الإحسان أعلى منازل الدين، وبهذا التخصص الفريد، صار الإطار الواسع الصحيح لأهل السنة والجماعة يشمل سواد المسلمين الأعظم أتباع أئمة الهدى المتخصصين في العقيدة وفي الفقه وفي التزكية، والكل عالة على أهل السنّة والجماعة في باب التخصص العلمي ومدارسه العلمية والسلوكية الرصينة، **لقد حاولت الوهابية مزاحمة أهل السنة والجماعة في مسماها**، بل وحاولت حين غفلة من أهل العلم سحب البساط من تحت أقدام أهل السنة والجماعة لتنسبه لنفسها، ولكن الميزان النبوي لا زال عاملا،

اليوم وبالأمس وعلى مر عصور الإسلام، واليوم إن شاء الله هم أهل السنة والجماعة الحقة أهل العلم والحلم، أهل التقديس والتنزيه، أهل التخصص العلمي الرصين، أهل احترام المدارس العلمية العقائدية والفقهية والسلوكية التي تُعد مفخرة التراث الإسلامي علة مر عصور الإسلام،

[فائدة]: لماذا امتنع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الدعاء لأهل نجد؟ لعل السبب الأبرز في ذلك تكفيرهم لأهل القبلة واستحلال دمائهم وأعراضهم واموالهم وعداوتهم لأهل التصوف الحق، أهل الله الاولياء، الذين حذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من معاداتهم في حديث البخاري: ((إن الله تعالى قال: مَن عادى لي وليًّا، فقد آذنتُه بالحرب))، **فقد أخرج البخاري** عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قَال: ((اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا، قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا، قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ)) [البخاري]، **وأخرج البخاريُ ومسلم** عن عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِيَدِهِ نَحْوَ اليَمَنِ فَقَالَ ((الإِيمَانُ يَمَانٍ هَا هُنَا، أَلاَ إِنَّ القَسْوَةَ وَغِلَظَ القُلُوبِ فِي الفَدَّادِينَ، عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ)) [متفق عليه]، **وقد زعم بعض من لا خلاق لهم:** أنّ نجد المقصودة هي منطقة أخرى مجهولة قد تكون بالعراق، أو بالشام، وليست هي نجد الحجاز المعروفة، وكلامهم يفتقد إلى أدنى التحقيق والإنصاف، وذلك لأنّ نَجد الحِجاز كانت أرض الفَدّادين رِعاءِ الإبِل، والعراق والشام كانتا أرض زراعة وتجارة وما كانت آنذاك أرضًا لرِعاء الإبل، **كما أنّ (نجد) الحجاز هي بلاد ربيعة ومضر** وليس نجد العِراق أو الشام **ثم نحن لا نعلم نجدا معروفا إذا أطلق لفظ (نجد) سوى نجد الحجاز التي ظهر منها محمد بن عبد الوهاب النجدي وفرقته الوهابية الذين يسمون أنفسهم بعلماء الدعوة النجدية** التي حاصلها تحريف مفاهيم الدين وسفك دماء المسلمين، فلولا أن نجد الحجاز هي المعروفة لما سموا أنفسهم بعلماء الدعوة النجدية، كما أنّ نجد الحجاز هي جهة المشرق تماما بالنسبة إلى أهل المدينة المنورة حيث أشار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، **فقد أخرج البخاري ومسلم** عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مستقبل المشرق يقول: ((ألا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان))، **وأخرج مسلم** في كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق: ((الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان)) قالها مرتين أو ثلاثاً، **وأخرج مسلم** في كتاب الفتن، باب الفتنة

من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان من طريق سالم عن ابن عمر قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بيت عائشة فقال (رأس الكفر من ههنا، من حيث يطلع قرن الشيطان) يعني المشرق، **ومن نظر إلى الخريطة وجد أنّ مدينة الرياض عاصمة نجد تقع تماما في جهة المشرق بالنسبة إلى المدينة المنورة حيث أشار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم** ، ومن أحاديث البخاري ومسلم نرى تحذير النبي صلى الله عليه وآله وسلم الشديد من متابعة أهل نجد (الوهابيين) فيما جاؤوا به من تحريف للدين وغلو في تكفير المسلمين وتضليلهم واستحلال حرماتهم، اضف إلى ذلك تبنيهم لمحاربة التصوف وأهله مع انه روح الدين ولا غني للدين عنه فضلا عن كونه التفسير والتحقيق لمرتبة الإحسان اعلى مراتب الدين، ونستفيد من هذه الأحاديث النبوية الصحيحة التحذير من كل ما انفرد به هؤلاء الذين سموا انفسهم بعلماء الدعوة النجدية عن علماء المسلمين من مفاهيم في الدين لا سيما مفاهيمهم المغلوطة عن التوحيد والشرك التي كفروا بها المسلمين وآلت بهم إلى استحلال دماء أهل القبلة وحرماتهم، وجميع مفاهيمهم المغلوطة عن السنة والبدعة والتي آلت بهم إلى الهوس التبديعي في تبديع أهل الإسلام، وجميع مفاهيمهم المغلوطة عن التصوف والتي آلت بهم إلى معاداة الأولياء ومحاربة كل ما يمت إلى التصوف بصلة مع انه روح الدين والقائم على تحقيق مرتبة الإحسان أعلى مراتب الدين، ولعل هؤلاء النجديين هم المقصودون بالفتنة في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان، قالها مرتين أو ثلاثاً)) أخرجه مسلم، **إنّ روايات امتناع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الدعاء لنجد بالبركة، وتسميتها بـ (قرن الشيطان)، و** إقليم نجد المعروف بالسعودية وعاصمته الرياض، لأننا لا نعرف نجدا إذا اطلق سوى نجد المعروفة، بدليل أن علماء هذه المنطقة يسمون أنفسهم علماء الدعوة النجدية، و**أُرجح والله أعلم بأن المقصود بالزلازل والفتن هو ما أحدثته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من فتن لا زلنا نعاني من آثارها إلى اليوم** حيث طرح ابن عبد الوهاب دينا موازيا يوازي دين الله تعالى الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم واتباعه علماء الدعوة النجدية يحاولون جاهدين سحب البساط من تحت أقدام أهل السنة كي ينسبونه لأنفسهم، ومن نظر إلى فتن ابن عبد الوهاب في زمانه وقد اشرت إلى طرف منها لعلم قدر الأهوال التي لاقاها المسلمون في زمانه من آثار تلك الحملة التي أكلت الأخضر واليابس من تراث أمة الإسلام، **(تنبيه):** مرت الفتنة وخفت والحمد لله، ولكن آثارها المغالية لا تزال باقية متمثلة في الطرح العلمي المتشدد في أغلب جوانب الدين، في العقيدة وفي الفقه وفي التزكية، في قضايا الإيمان والكفر وفي قضايا التوحيد

والشرك وفي قضايا السنّة والبدعة، أما علم التقديس والتنزيه فهم عنه عراء وجهلهم فيه جهل مركب وهم في باب التقديس حشوية مجسمة لا يعرفون شيئا عن قواعد التقديس والتنزيه، وهم من أضل الفرق في باب التقديس والتنزيه، والشيعة على ما هم عليه من الضلال والخوارج على طوامهم أحسن منهم حالا في علم التقديس، فإنا لله وإنا إليه راجعون،

***

المبحث الثالث

تعقيب على كتاب كشف الشبهات

(تنبيه): أتناول في هذا المبحث بيان الأخطاء الموجودة في كتيب كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وقد استخرجت منه ثلاثين خطأً جليا وأعرضت عن بقية الأخطاء اليسيرة، وما ابتغي بذلك إلا وجه الله، وارشاد المسلمين إلى القواعد المانعة من الغلو في باب التوحيد والشرك، وتحذيرهم من الانسياق وراء شبهات الغلو في التكفير والتشريك واستحلال حرمات اهل القبلة بما لا ينبغي ولا يصح في دين الله تعالى،

قال رحمه الله: [[اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده. فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً، وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله إلى قوم يتعبدون ويحجون

ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة، وعيسى، ومريم، وأناس غيرهم من الصالحين]]، **في هذا النص عدة أخطاء جسيمة ومغالطات كبيرة**

[الخطأ الأول]: قوله: [[اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة]] فتعريف التوحيد بهذه الطريقة فيه قصور، لأن التوحيد أعم من ذلك فهو يشتمل على توحيد الله تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، كما يشتمل على توحيد الربوبية، وتوحيد العبودية، والشيخ رحمه الله قصر تعريف التوحيد على توحيد العبودية، وذهل بالكلية عن أهم أقسام التوحيد قسم توحيد الذات (غلم التنزيه والتقديس)، **فمعنى (لا إله إلا الله): نفي لجميع أنواع الشرك المتعلقة بالذات والاسماء والصفات والأفعال والربوبية والإلهية، واثبات للتوحيد بجميع أقسامه، و (لا إله إلا الله) هي شهادة التوحيد وهي توحيد الألوهية، وهو يشمل أقسام التوحيد كلها وليس توحيد العبودية فحسب، والأمر الثاني وهو الأخطر أنّ الشيخ ذهل عن ضابط التوحيد ألا وهو اعتقاد الإلهية والربوبية فيمن تصرف إليه العبادات والطاعات والذهول عن هذا الضابط سيجل صاحبه يُكفّر كل من يصرف عبادة في الظاهر لغير الله، وهذا نفسه لو رأى نبي الله يعقوب عليه السلام، وهو يخر هو وأبناؤه سجدا ليوسف، لكفّره واحل دمه، لأنه صرف السجود لغير الله، ولكان الشرك من نصيب (الأسباط) ذرية يعقوب جميعها، قال تعالى: {** فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا} [يوسف:99 و 100]، وهذا نفسه لو رأى جنديا يقف بخشوع أمام قائده يطيعه في كل امر لأسقط عليه الكفر لمجرد الخضوع والخشوع والتسليم والانقياد والطاعة، فهل يقول هذا عاقل، وكل ما حدث في زمان الشيخ محمد بن عبد الوهاب من استحلال لدماء المسلمين في نجد والحجاز إنما كان بسبب هذا الخلل في تفسير العبادة، رأوا المسلمين يتوسلون بالصالحين وقد أجاز لهم ذلك عامة فقهاء المذاهب الأربعة ومع ذلك كفروهم بدعوى الشرك، ولنا ان نتساءل ألم يكونوا يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فكيف نجعلهم كمثل أولئل الذين رفضوا الشهادة واتهموا النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب، قال تعالى: { إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ (36) } [الصافات: 35 و 36]، وكانوا يقولون، كما حكى عنهم القرآن الكريم: { وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا

وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ} [ص: 4 إلى 7]، وعلى مذهبهم السقيم كفرت الملائكة عندما سجدت لآدم وصرفت العبادة لغير الله وعبت آدم من دون الله، هذه والله طريقتهم، فإنّا لله وإنا إليه راجعون،

[الخطأ الثاني]: قوله: **(فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً)، (أقول):** وهذا الخطأ من الشيخ هو سبب الغلو في التوحيد واتهام الأمة بالشرك، واستحلال دماء المسلمين وأموالهم، **وذلك لأن الله تعالى ما أرسل نوحا عليه السلام إلى قوم غلوا في الصالحين**، وإنما إلى قوم عبدوا الأوثان من دون الله واتخذوها آلهة من دون الله، قال تعالى حكاية عنهم، {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}، فقد سموها آلهة،

[الخطأ الثالث]: قوله: **(وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين)، (أقول):** فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكسر صور الصالحين، وإنما كسر الأوثان والأصنام التي اتخذها الناس آلهة من دون الله، اعتقدوا فيها صفات الربوبية، كما في قوله تعالى: **{وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [مريم: 81]، وقوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ} [يس: 74]**، وهي التي كانت تعبد من دون الله،

[الخطأ الرابع]: قوله: **(أرسله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً)، (أقول):** هذا خلل شديد، حيث وصف المشركين بأنّهم يتعبّدون ويحجّون ويتصدقون ويذكرون اللّه كثيراً، **وهذه مغالطة فجة**، فإنّ كفرهم كان في عبادة غير الله، وانكار رسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، كما في قوله تعالى: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ} [ص: 5، 6]، ثم إنهم كانوا مشركين في العبادة، كما وصفهم الله تعالى بقوله: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}، وهل كانت عبادتهم إلا المكاء والتصدية، كما في قوله تعالى: {وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا كَانَ

صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}، فهل يصح بعد ذلك وصفهم بقوله: ((أرسله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً))،

[الخطأ الخامس]: قوله: **(ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة، وعيسى، ومريم، وأناس غيرهم من الصالحين)، (أقول):** أساس هذا الخطأ أنه جعل ضابط الشرك الأكبر هو مجرد اتخاذ الوسائل والشفعاء والوسطاء: بدون أن يصاحبه اعتقاد ألوهية الوسيط، مع أن الموجب لشرك العبادة الشرك الأكبر المخرج من الملة هو اعتقاد إلهية الوسيط، **وسبب هذا الخطأ هو الخلل في فهم الآية**: قوله تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: 3]، وقد مر بنا أنّ المشركين أقروا بعبادتهم لأصنامهم: {مَا نَعْبُدُهُمْ}، وهذا لا يقر به مسلم أنه يعبد غير الله، ثم إن الله تعالى قد كذبهم في ادعائهم بأن الغرض من عبادتهم هو التقرب إلى الله سبحانه ولهذا ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}، وإنما كان شركهم الأكبر هو اعتقاد آلهة مع الله وصرف العبادة لها، **وسبب هذا الخطأ أيضا: هو الخلل في فهم الآية قوله تعالى**: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [يونس: 18]،، فالمتدبر للآية يفقه منها أمور ضرورية: الأول: الإقرار بعبادة غير الله {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}، والمسلم لا يقول ذلك أبدا، والثاني: اعتقاد شركاء مع الله في ألوهيته {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}، والثالث: تكذيب الله تعالى لهم في ادعائهم بأنهم يتخذون هذه الأصنام مجرد شفعاء لهم عند الله: {قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ}، والرابع: ضابط الشرك الأكبر في الآيات هو اعتقاد آلهة مع الله وصرف العبادة لها، ومما سبق يعلم خطا الشيخ في جعل ضابط الشرك الأكبر في الآيتين هو مجرد اتخاذ الوسائل والشفعاء والوسطاء،

[الخطأ السادس]: **قوله: [هؤلاء المشركون مقرون ويشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي إلا هو، ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن والأراضين السبع ومن فيها كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره، فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله صلى**

الله عليه وآله وسلم يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى﴿ :قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ]﴾ يونس:31] وغير ذلك من الآيات]]

(أقول): يشير رحمه الله إلى أنهم على توحيد الربوبية، وسوف يقولوها صراحة بعد عدة أسطر ((وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام))، وهذا باطل، لانهم كانوا معترفين ببعض مفردات الربوبية ولم يكونوا على توحيد الربوبية: كانوا على إيمان ببعض مفردات الربوبية كالخلق والرزق، وكفر بالبعض الآخر كالبعث والنشور والانفراد بتدبير الأمور، وكذلك كانوا يشركون أصنامهم مع الله ويعتقدون أن لها تدبيرا مستقلا في الكون وأنها تحفظهم وترزقهم وتنصرهم وتشفع لهم عند رب السماء والأرض شفاعة جبرية على الله بما لها من صفات الألوهية والربوبية في اعتقادهم، وهؤلاء لا يمكن بحال وصفهم بتوحيد الربوبية لأنهم أشركوها لأصنامهم مع الله، كما أنه لا يمكن بحال وصفهم بتوحيد الألوهية إن عبدوا الله وأشركوا معه غيره من معبوداتهم الباطلة، والقرآن الكريم يشير إلى الشرك الواقع في الربوبية عند مشركي قريش، الذين جعلهم الشيخ النجدي أهون شركا من مسلمي زمانه، ومن ذلك قوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [مريم: 81]، وقوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ} [يس: 74]، وقوله تعالى: {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ} [هود: 101]، وقوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ} [الأنبياء: 43]، كما أن الكفار يخوفون الرسل من بطش آلهتهم وهذا يعني اعتقادهم أنها تنفع وتضر استقلالا وهذا واضح لمن تدبره في مثل قوله تعالى: {إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ} [هود: 54]، وقوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: 36]، والمشركون كانوا يساوون بين الله تعالى وبين معبوداتهم في الإلهية والربوبية: قال تعالى واصفا معتقد المشركين الذي أوداهم إلى النار: {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: 96 إلى 98]، فهذه الآيات التي تحكي عقيدة المشركين و هي أنّهم جعلوا للّه سبحانه تعالى أنداداً و أنّهم كانوا يسوّون آلهتهم بربّ العالمين في صفات ربوبيته وتدبيره وتصريفه للكون وما فيه، ونستفيد مما سبق أنّ المشركين لم يكونوا على توحيد الربوبية أبداً، كما أن المشركين كانوا يعتقدون بوجود آلهة مع الله لها قدرة ذاتية على النصرة أو الضر والنفع على نحو مستقل عن الله

بل وبلا إذن من الله لأنهم شركاء لله {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} [الأنعام]، وأنّ الشيخ عندما ظنّ أنهم كانوا على توحيدها لم يكن أبدا على صواب في ذلك،

[الخطأ السابع]: قوله: [إذا تحققت أنهم مقرون بهذا وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد)]، (أقول): أولا: ليس (توحيد العبادة) وحسب هو الذي جحدوه بل جحدوا كل أقسام التوحيد متمثلا في جحدهم لشهادة التوحيد (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) ويدخل فيها كافة أقسام التوحيد، **والشيخ محمد ابن عبد الوهاب لم يفقه معنى** (العبادة)، إذ توهم أنّ إتيان الأعمال التي تصلح للعبادة لا تقع إلا عبادة، وهذا خطأ جسيم آل به إلى اتهام أهل الإسلام بالوقوع في الشرك الأكبر وآل به ذلك إلى استحلال دماءهم واموالهم، فإنه لما رأى أنّ المشركين كانوا يتقربون لآلهتهم بالذبح والنذر والدعاء والاستعانة والاستشفاع والسجود وغيره من مفردات العبادة تخيَّل أنّ مجرد إتيانهم هذه الأمور لذاتها هو العبادة، وأنّ كل عمل يصلح للتعبد به لا يقع إلا عبادة إن وقعت لله فهي التوحيد، وإن وقعت لغيره فهي الشرك، **ويرى السواد الأعظم من علماء المسلمين خطأ هذا المفهوم**، وأن المشركين كانوا يأتون تلك الأعمال **بنية العبادة** لمن اعتقدوا فيهم شيئاً من صفات الإلهية او لربوبية، **ولو كان مجرد إتيان العمل الذي يصلح للتعبد به – من دون اقتران نية العبادة لمن يعتقده رباً – هو الشرك إن وقع لغيره تعالى**، لما جاء بعض تلك الأعمال مأموراً به لغيره تعالى لأن الله تعالى لا يأمر عباده بالشرك ولا يرضى به ولا يأمر بالفحشاء، فالسجود مثلاً "، وهو أقرب إلى التذلل من سواه، " لو كان مجرد إتيانه هو العبادة أو الشرك لما أمر الله به لآدم ولما حلّ في شريعة قط كالسجود ليوسف على وجه التحية والتكريم، فلما جاء السجود صالحاً لأن يكون سجود عبادة وشرك، وأن لا يكون سجود عبادة وشرك تبين أن إتيان أي عمل ليس عبادة لذاته ولا شركاً في نفسه إلا أن يجتمع مع إتيانه نية العبادة به لمن يعتقد فيه شيئاً من صفات الربوبية أو الإلهية، **فالنية (الاعتقاد): على هذا هي الحد الفاصل بين الحكم على العمل بأنه عبادة أو لا يدخل في مسماها**، ولما رأى الشيخ عبد الوهاب أنه ليس كل داع لأحد أو مستنجد به أو مستعين به يعتبر شركاً، فتشوا عن ضوابط لما يصل إلى درجة الشرك وما لا يصل إليه، فأجازوا من ذلك ما كان لحي حاضر فيما يقدر عليه، ومنعوا من ذلك ما كان لغائب أو ميت، **ولا معنى لبناء الجواز والمنع على ما يقدر عليه وما لا يقدر عليه** لأن العبد

سواء أكان حيا أو ميتا فإنه لا يقدر على شيء استقلالا ولا حول لأحد ولا قوة إلا بالله، فلا فرق في ذلك بين حي وميت، ولا يعتقد أنّ العبد يخلق أفعال نفسه إلا المعتزلة ومن قلّدهم، أما أهل السنة فحين يدعون أحداً أو يستنجدون به أو يستعينون به حياً كان أو ميتاً، حاضراً أو غائباً يعتقدون أنه لا يقدر على شيء ولا استقلال له بنفع أو ضر وإنما هو سبب من الأسباب يسخره الله، وكذلك فإن المعنى الذي أجيزت به الاستغاثة مثلاً بالأحياء هو أنهم سامعون قادرون على الدعاء وغيره وذلك موجود في عامة موتى المسلمين فضلاً عن خاصتهم إذ صحت الأحاديث بحياتهم ولوازمها من السمع والبصر والكلام والسلام والتزاور والقدرة على دعائهم للأحياء لا سيما لقرابتهم وزوارهم، وفي كتاب " الروح " لابن القيم فصول فحواها "أنه قد تواتر بأنّ لأهل القبور قدرة على سماع الأحياء ورؤيتهم "، **وإذ تبين فساد هذه الضوابط في الجواز والمنع تبين أنّ الضابط الصحيح للتفرقة بين الجواز والمنع هو أنه كان العمل أو القول إذا كان لمن لا يعتقده رباً فليس من العبادة في شيء، أما إن وقع بنية العبادة لمن يعتقد ربوبيته واستقلاله بالنفع والضر وقبول شفاعته بحكم شراكته في الربوبية فذلك الذي يعتبر عبادة إن صرف لله وشركاً إن صُرف لغيره لا فرق في ذلك بين حاضر وغائب ولا ميت وحي ولا في الحياة الدنيا ولا في الآخرة ولا يوم القيامة**، وبهذا نعلم أنّ مسمى العبادة شرعاً لا يدخل فيه شيء مما يفعله السواد الأعظم من المسلمين من توسل واستغاثة وغيرهما، فعدُّ ذلك من الشرك المخرج عن الملة إنما يجر إليه الجهل بمعنى الشرك والعبادة، وعامة المسلمين الذين يرون جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبالصالحين، قلوب هؤلاء مستقرة على (لا إله إلا الله)، وعلى أن من يُتوسل بهم من الأنبياء والصالحين هم مجرد أسباب لا استقلال لهم بنفع ولا ضر، وليس لهم من الربوبية شيء، إذن كيف ينطبق على هؤلاء المسلمين القائلين لا معبود بحق إلا الله، ما ينطبق على المشركين الذين أقروا بعبادة غير الله، حيث قالوا: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفي}، سبحانك هذا بهتان عظيم وقياس غير مستقيم،

[الخطأ الثامن]: قوله: [كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له، أو يدعوا رجلاً صالحاً مثل اللات، أو نبياً مثل عيسى وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده كما قال تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً] الجن:18] وقال﴿ :لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ

يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ] الرعد:14]، وتحققت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله لله، والذبح كله لله، والاستغاثة كلها لله، وجميع أنواع العبادات كلها لله،]]، **(أقول):** قوله: [كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً] **هل كان المشركون يفعلون ذلك حقا، أم هو التمهيد لإسقاط حكم الشرك الأكبر على أهل القبلة، واستحلال دمائهم وأموالهم**، وقوله: [قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده]، **نعم لأن شركهم كان شركا أكبر، اتخذوا شركاء مع الله وعبدوا آلهة من دون الله وجحدوا نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم**، وقوله: [وتحققت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله لله، والذبح كله لله، والاستغاثة كلها لله، وجميع أنواع العبادات كلها لله]، **(أقول):** يمهد الشيخ لإسقاط الحكم على المسلمين حتى يتمكن من استحلال دماءهم وأموالهم، وأنه كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاتل المشركين بسبب صرف تلك الأعمال لغير الله، فإنه يجب على اتباع الشيخ قتال المسلمين من مجرد صرف تلك الأعمال إلى غير الله، وهاهنا ذهل الشيخ عن ضابط العبادة الذي يجعل تلك الأعمال من باب الشرك الأكبر، **فإن الاعتقاد هو ضابط الفقه في مسائل العبادة:** فمن صرف مفردة من مفردات العبادة بنية العبودية لغير الله وقع في الشرك الأكبر ومن صرفها بغير نية العبودية لغير الله لم يكن شركا أكبر، وقد وفق علماء الأصول أيما توفيق في جعل ضابط الفقه في مسائل الإيمان والكفر ومسائل التوحيد والشرك هو الاعتقاد وليس مجرد فعل العبادة، ودليل هذه القاعدة الضابطة لفقه مسائل الأسماء والأحكام عامة، قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امري ما نوى)) [أخرجه مسلم]، ولاحظ القصر في الحديث للدلالة على أنه ضابط الحكم على العمل، ألا وهو النية، والنية هي الاعتقاد القلبي، **والاعتقاد الضابط للعبودية هو اعتقاد الربوبية والألوهية أو شيئاً من مفرداتهما فيمن تصرف إليه العبادة بنية العبادة**، فلابد أن نعلم أن العبادة لها أصل هو اعتقاد الربوبية والألوهية لمن تصرف له الطاعة المصحوبة بالحب والتذلل والخضوع والخوف والرجاء، وبغير هذا الاعتقاد لا تكون الطاعة عبادة، ولها (للعبادة) صور تتمثل في العديد من هيئات العبادة كالسجود والصلاة والذبح والدعاء وغير ذلك من هيئات العبادة، فمن صرف الصور بغير اعتقاد، فلا يكون شركا أبدا، وإلا لكفر نبي الله يعقوب عليه السلام بالسجود ليوسف عليه السلام ولكفرت الملائكة لسجودها لآدم، بدعوى الشرك، وصرف العبادة إلى غير الله، **إذن الفقه في مفهوم العبادة يقتضي أن نفهم أن العبادة لها أصل هو اعتقاد الربوبية**

والألوهية لمن تصرف له الطاعة المصحوبة بالحب والتذلل والخضوع والخوف والرجاء، وبغير هذا الاعتقاد لا تكون الطاعة عبادة أبدا ولا علاقة لها بالشرك لأنّ الشرك عقيدة تتمثل في اتخاذ آلهة مع الله، كما حكى القرآن الكريم عن المشركين، { وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ} [ص: 6]،

[الخطأ التاسع]: قوله – وهو يتكلم عن المشركين –: [وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة أو الأنبياء، أو الأولياء، يريدون شفاعتهم، والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم، عرفت حينئذٍ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون]، (أقول): قد أشرت إلى خطأ الشيخ في قوله ((وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام))، لأنهم لم يكونوا على توحيد الربوبية، فإنهم اعتقدوا بعض مفردات الربوبية في آلهتهم التي عبدوها من دون الله، قال تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [مريم: 81]، وقال تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ}، ثم قوله بعد ذلك: ((وأن قصدهم الملائكة أو الأنبياء، أو الأولياء، يريدون شفاعتهم، والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم))، لم تكن شفاعتهم هي التي أحلت دماءهم وأموالهم، فإن ما قيل في مفردات العبادة يُقال مثله في الشفاعة، فمن اعتقد لاحد شفاعةً الزاماً على الله تعالى بما للشافع من شراكة توجب له الشفاعة، فهذا من الشرك الأكبر، أما من اعتقد أنها تفضلٍ من الله تعالى لمن شاء من الصالحين من عباده، فهذه عقيدة أهل الإسلام، وهي ثابتة بفضل الله تعالى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وجميع المسلمين عالمهم وجاهلهم يعرف ذلك، وأنها لا تكون جبرا على الله، فشتان ما بين شفاعة المشركين الذين يعتقدون في آلهتهم أن شفاعتها بموجب شراكتها لله في تدبير الأمور بدليل قوله تعالى {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ} [الأنعام: 94]،

[الخطأ العاشر]: قوله – وهو يتحدث عن المشركين –: [[وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد. فأتاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي (لا إله إلا الله)]]، (أقول): من هم المشركون الذين يقصدهم الشيخ في قوله (ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد)، **أليس هم عامة المسلمين في نجد**

والحجاز، ثم إنه ليس بصحيح أن كفار قريش يعنون بالإله ما يعنيه هؤلاء فإنهم يقصدون بالسيد إما الرئيس فيهم، أو من كان من نسل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهم الأشراف، ومراد الشيخ أن الناس في زمانه يعتقدون في السادة ما يعتقده كفار قريش في الأصنام التي يسمونها الآلهة، وهذا غلو خطير، فالمسلمون في زمانه كانوا يعتقدون أنه لا إله إلا الله ويؤمنون بمعناها، وهي شهادة التوحيد فكيف يصفهم بالمشركين ثم يستحل دماءهم وأموالهم،

[الخطأ الحادي عشر]: قوله: **[[والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق به والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه، فإنه لما قال لهم :{قولوا: لا إله إلا الله}، قالوا: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ [ص:5]، فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله]]**، **(أقول):** للأسف الشديد هو لا يعلم المعنى الصحيح لشهادة التوحيد، وأنها تشمل أقسام التوحيد كافه، وقد ذهل هو عن توحيد الذات وقواعد التقديس التي تعصم من الحشو والتجسيم، ثم ذهل عن موقع الاعتقاد من الشهادة، وأن اعتقاد التوحيد هو الأساس، وأن الطاعات لا تكون عبودية وتوحيد إلا إن صاحب صرفها اعتقاد إلهية وربوبية واستحقاق العبودية لمن تصرف إليه، وفي هذا الغلط في تفسير العبادة يقول **الشيخ سلامة القضاعي العزامي في كتابه فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان:** (إنّ الغلط في تفسير العبادة، المزلقةُ الكبرى والمزلَّة العظمى، التي أُستحِلت بها دماءُ لا تحصى، فأنّهم فسروا العبادة بالإتيان بأقصى غاية الخضوع، و أرادوا بذلك المعنى اللغوي، أمّا معناها الشرعي فهو أخصّ من هذا كما يظهر للمحقّق الصبّار على البحث من استقراء مواردها في الشرع، فانّه الإتيان بأقصى غاية الخضوع قلباً، باعتقاد ربوبية المخضوع له، فإن انتفى ذلك الاعتقاد لم يكن ما أتى به من الخضوع الظاهري من العبادة شرعاً، في كثير ولا قليل مهما كان المأتي به و لو سجوداً، و إنّما كفر المشركون بسجودهم لأوثانهم و دعائهم إيّاهم، وغيرهما من أنواع الخضوع لتحقّق هذا القيد فيهم، و هو اعتقادهم ربوبية ما خضعوا له) أهـ [فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان: 111]،

[الخطأ الثاني عشر]: قوله: [[إذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلمٍ وحُجج، فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير لك سلاحاً تقابل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل: {لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}، ولكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حججه وبيناته، فلا تخف ولا تحزن﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ النساء:76]، والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين، .. وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا]]، **(أقول)**: يصف أهل العلم من المسلمين في زمانه بالشياطين، والمشركين، ثم يصف أتباعه بأنهم الموحدون، ويصفهم بأن الواحد منهم يغلب ألفا من علماء وفقهاء المذاهب الأربعة وقد كانوا هم آنذاك الذين حاولوا مناقشته في تصوراته المغلوطة حول العبادة،

[الخطأ الثالث عشر]: قوله: [[فنقول: جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل، ومفصل. أما المجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها، وذلك قوله تعالى﴿ :هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ]﴾آل عمران:7]، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: {إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم}]] **(أقول)**: الشيخ رحمه الله جعل المحكم متشابها، والمتشابه محكما، فإن المحكم هو أن من أتى بشهادة التوحيد مقرا بها معتقدا لها فهو مسلم له حكم المسلمين من حرمة دمه وماله، ومن المحكم ان المشركين كانوا يشركون في الربوبية والعبودية وأنهم اتخذوا آلهة مع الله، ومن المتشابه ما يزعمه هو من كون المشركين كانوا على توحيد الربوبية وأنهم اتخذوا الأوثان والأصنام واسطة للتقرب إلى الله فقط، يستدل لذلك بقوله تعالى: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}، مع أن أول الآية وآخرها رد على أخطائه، فإن أولها إقرار بأنهم عبدوها من دون الله، وآخرها تكذيب الله تعالى لهم في ادعائهم أنهم ما عبدوها إلا لتقربهم إلى الله، قال تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}، وهم ما عبدوها إلا لاعتقادهم فيها أنها تنصرهم وتعزهم من دون الله، كما

في قوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [مريم: 81]، وقوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ}،

[الخطأ الرابع عشر]: قوله: [[مثال ذلك إذا قال لك بعض المشركين﴿ :أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ]﴾ يونس:62]، أو استدل بالشفاعة أنها حق، وأن الأنبياء لهم جاه عند الله أو ذكر كلاماً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يستدل به على شئ من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره، فجاوبه بقولك: إن الله ذكر أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه، وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية، وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم﴿ :هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ]﴾ يونس:18] هذا أمر محكم بين، لا يقدر أحد أن يغيير معناه]]، **(أقول)**: بل هذا هو المتشابه الذي آل بالشيخ إلى تشريك المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم، ثم قال: [[وما ذكرته لي أيها المشرك]]، وانظر إلى اتهامه المسلمين بالشرك في قوله [أيها المشرك]، [من القرآن أو كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا أعرف معناه]، الحمد لله يعترف بجهله عن معرفة معناه، [ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يخالف كلام الله عز وجل، وهذا جواب سديد]، والله لا سديد ولا رشيد وهو أساسا لا يعرف ضابط العبودية الذي يجعل صرفها لله تعالى توحيد وصرفها لغير الله شرك أكبر]،

[الخطأ الخامس عشر]: قوله: [[وأما الجواب المفصّل: فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه: منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن عبد القادر أو غيره، ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم، فجاوبه بما تقدم وهو أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مُقرّون بما ذكرت، ومُقرّون بأن أوثانهم لا تدبر شيئاً وإنما أرادوا الجاه والشفاعة. واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه]] **(أقول)**: لم يقاتلهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على مجرد الجاه والشفاعة، وقد تقدم أنه صلى الله عليه وآله وسلم قاتلهم لأنهم جحدوا شهادة التوحيد (لا إله إلا الله – محمد رسول الله)، وقد

وضح القرآن حالهم بقوله تعالى: {بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ * كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ * وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ * أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ}، ثم إن لمعنى الجاه والشفاعة عند المسلمين معنى مغاير تماما لما عند المشركين، وفي الجاه يقول تعالى: {وكان عند الله وجيها}، وفي الشفاعة تواترت الأحاديث عن أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو الشافع المشفع، وأن الله تعالى قد ارتضى شفاعته، أما الشفاعة عن المشركين كانت جبرية على الله بمقتضى اعتقادهم بأنها شركاء لله في تدبير المملكة، كما في قوله تعالى {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ}،

[الخطأ السادس عشر]: قوله: [[فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً؟ فجاوبه بما تقدم فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة]] ، **(أقول):** قد تقدم بيان أنهم مشركون في أخص صفات الربوبية من التدبير والتصريف والإعزاز والإذلال، قال تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [مريم: 81]، وقال تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ}، فكيف يقول: [الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة]، وقد كذبهم الله تعالى في ادعاء الشفاعة، قال تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}، فكيف نصدق الشيخ ونعرض عما جاء نصا في القرآن في أنهم كاذبون،

[الخطأ السابع عشر]: قوله: [[ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره، فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الصالحين والأصنام ومنهم من يدعو الأولياء، ويدعون عيسى ابن مريم وأمه]]، **(أقول):** شتان ما بين معتقد المسلمين والمشركين في الدعاء، فالمشركون يدعون هؤلاء وهم يعتقدون فيهم الإلهية والربوبية والشراكة مع الله في استحقاق العبودية {قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفا} أقروا بعبادتهم، وكما في قوله تعالى: {

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}، و قوله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ}، و قوله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ}، و قوله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا}،

[الخطأ الثامن عشر]: قوله: [[فقل له: أعرفت أن الله كفر من قصد الأصنام، وكفر من قصد الصالحين وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم]] (أقول): هذا خطأ جسيم، فإن كفرهم لم يكن لمجرد قصد الأصنام، وقصد الصالحين، وإنما لأنهم اعتقدوا فيهم الإلهية والربوبية والشراكة مع الله في استحقاق العبودية، وهذه هي مفردات الشرك الأكبر بالله، والشيخ ها هنا يريد أن يقحم التوسل بالصالحين في باب الشرك بالله، وشتان ما بين هذا وذاك، **فإن الفارق عظيم بين التوسل وبين الشرك بالله**، فالتوسل هو التقرب إلى الله، والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: 35]، والآية عامة في إثبات شرعية التوسل وفضيلته، ولم تتعرض للوسائل الشرعية الجائزة في باب التوسل، قال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} [الإسراء: 57]، والآية كذلك عامة في إثبات شرعية التوسل وفضيلته،، **أما خطأ الشيخ في فهم المقصود من التوسل:** هو ظنه أنَّ المقصود من التوسل هو اتخاذ واسطة بين العبد وربه، وأدى هذا الظن إلى خلل في فهم موضوع التوسل، واعتقاد أنه مخالف للتوحيد ويفتح بابا إلى الشرك، وإلى غلو في تقييم بحث التوسل وإلحاقه بباب التوحيد، واعتقاد أن المتوسلين إنما يدعون غير الله، ويتخذونهم وسطاء يقربونهم إلى الله زلفا، وهذا خطأ جسيم وفهم خاطئ لموضوع التوسل، لأن التوسل إنما هو طلب القربى إلى الله تعالى بالوسائل الجائزة شرعاً، وليس من باب اتخاذ واسطة بين العبد وربه أبدا، **وكل ما أورده الشيخ محمد ابن عبد الوهاب من أدلة لإدخال التوسل في دائرة الشرك، إنما هي أدلة مغلوطة** فهمها فهما خطأ ثم عممها على المسلمين، من مثل قوله تعالى {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى}، فإن قول المشركين: {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} مصرح بأنهم عبدوهم لذلك، والمسلم المتوسل بالصالحين لم يعبدهم بل علم أن لهم مزية عند الله بصلاحهم فتوسل بهم إلى الله تعالى لذلك، ومثل قوله تعالى {فلا تدعوا مع الله أحداً}، فإنه نهى عن أن يدعى مع الله غيره، والمسلم

المتوسل بالصالحين لم يدع إلا الله، ولم يعبد إلا الله، ولم يعتقد لا ربوبية ولا إلهية ولا استحقاق عبودية إلا لله، هذا هو حال جمهور المتوسلين من المسلمين فكيف يعمم الشيخ عليهم وقوعهم في الشرك الأكبر واتخاذ الشفعاء على نحو ما يفعل المشركون، وهل اعتقاد المسلمين في الشفاعة كمثل اعتقاد المشركين حتى يقول ذلك، فشتان بين مسلم لا يعبد إلا الله، ويستأنف من نسبة عبادته إلى غير الله، ولا يرضى أبداً أن يقال عنه أنه عابد لغير الله، وهو يقر بالقرآن والإسلام وأركان الإيمان، ويشهد بالشهادتين (لا إله إلا الله – محمد رسول الله)، عن يقين واعتقاد، فهل يستوي هذا مع من يستنكف عن التوحيد والإسلام والإيمان، ويزعم أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ساحر كذاب، وقد صور القرآن الكريم حالهم بقوله تعالى: { وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ * أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ} [ص: آية 4 إلى آية 8]، فهل من العدل والإنصاف في دين الله تعالى أن نساوي بين توسل المسلم الذي أقر بالتوحيد والإسلام والإيمان، وبين اتخاذ المشرك وسائط إلى الله على زعمه الكاذب الذي كذبه القرآن الكريم، وجعله كاذب كفار حرمه الله تعالى من الهداية، قال تعالى: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: 3]، وعلى ذلك فإن المعنى المقصود من (التوسل) إذا قاله المسلم، هو طلب القربى إلى الله تعالى بالوسائل الجائزة شرعاً، وليس المقصود به أبداً اتخاذ واسطة بين الله تعالى وبين العبد على غرار ما يفعله المشركون المنكرون لرسالة الإسلام، وهنا إذ تحرر موضع النزاع في معنى التوسل، بقي أن نعلم ما هي أنواع التوسل الجائزة شرعا، فنقول لها سمعاً وطاعةً، ولا نتقدم على الشرع الحكيم برأي أو هوى أو غلو أو تقصير، أو إفراط أو تفريط،

[الخطأ التاسع عشر]: قوله: [[فإن قال: الكفار يريدون منهم: وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار لا أريد إلا منه والصالحون ليس لهم من الأمر شئ ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم، فالجواب: أن هذا قول الكفار سواء بسواءٍ فاقرأ عليه قوله تعالى :وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى] الزمر:3]، وقوله تعالى :وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ [يونس:18]]]، (أقول): تكرار لأخطائه السابقة في فهم التوسل

ومعرفة الفارق بينه وبين الشرك الأكبر وضابط كل منهما، ولي هنا وقفه لفهم الآيتين، **[فقه الآية الأولى وبيان خطأ من استدل بآية الزمر للتوصل إلى اتهام جهلاء المسلمين بالشرك الأكبر المخرج من الملة]:** قال تعالى {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}[سورة الزمر: 3]، تبدأ الآية بذكر الدين الخالص الذي هو (التوحيد)، ثم قال تعالى: {والذين اتخذوا من دونه أولياء}، الولي في اللغة هو الناصر والمعين والمشركون اعتقدوا ذلك في آلهتهم بدليل قوله تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا}[مريم: 81]، فالآية ظاهرة الدلالة في أنهم يعتقدون أنها تحقق لهم العز، وقوله تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ}[يس: 74]، والآية ظاهرة الدلالة في أنهم يعتقدون أنها تحقق لهم النصر، وقوله تعالى {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ}[سورة هود]وهذا معتقد المشركين على مر الأزمان يعتقدون أن أصنامهم تحقق لهم الحماية وأن لها القدرة على إلحاق السوء والضرر بمن يكفر بها ويذكرها بسوء، وعلى ذلك فهم مشركون في الربوبية باعتقاد بعض مفرداتها وصرفها لمعبوداتهم مع الله، {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}، ويستفاد من الآية: أنهم أقروا بعبادة أصنامهم وهو شرك في قسم توحيد العبودية (ما نعبدهم)، وأنهم زعموا أن عبادتهم للأصنام من أجل أن تقربهم إلى الله، ويستفاد كذلك كذب دعواهم في أنهم ما عبدوها إلا لتقربهم إلى الله زلفى، بدليل رد الله تعالى عليهم بقوله في خاتمة الآية {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}، وكذبهم مفاده أنهم يعبدونها لأنهم يعتقدون أنها تنصرهم وتعزهم وتحميهم وتعتري أعدائها بسوء وضر، وهذا كله من أعظم الشرك في ربوبية الله تعالى وإلهيته لعباده، وفي الحديث (أنا أغنى الأغنياء عن الشرك)، وقوله تعالى: {كَاذِبٌ كَفَّارٌ} صيغة مبالغة من كافر لأنهم كفروا بربوبية الله وألوهيته وكذبوا على الله ورسوله، **[فقه الآية الثانية وبيان خطأ الشيخ في جعل ضابط الشرك الأكبر هو مجرد اتخاذ الوسائل والشفعاء والوسطاء]:** قوله تعالى:: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [يونس: 18]، فالمتدبر للآية الكريمة يفقه منها أمور ضرورية: **الأول:** الإقرار بعبادة

غير الله {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}، **والثاني**: اعتقاد شركاء مع الله في ألوهيته {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}، **والثالث**: تكذيب الله تعالى لهم في ادعائهم بأنهم يتخذون هذه الأصنام مجرد شفعاء لهم عند الله: {قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ}، والرابع: ضابط الشرك الأكبر في الآيات هو اعتقاد آلهة مع الله وصرف العبادة لها، إذن بهذا البيان نعلم خطا الشيخ محمد ابن عبد الوهاب في جعل ضابط الشرك الأكبر في الآيتين هو مجرد اتخاذ الوسائل والشفعاء والوسطاء،

[الخطأ العشرون]: قوله: **[[فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وهذا الإلتجاء إلى الصالحين، ودعاءهم ليس بعبادةٍ، فقل له: أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة وهو حقه عليك؟ فإذا قال: نعم، فقل له: بين له هذا الذي فرض عليك وهو إخلاص العبادة لله وحده وهو حقه عليك فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له بقولك: قال الله تعالى﴿ :ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:55]، فإذا أعلمته بهذا فقل له: هل علمت هذا عبادة لله؟ فلا بد أن يقول لك: نعم، والدعاء مخ العبادة، فقل له: إذا أقررت أنه عبادة لله ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلا بد أن يقول: نعم،]]**

(أقول): مشكلة الشيخ أنه لا يفرق بين أصل العبادة وصور العبادة، ولا يجعل الاعتقاد هو ضابط الفقه في مسائل العبادة: فمن صرف مفردة من مفردات العبادة بنية العبودية لغير الله وقع في الشرك الأكبر ومن صرفها بغير نية العبودية لغير الله لم يكن شركا أكبر، وقد وفق علماء الأصول أيما توفيق في جعل ضابط الفقه في مسائل الإيمان والكفر ومسائل التوحيد والشرك هو الاعتقاد وليس مجرد فعل العبادة، ودليل هذه القاعدة الضابطة لفقه مسائل الأسماء والأحكام عامة، قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امري ما نوى)) [أخرجه مسلم]، ولاحظ القصر في الحديث للدلالة على أنه ضابط الحكم على العمل، ألا وهو النية، والنية هي الاعتقاد القلبي، **والاعتقاد الضابط للعبودية هو اعتقاد الربوبية والألوهية أو شيئاً من مفرداتهما فيمن تصرف إليه العبادة** مع اعتقاد استحقاقه لأن تصرف إليه العبودية، فمن صرف العبادة بنية العبادة لغير الله معتقدا ربوبيته وألوهيته فهو عابد له من دون الله، ومن صرفها بغير هذا الاعتقاد فلا يصح تسميتها بالعبادة، **وعلى ذلك فإن العبودية** لها أصل هو اعتقاد الربوبية والألوهية واستحقاق العبودية لمن تصرف له العبادة، ولها (للعبادة) صور

تتمثل في العديد من هيئات العبادة كالسجود والصلاة والذبح والدعاء وغير ذلك من هيئات العبادة، فمن صرف السجود _ وهو غاية مظاهر التذلل والخضوع _ لغير الله اعتقادا له بالربوبية والألوهية فهو مشرك بالله الشرك الأكبر ومن صرفه بغير اعتقاد الربوبية والألوهية لمن سجد له فلا يكون عبادة ومنه سجود الملائكة لآدم وسجود آل يعقوب ليوسف عليه السلام، هذا وإن كان النهي عن السجود لغير الله تعالى هو الذي جاء به الإسلام، ولكن من سجد بنية التكريم بغير اعتقاد، فلا يكفر عند الفقهاء، ولا يعد مشركاً بالله الشرك الأكبر المخرج من الملة، وإنما هي معصية من المعاصي التي لا يجوز فعلها بحال، **إذن من الفقه في مفهوم (الدعاء)**، أن نفصل فنقول: من دعا من يعتقد فيه صفات الربوبية أو بعضها فهذا من الشرك الاكبر، ومن دعا بنية التوسل إلى الله تعالى بدعاء من يدعوه، فهذا باب آخر من أبواب الفقه موجود في أحكام التوسل، إلا أنّه ليس من باب الشرك واتخاذ آلهة من دون الله، **كما أنّه ليس كل دعاء عبادة**، فهناك الدعاء بمعنى النداء، كما في قوله تعالى: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} [القصص: 25]، وقوله تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا} [نوح: 5]، هذا أمر، **والأمر الثاني** أنّه ليس كل دعاء مسأله يكون دعاء عبادة، لأنّ دعاء العبادة من شرطه أن يدعو الداعي وهو يعتقد بألوهية وربوبية المستعان به على اجابة الدعاء، كأن يعتقد قدرته المستقلة على اجابة الدعاء، أو قدرته الذاتية على افادة الداعي من دون الله، ولأجل هذا المعنى كان دعاء عبدة الاَصنام عبادة لاعتقادهم بأُلوهيتها، كما قال تعالى: {فَما أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الّتي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ مِنْ شَيْءٍ} [هود: 101]، وقوله تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلاً} [الإسراء: 56، 57]وقوله تعالى: {وَ لا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ} [يونس: 106]، فهذا هو الدعاء المساوي للعبادة، والذي صرفه لغير الله تعالى يكون شركاً بالله، لأنه مصاحب لاعتقاد ألوهية وربوبية المستعان به على اجابة الدعاء، فلو كان الداعي يعتقد فيمن يدعوه أحد صفات الربوبية والألوهية كالتصريف والتدبير من دون الله، فهذا الدعاء عبادة، وإن كان يتوسل به إلى الله فهذا توسل له حكم التوسل، فإن من توسل إلى الله تعالى بعباده الصالحين، وهو يوقن انهم وسيلة إلى الله لا حول لها ولا قوة إلا بالله، وإنما يتقرب إلى الله تعالى بصلاحهم عملا بمطلق الآية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، فهذا ليس بشرك ولا يناقض التوحيد، وإنما هو خلاف فقهي بين طوائف أهل السنة والجماعة، والخلاف الفقهي لا ينشأ عنه تبديع ولا تفسيق، فضلا عن الاتهام بالشرك الأكبر

والردة والخروج من الإسلام وما يتبع ذلك من استحلال دمه وماله، وجمهور الفقهاء على جواز التوسل، ولم نجد على مر عصور الإسلام من يعبد الاولياء ولا الصالحين، ولا اعتقدوا فيهم سوى انهم من عباد الله الصالحين، الين نتوسل يهم إلى الله، فأين هؤلاء من الكفر والشرك الذين رمى محمد بن عبد الوهاب اهل الإسلام بالشرك والكفر واستحل بلك دماءهم وأموالهم

[الخطأ الحادي والعشرون]: قوله: [[فقل له: فإذا عملت بقول الله تعالى: فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ]﴾ الكوثر:2]، وأطعت الله ونحرت له هل هذا عبادة، فلا بد أن يقول: نعم، فقل له: فإذا نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟ فلا بد أن يقر، ويقول نعم، وقل له أيضاً: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟ فلا بد أن يقول: نعم، فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك، وإلا فهم مقرون أنهم عبيد الله وتحت قهره، وأن الله هو الذي يدبر الأمر ولكن دعوهم، والتجئوا إليهم للجاه والشفاعة، وهذا ظاهر جدا]] (أقول): الظاهر جدا هو ذهول الشيخ عن كل ضوابط اهل السنة والجماعة في باب التوحيد والشرك، فإن من الفقه في فهم مفردات العبادة التي من صرفها لغير الله تعالى كان مشركاً الشرك الأكبر: هو أنّ العبادة لها أصل هو اعتقاد الربوبية والألوهية لمن تصرف له الطاعة المصحوبة بالحب والتذلل والخضوع والخوف والرجاء، وبغير هذا الاعتقاد لا تكون الطاعة عبادة من صرفها لغير الله تعالى كان مشركاً الشرك الأكبر، والعبادة لها صور ومفردات تتمثل في العديد من هيئات العبادة كالسجود والصلاة والذبح والدعاء وغير ذلك من هيئات العبادة، ولكل مفردة من هذه العبادات ركنان: الركن الأول: الاعتقاد أو ما يسميه العلماء القصد والنية للعبادة، والركن الثاني: العمل العبادي الدال على الطاعة والانقياد، فمن صرف العبادة بركنيها إلى غير الله صار مشركا الشرك الأكبر بالله وخرج من دين الإسلام إلى الكفر، ومن صرف العمل أو القول العبادي بغير اعتقاد ربوبية وألوهية واستحقاق العبودية لمن يصرف إليه فليس من الشرك الأكبر المخرج من الملة وفعله أو قوله يدور بين الشرك في إطار الملة أو البدعة أو المعصية ولا تستحل محارمه بغير اعتقاد، وأن من الفقه في مفهوم (الذبح) أن من ذبح لمن يعتقد فيه صفات الربوبية أو بعضها فهذا من الشرك الاكبر، ومن ذبح بنية الإكرام أو الاحترام، أو بغير نية التعبد واعتقاد ربوبية المذبوح له، فهذا من المحرمات ولكن لا يدخل في باب الشرك الاكبر،

[الخطأ الثاني والعشرون]: قوله: [[إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصح عقولاً وأخف شركاً من هؤلاء]] (أقول): انظر إلى مقارنته بين المشركين الأصليين الذين حاربهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبين المسلمين الذين استحل الشيخ محمد ابن عبد الوهاب دماءهم وأموالهم بدعوى الشرك الأكبر، في مفاهيم مغلوطة في ذهنه، ناشئة عن خطأ تصوره للعبادة، وأنه لما رأى أنّ المشركين كانوا يتقربون لآلهتهم بالذبح والنذر والدعاء والاستعانة والاستشفاع والسجود والتعظيم تخيل أنّ مجرد إتيانهم هذه الأمور لذاتها هو العبادة، وأنّ كل عمل يصلح للتعبد به لا يقع إلا عبادة إن وقعت لله فهي التوحيد، وإن وقعت لغيره فهي الشرك، ويرى علماء أهل السنة والجماعة من الأصوليين والفقهاء خطأ هذا المفهوم، وأن المشركين كانوا يأتون تلك الأعمال بنية العبادة لمن اعتقدوا فيهم شيئاً من صفات الربوبية أو صفات الإلهية، فكيف نقول عن الذين حكى القرآن الكريم حالهم: { إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ} [الصافات: 36]، هؤلاء الذين استكبروا عن قول لا غله الا الله، واتهموا النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون هل هؤلاء أصح عقولا واخف شركا ممن يقول لا إله الا الله محمد رسول الله، إن هذا إلا بهتان عظيم،

[الخطأ الثالث والعشرون]: قوله: [[فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم فاصغ سمعك لجوابها، وهي إنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟ فالجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام، .. فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر؟ ولو عمل بكل ما جاء به الرسول، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر، سبحان الله! ما أعجب هذا الجهل]] (أقول): سبحان الله، وهل جحد أحد من أهل الإسلام التوحيد، أو جحد شيئا مما يدخل بالضرورة من علوم الشهادتين، ثم كيف يجحدون التوحيد وهم مقرون بالشهادتين وهما

أساس التوحيد، فإين هو من قواعد الشريعة العامة الضابطة لفقه مسائل التوحيد والشرك، ومنها أن: من تشهد بالشهادتين حُكم له بالإسلام الظاهر والله يتولى السرائر، و أن من مات على التوحيد استوجب وعد الله تعالى الجنة وإن دخل النار عُذّب فيها بقدر ذنوبه إلاّ أنه لا يخلد فيها خلود الجاحدين ومآله إلى الجنة برحمة الله تعالى ووعده إنه لا يخلف الميعاد، و أن العذر بالجهل مانع من تكفير المسلم المتلبس بالكفر الاكبر أو بالشرك الأكبر، و أن العذر بالتأويل مانع من تكفير المسلم المتلبس بالكفر الأكبر أو بالشرك الأكبر، و ان المسلم المتلبس بالكفر الأكبر، أو بالشرك الأكبر لا يكفر حتى تقوم عليه الحُجة الشرعية، و أنه لا يجوز تكفير المسلم بالأمور المحتملة للكفر وغيره ولا يجوز اتهامه بالشرك الأكبر بالأمور المحتملة للشرك الأكبر وغيره، وانه لابد من اعتبار القصد في نواقض الإيمان وفي نواقض التوحيد، وأنه قد يوجد في المؤمن بعض شعب الكفر (الكفر دون كفر) أو الشرك دون شرك أو النفاق العملي) وهو مع ذلك مسلم له اسم الإيمان وحكمه، و أن خطورة تكفير المسلم أو اتهامه بالشرك الأكبر عظيمة عند الله، ووجوب الاحتياط عند الحكم عليه وترجيح جانب حسن الظن به وحمل المحتملات قدر المستطاع لصالحه، وهؤلاء الذين استحل الشيخ دماءهم واموالهم وحرماتهم ما ارتكبوا أمرا مكفرا ولا جحدوا شيئا من دين الله، والشيخ يقتلهم علة مسائل خلافية القول الراجح معهم وليس معه فإنا لله وإنا إليه راجعون،

[الخطأ الرابع والعشرون]: قوله: [[ويقال أيضاً: هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلون ويؤذنون، فإن قال: إنهم يقولون: أن مسيلمة نبي، قلنا :هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلا إلى رتبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كفر وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف، أو صحابيا، أو نبيا، إلى مرتبة جبار السموات والأرض؟ سبحان الله ما أعظم شأنه كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)،]]

(أقول): بنو حنيفة يّدعون أن مسيلمة نبي، قالوا ذلك وقاتلوا عليه وجحدوا معلوما من الدين بالضرورة ألا وهو قوله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}، فأين هؤلاء من المسلمين الذين يقولون نحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله الخاتم، ويعتقدون أنه لا رب ولا إله ولا معبود بحق سوى الله،

ثم قوله: [فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف، أو صحابيا، أو نبيا، إلى مرتبة جبار السموات والأرض؟]، فهل في المسلمين من اعتقد إلهية شمسان أو يوسف أو غيرهما، وهل في المسلمين من اعتقد ربوبية شمسان أو يوسف أو غيرهما، وهل في المسلمين من استحل صرف العبودية لشمسان أو يوسف أو غيرهما، سبحانك ها بهتان عظيم

[الخطأ الخامس والعشرون]: قوله: [[ويقال أيضاً: الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار، كلهم يدعون الإسلام، وهم من أصحاب علي رضي الله عنه وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي، مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أم تظنون أن الاعتقاد في تاجٍ وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب رضي الله عنه يكفر؟]] **(أقول): هذا تلبيس: فإن السبئية اتباع عبدالله بن سبأ هم الذين اعتقدوا في الإمام علي رضي الله عنه أنه رب معبود، وصرحوا باعتقادهم وعرضوا عليه ذلك فكفّرهم وحرّقهم، فكيف يساوى بين هؤلاء وبين من يقول لا إله إلا الله ولا رب سواه ولا تصرف العبودية إلا إليه، يقول** [[أم تظنون أن الاعتقاد في تاجٍ وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب رضي الله عنه يكفر؟]]، **هؤلاء اعتقدوا في علي رضي الله عنه الإلهية، وقالوا أنت الإله، فهل سمعنا أحد يقول عن تاج أو غيره من الصالحين أنهم آلهة، أريد مثالا واحد لذلك، ولو حدث لكانت حالة فردية، ولم تحدث، أما تكفير قبائل بكاملها لهذا الادعاء لا يصح ولا يجوز،**

[الخطأ السادس والعشرون]: قوله: [[ويقال أيضاً: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والقران، وإنكار البعث، وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب "باب حكم المرتد" وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعاً كثيرة كل نوعٍ منها يكفر ويحل دم الرجل وماله، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب]] **(أقول):** اتفق علماء أهل السنة والجماعة على أن: الكفر الأكبر: كفر اعتقاد وجحود، والكفر دون كفر: كفر عمل مجرد عن الاعتقاد، وهذه القاعدة: قاعدة مطردة عند علماء أهل السنّة والجماعة الفقهاء، فكل ما كان من الكفر يمس

الاعتقاد فهو كفر أكبر مخرج من الملة، وكل ما كان من الكفر يتعلق بالعمل المحض المجرد عن الاعتقاد فهو كفر دون كفر، ولا يخرج عن هذه القاعدة المطردة سوى الأعمال التي أجمع علماء أهل السنّة والجماعة على كفر فاعلها كإهانة المصاحف ودوسها بالأقدام وإلقائها في الحشوش وهذه لا إشكال فيها ولا تأثير لها على اطراد القاعدة، إذ هذه الأعمال لا تصدر إلا مع ذهاب عمل القلب وانقياده، وإذا خلا القلب من الانقياد زال أصل الإيمان وحل محله الكفر الأكبر، فهذه الأعمال إنما كانت كفراً أكبر لأنها لكفر القلب فحلّت محله، كما أن الكفر الأكبر عند فقهاء أهل السنّة والجماعة، هو ما كان ضداً لأصل الإيمان أو لعنصر من عناصره الثلاثة، [الإقرار – التصديق – الانقياد]، والكفر دون كفر عند فقهاء أهل السنّة والجماعة، هو ما كان ضداً للإيمان الواجب أو لعنصر من عناصره الأساسية التي حكم الشرع على تاركه بالكفر أي الكفر في إطار الملة، وأصل الإيمان كما حققه فقهاء أهل السنّة والجماعة يشمل ثلاثة عناصر قول القلب وهو التصديق وعمل القلب وهو الانقياد وقول اللسان وهو الإقرار، والكفر الأكبر عند هؤلاء الفقهاء العلماء هو ما كان ضداً لهذا الأصل كله أو لعنصر من عناصره الثلاثة، ويدخل فيه عندهم أنواع كثيرة منها: كفر التكذيب وكفر الجحود وكفر العناد وكفر الإعراض وكفر النفاق وكفر الشك وكفر الاستهزاء ومنه السب، وأعمال الجوارح كما حققها فقهاء أهل السنّة لا تدخل في أصل الإيمان ولكنها تدخل في الإيمان الواجب، ومن أهم قواعد أهل السنة والجماعة الضابطة لهذا الباب، قولهم: ان الأعمال الكفرية كإهانة المصاحف وسب الأنبياء والاستهزاء بالدين مستلزمة لكفر القلب ودالة عليه، وهذا هو السر في جعلها من الكفر الأكبر المخرج من الملة، فهي فيما يظهر للناس كفر عملي وفي حقيقتها كفر اعتقادي يضاد أصل الإيمان في القلب، إذن أين باب الردة وأين ما هو فيه من اتهام المسلمين بالشرك الأكبر ويقاتلهم عليه ويستحل دماءهم وأموالهم بسببه،

[الخطأ السابع والعشرون]: قوله: [[ومن الدليل على ذلك أيضاً حكى الله عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى :اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ [الأعراف:138]، وقول ناسٍ من الصحابة :{اجعل لنا ذات أنواط} فحلف صلى الله عليه وآله وسلم أن هذا نظير قول بني إسرائيل اجعل لنا إلهاً، ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة وهي أنهم يقولون: فإن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الذين قالوا :{اجعل لنا ذات أنواط} لم يكفروا .فالجواب أن تقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا

ذلك وكذلك الذين سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يفعلوا، ولا خلاف في أن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، ولو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب]] (أقول): إنَّ أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسَلَّم قد سألوا النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسَلَّم أن تكون لهم شجرة ينوطون بها سلاحَهم ويستمدُّون منها البركةَ والنصرَ، فلم يُجِبْهُمْ إلى طلبهم،، وذلك لأنّ هذا الطلب العملي بأن تكون لهم شجرة ينوطون بها سلاحَهم ويستمدُّون منها البركةَ والنصرَ يفتح طريقا خطيرا إلى اعتقاد النصر عند غير الله، ولهذا أنكر عليهم صَلَّى اللهُ عليه وآله وسَلَّم أشدَّ الإنكار باعتبار ما قد يؤول إليه الحال بعد أزمان، فكان انكاره حسما لمادة الشرك، والصحابة لم يطلبوا الشرك الأكبر يقينًا، وإنما طلبوا أن تكون لهم شجرة ينوطون بها السلاح، ويستمدُّون من الله بها البركة والنصر، ولا يستمدُّون منها، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: اللهُ أَكْبَرُ، قُلْتُمْ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}، إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فأنكر النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسَلَّم مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها، معلِّقين عليها سلاحهم، حتى لا يتعلق القلب بغير الله، والقاعدة الأصولية تقول: **الشرك الأكبر: شرك اعتقاد، والشرك العملي هو شرك دون شرك، ولا يخرج من الملة ما كان العقد سليم على التوحيد، والقاعدة الأصولية تقول: الكفر الأكبر كفر جحود واعتقاد، وكفر العمل لا يكون كفراً أكبر حتى يصاحبه كفر القلب من زوال قوله أو عمله، وهذا من أعظم أصول أهل السنّة وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والقدرية، كما في قوله تعالى {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ}[يوسف: 106]، فإنّ الله تعالى أثبت لهم إيماناً به سبحانه مع وقوع الشرك دون شرك، إذن نستفيد من ذلك ان التوحيد الاعتقادي يضاده الشرك الأكبر المخرج من الملة، وان التوحيد العملي يضاده الشرك العملي (الشرك في إطار الملة) حتى يأتي على أصل التوحيد الذي مقره القلب والاعتقاد، ثم لنا أن نتساءل ؟ اين طلب المسلمون في عصر الشيخ اتخاذ إلهاً غير الله جل جلاله ؟! بل هم مقرون بشهادة التوحيد، كافرون بكل ما يعبد من دون الله، ولا أرى إلا أنّ الشيخ كان يبحث عن أي طريقة يكفرهم بها ويستح بها أموالهم،**

[الخطأ الثامن والعشرون]: قوله: [[ولهم شبهة أخرى وهي ما ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم

بموسى، ثم بعيسى، فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً، والجواب أن تقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه، فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال تعالى في قصة موسى ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾[القصص:15] وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله]]، (أقول): ما قيل في مفردات العبادة يُقال مثله في الاستعانة، فمن استعان بمن يظن به صفات الربوبية والالوهية أو بعضها، فقد أشرك الشرك الاكبر المناقض لتوحيد الألوهية، ومن استعان بمن يظن فيه النفع بإذن الله تعالى وحده، فهذا لا علاقة له بمعاني التوحيد والشرك، وذلك لأنّ كل مسلم لابد له أن يستعين بالأسباب التي جعلها الله تعالى بمثابة القوانين الضابطة للحياة، فمن طلب المال استعان عليه بالعمل، وهو يعلم أنّ الرزق بيد الله تعالى، ومن طلب الولد استعان عليه بالزواج، وهو يعلم أنّ الولد بيد الله يهب لمن يشاء، ويجعل من يشاء عقيما، وهكذا، وقد جعل الإسلام الأخذ بالأسباب من أركان التوكل الصحيح على الله، وهو لا ينافي افراد الله تعالى بالاستعانة كما في قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5]، فالآية قصر للاستعانة بالله وحده، والقصد على وجه الاستقلال، فإنه لا يملك التدبير والتصريف إلا هو، وكما علمنا القرآن الكريم توحيد الاستعانة بالله تعالى، فقد علمنا الأخذ بالأسباب ومنها الاستعانة بالصبر والصلاة، كما في قوله تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} [البقرة: 45]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153} [البقرة: 153]، وضابط الاستعانة، أنّ من اعتقد أنّ أحداً له تأثير مستقل من دون الله فهذا شرك الاستعانة، ومن اعتقد أنّ الأمر كله بيد الله وحده لا شريك له، وليس لأحد معه أمر ولا تأثير، فلا بأس أن يأخذ بأسباب التوفيق والقبول والقربى من الله، والخلاصة أنّ الرب الناصر القادر هو الله وحده، ولكنّه ـ مع ذلك أقام هذا الكون على سلسلة من الأسباب والعلل التي تعمل بقدرته وأمره، والأخذ بهذه الأسباب مع تعلق القلب بالله وحده هو عين التوكل على الله، ولكن لما رأى الشيخ أنّ المشركين كانوا يتقربون لآلهتهم بالذبح والنذر والدعاء والاستعانة ظن أنّ مجرد إتيانهم هذه الأمور لذاتها هو العبادة، وأنّ كل عمل يصلح للتعبد به لا يقع إلا عبادة إن وقعت لله فهي التوحيد، وإن وقعت لغيره فهي الشرك، وهذا مخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة، الذين فقهوا أن المشركين كانوا يأتون

تلك الأعمال بنية العبادة لمن اعتقدوا فيهم شيئاً من صفات الإلهية أو الربوبية أو استحقاق العبادة، فإن المشركين لما اعتقدوا لآلهتهم تلك الخصائص زاولوا تلك الأعمال لهم بنية عبادتهم، ولو كان مجرد إتيان العمل الذي يصلح للتعبد به _ من دون اقتران نية العبادة لمن يعتقده رباً – هو الشرك إن وقع لغيره تعالى لما جاء بعض تلك الأعمال مأموراً به لغيره تعالى، كالسجود وهو أقوى صور العبادة لو كان مجرد إتيانه هو العبادة أو الشرك لما أمر الله به لآدم ولما حلّ في شريعة قط كالسجود ليوسف على وجه التحية والتكريم، فلما جاء السجود صالحاً لأن يكون سجود عبادة وشرك، وأن لا يكون سجود عبادة وشرك تبين أن إتيان أي عمل ليس عبادة لذاته ولا شركاً في نفسه إلا أن يجتمع مع إتيانه نية العبادة به لمن يعتقد فيه شيئاً من صفات الربوبية أو خصائصها، وكذلك ها هنا في الحديث ((الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى، فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)) الحديث يدل على أن من الاستغاثة ما لا يكون شركا، تورط الشيخ وأخذ يبحث عن مخارج، ويفتش عن ضوابط لما يصل إلى درجة الشرك وما لا يصل إليه، من أمور الاستغاثة والاستعانة، فأجاز من ذلك مما كان لحي حاضر فيما يقدر عليه، ومنع من ذلك ما كان لغائب أو ميت، ولا معنى لبناء الجواز والمنع على ما يقدر عليه وما لا يقدر عليه لأنه لا يعتقد أنّ العبد يخلق أفعال نفسه إلا المعتزلة ومن قلّدهم، والمسلمون حين يدعون أحداً أو يستنجدون به أو يستعينون به حياً كان أو ميتاً، حاضراً أو غائباً يعتقدون أنه لا يقدر على شيء ولا استقلال له بنفع أو ضر وإنما هو سبب من الأسباب يسخره الله، ولا معنى كذلك لبناء الجواز والمنع على الحياة والموت لأن المعنى الذي أجيزت به الاستغاثة مثلاً بالأحياء هو أنهم سامعون قادرون على الدعاء وغيره وذلك موجود على أتم وجوهه في عامة موتى المسلمين فضلاً عن خاصتهم إذ صحت الأحاديث بحياتهم ولوازمها من السمع والبصر والكلام والسلام والتزاور والقدرة على دعائهم للأحياء لا سيما لقرابتهم وزوارهم، وفي كتاب "الروح" لابن القيم فصول تُفيد " أنه قد تواتر بأنّ لأهل القبور قدرة على التصّرف والترائي للأحياء "، ومن أدلته على ذلك: أن الله تعالى أخبر عن الشهداء بقوله تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} [سورة البقرة: 154]{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [سورة آل عمران: 169]، وإن الأنبياء، والصديقين وكثيرًا من صالحي المسلمين الذين ليسوا بشهداءَ كأكابر الصحابة، أفضل من الشهداء بلا شك ولا مرية، فإذا ثبتت الحياة للشهداء فثبوتها لمن

هو أفضل منهم أولى، على أن حياة الأنبياء مصرّح بها في الأحاديث الثابتة، وأيضا من السنة الصحيحة ما رواه الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: وقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على قليب بدر فقال: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ ثم قال: أنهم الآن يسمعون ما أقول، 2 – وفي رواية في الصحيح (البخاري): أن النبي صلى الله عليه واله وسلم جعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: ((يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ؟ فأنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم))، وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام) رواه الحاكم في المستدرك (2 421) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الحافظ الذهبي، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما من أحد يسلم علي إلا رد الله إلي روحي حتى أرد عليه السلام) رواه أبو داود وغيره وصححه النووي في رياض الصالحين وفي الأذكار، وقال الحافظ ابن حجر: رجاله ثقات، كما في فيض القدير، وحديث: أن النبي صلى الله عليه واله وسلم كان يقول إذا ذهب إلى المقابر: (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسال الله لناولكم العافية.)، قال ابن القيم: قال: (فإن السلام على من لا يشعر ولا يعلم بالمسلم محال، وقد علم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمته إذا زاروا القبور أن يقولوا: سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية) وهذا السلام والخطاب والنداء الموجود يسمع، ويخاطب، ويعقل، ويرد، وإن لم يسمع المسلم الرد، وإذا صلى قريبا منهم شاهدوه، وعلموا صلاته، وغبطوه على ذلك) انتهى كلام ابن القيم كما في كتابه الروح، وإذ تبين فساد هذه الضوابط التي قال بها أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجواز والمنع، تبين أنّ الضابط الصحيح للتفرقة بين الجواز والمنع هو أنه إذا كان العمل أو القول لمن لا يعتقده رباً فليس من العبادة في شيء، أما إن وقع بنية العبادة لمن يعتقد ربوبيته واستقلاله بالنفع والضر وقبول شفاعته بحكم شراكته في الربوبية فذلك الذي يعتبر عبادة إن صرف لله، وشركاً إن صُرف لغيره لا فرق في ذلك بين حاضر وغائب ولا ميت وحي ولا في الحياة الدنيا ولا في الآخرة ولا يوم القيامة،

وما خلا عن نية العبادة لا يقال أنه عبادة لغير الله إلا أن يكون الشارع قد جعل نفس العمل كفراً كالسجود للصنم يكفر فاعله ولو لم تعرف نيته لأنّ ذلك إمارة على اعتقاد ربوبيته ومظنة للشرك، وبهذا البيان تعلم أنّ مسمى العبادة شرعاً لا يدخل فيه شيء مما يفعله السواد الأعظم من المسلمين من توسل واستغاثة وغيرهما، فعدُّ ذلك من الشرك المخرج عن الملة إنما يجر إليه الجهل بمعنى الشرك والعبادة، (تنبيه) فرق الشيخ في الاستغاثة بين الحي والميت على أساس قدرة الحي، وعدم قدرة الميت، مع أنه عند التحقيق فلا قدرة لهذا ولا لذاك إلا بالله، والذين يكفرهم الشيخ يقرون بأنه لا قدرة لا لهذا ولا لذاك إلا بالله، فمن أحق بالتوحيد الخالص من يعتقد قدرة الحي دون الميت أم من يُحيل القدرة إلى الله وحده، أي الفريقين أحق بالتوحيد يا شيخ،

[الخطأ التاسع والعشرون]: قوله: [[ولنختم الكلام بمسألة عظيمة مهمة تفهم مما تقدم ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها فنقول: لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختل شئ من هذا لم يكن الرجل مسلماً، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر مرتد معاند ككفر فرعون وإبليس وأمثالهما، وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون: أن هذا حق ونحن نفهم هذا ونشهد أنه حق، ولكننا لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، أو غير ذلك من الأعذار، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار كما قال تعالى: {اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً} [التوبة:9]وغير ذلك من الآيات، كقوله {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ} [البقرة:146]،]] (أقول): نعم هذه مسألة عظيمة، ومشكلة الشيخ أنه لا يفرق بين الاعتقاد والعمل، فإن الشريعة الحكيمة جعلت الأصل هو اعتقاد القلب فإن اعتقد القلب الإيمان والتوحيد فصاحب ذلك الاعتقاد له اسم الإيمان وحكمه، وإن اعتقد القلب الكفر فصاحب ذلك الاعتقاد هو الكافر الكفر الأكبر، وإن اعتقد القلب الشرك فصاحب ذلك الاعتقاد هو المشرك الشرك الأكبر، **فكل ما كان من الكفر يمس الاعتقاد فهو كفر أكبر مخرج من الملة، وكل ما كان من الكفر يتعلق بالعمل المحض المجرد عن الاعتقاد فهو كفر دون كفر،** سوى ما دل على انتفاء عمل القلب من الاستهزاء والسب، وكذلك فكل **ما كان من الشرك يمس الاعتقاد فهو كفر أكبر مخرج من الملة، وكل ما كان من الكفر يتعلق بالعمل المحض المجرد عن الاعتقاد فهو شرك دون كفر، والآيات كثيرة في كتاب الله عز وجل تدل على أن أصل**

الإيمان منبعه في القلب: كقوله تعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ}، وكقوله تعالى: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ}، وقوله تعالى: {وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} [الحجرات: 14]، وقوله تعالى: {أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ} [المجادلة: 22]، فدلت الآيات على أن مقر الإيمان هو القلب، وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((التقوى هاهنا))، ويشير إلى صدره ثلاثاً، وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم، ((ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)) [أخرجه البخاري] **والآيات كثيرة في كتاب الله عز وجل تدل على أن أصل الكفر ومنبعه أيضاً هو القلب:** ومن ذلك قوله تعالى: {طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ}وقوله تعالى:{خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} وقوله تعالى:{كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ} وقوله تعالى:{لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ .. إلى قوله تعالى أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ} فهذه الآيات تدلنا على أن محل الكفر الأكبر هو القلب وأنه ضد لأصل الإيمان المنجي من الكفر الأكبر، **والقاعدة الأصولية** تقول أيضاً أن **الشرك الأكبر: شرك اعتقاد، والشرك العملي هو شرك دون شرك، ولا يخرج من الملة ما كان العقد سليم على التوحيد، وتقول أنّ: الكفر الأكبر كفر جحود واعتقاد، وكفر العمل لا يكون كفراً أكبر حتى يصاحبه كفر القلب من زوال قوله أو عمله، وهذه قاعدة مطردة عند علماء أهل السنّة والجماعة الفقهاء، فكل ما كان من الكفر يمس الاعتقاد فهو كفر أكبر مخرج من الملة، وكل ما كان من الكفر يتعلق بالعمل المحض المجرد عن الاعتقاد فهو كفر دون كفر، ولا يخرج عن هذه القاعدة المطردة سوى الأعمال التي أجمع علماء أهل السنّة والجماعة على كفر فاعلها كإهانة المصاحف ودوسها بالأقدام وإلقائها في الحشوش وهذه لا إشكال فيها ولا تأثير لها على اطراد القاعدة، إذ هذه الأعمال لا تصدر إلا مع ذهاب عمل القلب وانقياده، وإذا خلا القلب من الانقياد زال أصل الإيمان وحل محله الكفر الأكبر، فهذه الأعمال إنما كانت كفراً أكبر لأنها لكفر القلب فحلّت محله، وكذلك فإن الكفر الأكبر عند فقهاء أهل السنّة والجماعة، هو ما كان ضداً لأصل الإيمان أو لعنصر من عناصره الثلاثة، [الإقرار – التصديق – الانقياد]، والكفر دون كفر عند فقهاء أهل السنّة والجماعة، هو ما كان ضداً للإيمان الواجب أو لعنصر من عناصره الأساسية التي حكم الشرع على تاركه بالكفر أي الكفر في إطار الملة، وأصل الإيمان كما حققه فقهاء أهل السنّة والجماعة يشمل ثلاثة عناصر قول القلب وهو التصديق وعمل القلب وهو الانقياد وقول اللسان وهو الإقرار، والكفر الأكبر عند هؤلاء الفقهاء العلماء هو ما كان ضداً لهذا الأصل كله أو لعنصر من عناصره الثلاثة،**

ويدخل فيه عندهم أنواع كثيرة منها: كفر التكذيب وكفر الجحود وكفر العناد وكفر الإعراض وكفر النفاق وكفر الشك وكفر الاستهزاء، وأعمال الجوارح كما حققها فقهاء أهل السنّة لا تدخل في أصل الإيمان ولكنها تدخل في الإيمان الواجب، وكل ما حكم الشرع عليه بانتفاء الإيمان أو بالبراءة منه أو بالكفر أو بالشرك أو بالنفاق ولم يكن داخلاً في أصل الإيمان فهو باتفاق المحققين كفر دون كفر وشرك دون شرك ونفاق دون نفاق، فلا يخرج من الملة بالكلية، وصاحبه وإن كان يخشى عليه سوء العاقبة والخاتمة إلاّ أنه لا يزال له اسم الإيمان وحكمه حتى يأتي كفر ناقض لأصل الإيمان لنا فيه برهان بين، كما أن من قواعد أهل السنة والجماعة أن المسلم قد يجتمع فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، ولا يكون بذلك كافرا ولا مشركا، بل هو كفر دون كفر وشرك دون شرك ونفاق دون نفاق، وهذا من أعظم أصول أهل السنّة وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والقدرية، كما في قوله تعالى {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} [يوسف: 106]، فإنّ الله تعالى أثبت لهم إيماناً به سبحانه مع وقوع الشرك دون شرك، إذن نستفيد من ذلك ان التوحيد الاعتقادي يضاده الشرك الأكبر المخرج من الملة، وان التوحيد العملي يضاده الشرك العملي (الشرك في إطار الملة) حتى يأتي على أصل التوحيد الذي مقره القلب والاعتقاد، وقول الشيخ: (فنقول: لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختل شئ من هذا لم يكن الرجل مسلماً) مصيبة بكل المقاييس لأنه هاهنا يكفر بالمعاصي، لأن اختلال العمل ليس له معنى سوى التكفير بالمعاصي، وهذا فعل الخوارج، وإن كنت أرى أن الخوارج يكفرون بالكبائر ولكن الشيخ يكفر بمسائل خلافية كالتوسل وغيره مما أجازه جمهور فقهاء الامة الإسلامية

[الخطأ الثلاثون]: قوله: [[ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله: أولاهما، قوله تعالى: ﴿لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾]التوبة:66] فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر ويعمل به خوفاً من نقص مالٍ، أو جاهٍ أو مداراة لأحد، أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها]]، (أقول): قد تقدم سبب هذا الكفر وأنه كفر استهزاء يضاد التعظيم الذي يجب ان يقر في القلب مع أصل الإيمان، وأن علماء أهل السنه والجماعة يقولون: ان الأعمال الكفرية كالاستهزاء بالدين مستلزمة لكفر القلب ودالة عليه،

وهذا هو السر في جعلها من الكفر الأكبر المخرج من الملة، فهي فيما يظهر للناس كفر عملي وفي حقيقتها كفر اعتقادي يضاد أصل الإيمان في القلب،

[الخطأ الحادي والثلاثون]: قوله: [[والآية الثانية قوله تعالى﴿ :مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ]﴾ النحل:106،107] فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعله خوفاً أو مداراة، أو مشحةً بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله، أو فعل على موجه المزح أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره، فالآية تدل على هذا من وجهين: الأول قوله تعالى :إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ، فلم يستثن الله تعالى إلا المكره، ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل، وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها، والثاني قوله تعالى﴿ : ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل والبغض للدين ومحبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا فآثره على الدين، والله سبحانه وتعالى أعلم وأعز وأكرم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم]]،

(أقول): هذا الكلام فيه عظائم ومجازفات: **أولها** قوله: ((فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان)) وقد ذهل الشيخ عن قواعد اهل السنة والجماعة في باب الإيمان والكفر والتوحيد والشرك، واهمها: أن العذر بالجهل مانع من تكفير المسلم المتلبس بالكفر الاكبر أو بالشرك الأكبر، و أن العذر بالتأويل مانع من تكفير المسلم المتلبس بالكفر الأكبر أو بالشرك الأكبر، وانه قد يوجد في المؤمن بعض شعب الكفر (الكفر دون كفر) أو الشرك دون شرك أو النفاق العملي) وهو مع ذلك مسلم له اسم الإيمان وحكمه، إذن العذر بالجهل مانع من تكفير المسلم المتلبس بالكفر الاكبر أو بالشرك الأكبر، والعذر بالتأويل مانع من تكفير المسلم المتلبس بالكفر الأكبر أو بالشرك الأكبر، **والمجازفة الثانية**: قوله: ((وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعله خوفاً أو مداراة، أو مشحةً بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله))، فهل يكفر كل من ارتكب كفرا ظاهرا بسبب الخوف أو المداراة، أو

المشحةً بأهله أو عشيرته أو ماله، على حد قول الشيخ، حتى وإن كان الاعتقاد سليما والإقرار سليما، ولماذا لم يكفر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حاطبا عندما قام بفعل الكفر، ووالى المشركين على المؤمنين، فإنه لما قال: [يَا رَسُولَ اللهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: لَقَدْ صَدَقَكُمْ]، ولمّا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأمره بالتوبة من هذا الذنب ولم يوضح ما يدل على أنه ردّة مُخرج من الملة ويحتاج إلى تجديد إسلامه، دلّ ذلك كله على أنّ ما فعله حاطب ليس من إطار الكفر الأكبر، فالموالاة الظاهرة والتي وقع فيها حاطب رضي الله عنه ليست مخرجة من الملة بالكلية، بل هي في إطار الملة ولهذا أقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عثرته وأخبر بفضل أهل بدر وهو منهم، ولو تدبرنا قول حاطب رضي الله عنه ((نعلم أنه يؤكد أنها موالاة ظاهرة لا تتعدى ذلك إلى القلب لأن القلب مؤمن بالله ورسوله وصدقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله وأمر المسلمين أن لا يقولوا له إلاّ خيراً، بمعنى لا يتهموه بكفر ولا نفاق . فاعتذار حاطب لدرء الكفر الأكبر بقوله: (والله يا نبي الله إني لمؤمن بالله ورسوله) هو اقتصار الموالاة على الظاهر دون الباطن، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقبل بهذا الاعتذار لدرء الكفر الأكبر، ولو كانت الموالاة الظاهرة دون الباطنة كفر أكبر بذاتها لوضح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك لحاطب لمّا اعتذر له بثبات الإيمان في قلبه وأنها مجرد موالاة ظاهرة، وبيّن له أن هذا العذر لا يُفيد لأن الموالاة ظاهرها وباطنها سواء، وبيّن له ضرورة التوبة من الكفر الأكبر الذي وقع فيه، فهل لنا أنّ نظن في النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يؤخر البيان عن وقت الحاجة لاسيما والدواعي كلها تطلب ذلك والبيان ليس في أمر هين وإنما هو في أهم مسائل الدين [الإيمان والكفر]، **أما المجازفة الثالثة في استدلاله بالآية: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ} ثم قوله بعدها: فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل والبغض للدين ومحبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا فآثره على الدين**، أقول فهل حظوظ الدنيا تبيح اتهام المسلم الموحد بالشرك الأكبر واستحلال دمه وماله، وهل ذنوبنا جميعا إلا من جراء حظوظ النفس والدنيا، فهل يؤول بنا الغلو في التكفير والتشريك إلى تكفير الامة بالذنوب والخطايا أو بسبب الجهل والخرافة، **وأما المجازفة الرابعة** فهي إعراضه عن بقية الآية وعدم التعرض

لفقهها والمستفاد منها، فإن الله تعالى قال: {وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}، **فلم لا يكون المناط في الكفر هو شرح الصدر بالكفر**، والرضا به، كما أن مناط الإيمان اطمئنان القلب بالإيمان والرضى به، **وأما المجازفة الخامسة فهي ذهوله عن ضابط الكفر في الآية** فإن الآية تقول: {وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}، فإن المناط هو شرح الصدر بالكفر والرضا به، وليس كما ظن الشيخ انه مجرد استحباب الحياة الدنيا على الآخرة، فإن العاصي والزاني وشارب الخمر ومرتكب المعصية يستحب وقت المعصية الحياة الدنيا على الآخرة، ولم يزعم احد أنه يكفر، وبعد فهذا ما تيسر في بيان الأخطاء الموجودة في كتيب كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، ولا ابتغي من وراء ذلك سوى النصح للمسلمين، وإِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ،

***

المبحث الرابع

تعقيب على نواقض الإسلام العشرة

التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب

(تنبيه): أتناول في هذا المبحث مفاتيح التعقيب على نواقض الإسلام العشرة التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبيان الضوابط الفقهية لتصحيح المراد من تلك النواقض ومنع طلبة العلم

من الغلو في فهمها بما يؤول بهم إلى الغلو في تكفير أهل القبلة في أمور لا تصل بهم أبدا إلى ذلك الحد، جاء في مجموعة التوحيد – من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب: **[[اعلم أن من أعظم نواقض الإسلام عشرة: (الأول): الشرك في عبادة الله تعالى، قال الله تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}، وقال: {إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار}، ومنه الذبح لغير الله، كمن يذبح للجن أو للقبر، و (الثاني): من جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم، ويسالهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، كفر إجماعاً، و (الثالث): من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم فهو كافر، و (الرابع): من اعتقد أن غير هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه – كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه – فهو كافر، و (الخامس): من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم – ولو عمل به – كفر، و (السادس): من استهزأ بشيء من دين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أو ثوابه، أو عقابه، والدليل قوله تعالى: {ولئن سالتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم}، و (السابع): السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به، كفر، والدليل قوله تعلى: {وما هم بضارين به من احد إلا بأذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم}، و (الثامن): مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: {ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين}، و (التاسع): من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم – كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام – فهو كافر، و (العاشر): الإعراض عن دين الله تعالى، لا يتعلمه، ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: {ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون} "]] أهـ [نواقض الإسلام، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجموعة التوحيد]، أهـ،**

(تنبيه) هذه النواقض العشرة أصبحت العمدة عند أكثر من يتحدثون عن نواقض الإسلام في زمان الشيخ ابن عبد الوهاب وإلى زماننا هذا، لذا وجب بيان ضوابطها الشرعية التي تمنع من

الخطأ في فهمها، لاسيما وان تلك النواقض إن لم تنضبط بضوابط الشرع صارت سيفا مسلطا على رقاب اهل القبلة بالتكفير والتشريك نسأل الله الفقه في الدين، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين،

[الناقض الأول وبيان ضابطه]: [قوله " الناقض الأول: الشرك في عبادة الله تعالى، قال الله تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}، وقال: {إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار}، ومنه الذبح لغير الله، كمن يذبح للجن أو للقبر]: [قلت]: الشرك في عبادة الله تعالى كفر أكبر ولكن له عند الفقهاء أصل وله صور، فالأصل هو الاعتقاد، وهو أن يصرف العبد مفردات العبادة بنية العبادة لمن يرى له صفات الربوبية أو الألوهية، فهذا شرك أكبر لا مرية فيه، أما صرف الصور الخالية من الاعتقاد فهذه ليست من باب الشرك الأكبر أبدا، وإنما هي من باب شرك دون شرك، فلا يترتب عليها لا تكفير ولا استحلال حرمات المسلمين، وبيان ذلك: أنّ المشركين زمان النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنّها آلهة لها صفات الألوهية واستحقاق العبادة بما لها من مفردات الربوبية كالنصرة والعزة واجابة الدعاء والشفاعة قصراً على الله، ومما يؤيد ذلك قوله تعالى – في حق مشركي قريش –: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ} [ص: 4 إلى 7]، كما اعتقدوا أنّها أنداد لله، والند هو الضد والشبيه والمثيل الذي له مشاركة في الملك والخلق والتدبير، ويدل عليه قوله تعالى:{قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [فصلت: 9]، وقوله تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ} [ابراهيم: 30]، كما اعتقدوا التسوية بين الله وبين معبوداتهم في الربوبية والألوهية: كما في قوله تعالى: {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: 96 إلى 98]، فهذه الآيات التي تحكي عقيدة المشركين و هي أنّهم كانوا يسوّون آلهتهم بربّ العالمين في صفات الربوبية والألوهية، كما اعتقدوا شراكتها في الربوبية ومفرداتها من التصريف والتدبير والقدرة الذاتية على النفع والضر والإعزاز والنصر: كما في قوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا

لَهُمْ عِزًّا} [مريم: 81]، وقوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ} [يس: 74]، وقوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ} [الأنبياء: 43]وقوله تعالى: {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ} [هود: 101]، والمعنى أنّهم كانوا يدعونهم ويعبدونهم وهم ينتظرون أن يغنوا عنهم من الاله شيئا، وقد كان الكفار يخوفون الرسل من بطش آلهتهم وهذا يعني اعتقادهم أنها تنفع وتضر استقلالا وهذا واضح لمن تدبره في مثل قوله تعالى: {إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ} [هود: 54]، وقوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: 36] قال البغوي في تفسير الآية:{وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ}: " وذلك أنهم خوفوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معرة معاداة الأوثان، وقالوا: لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون " أهـ [تفسير البغوي ج4 ص 69،]، والخلاصة أن المشركين كانوا يعتقدون بأن الآلهة التي عبدوها وآمنوا بها لها صفات الألوهية والربوبية، وأنّها تضر وتنفع وتنتصر وتنتقم وتنصر ولهذا اتخذوها أربابا من دون الله لعلهم ينصرون، **والسؤال المهم الآن: هل كان الناس زمان الشيخ يعتقدون في الاولياء والصالحين نفس الاعتقاد**، وهل كانوا إذا ذكرهم الشيخ بالشهادتين، يقولون كما قال كفار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ} [ص: 4 إلى 7]، هل كانوا كذلك ام كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وانّ محمدا رسول الله، هل زعم أحد منهم أنه يعبد يوسف أو شمسان أو تاج من دون الله كما ذكر هو في كشف الشبهات وكفر كل من يعتقد فيهم الصلاح والولاية، من دون الله أو يظن له شراكة مع الله في التدبير والتصريف مستقلا عن الله، كما يزعم مشركو قريش لآلهتهم، (المصيبة الكبرى) أنّ الشيخ لم يجعل للعبادة ضابطا يجعلها عبادة، فليس مجرد صرف العمل العبادي خاليا عن الاعتقاد يعتبر عبادة، فإن ضوابط الفقه في الدين توجب وجود معنى وراء الطاعة والخضوع والتذلل يستقيم له مسمى العبادة، فهذه المعاني قد تصرف للوالدين وتكون من أعظم البر بهما ولا يصح تسميتها عبادة قال تعالى {وَاخْفِضْ لَهُما جناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} [الإسراء:24] ولا يعد التذلل لهما عبادة وكذلك من باب الأولى الطاعة والمحبة، وكذلك فما هو الفرق بين سجود الملائكة لله وسجودهم لآدم، الهيئة واحدة هي هيئة السجود (وهي

أقوى هيئة تدل على التذلل والخضوع)، الفعل واحد هو السجود، والنية تختلف الاول بنية العبودية لله والثاني بنية طاعة الله تكريما لآدم، ومثال آخر يبين الفرق بين سجود نبي الله يعقوب لله وسجوده ليوسف عليهما السلام، الاول بنية العبودية لله والثاني تكريما ليوسف وهذا المعنى هو الضابط لفقه العبادة، إذن الاعتقاد هو ضابط الفقه في مسائل توحيد العبادة وشرك العبادة: فمن صرف مفردة من مفردات العبادة بنية العبودية لغير الله وقع في الشرك الأكبر ومن صرفها بغير نية العبودية لغير الله لم يكن شركا أكبر، وقد وفق علماء الأصول أيما توفيق في جعل ضابط الفقه في مسائل الإيمان والكفر ومسائل التوحيد والشرك هو: ((الاعتقاد))، وليس مجرد فعل العبادة، ودليل هذه القاعدة الضابطة لفقه مسائل الأسماء والأحكام عامة، قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امري ما نوى)) [أخرجه مسلم]، ولاحظ القصر في الحديث للدلالة على أنه ضابط الحكم على العمل، ألا وهو النية، والنية هي الاعتقاد القلبي، والاعتقاد الضابط للعبودية هو اعتقاد الربوبية والألوهية فيمن تصرف إليه العبادة: فمن صرف الطاعة الممتزجة بالمحبة والذل والخضوع لغير الله معتقدا ربوبيته وألوهيته فهو عابد له من دون الله، ومن صرفها بغير هذا الاعتقاد فلا يصح تسميتها بالعبادة، وخلاصة الأمر في التعريف الفقهي الصحيح للعبادة: هو عبارة عن الأفعال والأقوال الظاهرة والباطنة الدالة على الذل والخضوع المقترن باعتقاد الربوبية والألوهية أو شيء من مفرداتهما في حقّ المخضوع له، فكل طاعة تقترن بالاعتقاد تكون عبادة، فمن صرفها لله وحده فهو موحد، وإن صرفها لغير الله تعالى كان مشركاً، والعبادة (أي عبادة)، لها أصل وصورة، فالأصل هو العقيدة الخاصة التي تدفعه إلى عبادة المخضوع له وهي اعتقاد الألوهية والربوبية فيه، والصورة هي الفعل أو القول الدال على الطاعة مع المحبة والخضوع و التذلّل، ومثال ذلك: من صرف السجود _ وهو غاية مظاهر التذلل والخضوع _ لغير الله اعتقادا له بالربوبية والألوهية فهو مشرك بالله الشرك الأكبر ومن صرفه بغير اعتقاد الربوبية والألوهية لمن سجد له فلا يكون عبادة ومنه سجود الملائكة لآدم وسجود آل يعقوب ليوسف عليه السلام، هذا وإن كان النهي عن السجود لغير الله تعالى هو الذي جاء به الإسلام، ولكن من سجد بنية التكريم بغير اعتقاد، فلا يكفر عند الفقهاء، ولا يعد مشركاً بالله الشرك الأكبر المخرج من الملة، وإنما هي معصية من المعاصي، وما قيل في السجود يقال مثله في الدعاء، وفقهاء أهل السنة متفقون على التفصيل في مسألة الدعاء تبعاً للعقيدة، فمن دعا من يعتقد فيه صفات الربوبية أو الإلهية فهذا من الشرك الاكبر، ومن دعا

بنية التوسل إلى الله تعالى بدعاء من يدعوه، فهذا باب آخر من أبواب الفقه موجود في أحكام التوسل، إلا أنّه ليس من باب الشرك واتخاذ آلهة من دون الله، وما قيل في السجود والدعاء يقال مثله في الذبح، وفقهاء أهل السنة متفقون على التفصيل في مسألة الذبح تبعاً للعقيدة، فمن ذبح لمن يعتقد فيه صفات الربوبية أو الإلهية فهذا من الشرك الاكبر، ومن ذبح بنية الإكرام أو الاحترام، أو بغير نية التعبد واعتقاد ربوبية المذبوح له، فهذا من المحرمات ولكن لا يدخل في باب الشرك الاكبر، وما قيل العبادات السابقة يقال مثله في النذر، فمن نذر لمن يعتقد فيه الربوبية وصفاتها، والإلهية ومفرداتها فهذه عبادة صرفها لغير الله تعالى شرك أكبر، وفقهاء أهل السنة متفقون على التفصيل في مسألة، **وما قيل في مفردات العبادة يُقال مثله في الشفاعة، فمن اعتقد لاحد شفاعةً الزاماً على الله تعالى بما للشافع من شراكة توجب له الشفاعة، فهذا من الشرك الأكبر، أما من اعتقد أنها تفضلٍ من الله تعالى لمن شاء من الصالحين من عباده، فهذه عقيدة أهل الإسلام، وهي ثابتة بفضل الله تعالى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وفقهاء أهل السنة متفقون على التفصيل في مسألة الشفاعة تبعاً للعقيدة، فمن صرفها لمن يعتقد فيه صفات الربوبية أو بعضها كالشراكة في التدبير أو الشفاعة للالزمة على الله تعالى، فهذا الشرك الاكبر، والآيات التي تثبت الشفاعة تستثني من شاء الله تعالى، كقوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ} [طه: 109]، وما قيل في مفردات العبادة يُقال مثله في الاستعانة**، فمن استعان بمن يظن به صفات الربوبية والالوهية أو بعضها، فقد أشرك الشرك الاكبر المناقض لتوحيد الألوهية، ومن استعان بمن يظن فيه النفع بإذن الله تعالى وحده، فهذا لا علاقة له بمعاني التوحيد والشرك، وذلك لأنّ كل مسلم لابد له أن يستعين بالأسباب التي جعلها الله تعالى بمثابة القوانين الضابطة للحياة، فمن طلب المال استعان عليه بالعمل، وهو يعلم أنّ الرزق بيد الله تعالى، ومن طلب الولد استعان عليه بالزواج، وهو يعلم أنّ الولد بيد الله يهب لمن يشاء، ويجعل من يشاء عقيما، وهكذا، وكما علمنا القرآن الكريم قصر للاستعانة بالله وحده، والقصد على وجه الاستقلال، فإنه لا يملك التدبير والتصريف إلا هو، فقال تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5]، كذلك علمنا الأخذ بالأسباب ومنها الاستعانة بالصبر والصلاة، كما في قوله تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} [البقرة: 45]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153} [البقرة: 153]، **وضابط الاستعانة**، أنّ من اعتقد أنّ أحداً له تأثير مستقل من دون الله فهذا شرك الاستعانة، ومن اعتقد أنّ الأمر كله بيد الله وحده لا شريك له، وليس لأحد معه أمر ولا تأثير،

فلا بأس أن يأخذ بأسباب التوفيق والقبول والقربى من الله، والخلاصة أنّ الرب الناصر القادر هو الله وحده، ولكنّه ـ مع ذلك أقام هذا الكون على سلسلة من الأَسباب والعلل التي تعمل بقدرته وأمره، والأخذ بهذه الأسباب مع تعلق القلب بالله وحده هو عين التوكل على الله، **وبعد فهذا هو الضابط العام لمفردات العبادات** التي ينبغي أن لا تصرف إلا لله وحده، فصرفها لغير الله تعالى بنية العبادة لذلك الغير كفر وشرك بالله، وصرفها لمن نعتقد فيه الربوبية والالوهية (لأنهما متلازمان) أو بعض صفاتهما فهو كفر وشرك بالله، وإن خلت من النية والاعتقاد، فهي وفق حكمها الشرعي فقد تكون شرك دون شرك وقد تكون كبيرة من الكبائر، وقد تكون جائزة كالاستعانة بالأسباب مع ربط القلب بخالق الأسباب، **وعلى ذلك: فالتعريف الصحيح الضابط لفهم معنى الشرك الأكبر المناقض لتوحيد الالوهية:** إنّ الشرك الأكبر المنافي لتوحيد الألوهية هو صرف العبادة إلى غير الله مع اعتقاد وجود نوع من شراكته مع الله في شيء من الربوبية أو الألوهية، كأن يعتقد فيه نوع من التدبير والتصريف باستقلال عن الله، أو شفاعة ملزمة على الله، أو استحقاق أن يعبد من دون الله، فمن صرف السجود لمن يعتقد شراكته مع الله في صفات الربوبية أو الالوهية فقد أشرك في ألوهية الله تعالى، وأتى بالشرك الأكبر الذي لا يغفره الله لمن مات مصراً عليه، **(تنبيه): لا يصح بأي حال مقارنة حال المشركين زمان النبي صلى الله عليه وسلم بحال المسلمين الناطقين للشهادتين المعتقدين لهما،** فالمشركون زمان النبي صلى الله عليه وسلم ما كانوا يرضون بتوحيد الألوهية وكانوا يعترضون أشد الاعتراض على قول لا إله إلا الله، وقد وصفهم القرآن الكريم بقوله تعالى {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ} [الصافات: 36]، وبقوله تعالى {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ * أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ} [ص: آية 4 إلى آية 8]، وكانوا يشركون أوثانهم مع الله تعالى حتى في الشفاعة فكانوا يجعلون لهم الحق الواجب من الشفاعة (الشفاعة الملزمة)، كأنهم شركاء لله عز وجل في ملكه وملكوته، **فمن فعل ذلك من أهل القبلة كان من المشركين** شركا لنا فيه من الله تعالى برهان، –وهذا لم يحدث ابدا من مسلم قط على مر عصور الإسلام– **ومن استأنف أن ينسب عبادته لغير الله – وهذا هو الحاصل– وهو يشهد أن لا إله إلا الله، وإذا قيل له أأنت تعبد هذا الميت، قال على الفور معاذ الله فإني لا أعبد إلا الله ولا اعتقد الإلهية ولا الربوبية**

ولا استحقاق العبودية إلا لله، فهذا الرجل لا تبلغ حاله الشرك الأكبر بحال، ما كان الإقرار على التوحيد واعتقاده صحيحين، وإلا فما من إنسان إلا وهو يصرف بعضا من مفردات العبودية لغير الله إلا ما رحم الله، فمن خشي غير الله فقد صرف الخشية لغير الله، ومن خاف من مخلوق كمن خاف من سبع مفترس فقد صرف مفردة من مفردات العبودية وهي الخوف لغير الله، ومن أحب غير الله فقد صرف مفردة من مفردات العبادة لغير الله، وهكذا لا يسلم التوحيد -على مذهب هؤلاء - لأحد، **ولذلك كان لابد للمسألة من ضابط**، فمن خاف من سبع مفترس نعلم أنه لم يصرف إليه الخوف العبادي، ومن خشي ملكا ظالما نعلم أنه لم يصرف إليه الخشية العبادية، ومن رجا غنيا أو ملكا نعلم أنه لم يصرف إليه الرجاء العبادي، وهكذا من ذبح للجن اتقاء شرهم فلم يقع في الشرك الأكبر لأنه لم يصرف إليهم مفـردة العبودية بنية العبادة، وإنما ذبح على ظنه اتقاء شرهم كما يكذب المرء على الملك الظالم اتقاء شره، فهذا في عداد الكبائر وليس في عداد الشركيات، ويدخل في إطار المنكرات، **ولكن أن ننسب ذلك إلى الردة والكفر الأكبر، فهذا لاشك غلو في فهم مسائل الشرك**، وكذلك فمن دعا الميت وقع في مظهر من مظاهر الشرك لصرف مفردة من مفردات العبودية لغير الله بدون نية العبادة، فلا يكون من الشرك الأكبر لأن هذا الداعي تحيط به شبهات تمنع حتما من رميه بالكفر الأكبر المخرج من الملة، **وهذه الشبهات منها** أنه مقر بلا إله إلا الله، وأنه يزعم – والآثار تؤيده – أن المسلم في قبره يسمع من يناديه ويستأنس بمن يزوره، فهو من هذا الباب يناجي حيا يسمعه وليس ميتا، والآثار تدل على الحياة في البرزخ، وأن الموتى يردون السلام على من زارهم وسلم عليهم، ثم هو يتعلل بأنه يطلب من هذا الولي – على حد زعمه – أن يدعو الله له ليس إلا، وهو يعلم أن الضر والنفع بيد الله وحده، وهو مثل قول المسلم لأخيه لا تنساني من دعائك يا أخي، فهذا خطأ، ولكن أين هذا الخطأ أو الجهل من الشرك الأكبر المخرج من الملة، لأنه يعتقد أن الولي الصالح الذي يدعوه لا يملك من الأمر شيئا، بعكس حال المشركين الذين كانوا يزعمون أن لآلهتهم شراكة مع الله واستحقاق الوساطة في الشفاعة والنصرة والتدبير بدليل قوله تعالى: { وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ} [الانعام:94]، **ولعل فيما سبق بيان ضابط الشرك الأكبر في مسألة الدعاء**، وخلاصته أن الدعاء قسمان، دعاء عبادة لمن نظن فيه الربوبية والألوهية ونصرف له العبودية، ودعاء مسألة لمن نظن فيه قضاء الحاجة على سبيل السبب، إذ كل ما سوى الله تعالى سبب قدَّره مسبب الأسباب سبحانه لقضاء الحوائج، فالغريق يدعو من ينقذه دعاء مسألة لظنه فيه أنه سبب لإنقاذه من الغرق، والسائل المتعلم يدعو العالم

دعاء مسألة لظنه أنه سبب لإدلاله على الصواب في المسألة، وهكذا كل دعاء ليس فيه صرف عبودية لمن يظن فيه الربوبية والألوهية فهو دعاء مسألة لا دعاء عبادة ودعاء المسألة لا يبلغ بصاحبه الكفر مهما كان حاله لأن الشرك الأكبر متعلق بدعاء العبادة الذي يصرف لمن يظن فيه الألوهية والربوبية، **وقد يقول قائل** أن مناط المسألة هو التفريق بين دعاء من يقدر على الشيء ودعاء من لا يقدر عليه وأن ذلك هو مناط الكفر في المسألة، **قلت:** قال العلماء أن هذا المناط لا ينضبط، وذلك لأن قدرة العباد نسبية، ومثال ذلك الصحابي الذي سقطت عينه على خده ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعيدها له، ومعلوم أن ذلك ليس في مقدور بشر، ولكنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليقينه أن الله على كل شيء قدير، وأنه يستجيب دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقدرة العباد نسبية إلا أنها إذا اتصلت بقدرة الله انتفت النسبية، لأن الله على كل شيء قدير، فهذا المثال وغيره من الشواهد لا يتعلق السؤال فيه لمقدور البشر، وإنما تعلق بقدرة الله الذي هو على كل شيء قدير، ولهذا قال العلماء من ظن أن أحدا قادرا على أدنى شيء باستقلال قدرته فقد أتى ببهتان عظيم، لأنه لا حول ولا قوة لأحد إلا بالله، فلهذا لا ينضبط مناط الاستقلال في القدرة، **وعلماء الأصول لا يجيزون تعلق الحكم بمناط غير منضبط في الأحكام العملية، فما بالنا بالأحكام الاعتقادية وأخطرها الحكم على الناس بالكفر الأكبر والشرك الأكبر المخرج من الملة، ومثالها كذلك مسألة الاستغاثة بالأموات** لأنه لا يُسّلم لك أنه ميت لا يسمع، بل يقول أنه يسمع نداءه، وأن المستغيث بمنزلة التائه أو الغريق الذي يستغيث بمن ينقذه من الغرق والموت، أو بمنزلة صاحب الحريق الذي يستغيث بمن يطفئ معه هذه النار، وهو مع ذلك لا يُسّلم أنه يستغيث بالميت على سبيل أن الميت يملك الضر والنفع استقلالا من دون الله، بل يقول أنه يطلب من الميت أن يدعو له الله لعل دعواه أن تكون مستجابة، كمثل من ذهب إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يستغيث به أن يرد عليه عينه وقد أصابها سهم فوقعت على خده، فهو لم يستغث بقدرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم المستقلة، وإنما بما له من وجاهة عند الله، وأن دعاءه لله مستجاب بخلاف غيره، وهذه التأويلات – على وجه العموم – لا تزال في إطار التأويل المستساغ، فيبقى معذورا بالتأويل المانع من تكفيره اتهامه بالشرك الأكبر، **ومثلها الذبح**، فهو مفردة من مفردات العبودية لقوله تعالى (فصل لربك وانحر) والذبح أنواع، فمن الناس من يذبح لمجرد الطعام وهذا جائز، ومنهم من يذبح على سبيل العبادة وهذا صرفه لله توحيد وصرفه لغير الله شرك، وضابطه اصطحاب نية العبادة في الذبح، ومن الناس من يذبح للجن مثلا خوفا من ضرهم لا عبادة لهم، فهذا كبيرة

من الكبائر ولم يقل أحد من علماء المسلمين المتقدمين أنه شرك أكبر ولا كفر أكبر إلا إن كان على سبيل العبودية للجن، أما لمجرد الخوف من إيذائهم فهذا بمنزلة الكبائر لا أكثر، ولا علاقة له بالشرك أبدا، ومن خالف في ذلك فليراجع أقوال علماء الأمة الفقهاء في هذه المسألة، وليرجع إلى مؤلفات الفقه المتخصصة ليعرف حكم الشرع في المسألة، **وهناك من يذبح للولي والرجل الصالح والميت** لا على سبيل العبودية يقينا ولكن على سبيل إهداء ثوابها إلى الميت، فهذا له الأجر والثواب، لأنه لا خلاف بين الفقهاء في جواز عمل العبادة والطاعة وإهداء ثوابها للميت، وهناك من يذبح للميت على سبيل الإكرام لحاله وشأنه كما يذبح الناس الذبائح عند مقدم الملوك والرؤساء على سبيل الإكرام، وهذا لا تصل إلى الشرك الأكبر بحال، وهناك من يذبح في تلك الأماكن تبركا بالصالحين، وإطعاما للمساكين، كما جاء في سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي: (وعن إبراهيم الحربي قال: قبر معروف الترياق المجرب يريد إجابة دعاء المضطر عنده لأن البقاع المباركة يستجاب عندها الدعاء) [سير أعلام النبلاء: ج 9: 343]، فهذه أمور لا تبلغ مبلغ الشرك، ولا علاقة لها بالشرك، لا أصلا ولا صورة، **وهكذا الطواف** فهو مفردة من مفردات العبودية، ولكنه عبودية مخصوصة بمكان، وهو الكعبة المشرفة زادها الله تشريفا، فمن طاف بغير البيت الحرام ابتغاء مرضاة الله فهذه بدعة منشؤها الجهل أو الهوى، ومن طاف بغير البيت الحرام على سبيل العبودية لغير الله فهذا وقع في الشرك الأكبر ولا كرامة، ولكن أين من يطوف بهذه النبية، حتى المسلم يطوف حول الكعبة ولا يعبدها، إنما طوافه طاعة لله، ومن طاف بغير البيت الحرام على سبيل الاحترام والتبجيل لصاحب القبر مثلا، فهذا قد أتى كبيرة من الكبائر وبدعة ضلالة، ولكنه لا يبلغ الشرك الأكبر، ومثله مثل من سجد لغير الله على سبيل الاحترام والتكريم، وقد صحت قصة معاذ في السجود للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على سبيل الاحترام ونهاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك، وأوضح له أن السجود على سبيل الاحترام لو كان جائزا لجاز للمرأة أن تسجد لزوجها احتراما، ولا يمكن أن يكون افتراض الجواز مبنيا على سبيل العبودية، لأن فعل ذلك على سبيل العبودية شرك أكبر بالله تعالى، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يضع الاستثناء أبدا في محل الكفر الأكبر أو الشرك الأكبر، ويؤكده أن السجود على سبيل الاحترام كان جائزا في الأمم السابقة، وأصول الدين – وأهمها التوحيد – واحدة في جميع الملل لا تقبل النسخ، وهذا يؤكد أن السجود على سبيل الاحترام لا يكون صرفا للعبودية لغير الله إلا إذا كان بنية العبادة، **وحاصل الأمر أن هناك فرقا بين الشرك في أصل العبادة بحيث يعلم العابد أنه عابد لغير الله راضيا بذلك، وبين من**

صرف مفردة من مفردات العبودية لغير الله – في الظاهر – لا على سبيل العبودية ولكن على سبيل آخر، وعلى ذلك فالضابط الفقهي لهذا الناقض الأول هو أن يكون الفعل بنية العبادة وصاحبه مقر بعبادته لغير الله، فإن حامت الشبهات حول الفعل وظهرت التأويلات حوله، نزل من مرتبة الشرك الأكبر إلى مرتبة البدعة والضلالة، أو مرتبة المعصية أو مرتبة الجهل، وهذا هو الفقه في الدين ان ننزل كل واقعة على حكمها اللائق بها، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، **وحاصل الفقه في المسألة السابقة** أن هناك فرق بين الأعمال التي تصلح للعبادة وبين أصل العبادة نفسها، فمفردات العبادة لا تكون عبادة إلا باصطحاب نية العبادة، ومن فعلها بنية أخرى غير العبادة فلا يكون صرفها لغير الله من باب الشرك وإنما من أبواب أخرى كالمعصية والبدعة وغيرها، وقد دللنا على ذلك بالسجود والنذر والذبح وغيرها من مفردات العبادة، **(تنبيه ثان): إن الفرق عظيم بين ما يفعله جهلة المسلمين وبين ما كان يفعله مشركو العرب على زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم**، فالمشركون على زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يدعون الأوثان والأصنام، وكانوا يعتقدون في أصنامهم كشف الضر والتصريف والتدبير وكانوا يعتقدون أن لها القدرة على الضر، وكانوا يخوفون النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ضرر آلهتهم، فمما سبق يتبين أن دعاء المشركين لأصنامهم كان دعاء عبادة يتضح فيه وجود نية العبادة ونية صرفها لغير الله من آلهتهم المزعومة، ويتضح فيه اعتقادهم لبعض الربوبية فيمن يدعونه، فيرجون منه النفع والضر والنصرة والإعزاز والغنى، ويتضح فيه كذلك اعتقادهم أن هذه آلهة مع الله شركاء لله على سبيل المقاسمة والشراكة الإلزامية في صفات الربوبية والألوهية، مع العلم بأن هؤلاء المشركين رفضوا شهادة التوحيد واستكبروا عنها وتعجبوا من جعل الآلهة إلها واحدا كما ذكر ذلك عنهم القرآن الكريم بقوله تعالى (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) وقوله تعالى حكاية عنهم (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب) وذلك لما رسخ في اعتقادهم من شرك التسوية الذي أشار الله تعالى إليه في قوله تعالى حكاية عن المشركين (قالوا تالله إن كنا في ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين)، **أما الجهلاء من المسلمين** فهؤلاء يدعون الأولياء الصالحين على سبيل أنهم صالحون لهم وجاهة عند الله في استجابة الدعاء، وهي طرف من وجاهة الأنبياء، كما قال الله تعالى عن نبيه عيسى عليه السلام (وكان عند الله وجيها) أي مستجاب الدعاء، وأنهم أحياء في قبورهم يسمعون من يزورهم ويأنسون به ويفرحون بقدومه، ثم هم يقرون بأنهم لا يعبدون إلا الله، ويعلمون أن الضر والنفع بيد الله وحده، وهذا يجعل الأمر كله في إطار مظاهر الجهل والابتداع، **و (الخلاصة): الشيخ**

النجدي طبق هذا الناقض: [**الناقض الأول: الشرك في عبادة الله تعالى، قال الله تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}، وقال: {إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار}، ومنه الذبح لغير الله، كمن يذبح للجن أو للقبر**]: على المسلمين وليس على المشركين، وصدق فيه قول الصحابي الجليل عبد الله بن عمر، (إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)، وهذا الأثر البخاري ذكره تعليقا بصيغة الجزم في صحيحة، فقال: (باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم وقول الله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله **وقال إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)**، قال ابن حجر عن أصل هذا الخبر: وصله الطبري في مسند علي من تهذيب الآثار من طريق بكير بن عبد الله بن الأشج أنه سأل نافعا كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية؟ قال: كان يراهم شرار خلق الله، انطلقوا إلى آيات الكفار فجعلوها في المؤمنين) أهـ [فتح الباري: 12: 286]، وهذا والله ما حدث، انطلق إلى آيات نزلت في الكفار والمشركين الأصليين، فجعلها على المسلمين والموحدين والمؤمنين، فاستحل بمفاهيمه المغلوطة عن العبادة والشرك حرمات المسلمين، وكان يهاجمهم ويسمي ذلك غزوات على المشركين، يستبيح دماءهم وأموالهم وحرماتهم بفهم قاصر للعبادة يخلو من ضابطه الرصين، ألا وهو صرف العمل العبادي لمن يعتقد فيه الربوبية والإلهية من دون الله، واثبات ذلك على مسلمي زمانه دونه خرط القتاد،

***

[الناقض الثاني وبيان ضابطه]: [**من جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم، ويسالهم الشفاعة، ويتوكل عليهم كفر إجماعاً**]، **[قلت]: وهذا الناقض لا بد من التفصيل فيه، فإن ما قيل في مفردات العبادة يُقال مثله في الشفاعة، فمن اعتقد لاحد شفاعةً الزاماً على الله تعالى بما للشافع من شراكة توجب له الشفاعة، فهذا من الشرك الأكبر، أما من اعتقد أنها تفضلٍ من الله تعالى لمن شاء من الصالحين من عباده، فهذه عقيدة أهل الإسلام، وهي ثابتة بفضل الله تعالى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لقد وقع الشيخ النجدي في ثلاثة أخطاء**، استحل بها دماء المسلمين المؤمنين الموحدين من أمة النبي صلى الله عليه وسلم،

الخطأ الأول: أنّه ظن أن اعتقاد الشفاعة يمكن أن يكون موجبا مستقلا للوقوع في الشرك الأكبر،

وتلك مصيبة، لأنّ الشفاعة ثابتة للنبي صلى الله عليه وسلم والصالحين من امته، **والخطأ الثاني** : أنّه جعل ضابط الشرك الأكبر هو مجرد اتخاذ الوسائل والشفعاء والوسطاء، وتلك مصيبة أخرى لأنّ أصل الوسيلة جائز شرعا، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: 35]، والآية عامة في إثبات أصل التوسل وفضيلته، وقال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} [الإسراء: 57]، **والخطأ الثالث**: أنّه لم يفرق بين التوسل المشروع الذي أجازه جمهور الفقهاء من الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة وبين الشرك الأكبر بالله، فكانت القشة التي قصمت ظهر البعير، فانفرط عقد التكفير والتشريك وسالت دماء المسلمين في زمانه في كل مكان بالحجاز ونجد،

(الخطأ الأول): ظنّ الشيخ النجدي أنّ الشفاعة يمكن أن يكون موجبا مستقلا للوقوع في الشرك الأكبر: واستدل لذلك بالآية: {أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الزمر: 43، 44] وهذا الاستدلال يكون في محله إذا كان اعتقاد الشفاعة المستقلة جبرا على الله، فإن هذا كان اعتقاد المشركين زمان النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن عندهم: الشفاعة بمعنى الواسطة ولكن اعتقادهم كان بالشفاعة الجبرية بما لها من شراكة في الملك والتدبير، ولذلك أبوا ان يقولوا لا إله إلا الله، وكانوا يقولون رغبة عنها ورفضا لها: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ} [الصافات: 36]، هؤلاء الذين استكبروا عن قول لا إله الا الله، واتهموا النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون هل هؤلاء يعتقدون في الشفاعة كما يعتقد سائر المسلمين ممن يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله عن قبول واعتقاد، سبحانك إن هذا إلا بهتان عظيم، **بل ومن تدبر آية الأنعام علم ذلك**، قال تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} [الأنعام: 94]، فجمع الله تعالى بين اعتقادهم الشفاعة وزعمهم أن لها الشراكة في الربوبية والملك والتدبير {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ}، فكيف هان على الشيخ أن يساوي بين هؤلاء وبين المسلمين بل ويصفهم بأنهم أشد كفرا من كفار قريش ومشركيهم ممن عبدوا الاوثان والأصنام،

(الخطأ الثاني): ظنّ الشيخ النجدي أنّ ضابط الشرك الأكبر في المسألة هو مجرد اتخاذ الوسائل والشفعاء والوسطاء دون عقيدة تدفعهم إلى ذلك، وحقيقة الامر أنّ المشركين الأصليين زمان النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يزعمون بالشفاعة الجبرية لآلهتهم التي عبدوها من دون الله، وأما المسلمون زمان الشيخ النجدي كانوا يعتقدون بأنّ الله تعالى أعطى النبي صلى الله عليه وسلم لواء الشفاعة يوم القيامة، فعقيدتهم تختلف تماما عن عقيدة المشركين، المسلمون موحدون ينطقون الشهادتين ويعتقدون أنّ الشفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم ليست استقلالا عن الله، بل ارتضى الله شفاعته كما دلت على ذلك أحاديث الصحاح، فيشفع في حق المقصرين من أمته، والمشركون عباد الاصنام والأوثان يعبدون آلهة من دون الله ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عن الإله الأكبر، بموجب شراكة في ما بين الآلهة في التدبير والتصريف، كما في قوله تعالى: {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ}، فهم يعتقدون أنهم شركاء لله ولذلك أبوا ان يشهدوا بلا إله إلا الله، وكانوا يقولون أأنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون، فكيف هان على الشيخ ان يسوى بين هؤلاء وأولئك، وصدق الله تعالى حيث يقول: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} [ص: 28]، **ولعل سبب المغالطة التي وقع فيها الشيخ النجدي، أنّه ظن أن اتخاذ الوسائط المجرد بدون أن يصاحبه اعتقاد ألوهية الوسيط هو الموجب لشرك العبادة الشرك الأكبر المخرج من الملة، وسبب هذا الخلل هو الفهم المغلوط لقوله تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: 3]، فالآية تبدأ** بذكر الدين الخالص الذي هو (التوحيد) ويشمل كافة أقسام التوحيد من توحيد الذات والأسماء والصفات والأفعال ويشمل توحيد الربوبية بكافة مفرداتها وتوحيد الإلوهية بكافة مفرداتها، ثم قال تعالى: {والذين اتخذوا من دونه أولياء}، الولي في اللغة هو الناصر والمعين والمشركون اعتقدوا ذلك في آلهتهم بدليل قوله تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا}[مريم: 81]، فالآية ظاهرة الدلالة في أنهم يعتقدون أنها آلهة تحقق لهم العز، ولذلك عبدوها، وقوله تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ}[يس: 74]، والآية ظاهرة الدلالة في أنهم يعتقدون أنها تحقق لهم النصر، وهذا معتقد المشركين على مر الأزمان يعتقدون أن أصنامهم تحقق لهم الحماية، وعلى ذلك فهم مشركون في الربوبية باعتقاد مفرداتها وصرفها لمعبوداتهم مع الله، {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ

فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}، ويستفاد من الآية: أنهم أقروا بعبادة أصنامهم وهو شرك في العبودية (ما نعبدهم إلا)، وأنهم زعموا أن عبادتهم للأصنام من أجل أن تقربهم إلى الله، ويستفاد كذلك كذب دعواهم في أنهم ما عبدوها إلا لتقربهم إلى الله زلفى، بدليل رد الله تعالى عليهم بقوله في خاتمة الآية {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}، وكذبهم مفاده أنهم يعبدونها لأنهم يعتقدون أنها تنصرهم وتعزهم وتحميهم وتعتري أعدائها بسوء وضر، وهذا كله من أعظم الشرك في ربوبية الله تعالى وإلهيته، **وسبب آخر لهذا الخلل ألا وهو الفهم المغلوط لقوله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [يونس: 18]، فالمتدبر لها يفقه منها أمور ضرورية: الأول: الإقرار بعبادة غير الله {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}، والثاني: اعتقاد شركاء مع الله في ألوهيته {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}، والثالث: تكذيب الله تعالى لهم في ادعائهم بأنهم يتخذون هذه الأصنام مجرد شفعاء لهم عند الله: {قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ}، والرابع: ضابط الشرك الأكبر في الآيات هو اعتقاد آلهة مع الله وصرف العبادة لها، ومما سبق نعلم خطأ من جعل ضابط الشرك الأكبر في الآيتين هو مجرد اتخاذ الوسائل والشفعاء والوسطاء، ولما كان الشيخ النجدي لا يفهم المراد من الآيات فهم الفقيه الواعي، ولا يفهم حقائق الإيمان والكفر كما يفهمها اهل التخصص، ولا طبيعة التوحيد والشرك، ولم يستوعب الآيات التي توضح كيف كان الشر ك ومعتقداته عند المشركين، ولا يعرف ضابطا يرجع إليه في فهم الآيات انزلها على اهل القبلة، كما جاء في صحيح البخاري:** (وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله وقال إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين) أهـ [فتح الباري: 12: 286]،

(الخطأ الثالث): لم يفرق الشيخ النجدي بين التوسل المشروع الذي أجازه جمهور الفقهاء وبين الشرك الأكبر بالله، فكانت القشة التي قصمت ظهر البعير، فانفرط عقد التكفير والتشريك وسالت دماء المسلمين في زمانه في كل مكان بالحجاز ونجد، [هناك فارق عظيم بين التوسل وبين الشرك بالله لم يعلمه الشيخ النجدي]: (التوسل): هو التقرب إلى الله، والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل رضا الله، **فالله عز وجل أمرنا بالتوسل بقوله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: 35]، والآية عامة في إثبات شرعية التوسل وفضيلته، وقال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى

رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} [الإسراء: 57]، والآية كذلك عامة في إثبات شرعية التوسل وفضيلته، **ولبيان الخطأ والمغالطة في فهم المقصود من التوسل:** ظن الشيخ النجدي أنَّ المقصود من التوسل هو اتخاذ واسطة بين العبد وربه، وأدى هذا الظن إلى خلل عظيم في فهم موضوع التوسل، واعتقاد أنه مخالف للتوحيد ويفتح بابا إلى الشرك، وإلى غلو في تقييم بحث التوسل وإلحاقه بباب التوحيد، واعتقاد أن المتوسلين إنما يدعون غير الله، ويتخذونهم وسطاء يقربونهم إلى الله زلفا، **وهذا خلل جسيم وفهم خاطئ مغلوط لموضوع التوسل،** إذ التوسل إنما هو طلب القربى إلى الله تعالى بالوسائل الجائزة شرعاً، وليس من باب اتخاذ واسطة بين العبد وربه أبدا، وهذا هو السر في الخلاف الحاصل بين بعض طوائف أهل السنة والجماعة، فلو حررنا موضع النزاع في فهم التوسل، ونظرنا إلى الوسائل المشروعة للتوسل، فما أجازه الشرع من معاني التوسل أجزناه، وما منعه الشرع من معاني التوسل منعناه، لا نفتئت على الشرع ولا نتقدم عليه برأي دون دليل، ولكن الحوار في اطار الفقه وليس الشرك والكفر، والفقه صواب وخطأ، فأين الشيخ وإين التوسل، **وأتباع الشيخ النجدي المانعون من التوسل بالأنبياء والصالحين يستدلون بأدلة أجنبية عن موضع الخلاف، من نحو استدلالهم ب**قوله تعالى {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} والآية تصرح بأنهم عبدوهم، **ومن نحو استدلالهم** بقوله تعالى {فلا تدعوا مع الله أحداً} والمتوسل لم يدع إلا الله، **واستدلالهم بنحو قوله تعالى** {له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء} فإن هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم، والمتوسل لم يدع إلا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه، **وكاستدلالهم بقوله تعالى** {وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله} فإن هذه الآية الشريفة ليس فيها إلا أنه تعالى المنفرد بالأمر في يوم الدين وأنه ليس لغيره من الأمر شيء، والمتوسل بنبي من الأنبياء أو عالم من العلماء أو ولي من الاولياء، هو لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركة لله جل جلاله في أمر يوم الدين، **وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله** {ليس لك من الأمر شيء} {قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً} فإن هاتين الآيتين ليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء أو الأولياء أو العلماء، **وقد جعل الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه** وقال له سل تعطه واشفع تشفع وقيل ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه ولا تكون إلا لمن ارتضى، **[(تنبيه) في تحرير المعنى المقصود من التوسل]:** التوسل إنما هو طلب

القربى إلى الله تعالى بالوسائل الجائزة شرعاً، والمتوسِّلُ المسلم الموحد لا يعبد إلا الله، ولا يرجو سوى الله، ولا يدع إلا الله وحده، فالله وحده – في عقيدة كل مسلم – هو المالك القادر المهيمن، وهو وحده المعطي والمانع، وهو وحده المعز والمذل، وهو وحده النافع والضار ولكن المتوسّل اتخذ قربة شرعية جائزة – أجازها الكتاب والسنة – رجاء قبول مبتغاه عند الله، وليس التوسل – أبداً – اتخاذ واسطة بين العبد وربه، كما كان يفعل المشركون بقولهم: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: 3]، فشتان بين مسلم لا يعبد إلا الله، ويستأفف من نسبة عبادته إلى غير الله، ولا يرضى أبداً أن يقال عنه أنه عابد لغير الله، وهو يقر بالقرآن والإسلام وأركان الإيمان، ويشهد بالشهادتين (لا إله إلا الله – محمد رسول الله)، عن يقين واعتقاد، فهل يستوي هذا مع من يستنكف عن التوحيد والإسلام والإيمان، ويزعم أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ساحر كذاب، وقد صور القرآن الكريم حالهم بقوله تعالى: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ * أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ} [ص: آية 4 إلى آية 8]، **فهل من العدل والإنصاف في دين الله تعالى أن نساوي بين توسل المسلم الذي أقر بالتوحيد والإسلام والإيمان، وبين اتخاذ المشرك وسائط إلى الله على زعمه الكاذب** الذي كذبه القرآن الكريم، وجعله كاذب كفار حرمه الله تعالى من الهداية، قال تعالى: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: 3]، **وعلى ذلك فإن المعنى المقصود من (التوسل) إذا قاله المسلم، هو طلب القربى إلى الله تعالى بالوسائل الجائزة شرعاً**، وليس المقصود به أبداً اتخاذ واسطة بين الله تعالى وبين العبد على غرار ما يفعله المشركون المنكرون لرسالة الإسلام، **وهنا إذ تحرر موضع النزاع في معنى التوسل**، بقي أن نعلم ما هي أنواع التوسل الجائزة شرعا، فنقول لها سمعاً وطاعةً، ولا نتقدم على الشرع الحكيم برأي أو هوى أو غلو أو تقصير، أو إفراط أو تفريط، وجمهور أهل السنة والجماعة من المدارس الفقهية المتخصصة (المالكية والأحناف والشافعية والحنابلة وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل في الفصل المقبل)، جمهورهم يرون جواز التوسل بالصالحين أحياء وامواتا لأن المتوسل إنما يتوسل بهم إلى الله تعالى الحي الذي لا يموت، والتوسل قضية فقهية لا علاقة لها بالتوحيد والشرك، ولكن الشيخ النجدي أبى إلا أن

يضع بصمته التكفيرية وسيفه المسلول على البسطاء من اهل التوحيد والإسلام فأباد خضراءهم واستحل دماءهم بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير،

***

[الناقض الثالث وبيان ضابطه]: [من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم فهو كافر]، [قلت]: القاعدة صحيحة: (من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم فهو كافر)، ولكنها تُطبق على الكفار الأصليين الذين لم يقبلوا بالشهادتين أصلا من عباد الاوثان والاصنام وعلى أهل الكتاب الذيم لم يقبلوا بالشهادتين، ولكن هذا الناقض لا يطبق على الموحدين البته، لأنهم يشهدون بالشهادتين، وإنما يطبق على عباد الاصنام والاوثان واليهود والنصارى الذين قال الله تعالى فيهم: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ * أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ} [ص: آية 4 إلى آية 8]، ، وقوله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ} [الصافات: 36]، وقوله تعالى: **{**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: 30 و 31]، وفي النصارى الذين قال الله تعالى فيهم: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: 72]، والذين قال الله تعالى فيهم: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة: 73]، أما الموحدون فهيهات هيهات أن يطبق عليهم هذا الناقض: [**من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم فهو كافر]، والشيخ النجدي** يريد أن يكفر المسلمين من أهل زمانه، ثم يكفر من توقف عن تكفيرهم، والنتيجة الحتمية هي كفر أهل الإسلام قاطبة في مشارق الأرض ومغاربها إلا اتباعه من الوهابيين، نسأل الله السلامة فوالله ما بلغ الخوارج الاصليون معشار ما بلغه هؤلاء الوهابيون من تكفير الامة واستحلال

حرماتها، **واعود فأنبه:** إن تعلق الأمر بالشرك الأكبر وفق ضوابطه التي قررها الفقهاء، فبه ونعم، فالناقض يُطبق على المرتدين، ولكن من كانت ردته بإجماع من علماء الامة لهم فيه من الله برهان، أما إن تعلق الامر بالشرك في إطار الملة، أو مجرد الذنوب والمعاصي فهذا لا يصح تطبيق هذه القاعدة عليه أبدا، وقد تقدم بيان خطأ مفاهيم الشيخ وأتباعه عن الشرك الأكبر وأنه شرك اعتقاد، وأن الشرك في إطار الملة هو ما تعلق بالعمل والعقد سليم، فهذ المبدأ صحيح في المشركين الاصلين وعبدة الأوثان، **أما أهل الإسلام فلا يطبق عليهم هذا الضابط لقرينة التوحيد وشهادة التوحيد وقبول الإسلام جملة وتفصيلا**، لقد طبق الشيخ رحمه الله هذه القاعدة على مسلمين موحدين، بدعوى أنهم لم يكفروا صوفية زمانه، واهل التصوف على زمانه مسلمون موحدون، وكل من توقف عن تكفيرهم كان محقا، ولم يسلم لا هؤلاء ولا هؤلاء من تكفير الشيخ لهم واستحلال دماءهم واموالهم، ومرد ذلك كله إلى ذهول الشيخ عن حقيقة العبودية، وانها اعتقاد وعمل، وانها أصل وصور، وذهوله عن حقيقة الشرك الذي كان عليه المشركين، ظن انّ اعمال العبادات المجردة عن الاعتقاد هي الداعي إلى الوقوع في الشرك الاكبر وهيهات، هيهات فإنا لله وإنا إليه راجعون،

***

[الناقض الرابع وبيان ضابطه]: [من اعتقد أن غير هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه – كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه – فهو كافر]، **[قلت]:** هذا ناقض اعتقادي لقوله: **[من اعتقد]**، ونحن نتفق معه في أنه ناقض اعتقادي ينقض دعوى الشهادتين، لأنه يدخل في معنى شهادة التوحيد اعتقاد أن الله تعالى أحسن الحاكمين، وأنه لا يشرك في حكمه أحدا، ولكن المصيبة عند الشيخ كانت في التطبيق المعكوس للقاعدة، فالشيخ النجدي كان يرى أنّ فهمه للتوحيد هو الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فكل من خالفه في فهمه المغلوط للتوحيد بل وأغلب جوانب الدين، طبق عليه القاعدة: **[من اعتقد أن غير هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه – كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه – فهو كافر]**، بمعنى [من اعتقد أن غير هدي محمد بن عبد الوهاب أكمل من هديه، فهو كافر، أو من اعتقد أنّ فهم غير محمد بن عبد الوهاب للدين أحسن من فهمه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر]، ولذلك كان يسمي علماء عصره

من الفقهاء والأولياء بالطواغيت، وكان يرى أن من يسمع كلامهم عن الدعوة النجدية أو يتوقف في حالهم بأنّه كافر حلال الدم والعرض والمال، وهذا والله ما حدث وما يحدث، وكانت الفتنة التي اطل من خلالها قرن الشيطان الذي جاء في حديث البخاري في صحيحه: عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: ((اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا"، قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا، قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: "هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ)) [البخاري ح 1037]، وأخرج البخاريُ ومسلم عن مُسَدَّدٌ عن يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ عن قَيْسٌ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِيَدِهِ نَحْوَ اليَمَنِ فَقَالَ ((الإِيمَانُ يَمَانٍ هَا هُنَا، أَلاَ إِنَّ القَسْوَةَ وَغِلَظَ القُلُوبِ فِي الفَدَّادِينَ، عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ)) [متفق عليه]، **ونجد الحجاز هي جهة المشرق تماما بالنسبة إلى أهل المدينة المنورة حيث أشار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم**، فقد أخرج البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الفتنة من قبل المشرق) (7092) من طريق معمر عن سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قام على المنبر فقال: ((الفتنة ههنا، الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان، أو قال قرن الشمس))، وأخرج البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الفتنة من قبل المشرق) (7092)، ومسلم في كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان (7292) بنحوه كلاهما من طريق الليث عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مستقبل المشرق يقول: ((ألا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان))، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام (قرن الشيطان) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (13: 46) (قوله قرن الشمس ويحتمل أن يريد بالقرن قوة الشيطان وما يستعين به على الإضلال)، **وفي تحفة الأحوذي** (10: 315) (قرن الشيطان: أي حزبه وأهل وقته وزمانه وأعوانه، وقيل يحتمل أن يريد بالقرن قوة الشيطان وما يستعين به على الإضلال) أهـ، **قلت: ومن نظر إلى الخريطة وجد أنّ نجد تقع تماما في جهة المشرق بالنسبة إلى المدينة المنورة حيث أشار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم**، وهذا يفند زعم بعض المغرضين والمنتفعين والكذابين: أنّ نجد المقصودة هي منطقة بالعراق، وآخرون أنّها منطقة بالشام، وكلامهم يفتقد إلى أدنى التحقيق والإنصاف، وذلك لأنّ نَجد الحِجاز كانت أرض الفَدّادين رِعاءِ الإبِل، والعراق كانت أرض زراعة وصناعة وتجارة وما كانت آنذاك أرضًا لرِعاء الإبل، كما أنّ "نجد" الحجاز هي بلاد ربيعة ومضر وليس نجد العِراق أو

الشام ثم نحن لا نعلم نجدا معروفا إذا أطلق لفظ " نجد " سوى نجد الحجاز، والتي ظهر منها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأتباعه من علماء الدعوة النجدية، التي ينتسبون إليها، وليس القصد من ذلك التجريح في اهل نجد، **ولكن المقصود الحذر ثم الحذر مما ينفرد به** (الشيخ النجدي) ومن يتسمون بـ (علماء الدعوة النجدية) من علوم الدين لأنه آنذاك يكون يقينا من الباطل الذي نفخ فيه الشيطان بقرنه، لأن الأحاديث دلت على التحذير من هذه المنطقة ومما يخرج منها من الضلال الذي يُخالف ما عليه عامة أهل السنة والجماعة من علوم الدين، **فالحذر الحذر من مفاهيم هؤلاء المغلوطة المعكوسة عن الإسلام وعن الإيمان والكفر، وعن التوحيد وعن الشرك، وعن السنّة والبدعة وعن كل ما تفردوا به عن علماء المسلمين**، آلا هل بلغت اللهم فاشهد، فإنهم كما كان يرى ابن عمر من يكفر المسلمين ويستحل حرماتهم، فقد جاء في صحيح البخاري: (وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)، [فتح الباري: 12: 286]، نسأل الله السلامة

***

[الناقض الخامس وبيان ضابطه]: [من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم – ولو عمل به – كفر]، وها هنا لابد من معرفة ضابط البغض والكراهة، وذلك لأن الجنة حُفت بالمكاره، والله تعالى يقول: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}، ويقول: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}، **ففرق ما بين الكره الأول، والكره الثاني، فالكره الأول** ليس ناشئا عن كراهة التشريع الرباني، وإنما لسبب آخر وهو ما جبلت عليه النفس من حب الدنيا وكراهية الموت مع إقراره بفضل القتال في الإسلام فهو لم يكره أمر الله، ولذلك كان لابد من معرفة نوع البغض، وأنه بغض الدين الناشئ عن انتفاء انقياد القلب وتعظيمه لأمر الله، فهذا الانقياد (عمل القلب)، وإقرار اللسان، فإن انتفى أحدها انتفى الإيمان وحل محله الكفر الأكبر، وانتفى التوحيد وحل محله الشرك الأكبر، أما البغض الناشئ عن ثقل التكاليف الربانية ومعارضتها لرغبات الإنسان فهذا من ضعف الإيمان، ولا علاقة له بالتوحيد والشرك الأكبر، فإنك نادرا ما تجد امرأة لا تبغض تعدد الزوجات لأنه يضاد رغبتها في تملك الزوج، مع أنه شرع الله، ونادرا ما تجد

رجلا يحب الجهاد في سبيل الله، لأنه قد يسلب منه الحياة، وإلا فإن من أعظم القربات إسباغ الوضوء على المكاره، ومما سبق نعلم أن ضابط البغض في الآية: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}، هو انتفاء انقياد القلب وتعظيمه لأمر الله، **(تنبيه): الشيخ النجدي طبق هذه القاعدة وهذا الناقض: [من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم – ولو عمل به – كفر]، على أهل القبلة (أهل لا إله إلا الله) وذلك بطريق ملتو فريد عجيب، ألا وهو: ما دام الشيخ النجدي هو الوحيد منذ قرون عديدة الذي فهم الدين كما أُنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، فإنّ من أبغض ما جاء به الشيخ النجدي كان كمن أبغض شيئا مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وبالتالي صار الناقض في حقيقته هو (من أبغض شيئاً مما جاء به محمد ابن عبد الوهاب – ولو عمل به – كفر الكفر الأكبر الموجب لاستحلال دمه وماله في الدنيا والخلود الابدي في النار يوم القيامة]، فهذا هو التطبيق العملي الحقيقي لهذا الناقض عند الشيخ النجدي وعلماء الدعوة النجدية قاطبة**

***

[الناقض السادس وبيان ضابطه]: [من استهزأ بشيء من دين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أو ثوابه، أو عقابه، والدليل قوله تعالى: {ولئن سالتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم}]،: **[قلت]:** القاعدة صحيحة والناقض صحيح، و (الاستهزاء بالدين) **لا يقع إلاّ من كافر لتعلق الاستهزاء بكفر القلب، من انتفاء التصديق أو الانقياد والتعظيم، ولا يكون الاستهزاء إلا مع زوال أصل الإيمان من القلب (قول القلب وعمله أو أحدهما)، وإذا زال أصل الإيمان حل محله الكفر، فهذه الأعمال لا تصدر إلا من كافر، أو زنديق متلاعب بالملة، زال من قلبه التصديق فصار منافقاً أو زال من قلبه الانقياد والمحبة فصار زنديقا كافراً، (تنبيه)** تطبيق الشيخ النجدي للناقض يختلف عن تطبيق اهل العلم له، فالشيخ النجدي يرى أنّ الله تعالى آتاه –وحده– دونا عن امة النبي صلى الله عليه وسلم الفهم الصحيح والوحيد للتوحيد، وانا لا اتجنى عليه فهذا كلامه لا يختلف على ذلك أحد، فقد جاء في [تاريخ نجد لابن غنام ص 309] يقول الشيخ النجدي وهو يتحدث عن نفسه، على زعم ابن غنام وهو من اتباعه: **((الرسالة العاشرة للشيخ المجدد: من محمد بن عبد الوهاب إلى أهل الرياض و منفوحة: وأنا أخبركم**

عن نفسي: والله الذي لا إله إلا هو لقد طلبت العلم، واعتقد من عرفني أن لي معرفة، وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنى "لا إله إلا الله" ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذي مَنَّ الله به، وكذلك مشايخي – ما منهم رجل عرف ذلك، فمن زعم من علماء "العارض" أنه عرف معنى "لا إله إلا الله" أو عرف معنى الإسلام قبل هذا الوقت، أو زعم عن مشايخه أن أحدا عرف ذلك – فقد كذب، وافترى، ولبّس على الناس، ومدح نفسه بما ليس فيه)) [تاريخ نجد ابن غنام ص 309]، وعلى نفسها جنت براقش، فالشيخ النجدي يزعم أنه المكتشف الوحيد لمعاني التوحيد، فليس أحد قبله حاز هذا السبق وكل من زعم أنه يعرف معاني التوحيد التي جاء بها الشيخ النجدي فقد كذب وافترى ولبّس على الناس ومدح نفسه بما ليس فيه، وقوله أخطر مما نتصور، إذ معناه أنه لم يكن أحد قبله على الإسلام وعلى العلم بالتوحيد منذ قرون مديدة وبالتحديد منذ القرن الثامن حيث كان يعيش شيخه الأوحد ابن تيمية والذي استوحى من كلامه بعض هذا الذي فهمه، ثم جاء بمزيد بيان عليه، وهكذا أُختزل الإسلام في ابن تيمية وابن عبد الوهاب، فمن خالف فهم الشيخ النجدي للإسلام والتوحيد والدين، تُطبق عليه فورا قاعدة التكفير والناقض السادس، ومنطوقه: **[من استهزأ بشيء من دين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أو ثوابه، أو عقابه، والدليل قوله تعالى: {ولئن سالتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم}]، وتطبيقه على أرض الواقع يكون كالآتي:** [من استهزأ بشيء من فهم محمد بن عبد الوهاب لدين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، كفر واتى بناقض للتوحيد، والدليل قوله تعالى: {ولئن سالتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم}] فيا أمة التوحيد ويا خير امة أُخرجت للناس هل يُعقل أنّ الامة كلها كانت على الشرك والضلال قرونا عديدة حتى جاء الشيخ النجدي فأخرج لهم الفهم العجيب والدين الموازي الجديد للإسلام، هل هذا يُعقل يا أولى الالباب، **(الآن الآن الآن):** فقط علمت لماذا أبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو لنجد بالبركة وذكر انها أرض الزلازل والفتن ومنها يطلع قرن الشيطان، لعله الدين الموازي الذي اتي به الشيخ النجدي مما أُوحي إليه من مفاهيم التوحيد والشرك والإيمان والكفر والسنّة والبدعة إلى آخر مفردات الدين الموازي الذي عليه علماء الدعوة النجدية ولو كان صحيحا هذا الفهم لبادر النبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء لهم لا عليهم فاعتبروا يا أُولي الالباب،

***

[الناقض السابع وبيان ضابطه]: **[السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به، كفر، والدليل قوله تعلى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}]**، أقول: (السحر) فيه الخلاف بين العلماء هل هو من المكفرات المخرجات من ملة الإسلام إلى الكفر الأكبر أم أنه من كبائر الكبائر، وقد عدّه النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– من السبع الموبقات، كما في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم– قال: ((اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)) [متفق عليه]، **وقد اتفق علماء أهل السنة والجماعة على أن تعلم السحر وتعليمه وممارسته حرام، قال ابن قدامة** – رحمه الله – في "المغني: (فإن تعلُم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلافاً بين أهل العلم) أهـ، وقال الإمام النووي رحمه الله في "شرح مسلم": " وأما تعلمه – أي السحر – وتعليمه فحرام "، ورغم اتفاقهم على حرمة تعلم السحر وتعليمه وممارسته إلا أنهم اختلفوا في تكفير فاعله، **فقد ذهب جمع من العلماء إلى تكفيره** مستدلين على ذلك بقوله تعالى: {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ}، **وذهب الشافعي إلى التفصيل، فإن كان في عمل الساحر ما يوجب الكفر، كفر بذلك، وإلا لم يكفر، واستدل الشافعية بما** رواه أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: (اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن ؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) [متفق عليه]، قالوا: دل الحديث على أن السحر ليس من الشرك بإطلاق، ولكن منه ما هو معصية موبقة كقتل النفس وشبهها، واستدلوا أيضاً بما روي عن عائشة رضي الله عنها أن مدبَّرة لها سحرتها استعجالاً لعتقها فباعتها عائشة ولم تقتلها " رواه الشافعي والحاكم والبيهقي وصححه الحاكم على شرط الشيخين، **قال ابن قدامة** تعليقا على أثر عائشة: " لو كفرت لصارت مرتدة يجب قتلها ولم يجز استرقاقها "، **وقال الشيخ الشنقيطي** : " التحقيق في هذه المسألة – يعني تكفير الساحر – هو التفصيل، فإن كان السحر مما يعظم

فيه غير الله كالكواكب والجن وغير ذلك مما يؤدي إلى الكفر فهو كفر بلا نزاع، ومن هذا النوع سحر هاروت وماروت المذكور في سورة " البقرة " فانه كفر بلا نزاع،. وإن كان السحر لا يقتضي الكفر كالاستعانة بخواص بعض الأشياء من دهانات وغيرها فهو حرام حرمة شديدة ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر، هذا هو التحقيق إن شاء الله تعالى في هذه المسألة التي اختلف فيها العلماء، لكن ولع الشيخ النجدي واتباعه بالتكفير يجرى التكفير فيه مجرى الدم من العروق، لذلك اتخذ قراره ورجح –على اعتبار أنه من أهل الترجيح– أنه ناقض للتوحيد مخرج من الملة، وهو من اهون ترجيحاته في العلم وفي الدين، ولعل كل من تكلم بكلام غير مفهوم هو عنه من السحر الذي يكفر فاعله ويخرج من الملة وبالتالي نقوم بسفك دمه وتوزيع ماله على المجاهدين من اتباع طريقته،

***

[الناقض الثامن وبيان ضابطه]: [مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: {ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين}]،

أقول: **الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراء من الكافرين هو من أوجب الفرائض وأعظم الواجبات، وأنّ المفرّط فيهما على خطر عظيم من دينه نسأل الله السلامة، ومع ذلك فالمفرّط فيهما ينطبق عليه الضابط الذي أجراه الله تعالى على لسان الحبر البحر عبد الله بن عباس من التفريق بين الكفر الأكبر والكفر في إطار الملة، فموالاة الكفّار ليست كفراً بإطلاقها وإنما لها مناطات إذا توافرت كان الكفر الأكبر وإذا لم تتوفر كان الكفر في إطار الملة، وهذا هو الفقه الذي حبى به الله عز وجل أهل السنّة والجماعة الناجية فلا يكفّرون إلاّ المستحق للكفر بخلاف الفرق الضالة التي يكفر بعضها بعضاً ويلعن بعضها بعضاً دون ضابط يمنع من التراشق بالكفر واللعن، ومناط الكفر الأكبر في مسألة الموالاة والمعاداة: (هو الموالاة القلبية الاعتقادية على الدين أو المعاداة القلبية الاعتقادية على الدين)، فموالاة الكافرين لا تبلغ بصاحبها الردّة والكفر الأكبر حتى تكون موالاة قلبية متعلقة بكفرهم ودينهم، فمن والى الكفّار وشايعهم على الدُنيا لرحم أو حاجة وعقده سليم وقلبه سليم فهذا كفر في إطار الملة ولا يبلغ بصاحبه الكفر الأكبر المخرج من الملة، وإذا وجد في المسلمين من يوالي الكافرين بنوع من أنواع الولاء ثم أعلن بلسانه أنّ عقده سليم وقلبه سليم وأنه بريء منهم ومن كفرهم وأنه ما والاهم إلاّ مداراة أو مصادفة لرحم عندهم أو حاجة أو مصلحة فهذا لا تبلغ به الموالاة إلى الكفر الأكبر**

لسلامة قلبه وعقده وموالاته كفر في إطار الملة، وقد اتفق أهل العلم بالتفسير وبالحديث على أنّ سبب نزول آيات سورة الممتحنة، هو موالاة حاطب رضي الله عنه للمشركين، ولم تكن الموالاة على أساس الدين، وإنما كانت على أمر من أمور الدنيا، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ} [الممتحنة:1]، وقد أخرج البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والإمام أحمد قصة حاطب، **وأخرج البخاري رحمه الله** عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال (بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال: (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها) فذهبنا تعادى بنا خلينا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فإذا فيه: من حاطب ابن أبي بلتعه إلى أناس من المشركين ممن بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم (ما هذا يا حاطب؟) قال: لا تعجل عليّ يا رسول الله إني كنت امرأ من قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذا فاتني من النسب فيهم أنّ أصطنع إليهم يداً يحمون قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنه قد صدقكم)، فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضرب عنقه، فقال صلى الله عليه وسلم (إنه شهد بدراً، وما يدريك لعل الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)، " [كتاب التفسير، سورة الممتحنة باب قوله تعالى (لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) ح رقم (4890)] أهـ، **فهذه هي قصة حاطب رضي الله عنه**، والإلمام بهذه القصة ورواياتها المتعددة في الصحيحين والسنن تدلنا في مجموعها على أنّ الموالاة التي تبلغ بصاحبها الكفر الأكبر هي الموالاة الباطنة على الكفر، دون الظاهرة، والموالاة الظاهرة فهي وإن كانت خطيرة وعظيمة إلاّ أنها كفر في إطار الملة، ولا تبلغ بصاحبها الكفر الأكبر المخرج من الملة، وإلاّ لاستتاب النبي صلى الله عليه وسلم حاطباً من هذا الكفر بعدما أقسم له حاطب أنه مؤمن بالله ورسوله، وأنه ما فعل ذلك ردة عن دينه ولكن مصانعة للمشركين لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد، **ولنا هنا وقفتان: (الأولى):** أن النبي صلى الله عليه وسلم صدقه في قوله ولم يستتبه من الكفر، فدلّ ذلك على أنّ الموالاة الظاهرة على الدُنيا ليست من قبيل الكفر الأكبر، وإنما هي من باب الكفر في إطار الملة، ومعلوم أنّ كل كفر أو ذنب في إطار الملة لا يحتاج إلى استتابة من الكفر، إذ الاستتابة

على الكفر إنما هي تتعلق بالكفر الأكبر دون الأصغر، **(الثانية):** وهي مؤكدة للأولى فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله قد غفر لأهل بدر، والله عز وجل لا يغفر أن يُشرك به، ومن المعلوم أنّ الآية تتعلق بالكفر الأكبر، وعليه أجمع العلماء، وعلى ذلك فأهل بدر عصمهم الله عز وجل من الكفر الأكبر، ولمّا كان حاطب بدريا فهو بعيد عن الكفر الأكبر، **ولمّا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمره بالتوبة من هذا الذنب ولم يوضح ما يدل على أنه ردّة مُخرج من الملة ويحتاج إلى تجديد إسلامه، دلّ ذلك كله على أنّ ما فعله حاطب ليس من إطار الكفر الأكبر**، فالموالاة الظاهرة والتي وقع فيها حاطب رضي الله عنه ليست مخرجة من الملة بالكلية، بل هي في إطار الملة ولهذا أقال النبي صلى الله عليه وسلم عثرته وأخبر بفضل أهل بدر وهو منهم، **ولو تدبرنا قول حاطب رضي الله عنه** ((والله يا نبي الله إني لمؤمن بالله ورسوله))، نعلم أنه يؤكد أنها موالاة ظاهرة لا تتعدى ذلك إلى القلب لأن القلب مؤمن بالله ورسوله وصدقه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وأمر المسلمين أن لا يقولوا له إلاّ خيراً، بمعنى لا يتهموه بكفر ولا نفاق، فاعتذار حاطب لدرء الكفر الأكبر هو اقتصار الموالاة على الظاهر دون الباطن، والرسول صلى الله عليه وسلم يقبل بهذا الاعتذار لدرء الكفر الأكبر ويُبين لنا أن الرحمن بفضله ورحمته غفر لأهل بدر ذنوبهم فقد أعلمه الله تعالى أن الله غفر له ذلته العظيمة بما تقدم من صالح عمله عندما شهد بدراً، وقد يقال لعلّ الموالاة الظاهرة كفر أكبر وحاطب قد تاب منها فتاب الله عليه والله يقبل توبة الكافر والمشرك متى تاب، **(قلت) لو كانت الموالاة الظاهرة دون الباطنة كفر أكبر بذاتها لوضح النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لحاطب لمّا اعتذر له بثبات الإيمان في قلبه وأنها مجرد موالاة ظاهرة**، وبيّن له أن هذا العذر لا يُفيد لأن الموالاة ظاهرها وباطنها سواء، وبيّن له ضرورة التوبة من الكفر الأكبر الذي وقع فيه، فهل يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة لاسيما والدواعي كلها تطلب ذلك والبيان ليس في أمر هين وإنما هو في أهم مسائل الدين [الإيمان والكفر] وإلاّ لكتم النبي صلى الله عليه وسلم بعض العلم ومن ادعى ذلك كفر، ولم يأتنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أجلّ ذلك البيان ثم ذكره في موضع آخر، مما يدل يقيناً على أنّ الولاء قسمان ظاهر لأجل الدُنيا، وباطن لأجل الدين، فما كان منها من قبل الأول فهو كفر في إطار الملة، وما كان منها من قبيل الثاني فهو كفر وردّة عن دين الله، فكيف إذا جمع له القسمان فذاك الكافر الذي فيه قوله تعالى {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة: 51]، ومن تمت له الموالاة الظاهرة بمفردها لمداراة أو تقية فذاك الذي نزل فيه قول الله تعالى {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ

فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} [آل عمران: 28]، **وعلى ذلك فمناط التكفير في مسألة الموالاة والمعاداة: هو موالاة الكافر ظاهراً وباطناً على الكفر و معاداة المؤمن ظاهراً وباطناً على الإسلام، فإذا تخلف هذا الضابط أو أحد شروطه وجوانبه كأن كانت الموالاة ظاهراً دون الباطن أو كانت لدُنيا وليست لدين فهي كفر في إطار الملة وليست بالردّة، والشيخ النجدي كالعادة ذهل عن هذا الضابط، وبالتالي كفّر الكثير والكثير من اهل القبلة بغير استحقاق بدعوى مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، بمنطوق الناقض الذي فصله لتكفير البقية الباقية من اهل القبلة سوى اتباعه فقال: [[الناقض الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: {ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين}]، هذا هو المنطوق، اما التطبيق العملي له عنده وبين اتباعه [مظاهرة المشركين – يقصد بهم اهل التصوف والاشاعرة والفقهاء من هذه الامة الذين هم علماؤها وأولياؤه ا– ومعاونتهم على المسلمين –يقصد نفسه واتباعه ممن فهموا التوحيد الجديد–، والدليل عنده على كفر هؤلاء المسلمين الذين أمسكوا العصا من المنتصف فلم يكفروا الامة جمعاء ولم يتبعوا الشيخ النجدي في فهمه الجديد للدين وللتوحيد، فهؤلاء الذين امتنعوا عن تكفير الامة متمثلة في أهل التصوف واهل الأصول والعقيدة واهل الفقه فهؤلاء كفار لقوله تعالى: {ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين}]، فمن تولى غير الوهابيين فهم منهم ولما كان غير الوهابيون ليسوا على التوحيد فمن يتولهم فإنه منهم ولا كرامة فإن الله لا يهدي هؤلاء القوم الظالمين، هذا فهمهم للناقض وهذا تطبيقه له فإنا لله وإنا إليه راجعون وإذا لم تستح فاصنع ما شئت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت) [رواه البخاري ح (6120)]، نسأل الله السلامة،**

***

[الناقض التاسع وبيان ضابطه]: [من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم – كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام – فهو كافر]، [قلت]: وهذا ناقض اعتقادي، ينقض دعوى شطر الشهادة ((محمد رسول الله))، **وبعد بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإلى قيام الساعة لا تقبل شهادة**

التوحيد إلا بإضافة شهادة الإتباع وهي تعني إفراد الطريق إلى توحيد الله باتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والكلام على مجمله صحيح، ولكن تطبيق الشيخ له كان في غاية الغرابة، فإنه اعتبر فهمه للتوحيد، والذي لم يقل به احد قبله، اعتبره هو الدين الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله، وتلك طامة عظيمة لأنّه طبق القاعدة على كل من خالف فهمه للشهادتين وللتوحيد، وكانوا في زمانه كافة علماء الشريعة ولم يتبعه على فهمه إلا أوباش الاعراب الذين لا علم لهم ولا فهم ولا حلم، فكانت النتيجة تكفير بالجملة واستحلال بالجملة لقطاعات عريضة من امة النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت فتنة ابيد فيها قبائل بأكملها بسبب الخلل في تطبيق القاعدة، [من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .. فهو كافر]، فكل من خالف فهم الشيخ النجدي للدين اعتبروه معتقدا انه يسعه الخروج على شريعة النبي صلى الله عليه وسلم، وطبقوا عليه القاعدة دون رحمة ولا هوادة، وكانت فتنة عظيمة بنجد ظهر منها قرن الشيطان متمثلا في استحلال حرمات المسلمين على أساس من الدين، وعمت شرارها وأكلت نيرانها أكثر المسلمين في ارجاء الأرض كلها في زمان الشيخ، ولا زالت آثارها العلمية والعملية موجودة حتى يومنا هذا

***

[الناقض العاشر وبيان ضابطه]: [الإعراض عن دين الله تعالى، لا يتعلمه، ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: {ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون}]، [قلت]: كل من قال (لا إله إلا الله – محمد رسول الله) لا يسمى عند العلماء كفر إعراض البتة، يقصدون به الكفر الأكبر، لأن الاعراض الكلي ينتفي هاهنا لمن أتى بإقرار اللسان، فإذا أضاف إلى الإقرار اعتقاد القلب فقد اتى بأصل الإيمان المنجي من الكفر الأكبر، و(ضابط الكفر الأكبر في الاعراض)، هو الاعراض التام ويتناول بالدرجة الأولى إعراض القلب عن تصديق الرسالة والانقياد لها وإعراض اللسان عن الإقرار بها: وقوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا} [الكهف: 57] يدل على أن كفر الإعراض يشتمل إعراض القلوب عن الاعتقاد {على قلوبهم أكنة} وإعراض الآذان عن السماع: {وفي آذانهم وقرا}، ومن باب الأولى إعراض اللسان عن

الإقرار والجوارح عن الطاعة، ومثلها قوله تعالى: {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ} [فصلت: 3 – 5]، وكفر الإعراض في الآية يشمل إعراض القلوب عن قبول الحق وهو شهادة التوحيد وإعراض الآذان عن سماعها ومن باب الأولى معاندة اللسان بعدم الإقرار بها، والآيات التي تحكم بكفر الإعراض الأكبر الموجب للخلود الأبدي في النار كلها – دون استثناء – أتت في حق الكافر الأصلي الذي أعرض عن الإقرار بالشهادتين فلم يقل بها ولم يصدقها ولم ينقاد لها لا بقلبه ولا بجوارحه، وقد رأيت بعض علماء الدعوة النجدية يفهمون كفر الإعراض على غير هدي الكتاب الكريم فظنوا أن كفر الإعراض الأكبر يتناول من أقر بالشهادتين ثم أعرض عن العمل بموجبها، وظنوا أن ترك جنس عمل الجوارح كفر إعراض عن دين الله عز وجل لا يعمل به، ونسى هذا أن من أقر بالشهادتين ولو بلسانه فقد نجا من كفر الإعراض الأكبر لأنه انقاد بلسانه فلم يعرض، فإن صاحبه تصديق القلب وانقياده فقد صح له أصل إيمانه فله اسم الإيمان وحكمه، وإن صاحبه تكذيب القلب فهو كفر نفاق ولا يسمى عند العلماء كفر إعراض البتة، لأن الاعراض الكلي ينتفي هاهنا لمن أتى بإقرار اللسان، وهذا الناقض: [الإعراض عن دين الله تعالى، لا يتعلمه، ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: {ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون}] طبقه الشيخ على اهل القبلة الذين يشهدون بالشهادتين فكل معرض عن دعوتهم الوهابية ومفاهيمهم المغلوطة عن التوحيد والشرك وعن الإيمان والكفر، اعتبروه معرضا عن دين الله، ووصفوه بأنه أشد اعراضا واشد كفرا واشد شركا من كفار قريش زمان النبي صلى الله عليه وسلم، واستحلوا بذلك دمه وقسموا ماله فيما بينهم فإنا لله وإنا إليه راجعون، (وبعد) كان هذا هو التعقيب على نواقض الإسلام العشرة التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبيان الضوابط الفقهية الضرورية لتصحيح المفاهيم وبيان المراد الحقيقي من تلك النواقض وبيان مفاتيح العلم التي تحمي طلبة العلم الشرعي من الغلو في فهم تلك النواقض **بما يؤول بهم إلى مذاهب الخوارج من الغلو في التكفير واستحلال حرمات المسلمين بآيات نزلت في المشركين فأنزلوها على المسلمين كما تفطن لذلك الصحابي الجليل والعبد الصالح عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ذكر البخاري في صحيحه تعليقا بصيغة الجزم:** فقال: (باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم وقول الله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون **وكان ابن عمر** يراهم شرار خلق الله

وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين) أهـ [فتح الباري: 12: 286]،

(تنبيه): اليوم بعد مرور قرنين على هذه الفتنة التي كان لها اكبر الأثر في تفرق المسلمين وتشتيتهم، الحمد لله قل الغلو، ولكن الآثار لا تزال باقية متمثلة في الطرح العلمي المتشدد في أغلب جوانب الدين، في العقيدة وفي الفقه وفي التزكية، في قضايا الإيمان والكفر وفي قضايا التوحيد والشرك وفي قضايا السنّة والبدعة، أما علم التقديس والتنزيه فهم عنه عراء وجهلهم فيه جهل مركب وهم في باب التقديس حشوية مجسمة لا يعرفون شيئا عن قواعد التقديس والتنزيه، وهم من أضل الفرق في باب التقديس والتنزيه، والشيعة على ما هم عليه من الضلال والخوارج على طوامهم أحسن منهم حالا في علم التقديس، فإنا لله وإنا إليه راجعون،

***

المبحث الخامس

تقييم الحركة السلفية المعاصرة

المنتسبة إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب

ما لها وما عليها

[المفتاح الأول]: إن أكثر أصحاب هذه الدعوة يعتبرون جماعتهم هي الامتداد الصحيح الوحيد للفكر الإسلامي السليم الذي ينبغي أن يكون عليه كافة المسلمين، وهذا ادعاء محض، إذ هناك أخطاء منهجية في الفكر، والتطبيق على السواء، حيث تتسم تلك الحركة على تنوع فصائلها العلمية والعملية والتراثية والجهادية بالجمود في التفكير، وأنها ترى الحق حكرا عليها في آرائها العقدية الساذجة التي هي أقرب إلى السطحية منها إلى العلم الراسخ المتخصص، وفي آرائها الفقهية المتشددة المولعة بتحريم الحلال والتضييق على عباد الله فيما جعل الشرع الحكيم فيه سعة ودفعا للحرج، كما أنّها تعمل جادة بلا هوادة على إحياء قضايا عقائدية خاطئة، تشق بها وحدة المسلمين العلمية والعقدية، وهم فيها ضد أهل التخصص وأهل العلم الراسخ والحق الزلال، مثل إثبات العلو الحسي والفوقية المكانية، وإثبات الحد لله، ومثل المبالغة في شن الحرب على التأويل السائغ الذي لا مفر منه للجمع الصحيح بين النصوص المتشابهة وحملها على أمهاتها من المحكمات شأن كل أهل العلم الراسخين فيه، لقد دخلت الحركة السلفية المعاصرة بسبب التصورات الخاطئة في صراعات كبيرة مع بقية طوائف اهل السنّة والجماعة، وزاد الطين بلة أنّهم تصوروا أنهم الأوصياء على الجميع، فما فهموه هو الإسلام وهو الهدى والرشاد، وما عارضوه فهو الضلال، فشددوا النكير على المخالفين، **وصارت علاقتهم مع غيرهم من المسلمين علاقة التبديع والتاثيم والتفسيق**، ثم لم تلبث تلك الحركة السلفية المعاصرة أن انقسمت على نفسها إلى سلفية جهادية أُبتليت بالغلو في تكفير المخالفين، ولو كانوا من السلفية نفسها، والسلفية المُدخلية والجامية التي تُبدع المجاهدين والدعاة والمصلحين، والسلفية العلمية التراثية التي تستخرج من بطون الكتب الكثير مما يثير الخلاف ويشق الصف، والسلفية العلمية الحسبية والسلفية العملية الدعوية والسلفية العملية القطبية والسلفية القبورية، والسلفية الحاكمية، والسلفية السرورية، وهكذا انشطرت السلفية إلى عشرات الطوائف والفصائل، أكثرها يبدع أكثرها، وبعضها يكفّر بعضها، والعلاقة السائدة بينها هي علاقة العداوة والبغضاء بدلا من المحبة والإخاء، إنّ السلفية الحقة هي امتثال هذا الدين بأخلاقه ومبادئه وعقائده وشرائعه، والرجوع في فهمه والعمل من أجله إلى السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، إنّ أهم ما يميز السلفيين الصادقين هو الرجوع إلى الكتاب والسنة والتمسك بهما، والاستعانة على فهمهما بما كتبه المتخصصون من أهل العلم السائرين على منهاج الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، ولاشك أنّ: للحركة السلفية المعاصرة دورها في الصحوة الإسلامية، ولكنها مع ذلك تورطت في أخطاء كثيرة، لابد من تصحيحها،

[المفتاح الثاني]: أهم الأخطاء المنهجية عند الحركة السلفية المعاصرة المنتسبة إلى الشيخين ابن تيمية وابن عبد الوهاب:

(1) الذهول عن اضافة قسم تنزيه الذات إلى أقسام التوحيد، وأدى ذلك إلى خلل في فهم التوحيد من كافة جوانبه، إذ توحيد الذات هو قسم التقديس الذي يعد مفخرة عقائد المسلمين، والذهول عن هذا القسم أدى إلى قصور واضح جلي في الإلمام بما يجب وما يجوز وما يستحيل في ذات الله تعالى، وإلى الوقوع في الحشو وزيادة الإثبات على حساب التقديس، بل واعتقاد التجسيم وإن لم يشعروا بذلك،

(2) الغلو في فهم مفردات التوحيد وفهم مفردات العبادة، بسبب عدم التفريق بين أصل العبادة وصور العبادة، والخطأ في فهم بعض معاني الشرك والعبادة وفيما يدخل في مسمى عبادة غير الله وما لا يدخل فيها، فأدى ذلك إلى اتهام الكثير من المسلمين بالشرك الأكبر، بسبب بعض أعمال الجهل والبدعة، وأدى ذلكم إلى استحلال دماء المسلمين وأموالهم، على أنهم مشركون، ونظرة إلى تاريخ ابن غنام وغيره ممن أرخ لتلك الفترة نعرف مدى صحة ذلك،

(3) الغلو في التكفير وعدم فهم بعض مسائل الإيمان فهماً معتدلا، والميل فيها عن جهل إلى قريب من مذهب المعتزلة والخوارج، فأدى ذلك إلى تكفير الكثير من المسلمين، في أمور لا تصل إلى حد الكفر الأكبر، وأدى ذلك إلى جواز تفجير القنابل بين عوام المسلمين على أنهم كافرون، وتحويلهم إلى أشلاء، وما أدبيات السلفيات القتالية والجهادية عن ذلك ببعيد،

(4) الغلو في التبديع وتبديع بعض الأكابر من علماء أهل السنة والجماعة، في مسائل هم المخطئون فيها لعدم إلمامهم بأدلتها الشرعية وعدم فقههم الواسع لها، وتبديع طوائف برمتها، ظلت على مر عصور الإسلام في إطار أهل السنة والجماعة، ويرغب أنصاف المتعلمين منهم في طردهم منها، وكأنما امتلكوا صكوك الانتساب إليها،

(5) غلو في مسائل عدم الإعذار بالجهل والتأويل، ونصرة المعتزلة في بعض هذه المسائل، وغلو في مسائل الحكم بغير ما أنزل الله، وفي مسائل الولاء والبراء بما يولج معتقدها في مذاهب الخوارج،

(6) إهمال دراسة قواعد التنزيه المستمدة من الكتاب والسنة، فنشأ عن ذلك الحشو والجهل المركب في مسائل الصفات والإضافات بسبب الذهول عن تلك القواعد، واعتبارها من علوم اليونان، وهم لا يعلمون: لا قواعد التنزيه المستمدة من الكتاب والسنة ولا ما هو الفرق بينها وبين علوم اليونان، واليونان أصلا كانوا عباد اوثان، فأين هم من التقديس،

(7) عدم الدقة في تحديد دائرة المتشابه الصحيحة، وما آل إليه ذلك من تتبع المتشابه والخوض فيه، ووقوعهم بذلك تحت خطر الوعيد القرآني المتمثل في تهديد الذين يتتبعون المتشابه بزيغ قلوبهم، وذلك في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [آل عمران: 7]،

(8) الذهول عن حقيقة مذهب السلف في تفويض علم المتشابه إلى الله تعالى، واعتقاد أن مذهبهم إثبات العلم ونفي الكيفية، ولنا أن نتساءل كيف يكون متشابها ثم يتصف بالعلم، وهل كان متشابها إلا لمحاذير إثبات العلم به ولكنهم لا يعلمون تلك المحاذير، ثم لم يكتفوا بذلك حتى اتهموا المفوضة – وهم أهل السلف الحقيقيون – بالتجهيل والتبديع وأنهم أشر أهل البدع، مع أنهم هم السلف الراسخون في العلم،

(9) بعث بعض مفردات مذهب الحشوية والخطأ بنسبتها إلى مذهب السلف وإلى أهل الحديث، وجعله بديل لكافة التخصصات العلمية، ومن ثم بعث بعض كتب الحشوية والمجسمة من جديد وإعادة طباعتها على أنها تمثل مذهب السلف والأثر، وهم منها براء، وهل كان السلف مجسمة أو مشبهة وحاشاهم من ذلك،

(10) الوقيعة في أهل التنزيه والأصول من أكابر أهل السنة الأشاعرة والماتريدية ومحاولة التشكيك في انتسابهم إلى أهل السنة والجماعة، مع إهمال قيمة التخصص العلمي لديهم وتلميع أهل التعدي على أكابرهم بغيا وظلما بغير وجه حق،

(11) إهمال مناهج التربية والتزكية، ومن ثم كانت النفسية التي تتسم بالغلظة والقسوة وغمط طوائف أهل السنّة والجماعة الأخرى واحتقارهم وتبديعهم والجفاء عند معاملتهم، وافتراض سوء القصد في أقوالهم وأفعالهم التي قد تنشأ عن غير قصد غالبا،

(12) شن الحروب التي لا داعي لها – بين الحين والآخر – على المذاهب الفقهية الأربعة المعتمدة، بدعوى إتباع الدليل من الكتاب والسنة وتجريد الإتباع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مع أن أصحابها بلغوا القمة العالية في الفقه والعلم والورع، وقام أصحابهم على ضبط أقوالهم، وصقلت مدارسهم الفقهية على مر عصور الإسلام كل ما يتعلق بالفقه ومسائله، فأيهما أجدى البناء على ما بناه أولئك الاكابر فيرتفع البناء عاليا، أم هدمه والتشكيك فيه، مع استحالة إتقان ما أتقنوه، واستيعاب ما استوعبوه، وبناء ما بنوه،

(13) شن الحروب على التصوف برمته، صالحه وطالحه، بدعوى أن له أصول من اليهودية أو النصرانية أو البوذية، ويتّهمون رجاله بعقائد مكفرة وأفكار منحرفة ضالة ويتهمون أكابره بالزندقة والانحلال، وهم لا يفرقون في ذلك بين الصوفية الصادقين وبين الأدعياء، مع أنه قد مرت عصور كاملة، وقرون تامة، يندر أن يكون فيها المسلم لا يلتزم بمنهج صوفي للتزكية، وطريقة صوفية تأخذ بيده نحو رضا الله، فهل جميع أولئك على ضلالة، وأين خيرية هذه الأمة إن كانوا جميعا كذلك، والإنصاف هو اعتماد الصحيح من مناهج أكابرهم في التزكية، مع إصلاح الأخطاء التي يكون منشؤها من الجهل والخرافة عند الاتباع،

(14) أمر خطير يمثل خطرا على صفاء منهاج السلفية، ألا وهو اعتماد كلام الشيخ ابن تيمية وكأنه – وحده – المتحدث الصحيح عن كافة طوائف أهل السنة والجماعة، واختزال آراء من خالفوه في كثير من المسائل، وكانوا وقتها يمثلون جمهور أمة الإسلام بمن فيهم الحنابلة، فقد خالفوه في مسائل عديدة، ولا شك أنه لم يكن متخصصا في كل ما تكلم فيه، وقد ذهل بالكلية عن قواعد التنزيه المستمدة من الكتاب والسنة، والتي بسبب ذهوله عنها هجم على أهل الفقه الأكبر في العقيدة (الأشاعرة والماتريدية) وانتقص من كبرائهم – مفاخر العلم – انتقصهم بغير حق، كما أنه غاب عنه مذهب السلف الحقيقي في المتشابه (الذي هو تفويض العلم به إلى الله) وظنه إثبات اللفظ الظاهر على حقيقته وتفويض الكيفية، فاقترب من الحشوية الجهلاء، وظلم مذهب السلف والخلف، واتهم مذهب السلف الصحيح الحقيقي (تفويض العلم بالمتشابه) بأنه شر المذاهب وأنه مذهب أهل الجهل، ولذلك لم يسلم منه الكثير من علماء أهل السنة الأعلام، وأدي ذلك إلى أن خاض في المتشابه على طرائق الحشوية والمشبهة واقترب منهم، **كما أن له تعميمات يعوزها الدقة والتمحيص،** وتمثل خطراً على صفاء منهج السلف الصالح، كادعائه بأنه لم ينقل عن السلف الصالح تأويل شيء من المتشابه، وبالتالي اتهم بالبدعة في الدين والخروج عن منهج

السلف كل من أول شيئاً من المتشابه، وطار بهذا التعميم الركبان في كل واد، مع أنه ثابت في التفسير عن حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنه وعن كثير من التابعين وتابعي التابعين والأئمة العلماء، وليس تأويلهم لهوى أو بدعة وحاشاهم من ذلك، وإنما هو لضرورة منع اتباع العامة للمتشابه، وضرورة حمل المتشابه على أمهاته من المحكمات، لحفظ عقائد المسلمين من التشبيه والتمثيل، كما أنه – ابن تيمية رحمه الله – تشدد في مسائل الزيارة والتبرك والوسيلة على غير طريقة الفقهاء، وتشدد على طوائف الصوفية من أهل السنة والجماعة بحق أحياناً وبغير وجه حق أحيانا، ونحن لا ننقصه حقه كأحد العلماء، ولكن أن ننجرف مع أخطائه وتشدداته وتعميماته، فهذا لا يرضاه العلماء المنصفون من أهل السنة والجماعة، وهذا ما يأباه منهج التصحيح الذي يأخذ من كل عالم أحسن ما اجتهد فيه، ويصحح ما أخطأ فيه،

(15) يرى أتباع السلفية المعاصرة أن منهجهم هو المنهج الوحيد الصحيح لأهل السنة والجماعة، مع أنهم اعتمدوا على أفكار مدرسة واحدة تقوم على أفكار الشيخ محمد ابن عبد الوهاب المتأثر بشكل كبير بفكر ابن تيمية ومدرسته، وهكذا تم اختزال كل علوم دين الإسلام القيم في مفاهيم هؤلاء، مع إهمال كافة المدارس الأصولية والعلمية والتربوية – والتي تأسست على يد مئات الآلاف من علماء الأمة وانتسب لها سواد المسلمين الأعظم مر عصور الإسلام –، بل وقياس قربهم وبعدهم عن أهل السنة والجماعة بهذه المقاييس الانحيازية، مما يمثل خطرا على سعة الدين واحترام تخصصاته العلمية،

(16) الخطأ العلمي القائم على احتكار مصطلح السلف الصالح لأنفسهم والى كل من ينتسب الى جماعتهم فقط، مع الخلط بين مفهوم السلف الصالح كمصطلح علمي، وما بين انتسابهم للسلفية كمؤسسة بديلة عن جميع التخصصات العلمية الإسلامية يعبر عنها آراء ابن تيمية، وآراء محمد بن عبد الوهاب، ولاشك أنّ عصور السلف الصالح الثلاثة الأولى التي شهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لها بالخيرية العامة هي عصور القدوة المثلى والإتباع الأمثل، ولاشك أنّ أهل السنة والجماعة يجتمعون على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من خلال فهم السلف الصالح للكتاب والسنة، ولكن ينبغي مناقشة آرائهم جميعها لمعرفة مدي تمثيلها لمذهب السلف، ومدى قربها أو بعدها عن مذهب السلف في شتى أقسام العلم،

(17) الخطأ في فهم المقصود بالخيرية التي وصفت بها قرون السلف الأولى، قد اساء بعض المنتسبين إلى السلفية فهم الخيرية المنصوص عليها في احاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ظاناً أنّ الخيرية اقتصرت على القرون الثلاث الاولى فقط، فاتجهوا الى رفض ومعارضة كل رأي أو فهم يأتي من خارج دائرة القرون الثلاث الا بانتقاء الآراء بعد ذلك من العصور المتأخرة، والحقيقة التي يجب معرفتها: أنّ الخيرية لم تكن في جميع من عاش القرون الثلاث الاولى بل الخيرية كانت في العموم والمجموع الغالب، ثم ظهرت التخصصات العلمية بعد ذلك مستمدة أصولها من علماء تلك الحقبة المباركة من عصور الإسلام، فليس المقصود بالخيرية رفض كل صحيح بعدها، وهذا هو الخلل في فهم الخيرية، إنّ من خيرية عصور السلف الصالح أنّها وضعت الأسس والأصول واللبنات الأولى للتخصص الإسلامي في كل فن من فنون العلم، ثم تركت المجال للعلماء ليظهروا ابداعهم العلمي، ففي القرن التالي لعصور السلف ظهر التخصص في الحديث وكان من ثمرته أن حفظت السنّة متمثلة في صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي وسنن النسائي وسنن ابن ماجة وعير ذلك من كتب السنن والمسانيد، وظهر التخصص في الفقه وكان من ثمرته أن دون الفقه وظهرت المذاهب الفقهية الأربعة وغيرها مما يعد مفخرة أهل السنّة والجماعة في حفظ الشريعة، وانتشرت البدع واحتاج الناس إلى انتصاب العلماء للرد عليها، وأكرم الله تعالى الأمة بثلاثة من علماء المسلمين الأكابر، حملوا لواء الدفاع عن عقيدة المسلمين وبيان عقيدة أهل السنّة والجماعة، وهم الإمام أحمد ابن حنبل والإمام أبو الحسن الأشعري والإمام أبو منصور الماتريدي، وبهم اكتملت صورة العقيدة الفذة التي ينبغي أن يحملها كل مسلم، فالإمام أحمد حمل لواء الدفاع عن عقيدة أهل السنة تجاه المخالفين، والإمامان أبو الحسن الأشعري والإمام أبو منصور الماتريدي حملا لواء الهجوم على أعداء هذه العقيدة وتفنيد أخطائهم، وتطهير عقائد المسلمين من بدع الخوارج والشيعة والمعتزلة والمشبهة والمجسمة وغيرهم، وأكرم الله تعالى الأمة بهم وبتلامذتهم، وامتزجت علومهم، وظهر منهم المتخصصون في مجال العقيدة الذين ضبطوا مسائل الأسماء والأحكام، ومسائل الإيمان والكفر، ومسائل التوحيد والشرك، ومسائل التقديس والتنزيه، ومسائل الإتباع والابتداع، ومسائل الإلهيات والنبوات والسمعيات، وما يجوز وما يجب وما يستحيل على الله تعالى وعلى انبيائه ورسوله عليهم السلام، وضبطوا سائر أبواب العقيدة على مذاهب الكتاب والسنة والصحابة وآل البيت، وصاروا هم أئمة الدين المقتدى بهم في الأصول وتلقت الأمة علومهم بالقبول، وصار للمسلمين ثلاث مدارس في الأصول تمثل أهل السنّة والجماعة في باب

العقيدة، وهي المدرسة الأثرية وعليها فضلاء الحنابلة إلا من مال إلى الحشو والتجسيم وسوء الادب مع الله تعالى بسبب عدم العلم بقواعد التقديس، والمدرسة الأشعرية وعليها غالب المالكية والشافعية وهم سواد العلماء المتخصصين في العقيدة على مذهب أهل السنة والجماعة – إلا من مال إلى الحشو أو الاعتزال –، والمدرسة الماتريدية وعليها غالب الأحناف إلا من مال إلى الحشو أو الاعتزال، وأُحكم أساس تلك المدارس على يد المتخصصين فيها واتقنت علومها، وصارت المرجع لكل مسلم يبتغي في العقائد وجه الحق والعدل والإنصاف، **ومع الفتوحات الإسلامية وثراء المجتمعات الإسلامية**، بدأ ميل المسلمين إلى الدنيا والركون إليها، اتسعت الدنيا على المسلمين وأخذ الناس يتناسون ضرورة الإقبال على الله بالعبودية، وبالقلب والهمة، مما دعا أرباب الزهد والمعرفة إلى أن يعملوا هُم من ناحيتهم أيضاً على تدوين علم التزكية (التصوف)، وإثبات شرفه وجلاله وفضله، ومن باب سد النقص، واستكمال علوم الدين في جميع نواحي الحياة الإنسانية،

(18) الخطأ والخطر في تقديم مؤسسة واحدة (السلفية بمفرداتها التي اشتهرت بها) على أنّها البديل عن جميع التخصصات العلمية الإسلامية، لقد كان السلف الصالح هم خير قرون الإسلام علما وعملا، وفقها وفهما، واهل السنة والجماعة يعرفون لسلفنا الصالح فضلهم ويسيرون على هديهم ومناهجهم، إنّ من خيرية عصور السلف الصالح أنّها وضعت الأسس واللبنات الأولى للتخصص الإسلامي في كل فن من فنون العلم، ثم تركت المجال للعلماء ليظهروا تخصصهم العلمي وظل المسلمون يحترمون أهل التخصص في العلوم الشرعية إلى أن جاءت فوضى عدم احترام التخصص متمثلة في طرح السلفية على أنّها بديل عن جميع التخصصات العلمية، إن الحركة السلفية المعاصرة في امس الحاجة إلى مراجعات علمية جادة من أجل تصحيح المسار،

***

(المبحث السادس)

مفاتيح مستفادة من كتاب (السلفية المعاصرة شبهات وردود)

للشيخ عبد الرحمن المكي الهاشمي

يهذب فيه الأخطاء التي شابت الدعوة النجدية

في هذه المبحث: أُحيل على كتاب من كتب الإنصاف في اصلاح الدعوة النجدية حتى تأخذ طريقها نحو التوسط والاعتدال،: (كتاب السلفية المعاصرة مناقشات وردود) للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن المكي الهاشمي، وهذا الكاتب لم يتناول في نقده لا تجريحاً ولا انتقاصاً، وإنما جاءت نصيحته خالصة للإصلاح، نحسبه على خير، والله حسيبه، ومن تلك المفاتيح المنتقاه من رسالته القيمة

[المفتاح الأول]: الاختلاف مع الوهابية إنما هو اختلاف في مفهوماتهم الخاطئة وليس على عقيدة كما يدّعون:

ليس الخلاف – مع الوهابية – على عقيدة، بل هو نتيجة خطأ مفهومات شاذة في الشرك والعبادة والبدعة وفيما يدخل في مسمى عبادة غير الله وما لا يدخل فيها، فالسواد الأعظم من علماء المسلمين في كل قطر إسلامي وعلى توالي قرون طويلة جداً لا يرى في دعوة الأنبياء والصالحين مستغيثين أو مستشفعين أو متوسلين أنه عبادة لغير الله، ويرون أن الوهابية لم تفقه معنى العبادة إذ توهموا أنّ إتيان الأعمال التي تصلح للعبادة لا تقع إلا عبادة، وهذا خطأ سيأتي بيانه عند تحرير معنى العبادة، وكذلك قصد المصطفي بالزيارة والاحتفال بالزيارة والاحتفاء بذكرى المولد النبوي ليس من بدع الضلالة في شيء كما سيأتي بيانه أيضاً عند تحرير معنى البدعة وما يدخل في بدعة الضلالة وما لا يدخل فيها، وسواد العلماء يخطئون الذين يشركون الناس باستغاثتهم ودعائهم للأنبياء والصالحين ويخطئون من يمنع المولد وغيره، ويرون أنّ دعاويهم في ذلك لا تستند على أدلة ناهضة غير سردهم لآيات

وأحاديث أخطأوا في فهم معناها ودلالاتها، ولعلماء السواد الأعظم من المسلمين من الدراية والرواية ما يفوق علم الذين يكفرون بتلك الأمور أو يبدعون أو يضللون،

[المفتاح الثاني]: تصور الوهابيين لشرك الأمة شركاً أكبر مخالف لبيان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لذلك، قد صح عن الصادق المصدوق أنّ أمته صلى الله عليه وآله وسلم بعده لن تعبد الأوثان ولن تشرك الشرك الأكبر إلا بعد انخرام أنفس جميع المؤمنين في آخر الزمان بعد انتهاء فتنة الدجال وأما قبل ذلك فلا، وهذا مخالف لتصور الوهابيين أنّ الشرك الأكبر قد انتشر في بقاع العالم الإسلامي منذ مئات السنين، فورد عن جابر وابن مسعود وعمرو بن الأحوص وابن عباس مرفوعاً: ((إن الشيطان قد يئس من أن تعبد الأصنام بأرض العرب))، والروايات في ذلك متعددة في صحيح مسلم، ومستدرك الحاكم وأبي يعلى والبيهقي وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، وورد في حديث شداد بن أوس في ابن ماجه " قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أتخوف على أمتي الشرك، قلت يا رسول الله أتشرك أمتك بعدك؟ قال: نعم أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولكن يراؤون في أعمالهم))، وورد في حديث الشيخين عن عقبة بن عامر مرفوعاً: ((لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي ولكن أخشى عليكم الدنيا))، وورد في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((لا يذهب الليل ولا النهار حتى تعبد اللات والعزى " فقلت يا رسول الله: إن كنت لأظن حين أنزل الله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} إنّ ذلك تام، قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحاً طيبة فتوفي كل من كان في قلبه مثقال ذرة من خردل كمن إيمان))، ومصداقاً لوقوع هذا في وقته المبين في حديث عائشة أنه بعد هبوب الريح الطيبة التي تقبض نفس جميع المؤمنين ما روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوْس حول ذي الخلصة))، وما روى مسلم عن عبد الله بن عمرو من حديث الدجال ونزول عيسى عليه السلام وأن بعده هذه الريح وقبض أرواح المؤمنين وأنه يبقى شرار الناس فيقول: " ألا تستجيبون؟ فيقولون: ماذا تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان "، وفي كل هذه الأحاديث الصحيحة بلاغ على أنّ أمته صلى الله عليه وآله وسلم لن تعبد الأوثان بعده، ولن تشرك الشرك الأكبر إلا بعد انخرام أنفس جميع المؤمنين في آخر الدهر بعد أن تهب الريح الطيبة وقبض أرواح المؤمنين، وإن هبوبها يكون بعد نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال ومكثه في الأرض ما

شاء، فماذا يمكن أن يقول القائلون بعد أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والفتاوي والتصرفات إذا انبعثت عن تصورات تخالف ما بينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تبقى محيرة جداً لما تنطوي عليه من مخالفة بيان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما قال وفيما أخبر، والردة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه لم تكن فيها عبادة أوثان وإنما ادّعاء نبوات وشراكة في الرسالة وتمرد جماعي على الوجبات الإسلامية كمنع الزكوات والتهاون بالصلوات وبشعارها الأذان، يحقن الدم والمال وما بزغت حتى انتهت بفضل الله ثم بحزم الصديق، فالاستبدال بها على أن عبادة الأوثان كائنة بعده صلى الله عليه وآله وسلم قبل الوقت الذي حدده صلى الله عليه وآله وسلم لها هو استدلال على الشيء بما هو أجنبي عنه،

[المفتاح الثالث]: غلط تصور الوهابيين للعبادة والشرك: لما رأى القوم أنّ المشركين كانوا يتقربون لآلهتهم بالذبح والنذر والدعاء والاستعانة والاستشفاع والسجود والتعظيم ... الخ تخيَّلوا أنّ مجرد إتيانهم هذه الأمور لذاتها هو العبادة، وأنّ كل عمل يصلح للتعبد به لا يقع إلا عبادة إن وقعت لله فهي التوحيد، وإن وقعت لغيره فهي الشرك، ويرى السواد الأعظم من علماء المسلمين خطأ هذا المفهوم، وأن المشركين كانوا يأتون تلك الأعمال بنية العبادة لمن اعتقدوا فيهم شيئاً من صفات الربوبية أو خصائصها كتأثير بقدرة كن أو استقلال بالنفع والضّر والإعطاء والمنع أو نفوذ شفاعة عليه تعالى بمقتضى شراكته له في الربوبية ونحو ذلك، وقد بينت آيات كثيرة أنّ هذا كان هو اعتقادهم في آلهتهم فحكى الله تعالى قول المشركين لهود عليه السلام: {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ}، وقال تعالى: {قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ}، وقال تعالى: {أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ}، وعجز الآية {إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ}، يكشف أنّ اعتقادهم كان أنّ آلهتهم تنصرهم ثم انكشف يوم القيامة أنهم كانوا مغرورين، وقال تعالى: {وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ}، وقال تعالى: {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ}، وغير ذلك آيات كثيرة لا يتسع لذكرها المجال مما يدل على إشراك المشركين معبوداتهم في بعض خصائصه تعالى، فلما اعتقدوا لآلهتهم تلك الخصائص زاولوا تلك الأعمال لهم بنية عبادتهم، ومما يومئ إلى أنّ دعاء المشركين لآلهتهم كان مصحوباً باعتقاد صفات الربوبية فيهم من ضر ونفع استقلالاً قوله تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا}، ولو كان مجرد إتيان العمل الذي يصلح للتعبد به – من دون اقتران نية العبادة لمن يعتقده رباً – هو الشرك إن وقع لغيره تعالى لما جاء بعض تلك الأعمال مأموراً به لغيره تعالى

لأن الله تعالى لا يأمر عباده بالشرك ولا يرضى به ولا يأمر بالفحشاء، فالسجود مثلاً "، وهو أقرب إلى التذلل من سواه، " لو كان مجرد إتيانه هو العبادة أو الشرك لما أمر الله به لآدم ولما حلّ في شريعة قط كالسجود ليوسف على وجه التحية والتكريم، فلما جاء السجود صالحاً لأن يكون سجود عبادة وشرك، وأن لا يكون سجود عبادة وشرك تبين أن إتيان أي عمل ليس عبادة لذاته ولا شركاً في نفسه إلا أن يجتمع مع إتيانه نية العبادة به لمن يعتقد فيه شيئاً من صفات الربوبية أو خصائصها، والتعظيم مثلاً لو كان مجرد إتيانه هو العبادة أو الشرك لما فرَّق بين تعظيم وتعظيم، فمنه ما هو كفر ومنه ما هو حرام كسجود التحية في شريعتنا، ومنه ما هو مكروه كالتمثيل قياماً بين يدي السلطان، ومنه ما هو مأمور به كتعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيم شعائر الله وتعظيم البيت بالطواف به والوقوف للدعاء عند الحجر وباب الكعبة والملتزم، وتعظيم الحجر الأسود بتقبيله ومس الركن اليماني والصلاة خلف المقام، فما جاء التعظيم صالحاً لأن يكون تعظيم عبادة وشرك وأن لا يكون تعظيم عبادة وشرك تبين أنّ مجرد التعظيم لشيء ليس عبادة له شرعاً حتى يجتمع الإتيان به نية العبادة لمن تعتقد فيه شيئاً من صفات الربوبية أو خصائصها، وحين يؤمر به لغير الله من غير أن تقترن به نية العبادة لغيره تعالى خرج عن كونه شركاً لأن فقدان نية العبادة فيه صرفته عن اعتباره عبادة لغير الله، ونية الامتثال صرفته إلى أنه عبادة للآمر وقربى إليه فالنية على هذا هي الحد الفاصل بين الحكم على العمل بأنه عبادة أو لا يدخل في مسماها، ولما رأى القوم أن من العمل أنّ القول لغير الله ما لا يعتبر شركاً، وأن ليس كل داع لأحد أو مستنجد به أو مستعين به يعتبر شركاً، فتشوا عن ضوابط لما يصل إلى درجة الشرك وما لا يصل إليه، فأجازوا من ذلك مما كان لحي حاضر فيما يقدر عليه، ومنعوا من ذلك ما كان لغائب أو ميت، ولا معنى لبناء الجواز والمنع على ما يقدر عليه وما لا يقدر عليه لأنه لا يعتقد أنّ العبد يخلق أفعال نفسه إلا المعتزلة ومن قلَّدهم، أما أهل السنة فحين يدعون أحداً أو يستنجدون به أو يستعينون به حياً كان أو ميتاً، حاضراً أو غائباً يعتقدون أنه لا يقدر على شيء ولا استقلال له بنفع أو ضر وإنما هو سبب من الأسباب يسخره الله، وطلب سليمان من اتباعه عرش بلقيس هو مما لا يدخل عادة تحت قدرة العبد ومع ذلك طلبه، ولا معنى كذلك لبناء الجواز والمنع على الحياة والموت لأن المعنى الذي أجيزت به الاستغاثة مثلاً بالأحياء هو أنهم سامعون قادرون على الدعاء وغيره وذلك موجود على أتم وجوهه في عامة موتى المسلمين فضلاً عن خاصتهم إذ صحت الأحاديث بحياتهم ولوازمها من السمع والبصر والكلام والسلام والتزاور والقدرة على دعائهم للأحياء لا سيما

لقرابتهم وزوارهم، وفي كتاب "الروح" لابن القيم فصول فحواها "أنه قد تواتر بأنّ لأهل القبور قدرة على التصّرف والترائي للأحياء "، وإذ تبين فساد ضوابطهم في الجواز والمنع تبين أنّ الضابط الصحيح للتفرقة بين الجواز والمنع هو أنه كان العمل أو القول لمن لا يعتقده رباً فليس من العبادة في شيء، أما إن وقع بنية العبادة لمن يعتقد ربوبيته واستقلاله بالنفع والضر وقبول شفاعته بحكم شراكته في الربوبية فذلك الذي يعتبر عبادة إن صرف الله وشركاً إن صُرف لغيره لا فرق في ذلك بين حاضر وغائب ولا ميت وحي ولا في الحياة الدنيا ولا في الآخرة ولا يوم القيامة، وما خلا عن نية العبادة لا يقال أنه عبادة لغير الله إلا أن يكون الشارع قد جعل نفس العمل كفراً كالسجود للصنم يكفر فاعله ولولم تعرف نيته لأنّ ذلك إمارة على اعتقاد ربوبيته ومظنة للشرك، وبهذا البيان تعلم أنّ مسمى العبادة شرعاً لا يدخل فيه شيء مما يفعله السواد الأعظم من المسلمين من توسل واستغاثة وغيرهما، فعدُّ ذلك من الشرك المخرج عن الملة إنما يجر إليه الجهل بمعنى الشرك والعبادة، إذ قلوب المسلمين والحمد لله مستقرة على أن من يتوسل بهم من الأنبياء والصالحين هم مجرد أسباب لا استقلال لهم بنفع ولا ضر، وليس لهم من الربوبية شيء، ولكن الله جعلهم مفاتيح لخيره، ومن أعظم ما تتنزل به الرحمات من الواحد المنّان، والاستعانة بالأسباب مأمور بها في صريح قوله تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ}، وفي حثّ الرسول المؤمنين على إعانة المستعين بهم وعلى التيسير على المعسر والتفريج عن المكروب، وإسناد الفعل إلى المعين والميسر والمفرج هو من إسناد الفعل للسبب لأنَّ الفاعل هو الله تعالى ولا يريد المسلمون إلا هذا المعنى، فإذا قال المسلم: نفعني النبي أو الولي أو أخذ بيدي أو أغاثني أو أعانني فلا يعني إلا هذا الإسناد المجازي ولا يعتقد أن له شيئاً من الاستقلال بالنفع أو الضر كما هو شأن الرب المعبود، وإذ قد علمت أنّ عبادة المشركين لأربابهم إنما هي بإتيانهم الأعمال والأقوال بنية العبادة لمن اعتقدوا فيهم ربوبية أو خصائصها من تأثير بقدرة كن واستقلال بالنفع والضر والإعطاء والمنع والضر أو نفوذ شفاعة عليه تعالى بمقتضى شراكتهم لله تعالى، فكيف ينطبق قولهم: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفي} على المسلمين ينووا بدعائهم للأنبياء والصالحين مستغيثين أو مستشفعين عبادة لهم ولا اعتقدوا فيهم ربوبية ولا تأثيراً بقدرة كن ولا اعتقدوا فيهم قدرة على النفع والضر استقلالاً ولا اعتقدوا أنّ شفاعتهم إنما هي بحكم شراكتهم لله في الربوبية كما يفعل المشركون وكما ينوون بأفعالهم وأقوالهم وكما يعتقدون سبحانك هذا بهتان عظيم وقياس غير مستقيم، ومن آمن بالكتاب كله ولم يتسلط عليه الهوى لا يكتفي بسرد الآيات الدالة على اعتراف المشركين بانفراده تعالى بخلق

الجواهر العظام من سماء وأرض وخلافها ومن رزق وإنزال الغيث والتدبير العام، ويهمل ذكر الآيات التي ذكرناها المثبتة لكفر المشركين بالربوبية في بعض خصالها حيث اعتقدوا التأثير والنفع والضر والنصر والإعطاء والمنع لأربابهم استقلالاً ونفوذ شفاعتهم عليه تعالى بحكم شراكتهم له في الربوبية، وأين من يعتقد فيمن يدعونهم ويستغيثون بهم أنهم أرباب ومن يعتقد أنهم أسباب، ولما اعتقد المشركون أنّ شفاعة أربابهم محتمة القبول عند الله بمقتضى شراكتهم له في الربوبية ردَّ الله عليهم بأنه لا شفاعة إلا بإذنه ورضاه ومشيئته ونفي شفاعة الأوثان وسائر المعبودين في عابديهم، كما بين أنّ الشفاعة كلها لله، وأنه قد أعطاها للأنبياء وعباده الصالحين فيمن لقي ربه لا يشرك به شيئاً، {لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} مثلما أنّ المُلك كله لله أعطى منه ما شاء لمن شاء والعزة كلها لله أعطى منها ما شاء لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين، واستشفاع المؤمنين لا يعني إلا طلب الدعاء ممن أعطاهم الله الشفاعة والمصحح للطلب هو حياة الشفيع سواء في الحياة أو يوم القيامة بخلاف استشفاع المشركين فإنه ينطوي على إشراك بحقوق الله باعتقاد أن شفاعتهم عنده تعالى إنما هي بمقتضى شراكتهم لله في الربوبية، قالوا قصر الله الاستعانة به تعالى في سورة الفاتحة في قوله تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، قلنا: تمهيد الله لذلك بذكره صفات الربوبية يدل على أن ما تعنيه سورة الفاتحة عن غيره تعالى هو استعانة مربوب بمن يعتقده رباً وإلا فأين أحاديث الحث على إعانة المستعين وعلى التفريج عن المكروبين؟ قالوا: صح أن الدعاء هو العبادة أو مخها، قلنا: صحّ أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلا عقب هذا القول: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}، وهذا يدل على أن المخاطبين في الحديث هم المؤمنون وأنّ دعاءهم كان مصحوباً بأقصى التذلل لمن لا ربّ سواه أي أنّ دعاءهم كان مقترناً باعتقاد أنه الرب دون سواه فصار الدعاء بهذه النية عبادة، إذ دعاء العبادة هو ما أحدثه الداعي بنية العبادة لمن اعتقد فيه ربوبية أو صفاتها أو خصائصها، (قال) في الحديث: للعهد الخارجي عند المخاطبين أي الدعاء المعهود عندهم وليست للاستغراق كما توهم الوهابية في استدلالهم بذلك على أنّ الدعاء لذاته هو العبادة ولو لم يقترن بنية العبادة لمن اعتقده رباً، وبعد أن تبينت خطأ القوم وسوء تصورهم لما يدخل في مسمى العبادة وما لا يدخل فيها وضح لك أي إثم يقترف في الحكم على سواد المسلمين الأعظم بالشرك والكفر لدعائهم واستغاثتهم بالأنبياء والصالحين التي لا اعتقاد معها بأن لهم شيئاً من خصائص الربوبية وصفاتها، ونسأل الله السلامة في القول والعمل،

[المفتاح الرابع]: من أسباب غلط الوهابيين في الحكم بالتكفير: قدمنا لك ما فيه الكفاية عن تحقيق معنى العبادة، وأنّ غلط الوهابيين في مفهومها تسبب في تكفيرهم المسلمين بالدعاء للاستغاثة أو الاستشفاع حيث غلطوا فجعلوا كل أمر يؤتى مما يصلح للتعبد به هو العبادة لذاته، ولو لم ينو به الفاعل أو القاتل العبادة به، ولا اتخذ ممن وجه إليه الفعل أو القول رباً أو متصفاً بشيء من صفات الربوبية، ونزيدك اليوم تبصرة في ذلك لكشف بعض ما قد يشتبه عليك أيها المسلم: إنّ الصحابة حيث كانوا يستغيثون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو يستعينون أو يطلبون منه الشفاعة أو يشكون حالهم إليه من فقر ومرض وعاهة وبلاء ودين وعجز وجدب كانوا يعلمون أنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يفعل ذلك بذاته أو بقوته، وإنما يفعله بإذن الله وأمره وقدرته وأنه عبد مأمور وله مقامه وجاهه وكرامته وأنّ الحقيقة هو مجرد سبب من أسباب الإجابة ولا فاعل إلا الله، وكان موقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع السائلين تارة الاستجابة لطلبهم وتارة يخيرهم بين الصبر أو كشف البلاء كما خير الأعمى والمرأة التي تصرع وقتادة الذي أصيبت عيناه، وتارة يقول لهم: إنما يستغاث بالله ويقول لهم: إذا سألت فسأل الله و وإذا استعنت فاستعن بالله، وترة يقول: السيد هو الله، ومرة يقول: أنا سيد ولد آدم، وواضح من اختلاف أجوبته صلى الله عليه وآله وسلم للسائلين أنه كان يراعي حالة السائل حين يسأله فيجيبه بما يقضي فيه رسوخ الاعتقاد أو نقصه حسب ما يظهر له بالوحي أو بقرائن الحال، والسائلون لا يعنون من الطلب منه صلى الله عليه وآله وسلم إلا وساطته بالتوجه إلى الله ليدعو ويشفع، ومع ذلك راعى صلى الله عليه وآله وسلم حالة السائل في الجواب لمن يخشى على اعتقاده، وإرشاداً لغرس اليقين في الله وحده سداً لباب اتكال القلوب على سواه، ولو لم يكن المقصود هو مراعاة حال اعتقاد السائل في الإجابة لما منع صلى الله عليه وآله وسلم من قالوا: ((قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا المنافق))، ولما قال لهم: ((إنما يستغاث بالله ولا يستغاث بي)) لأنّ أحداً حتى الوهابيين لم يمنع الاستغاثة بالحي في مثل ما طلبوه منه صلى الله عليه وآله وسلم وهو رد المنافق الذي تأذوا منه، ومثل هذا من قال ما شاء الله وشئت فأجابه صلى الله عليه وآله وسلم: ((أجعلتني لله نداً، بل ما شاء الله)) مرعاة لحال السائل في سد باب أن يسبق إلى الظن أن يتساوى مع الباري في مشيئته، وإلا فإنه صلى الله عليه وآله وسلم يعلم الفرق بين المشيئتين حين تنسب إلى الخالق وإلى الخلق ولا يشتبه الأمر عليه حين ورد في القرآن العطف بالواو الذي استنكره على السائل في آيات كثيرة كقوله تعالى: {وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ}، إذ لا يشتبه

معنى أغنى حين ينسب إلى الله وحين ينسب إلى الرسول، وكقوله تعالى: {فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ} إذ لا يشتبه ولاية الله بولاية جبريل وصالح المؤمنين، وكقوله تعالى: {وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ} إذ لا يشتبه الفضل حين ينسب إلى الله وحين ينسب إلى الرسول، وكقول الصحابة في كل ما لا يعلمونه: ((الله ورسوله أعلم)) إذ العلم لله هو غير العلم لرسوله، وحسان رضي الله عنه حين يقول: (يا ركن معتمد وعصمة لائذ * وملاذ منتجع وجار مجاور) كان يعلم أنّ الله هو الفاعل لكل ذلك وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو فقط سبب من أسباب ذلك من باب الإسناد المجازي على حد حثه صلى الله عليه وآله وسلم على تفريج كربة المكروب حين يقول " من فرج عن مؤمن كربة فرَّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة " ومثله حثه على التيسير على المعسر وإعانة المستعين فهو يعلم صلى الله عليه وآله وسلم أن المعين والميسر والمفرج هو الله وليس العبد إلا سبب في ذلك، وهكذا المسلمون ليس فيهم إطلاقاً من يعتقد لأحد مع الله فعل أوترك أو رزق أو نصر أو إحياء أو إماتة فإذا وجدت في كلامهم إسناد الأمر إلى السبب وليس معنى طلب شيء من الوسيلة عند المسلم إلا الطلب منه بأن يتوجه إلى الله ليطلب منه تعالى ويدعوه ويسأله ويشفع عنده، فالمطلوب هو الاستشفاع إلى الله بالوسيلة والمقصود في حقيقة الأمر هو الله، والقرينة الصارفة عن اعتقاد غير هذا اللفظ القائل هو أنه من الموحدين، ولا يلتبس عليك الفرق بين قول المشركين: هؤلاء شفعاؤنا وبين قول المسلم: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الشافع المشفع فينا، إذ ليس الاستشفاع هنا كاستشفاع المشركين الذين كانوا يعتقدون أنّ شفاعة آلهتهم محتمة القبول عليه تعالى بحكم شراكتهم له في الربوبية كما قال تعالى: {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ}، وأما المسلمون فاعتقادهم الراسخ أنه لا يجب على الله شيء بل كل ما يعطيه هو تفضل منه ورحمة لكرامة عبده عنده، وقد سبق بيان أنه لا معنى لبناء الجواز والمنع في الأقوال والأفعال على ما يقدر عليه وما لا يقدر عليه لأنّ غير الله لا يقدر على شيء ولا استقلال له بنفع أو ضر وإنما هو سبب من الأسباب يسخره الله، ولوكان لما يقدر عليه وما لا يقدر عليه دخل في ابتناء الجواز والمنع عليه في الحياة لما طلب سيدنا سليمان وهو نبي معصوم من أتباعه عرش بلقيس وهو شيء ليس في قدرة الخلق بحسب العادة، أما بفضل الله وقوته فهو ممكن والله أحضره، ومن باشر الأمر إنما هو سبب من الأسباب، وكذلك بينا من قبل أنه لامعنى لبناء الجواز والمنع على الحياة والموت لأن المعنى الذي أجيز به الطلب من الأحياء هو أنهم سامعون قادرون على الدعاء والاستغفار، وذلك موجود على أتم وجوهه في عامة موتى المسلمين

فضلاً عن خاصتهم، فضلا عن سيد المرسلين، وقد سبق بيان ذلك وسيأتي فصل خاص به تحت عنوان ما للموتى من إدراكات ... الخ، وبكل هذا يتبين كما وضحنا من قبل أنّ الضابط الصحيح للجواز والمنع هو أنه كان العمل أو القول لمن لا يعتقد ربوبيته فليس من العبادة في شيء، أما إن وقع بنية العبادة لمن يعتقد ربوبيته أو شيئاً من خصائصها كاستقلاله بالنفع والضر بقدرة كن، وقبول شفاعته بحكم شراكته في الربوبية فذلك الذي يُعتبر عبادة إن صرف لله، وشركاً إن صرف لغيره، لا فرق بين حي ولا ميت ولا في الحياة الدنيا ولا يوم القيامة، ولدخول الغلط في مفهوم العبادة عندهم تورطوا في التكفير متوهمين أنَّ العبادة هي إتيان العمل الصالح للتعبد به مطلقاً، ولو لم ينوي به العبادة لم يتخذه رباً أو يعتقد فيه شيئاً من خصائص الربوبية، وما يطلق على الخالق والمخلوق من الصفات كالرأفة والرحمة والوجود والعلم والهداية والشفاعة في قوله تعالى: {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أوتيت الشفاعة)) لا يشتبه على المؤمن لأن مدلولات الألفاظ الدالة على ما للخالق تختلف عن مدلولاتها إذا أطلقت على الخلق من حيث الكمال والكيفية والخلق والتسبب اختلافاً كلياً، فتطلق على الإله بما يناسب مقام الحق، وإذا وصف المخلوق بشيء منها فيكون متصفاً بها بما يناسب البشرية محدودة ومخلوقة ومكتسبة بإذن الله وفضله وإرادته لا بقوة المخلوق ولا تدبيره ولا أمره وإنما من الله عليه بها قوة وضعفاً على ما شاء الله تعالى فلا يرفعه وصفه بها إلى مقام الألوهية ولا تكون نسبتها إلى المخلوق شركاً لله، فأين وجود حادث قابل للزوال ووجود أزلي أبدي واجب لموصوفه لا مدخل للعدم إليه، وأين علم قليل عارض مكتسب غير مملوك لصاحبه من علم ذاتي واجب أزلي دائم أبدي محيط بما لا يدخل تحت النهايات، وقس على ذلك سائر الصفات، وحين خاطب حسّان رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته السابق بأنه ركن المعتمدين وعصمة اللائذين وملاذ القاصدين وجار المستجيرين لم يكن يقصد بذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم يشارك الباري في تلك الصفات، بل هي لله بالأصالة، وأما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمجرد سبب فيها من الإسناد المجازي كما تقدم، ولهذا لا ينبغي أن يساء فهم المقصود من بعض الألفاظ التي تصدر من الناس كقولهم: ليس لي ملاذ سوى النبي ولا رجاء إلا هو وإليه يفزع في المصائب، وقولهم: إن توقفت فمن أسأله، فاعتقاد المسلم أنَّ الملجأ والملاذ والمفزع وتحقيق السؤال والمدد كلها إلى الله خلقاً وإيجاداً وأصالة وما نسبتها إلى المخلوق ممن أكرمه الله بحصولها على يده إلا أنه المتسبب فيها بدعائه لربه وشفاعته عنده، وكذلك ليس مراد القائل لتلك الألفاظ هو مشاركة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صفاته، بل المراد أنه

ليس في الخلق من هو أولى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يلاذ به ويلجأ إليه ويفزع إليه عند الشدائد، ليقوم بالتوسل عند ربه في كشفها كما كان عليه الحال في يوم الهول العظيم على حد قول البوصيري: (مالي من ألوذ به سواك * عند حلول الحادث العمم) فإنّ الأنبياء والخلائق لم يجدوا ملجأ إلا في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليشفع لهم في كشف كربهم ففعل وشفع، وهكذا أكثر الألفاظ التي جاءت في قصد المادحين كالبردة وغيرها ليس مقصود أصحابها ولا اعتقادهم مشاركة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لربه في صفاته، بل أطلقوها عليه صلى الله عليه وآله وسلم بما يناسب البشرية من كونها محدودة ومكتسبة، فلا يرفعه وصفه بها إلى مقام الألوهية ولا تكون نسبتها إلى المخلوق شركاً بالله كما توهم الوهابيون، فأين الخالق من السبب وأين صاحب العلم الذاتي المحيط من علم علمه الله لمن شاء من عباده وأطلعه عليه، **ومما تقدم تعلم: أن من تورط في تفكير المسلمين إنما تورط لأسباب كثيرة منها:**

1- السبب الأول من أسباب التورط في تكفير المسلمين هو الجهل بمعنى العبادة وعدم تحقيقها ووهمه أنها إتيان العمل الذي يصلح للتعبد به،ولكنها في الحقيقة هي إتيان العمل أو القول بنية العبادة لمن تعتقد له ربوبية أو خصائصها من تأثير بقدرة كن بالمنع والضر والإعطاء والنفع،أو نفوذ شفاعة عليه تعالى بمقتضى شراكته لله في ربوبيته، فلما جهل الوهابيون معنى العبادة أدخلوا في مسماها ما يفعله السواد الأعظم من المسلمين من توسل واستغاثة واستشفاع وغير ذلك، وكفروا بذلك من فعله ومن طلبه من الأموات منكرين ما أثبتته السنة والإجماع من إدراكات للأموات وقدرتهم على الدعاء والاستغفار، فكما جهلوا كل ذلك عمدوا إلى آيات نزلت في المشركين فحملوها على من هو ممتلئ بتوحيد الله في الربوبية وانفراده باستحقاق العبادة وما هو أهل لله من صفات كماله، وأين من يعتقد فيمن يدعونهم أنهم أرباب ومن يعتقد أنهم أسباب،

2- والسبب الثاني من أسباب التورط في تكفير المسلمين هو عدم التفطن إلى الألفاظ التي تطلق على الخالق والمخلوق ولا اشتباه فيها لأنها تطلق على الخالق بما يناسب مقام الحق وتطلق على المخلوق بما يناسب مقام الخلق فلا يرفعه وصفه بها إلى مقام الألوهية ولا تكون نسبتها إليه شركاً بالله،

3- والسبب الثالث من أسباب التورط في تكفير المسلمين هو الاستدلال بنهي الرسول عن الألفاظ مع تجاهل ما ورد عنه من إقرارها كما وضحناه، وإن إجابته للسائلين قد اختلفت مراعاة لحالهم مع رسوخ الاعتقاد في الله أو نقصه وقطعاً لباب الاتكال على غيره تعالى،

4- والسبب الرابع من أسباب التورط في تكفير المسلمين هو التغليب لسوء الظن بالمسلمين فيما يرد على ألسنتهم من ألفاظ لا يقصدون بها إلا الإسناد المجازي، فحملها على حقائقها دون اعتبار القرينة الصارفة عن الحقيقة وهو أنّ القائل من الموحدين ظلم كبير،

5- والسبب الخامس من أسباب التورط في تكفير المسلمين هو أنهم أساؤوا فهم المقصود من بعض الألفاظ التي تصدر من الناس كقولهم "ليس لي ملاذ سوى النبي "، " وإليه يفزع في المصائب "، و" لا رجاء لي إلا هو " وأمثالها، فقد توهموا أنها صرف لما هو لله إلى سواه وما عقلوا أنها مقارنة بين الخلق، وأن المراد ليس في الخلق من هو أولى من رسول الله (بأن يلاذ به ويلجأ إليه ويفزع إليه لا المقارنة بينه وبين الله، علاوة على أنّ المراد من هذه الألفاظ هو الإسناد المجازي من إسناد الشيء إلى سببه بالدعاء والتوسل والشفاعة عند الله، هذا وإنه لا يغيب عن فهم الموفق أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين كان يجيب السائلين فيما طلبوه منه من حاجات لم يقل لهم أنّ الأمر لا يحتاج إلى واسطة واشكوا حالكم إلى الله تعالى لأنه قريب مجيب لا حجاب بينه وبين خلقه فتوجهوا إليه بالطلب رأساً " كما يلبّس بذلك الوهابيون، فالمعلوم أنه وإن كان المدعو أقرب فإن العبرة في قبول الدعاء إنما هي كما قال تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}،

[المفتاح الخامس]: بعض من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم: ونذكر لك

هنا بعضاً مما خصه الله تعالى به صلى الله عليه وآله وسلم من مقامات الاصطفاء: فنحن نعتقد في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه سيد الأولين والآخرين والملائكة المقربين والخلائق أجمعين، وحبيب ربّ العالمين، والمفضَّل على الجميع بسائر خلال الخير ونعوت الكمال، وجبت له النبوة من قبل وجود آدم عليه السلام كما في حديث أحمد عن العرباض بن سارية، وأخذ الله الميثاق على الأنبياء بأممهم ويكون شهيداً على الأنبياء وأممهم ويظهر في ذلك الوقت سيدهم وإمامهم وخطيبهم ومبشرهم كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، وقد اصطفي الله أمته على الأمم وجعلهم شهداء عليهم في الآخرة وجعلهم كما في حديث الشيخين شهداء لله في الأرض فمن أثنوا عليه خيراً وجبت له النار وحرمت الجنة على الأمم حتى تدخلها أمته صلى الله عليه

وآله وسلم، وهم أكثر أهل الجنة كما في الترمذي عن بريدة أن أهل الجنة عشرون ومائة صنف ثمانون منها من هذه الأمة، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه تعالى سيفدي أمته صلى الله عليه وآله وسلم بغيرها من الأمم، وهم أول من يجوزون الصراط معه صلى الله عليه وآله وسلم كما في حديث الشيخين، اصطفي الله نبيه من خير قرون بني آدم وجعله خياراً من خيار والآمنة به صلى الله عليه وآله وسلم فأمِن به حتى الكافر في الدنيا من عذاب الاستئصال: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} وكما روى البراز بسند صحيح: ((حياته خير ومماته خير تعرض عليه أعمال أمته فإن رأى خيراً حمد الله وإن رأى شراً استغفر لهم))، ويُفصل يوم الهول بشفاعته التي لا يجرأ أحد عليها إلا هو فيقال له ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع، ويلقي من التجلة والإكرام مالم يلقه مَلَك مصطفي ولا نبيٌ مرسل فهو بكل ما ذكر الشفيع يوم القيامة بل إنّ ذاته رحمة وإن لم يشفع فما كان ليعذبهم الله وهو فيهم، فله الشفاعة العظمى وشفاعات غيرها وكما روى الطبراني والبيهقي ((لايزال يشفع حتى يعطي صكاكاً برجال دخلوا النار لإخراجهم منها))، وسيرضيه الله في أمته ولا يخزيه، وفي رواية مسلم حين أنذر قومه وأهله حين أخبرهم أنه لا يملك لهم من الله شيئاً قال: ((غير أنّ لي رحماً سأبلها ببلالها))، فهو صلى الله عليه وآله وسلم وإن كان لا يملك لأحد من الله شيئاً ولا ضراً ولا نفعاً فإنه قد أوتي من الله الشفاعة، فإن ملكه الله نفع أقاربه وأمته كما سمعت بالشفاعة الخاصة والعامة فلا حجر على فضل الله، وهو حين وعد فوعده صدق وقد وعده الله بالعطية حتى يرضى، وقد تعجل كل نبي دعوته المستجابة واختبأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعوته المستجابة شفاعة لأمته كما في حديث الشيخين، لاطفه ربه فلم يناده باسمه بل: {يأيها الرسول}، {يأيها النبي} وتولى الإجابة عنه صلى الله عليه وآله وسلم {وما صاحبكم بمجنون}، {وما علَّمنَهُ الشعر وما ينبغي له}، {فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنونٍ}، أكرمه الله بالمنبر واللواء والحوض والكوثر والوسيلة والفضيلة والمقام المحمود والشفاعة العظمى وأول من يشفع من يمر على الصراط بأمته وأول من يدخل الجنة، تكفل الله تعالى بحفظه ورعايته وحفظ دينه وكتابه وسلامته من التحريف شأن من كان خاتماً للرسل وباقياً دينه، ولقد أعطاه الله تعالى المعجزات الكثيرة منها انشقاق القمر والإسراء والمعراج وإحياء الموتى وشفاء العاهات وتبديل الأخلاق والأعيان والصفات وتكليم الجمادات والبهائم، وشهادتها برسالته وطاعتها له وتكثير الطعام والشراب القليل ببركته ونبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته ونزول الغيث باستسقائه ودعائه واطلاعه على المغيبات كما أخبر بذلك في خطبة له طويلة رواها الشيخان، ولأن دينه هو رسالة

الله الأخيرة وحاجة البشرية كلها وجّه الله قلوب المسلمين إلى تتبع ما يصدر منه من حركة وسكون وأخذ ورد وعادة وعبادة وأقوال وأفعال، وكما قال الشافعي في مقدمة رسالته "جزاه الله عنا أفضل ما جزى مرسلاً عمّن أرسل إليه فإنه أنقذنا به من الهلكة وجعلنا في خير أمة أخرجت للناس، فلم تمس بنا نعمة ظهرت ولا بطنت نلنا بها حظاً في دين ودنيا أو دفع بها مكروه فيهما وفي واحد منهما إلا وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم القائد إلى خيرها والهادي إلى رشدها، قال ابن عباس: ما خلق الله نفساً أكرم عليه من محمد وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ}، فهذه منزلة ما نالها أحد من العالمين من الأزل إلى الأبد إلا سيد المرسلين، لا يؤمن أحد حتى يكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين، ومهما كتب الأولون والآخرون في خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم وفضائله ومزاياه وجميل خلقه يعجزوا عن استقصاء ما حباه به ربه، وحسبه صلى الله عليه وآله وسلم تعظيم العلي الأعلى لقدره صلى الله عليه وآله وسلم بما أثنى عليه في كتابه مما أفصح عن جميل ذكره وتعظيم أمره، وجعله أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم، وتحريم نكاح أزواجه من بعده، وحرم رفع الصوت فوق صوته، ونداءه من وراء الحجرات، وندائه باسمه، وأوجب إجابته في الصلاة على من دعاه، وأوجب تقديم الصدقة بين يدي نجواه، وجعله أحد ركني التوحيد، وقرن ذكره بذكره ومحبته بمحبته، وجعل طاعته منوطة بطاعته، وبيعته ببيعته صلى الله عليه وآله وسلم {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}، {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}، {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}، {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ}، ومما بلغ الذروة في تعظيم الله له صلى الله عليه وآله وسلم شهادة الله وملائكته، فقال الله تعالى: {لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}، وقال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} فمن لم يوقره صلى الله عليه وآله وسلم فإنه من الخاسرين الضالين، وللدلالة على فضله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه متبوع لا تابع وإن به يشرف الزمان والمكان وفاته بالمدينة ودفنه بها لينفرد بمحل مخصوص بعيد عن مكة فلا يكون قصد زيارته تابعاً لقصده، بل يكون قصده بالزيارة مستقلاً، روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه أنه قال: ((لما كان اليوم الذي دخل فيه صلى الله عليه وآله وسلم أضاء كل شيء فيها فلما كان اليوم الذي توفي فيه أظلم كل شيء فيها))، فنسأله تعالى أن يرزقنا الحب الكامل له تعالى ولنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأن يقينا من الزلات والعثرات،

[المفتاح السادس]: تأديب من لم يوقره صلى الله عليه وآله وسلم ومن ضرب به الأمثال:

في هذا الباب أذكر لك إجمالاً مما جاء في رسالة للسيوطي سماها " تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغنياء " سبب وضعها أنه سئل عن رجلين تخاصما فنسب أحدهما الآخر إلى رعي المعزى فأكبر الخصم ذلك فقال والد القائل: " ما من نبي إلا ورعى المعزى"، فبلغ الخبر قاضي القضاة المالكي فقال: لو رفع إليّ لضربته بالسياط، وقال السيوطي: هذا المستدل يعزر التعزيز البليغ لأنَّ مقام الأنبياء أجل من أن يضرب مثلاً، فاعترض عليه بعضهم وقال: لا ملام على القائل في قوله: ما من نبي إلا ورعى المعزى، قال السيوطي: فخشيت أن تتشرب قلوب العوام بهذا الكلام فيكثروا من استعماله في المجالات والخصام، فوضعت هذه الرسالة نصحاً للدين، وإرشاداً للمسلمين وقد ذكر في الرسالة نقولاً كثيرة، فنقل عن القاضي عياض في "الشفاء" أنه قال: "من لم يقصد نقصاً ولا ذكر عيباً ولا سباً ولكنه ينزع إلى ذكر بعض أوصافه صلى الله عليه وآله وسلم، أو يستشهد ببعض أحواله على طريقة ضرب المثل والحجة لنفسه أو لغيره أو على التشبيه به عند هضيمة نالته أو غضاضة لحقته ليس على سبيل التمثيل وعدم التوفير لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، أو قصد الهزل والتنظير كقوله: "إن كذبت فقد كذب الأنبياء أو إن أذنبت فقد أذنبوا أو صبرت صبر أيوب ونحو ذلك " قال: فإن هذه كلها وإن لم تتضمن سباً ولا قصد قائلها ازدراء وغضباً فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزّر حرمة الاصطفاء وحظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها أو معزة قصد الانتفاء منها أو ضرب مثلاً لتطبيب مجلسه أو إغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره وألزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا "إن درئ عن القتل " الأدب وقوة تعزيزه بحسب شنعة كلامه، ومقتضى قبح ما نطق به، ولم يزل المقتصدون ينكرون مثل هذا ممن جاء به، وقد أنكر الرشيد على أبي نواس قوله: (فإن يك باق سحر فرعون فيكم * فإن عصا موسى بكف خصيب) فقال له الرشيد: يا ابن اللخناء أنت المستهزئ بعصا موسى وأمر بإخراجه، ثم قال: وعلى هذا النهج جاءت فتيا مالك في رجل عير رجلاً بالفقر فقال: " تعيرني بالفقر وقد رعى رسول الله الغنم " فقال مالك: قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غير موضعه أرى أن يؤدب، قال عياض: (ولا ينبغي لأهل الذنوب إذا عوقبوا أن يقولوا قد أخطأت الأنبياء قبلنا، ونقل عن عمر بن عبد العزيز أنه قال لرجل: انظر لنا كاتباً يكون أبوه مسلماً، فقال: كاتب له: قد كان أبو رسول الله كافراً، فقال عمر: جعلت هذا مثلاً فعزله، ونقل عياض عن القابسي أنه لما سئل عن رجل قال لرجل قبيح: كأنه وجه نكير، ولرجل عبوس:

كأنه مالك الغضبان قال: في الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء، وإن قصد ذم الملك قتل ونقل عن القابسي أيضاً في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئاً فقال له الرجل: اسكت فإنك أُمي، فقال الشاب: أليس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمياً فشنع الناس عليه مقاله وكفروه وأشفق الشاب مما قال وأظهر الندم عليه فقال أبو الحسن القابسي: أما إطلاق الكفر عليه خطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكون النبي أمياً آية له، وكون هذا أمي نقيصة فيه وجهالة لكنه إذا استغفر وتاب فيترك لأن قوله لا ينتهي إلى حد القتل ولأن تطوعه بالندم يوجب الكف عنه، قال عياض: وأفتى شيخنا القاضي أبو محمد ابن منصور في رجل تنقصه آخر بشيء، فقال له: إنما تريد نقصي بقولك وأنا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأفتى بإطالة سجنه وشدة أدبه لم يقصد السب، وكان بعض الفقهاء بالأندلس أفتى بقتله) أهـ كلام القاضي عياض، وأضاف السيوطي: عن ابن ماجه أنّ أبا هريرة قال لرجل: " يا ابن أخي إذا حدثتك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً فلا تضرب له الأمثال، وكان الرجل قد عارضه بقياس من الرأي "، وعن تاج ابن السبكي: فانظر إلى قول الشافعي فلانة، ولم يبح باسم فاطمة، تأدباً معها رضي الله عنها أن يذكرها في هذا المعرض، وإن كان أبوها صلى الله عليه وآله وسلم قد ذكرها، ونقل عن الحافظ ابن حجر فتوى عما يأتي به بعض الوعاظ في مجالسهم الحافلة ما يذكر من شأنه صلى الله عليه وآله وسلم مما يثير في السامعين حزناً ورقة بحيث يبقى صلى الله عليه وآله وسلم في حيز من يرحم لا في حيز من يعظم كقولهم مثلاً (إن المراضع حضرن ولم يأخذنه لعدم ماله إلا حليمة رغبت في رضاعه شفقة عليه " ويقولون إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يرعى غنماً وينشدون: (بأغنامه سار الحبيب إلى المرعى * فيا حبذا راع فؤادي لم يرعَ)، وفيه " فما أحسن الأغنام وهو يسوقها "، وكثير من هذا المعنى المخل بالتعظيم فأجاب الحافظ: ينبغي لمن كان فطناً أن يحذف من الخبر ما يوهم في المخبر عنه نقصاً ولا يضره بذلك، قال وفي "الروض الأنف" للسهيلي بعد أن أورد حديث ((إنّ أبي وأباك في النار)) ما نصه: " ليس لنا أن نقول نحن هذا في أبويه صلى الله عليه وآله وسلم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات))، والله تعالى يقول: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا}، قال وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب "الصمت" عن مطرف قال: ليعظم جلال الله في صدوركم فلا تذكروه عند قول أحدكم للكلب: اللهم أخزه، وقال السيوطي: الأدب أن لا تضرب أحوال الأنبياء مثلاً لحال غيرهم، ثم ختم السيوطي كلامه بقوله: " ورعي الغنم لم يكن

صفة نقص في الزمن الأول لكن حدث العرف بخلافه،، فربَّ حرفة هي نقص في زمان دون زمان، وفي بلد دون بلد، ولمثل هذه المواطن لا يحتج فيها بأحوال الأنبياء خشية أن تخرج الكلمة فيها مخرج التنقيص " باختصار،

[المفتاح السابع]: ما لأموات المسلمين من إدراكات والقدرة على الدعاء والاستغفار:

ثبت بنصوص السنة وإجماع الأمة الحياة ولوازمها لأهل القبور حتى من المشركين كما في نداء قليب بدر فضلاً عن المؤمنين، فضلاً عن الأنبياء والصالحين والصديقين والشهداء، فضلاً عن سيد المرسلين، ودعوى الخصوصية لأهل قليب بدر بلا دليل، بل مع قيام الدليل على انتفائها غير مسموعة، وبتلك الحياة يحس الميت بالنعيم والعذاب، وقد تواتر ذلك تواتراً معنوياً، واتفق أهل السنة عليه وعلى أنه بالروح والجسد، وبتلك الحياة أيضاً يفعل الأموات ويسمعون ويبصرون ويتكلمون ويتزاورون فيما بينهم ويستبشرون بزيارتهم، ويعلم الميت من حمله ومن غسله، ومن دلاه من قبره كما في حديث أحمد، ويسمع قرع نعال المشيعين إذا انصرفوا، كما في حديث البخاري: ((إنَّ الميت إذا دفن وتولى عنه أصحابه يسمع قرع نعالهم))، وروى الخطيب وابن عساكر والبيهقي وابن أبي الدنيا: ((أن الميت يسر بزيارة قبره والجلوس عنده ورد السلام عليه)) كما روى البيهقي: ((حسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم))، وروى الديلمي: ((إن الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته)) أى يؤذيه ما يبلغه عن الأحياء، وفي الألفاظ الواردة في السلام على أهل القبور دلالة على ذلك نحو قول الزائر: " السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر " أخرجه الترمذي وحسنه، وما ورد في صحيح مسلم بلفظ: " السلام عليكم دار قوم مؤمنين،، " فلولا صحة سماع الميت لم يكن لهذا الخطاب معنى، وبالإجمال يعلم الأموات بأعمال الأحياء وأحوالهم ويتأذون بما يبلغه عنهم من سوء، ويدعون لفاعل الخير بالثبات، ولفاعل الشر بالهداية والرجوع إلى الطاعة، وفي كتاب "الروح" لابن القيم فصول فحواها "أنه قد تواترت الرؤى والروايات بأن لأهل القبور قدرة على التصرف بأقوى مما كانوا في الحياة لتجرد الروح عن عوائق البدن "، وفي "إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء " و" اللمعة في الأجوبة السبعة" المتعلقة بالأرواح و" تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك " وكلها للسيوطي ما فحواه: "إنه مقطوع للأنبياء بأنّ لهم ولسائر الموتى جميع الإدراكات كالعلم والسماع والبصر والقدرة على التصرف والترائي للأحباء "، وقد تواترت الأخبار بوقائع ترائية صلى الله عليه وآله وسلم يقظة ومناماً لكثير من الخاصة وحضوره في المجتمعات التي يريد "، ونقل السيوطي عن مؤلفات مختلفة نحو عشرين حالة استشهد بها لمن

رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقظة أو صلى معه أو صافحه أو ردّ عليه السلام أو حظى منه بالدعاء، أو تشرف بالحديث معه، أو اقتبس منه فوائد أو كلفه بقضاء أمر، أو شاهده يتصرف أو يغيث من استغاث به أو حظي بغير ذلك من العنايات"، وحياة الأنبياء كحياتهم في الدنيا بالجسد والروح بهيئتهم التي كانوا عليها قبل الوفاة، ولا يلزم من ذلك تشابه الأبدان في نوع ما تحتاج إليه من طعام وشراب وخروج فضلات، وقد ثبت في السنة حياتهم وأنهم طريون،كما ثبت صلاتهم في قبورهم، وكذلك حجهم، فقد أخرج مسلم عن أمس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أسري به مر بموسى عليه السلام وهو يصلي في قبره، وأخرج أبو يعلى في مسنده والبيهقي في كتاب "حياة الأنبياء" عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون))، وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن سعيد بن المسيب أنه قال: لقد رأيتني لياليِ الحرة وما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غيري وما يأتي وقت صلاة إلا سمعت الأذان من القبر، وقال أبو بكر البيهقي في كتاب "الاعتقاد": " الأنبياء بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء، وقد رأى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم جماعة منهم وأمهم في الصلاة وأخبر وخبره صدق أن صلاتنا معروضة عليه وأن سلامنا يبلغه، وأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء"، وفي رواية البراز بسند صحيح مرفوعاً: " حياتي خير لكم فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم تعرض علي أعمالكم فإن رأيت خيرا حمدت الله وإن رأيت شراً استغفرت لكم "، وقد وصف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم طائفة شاهدهم بصفات تستدعي جسداً حياَ كمشاهدتهم قائمين مصلين، ومشاهدة إبراهيم أشبه الناس به ومسنداً ظهره إلى البيت المعمور، ومشاهدته موسى آدم طوالاً كأنه من رجال شنوءة، ومشاهدته عيسى فوق الربعة ودون الطول عريض الصدر ظاهر الدم جعد الشعر تعلوه صهبة كأنه عروة بن مسعود الثقفي يقطر رأسه كأنما أخرج من ديماس، وكمشاهدته الأنبياء حاجين ملبين في الطريق بين مكة والمدينة واضع موسى أصبعيه في أذنيه وله جؤار بالتلبية، ورأى يونس على ناقة حمراء وعليه جبة صوف ملبياً، وإذا كان قدر الأنبياء والصالحين والشهداء والصديقين لم يسقط عند ربهم بانتقالهم من دار العمل والتكليف إلى دار الجزاء والتشريف، وثبت حياتهم بأكمل وجوهها بنصوص السنة وإجماع الأمة، ولهم قدرة على الدعاء والاستغفار والشفاعة عند مولاهم، فمن المكابرة إنكار ما تواتر من ظهورهم في صور متعددة لمن شاء الله أن يراهم أو يرونه، وقد ثبت في حديث المعراج وحضورهم إلى بيت المقدس للصلاة خلفه صلى الله عليه وآله وسلم واعلم أن عبادتهم في قبورهم لا يحصل

بها ثواب لانقطاع ثواب عمل الميت بالموت، وإنما يتنعمون بذكر الله وطاعته وعبادته كما يتنعم بذلك الملائكة، **وما يهوش به الوهابيون من نفي السماع عن الموتى** بقوله تعالى: {وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} يكفي في بيان سوء فهمهم لمعنى الآية ما ذكره ابن القيم فيها في كتاب "الروح" ص 40، فإنه قال: " سياق الآية يدل على أنّ المراد منها أنّ الكافر الميت القلب لا تقدر على إسماعه إسماعا ينتفع به كما أن من في القبور لا تقدر على إسماعهم إسماعا ينتفعون به ولم يرد سبحانه أن أصحاب القبور لا يسمعون شيئا البته،، إلخ، كلامه، وما قاله مطابق للسان العرب الذي نزل القرآن به فالمعنى ما أنت بمنقذ الكفار المعاندين لشبههم بأهل القبور من النجاة في قيام المانع من النجاة، فمانع من النجاة، فمانع نجاة الكفار هو الإصرار على الكفر ومانع أهل القبور هو فوات زمن التوبة، ومن جعل وجه الشبه هو السماع الحقيقي فقد استعجم لسانه لأن وجه الشبه لابد أن يتحقق في طرفي التشبيه وسماع الأحياء حساً ليس منفيا عنهم وجه الشبه فيهم لو كان المراد هو السماع الحقيقي،

[المفتاح الثامن]: ما زعم الوهابية أنه تعلق منكر برسول الله صلى الله عليه وسلم وشرك وإبطال ذلك:

[تمهيد]: اعلم أن المحدثين قد عنوا بجمع خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم وألفوا فيها كالسيوطي وغيره، بل لا يخلو كتاب من كتب الفقه المبسطة في جميع المذاهب من عقد باب خاص للخصائص، ويجعلون ذكر ذلك غالباً في كتاب النكاح لأن جزءا منها يتعلق بذلك، ومن الخصائص التي ذكرت ما صح سنده وما لم يصح ومنها ما اختلف فيه في الحكم بالصحة أو الضعف، والعلماء عادة يتسامحون في نقل ذلك لعدم تعلقها بالحلال والحرام ما دام ليس موضوعاً ولا فيه شيء من إثبات صفات الربوبية والألوهية إليه صلى الله عليه وآله وسلم ومن حكم بالصحة أو الضعف أو الرد بفرض خطئه في ذلك فإنه لا يوصف بأكثر من أنه أخطأ الحكم على الحديث صحة أو ضعفاً أورداً ولا علاقة لذلك للحكم بالكفر والضلال والشرك أو المبالغة في الإنكار والتهويش، وفي " فتاوي ابن تيمية " أمور في الخصائص لم يصح خبرها عنده ومع ذلك أوردها ولم ينقدها أسوة بالعلماء من التسامح فيما ينتقل في هذا الباب، ففي كتابه "دلائل النبوة " أورد آثاراً عن كتابه اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على العرش وعلى ما في الجنة من الأبواب والقباب والأوراق، وكذلك ابن الجوزي أورد في كتابه " وفاء الوفاء" أنه تعالى كتب على ساق العرش محمد رسول الله،وأنه تعالى خلق الجنة فكتب اسمه صلى الله عليه وآله وسلم على العرش، وعلى ما في الجنة من الأبواب والقباب والأوراق والخيام وآدم بين الروح والجسد، كما أورد أن آدم استشفع بعد الزلة برسول

صلى الله عليه وآله وسلم ولم ينقد شيئا من ذلك دليلاً على التسامح فيما ينقل في هذا الباب، وهكذا الفقهاء ذكروا خصائص دون تشديد في النقد، و لعل الوهابيين ينقدونهم ويصفون كتبهم بأنها كتب أساءت إلى الإسلام في عقيدته وشريعته كما في صـ 18في كتاب الحوار نقلا عن هيئة كبار العلماء في المملكة كما لقبوا، ومما ينبغي الإشارة إليه أنّ أدعياء السلف من المتطرفين يعتبرون كثيرا مما روي من خصائصه شركاً لما فيها من تعظيمه صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك لغلطهم في معنى العبادة والشرك كما شرحناه سابقاً، ولأنهم ينظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعين البشرية المحضة التي نعاها الله على المشركين حيث نظروا إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بنظرية البشرية المجردة فيهم دون ما يميزهم من الخصائص عن سائر البشر فقال قوم نوح: {فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا} وقال فرعون وقومه: {فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون} وقالت ثمود لصالح: {مآ أنت إلا بشر مثلنا}، وقال أصحاب الأيكة لشعيب: {قالوا إنما أنت من المسحرين * مآ أنت إلا بشر مثلنا}، وقال مشركو قريش في حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق}، ولنظرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعين البشرية المحضة استكثروا في حقه بعض ما وصف به من الخصائص فهوشوا بوصفه بها لا سيما في الألفاظ التي يوصف بها الخالق لأنهم لم يميزوا بين مدلولات الألفاظ ومعانيها حيث تطلق على الخالق ومعانيها ومدلولاتها حيث تطلق على الخلق وقد وضحنا ذلك في مبحث "من أسباب غلط الوهابيين في الحكم بالتكفير "، وقد سموا ذلك تعلقا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أطلقوا عليه أنه منكر وأنه شرك ووصفه صاحب الحوار ص14- 23- 29 أ نه شرك أعظم من شرك أقطاب المشركين، وسنسرد لك أيها المسلم هذا التعليق في فقرات ونعلق على كل فقرة بما يكشف ما فيه:

1 - إيراد مؤلف الذخائر نقولاً نثرية وشعرية فيها الاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاستجارة به ونداؤه لطلب الشفاعة منه وألفاظ تشعر بأن إليه الفزع والملاذ عند الكرب كما جعلوا من هذا القبيل إيراده قصيدة البكري (فلذ به من كل ما تشتكي * ولذ به كل من ما ترتجي * وحط أحمال الرجاء عنده فإنه المرجع والموئل) وكلمات من أمثال هذه الكلمات، وأقول: أنه لا خلاف بين المسلمين أن التصرف والغوث وقضاء الحوائج وتفريج الكربات وما اشبه ذلك هو لله وحده خلقاً وإيجاداً استقلالاً بقدرة كن، وما ينسب إلى العباد من تلك الألفاظ فهي نسبة مجازية، كما تقول: فلان فرج كربي وقضي حاجتي ولا تعني به حتي

عند اجهل جاهل أن فلاناً هو الفاعل، بل هو سبب من الأسباب يدعو الله فيستجيب له ويفعل ما طلب وهذا عطاء من الله 0 وقد وضحنا فيما سبق أن الألفاظ المشتركة لا تشتبه 0 وفي الحديث الصحيح القدسي: ((لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها))، فإذا طلب المسلم الغوث من الولي أو نسب إليه تصرفاً فلا يعني أن له استقلالاً بالنفع والضر كما هو شأن الرب المعبود وإنما يعني أنه سبب في ذلك العطاء من الله، ودعوى أن طلب الاستغاثة والاستعانة وأشباهها من غيره تعالى شرك فهي دعوى مبنية على غلط بينته في رقم (5) بعنوان غلط تصورهم لمعنى العبادة وأنها ليست اتيان العمل الذي يصلح للتعبد به كما توهموا بل العبادة إتيان العمل أو القول بنية العبادة لمن تتخذه ربا وهكذا كان مسلك المشركين، إنهم كانوا يأتون الأعمال التي تصلح للتعبد بها بنية العبادة لمن اتخذوه ربا وما خلا من نية العبادة لا يقال: إنه عبادة لله ولا لغيره، وقد سبق بيان أنه لا علاقة لقول المشركين {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفي} وقولهم: {هؤلاء شفعاؤنا عند الله} بما يطلبه المسلمون من الأنبياء والصالحين، ففرق بين من اتخذ من وجه إليه القول ربا ومن اعتقد أنه سبب وفرق بين جعل الشفاعة محتمة القبول عليه تعالى بمقتضى شراكتهم له في الربوبية ومن اعتقد أن قبولها بمحض فضل الله لكرامة عبده عنده، والغريب أن القوم يجيزون الاستغاثة والاستعانة بالأحياء بينما سبق بيان أن التفرقة بين الحي والميت وبين ما يقدر عليه وما لا يقدر عليه لامعنى لها لأن التوسل إنما يرجع إلى اعتقاد بقاء فضلهم ومقامهم عند الله حتى بعد موتهم، وكذلك قدرتهم على الدعاء حتى بعد الموت كما تقدم بيانه في فضل ما لأموات المسلمين من إدراكات وقدرة على الدعاء والاستغفار (المفتاح السابع)، وأما ما يقدر عليه وما لا يقدر عليه فهو إغراق في الخروج عن الجادة لأن أهل السنة يعتقدون أن غير الله لا يقدر على شيء استقلالا ولم يشذ عن ذلك إلا المعتزلة وأشباههم الذين قالوا بخلق العبد لأفعال نفسه الاختيارية، وسيدنا سليمان قد طلب من أتباعه إحضار عرش بلقيس من اليمن وهو أمر لا يقدر عليه عادة ولكنه بفضل الله ممكن، فما يرد من ألفاظ في باب الاستغاثة فإن كان الفاعل يعتقد في المستغاث به حيا أو ميتا نفعا أو ضرا استقلالا وتأثيرا دون الله فذلك هو الشرك وإلا فإن الأشياء تنسب إلى فاعلها حقيقة وإلى المنتسب فيها مجازا وقرائن الحال والمقام تبين مقاصد الكلام،

2- ومما أنكروه على كتاب " الذخائر": نقله الصلاة المعروفة اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تنحل بها العقد وتنفرج بها الكرب " ونقله كذلك لعبارة: " كل شيء به منوط إذ لولا

الواسطة لهلك الموسوط " ونقله صلاة الفاتح لما جاء فيها من قوله: " الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق " ونقله كذلك صلاة ابن مشيش لما فيه من قوله: (زج بي في بحار الأحدية وأنشلني من بحار التوحيد) وأقول: أما قوله: تنحل بها العقد وتنفرج بها الكرب 0 فقد بينا المراد بها في الفقرة الأولي من هذا الفصل، وأن قضاء الحوائج وتفريج الكربات إنما هي بالله، وأن نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي نسبة مجازية ولا تعني أنه الفاعل، بل هو سبب من الأسباب فارجع إلى ما كتب في الفقرة الأولى عما يتعلق بذلك 0 وأما عبارة: (كل شيء به منوط) فإنكارها سوء فهم لأنه لا يراد بها ألا أن من لم يحكم المبلغ عن الله في كل أموره هلك لأنه الواسطة إلى الله في التبليغ لا يتم الوصول إليه، وأما قول ابن مشيش: زج بي في بحار الأحدية وأنشلني من أوحال التوحيد، فهل التوحيد إلا اعتقاد أنه تعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، واستحقاقه العبادة فهو يسأل الله أن يرزقه التحقيق بمعرفة الأحدية كما يسأل أن يحميه تعالى وينقذه ما يعتري الكثيرين من أغلاط في شهودهم الأحدية فشطح من شطح بالقول بالوحدة والاتحاد، وأمثال ذلك مما يعتري طريق السالكين فيكشف الله لمن شاء حقيقة الأمر وينقذه مما خيل إليه أنه التوحيد، وما كان لابن منيع وأمثاله أن يتكلم في هذا الأمر وهو يجهل معنى السلوك وطريقه: {وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا}، وأنهم يحسنون فقط شتم أرباب الطرق، ولو سألوا كثيرا من الشعوب الإسلامية لعلموا أن الإسلام إنما دخل إلى بلادهم على يد هؤلاء ولأنهم بهذا الشتم بالتكفير والتشريك قد حولوا نيجريا بملايينها المسلمة إلى التحول عن الدولة وفتح ذراعها للخميني فمرحى للتنفير باقتحامهم ما لا يحسنون، وأما صلاة الفاتح فنصها: " اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق،والناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه حق قدره ومقداره العظيم "، وقد نسبها النبهاني كما نقله عن " مسالك الحنفاء في الصلاة على النبي المصطفي " للشهاب القسطلاني إلى الشيخ محمد شمس الدين البكري، وقد اعترض ابن منيع على ما جاء في الصيغة " الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق " وسماها صلاة الفاتح المغلق تهكما، والمعنى الذي جهله في هذه العبارة هو أن باب النبوة كان مغلقا قبل وجود الخلق ففتح بمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ كان أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث، وقد جاء في سنن الترمذي وغيره قيل: يا رسول متى وجبت لك النبوة؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد))، وصيغ الصلوات عليه صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة منها ما هو مأثور عنه صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها ما هو منقول عن الصحابة والتابعين، وكثير ممن نسبوا إلى

الولاية وأجمع كتاب للصيغ الواردة والمأثور وهو كتاب " سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين " للشيخ العارف يوسف النبهاني رحمه الله،

3- ومما أنكروه على كتاب " الذخائر ": إيراده لألفاظ تشعر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أوتي مقاليد السموات والأرض، وأنه أوتي علم الغيب حتى الروح والخمس التي اختص الله بها، وأقول اولا: مقاليد السموات والأرض للمفسرين في المراد بها روايات كثيرة وهي إن كانت بمعنى التصرف أو بمعنى مفاتيح خزائنها فكيف تصح دعوى أنه قد جعل صلى الله عليه وآله وسلم بذلك شريكا لله مادام الأمر إيتاء وعطاء، وكل ذلك لله إيجادا وملكا وتصرفا، وقد جاء في حديث أحمد وابن حبان والضياء عن جابر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((أوتيت مقاليد الدنيا))، كما روى ابن مردويه عن ابن عمر كما في " الدر المنثور " أنه صلى الله عليه وآله وسلم " قال: رأيت في غداتي هذه كأني أوتيت بالمقاليد والموازين، فأي منازعة للربوبية فيما أعطى والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ولا حظر عليه، وهب أن الأحاديث لم تصح عندكم فقصاري الأمر أن يقال إن ذلك غير ثابت لا يعتبر شركا ومنازعة للربوبية، إذ لم يدع أحد أن سواه تعالى يملك التصرف في شتى استقلالا بقدرة كن، وحتى حين يعطي فاعتقاد المسلمين أن خالق ومالك ومتصرف والمخلوق سبب فلا تتهور بتكفير المسلمين، ثانيا: علم الغيب: يجب التمييز فيه بين علم الله الذاتي وبين العلم بعد التعليم، فإذا أطلق على الخالق أنه يعلم الغيب وعلى المخلوق أنه يعلم _ وهناك فرق بين العلمين بما هو للخالق منه وما للمخلوق منه _ لم يشتبه عليه الأمر، فما كان غيبا عنا لا حجر على الله أن يعلمه لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومن شاء، والقائل عز وجل: {قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله} هو القائل تعالى: {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول} وهو القائل: {وإنه لذو علم لما علمنه} وهو القائل: {ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك}، وأحاديث إ خباره صلى الله عليه وآله وسلم بالمغيبات شهيرة وكثيرة ومنها ما ورد في أحاديث الشيخين وغيرهما عن عدد من الصحابة من خطبته صلى الله عليه وآله وسلم التي أخبر فيها بما هو كائن إلى يوم القيامة، وأنه قد سمي قادة الفتن إلى انتهاء الدنيا ما من قائد فتنة يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد سماه لهم باسمه واسم أبيه واسم أبيه وقبيلته، وفي حديث الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((فرأيته عز وجل وضع كفه بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديي فتجلى لي كل شيء وعرفت)) صححه البخاري وكثير من الأئمة، ومن حديث الترمذي أيضا عن ابن عباس: ((فعلمت ما في السموات والأرض))، وفي رواية:

((فعلمت ما بين المشرق والمغرب)) وقال تعالى: {وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين}، فهل كل ذلك مدون في اللوح أم لا، لتعلم أن ما أنكره ابن منيع على البوصيري في قوله: " ومن علومك علم اللوح والقلم " هو تهويش في غير محله مادام صلى الله عليه وآله وسلم بنص الحديث السابق قد علم ما في السموات والأرض، وعلم اللوح هو غير علم الله الأزلي يعلم ذلك من راجع كلام المفسرين عند قوله تعالى: {يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب} وحينئذ يعلم أن علم اللوح هو القضاء المعلق القابل للتغيير والتبديل، بخلاف علم الله الأزلي، فلا تبديل ولا تغيير فيه فلا مانع أن يكشف الله من اللوح ما شاء من الملائكة والرسل بل ومن الصالحين أيضا، ومهما أوتي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو سواه من علم الغيب فأين ذلك من علم لله ذاتي أزلي أبدي محيط غير مخلوق من علم للمخلوق حادث مكتسب بتعليم من الله محدود جائز الفناء أن يطرأ عليه التغير والتبديل، ثالثا: الروح: وفيه قوله تعالى: {قل الروح من أمر ربي}، وقد اختلف السلف في تفسير المراد بالروح إذ حكى ابن كثير في تفسيره أقوالاً في ذلك وحتى على تفسيرها بأن المسؤول عنه هو روح بني آدم وحقيقتها فليس في صيغة الجواب ما يمنع اطلاع الله نبيه على حقيقتها كما قاله الحافظ ابن حجر والحافظ في شرحيهما على البخاري في كتاب التفسير 0 وقال ابن كثير: (قد تكلم الناس في ماهية الروح وصنفوا في ذلك كتباً) اهـ 0 وممن ألف فيها ابن القيم 0 فهل العلماء الذين تكلموا وصنفوا فيها قد أتوا بما تستحيل معرفته على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو أن يتهمهم إنسان بأنهم تكلموا عنها رجماً بالغيب وهذا الاتهام لا يصدر من حاظ بعلقه، رابعاً: علم مفاتيح الغيب الخمس: وفيها قوله تعالى: {إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير}، وفي الحديث ((خمس لا يعلمهن إلا الله)) وذكر تلك الخمسة، وليست المغيبات محصورة في هذه الخمس وإنما خصت بالذكر لوقوع السؤال عنها ولأنها كثيراً ما تشتاق النفوس إلى العلم بها كما قال الآلوسي في تفسيره، فاستئثار الله بعلمهما لا يمنع أن يطلع الله بعض الخواص عليها فإن العلم غير الإعلام ولا سواء بين العلمين، فعلم الله ذاتي محيط وعلم من علمه الله دون ذلك ومكتسب، قال تعالى: {وبشروه بغلام عليم} وقد أخرج البخاري عن أنس أنه تعالى وكل بالرحم ملكا يقول: يارب نطفة، يارب علقة، يارب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقه قال أذكر أم أنثى، شقي أم سعيد في الرزق والأجل فكتب في بطن أمه فحينئذ يعلم بذلك الملك ومن شاء من خلقه، وبشر جبريل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن في بطن مارية

غلاما، قال وأمرني جبريل أن أسميه إبراهيم كما في الطبراني في الكبير وابن عساكر عن عبد الله بن عمر، وكذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم الفضل بأنها حامل بغلام كما أخرجه الخطيب وأبو نعيم في الدلائل فلما ولدته سماه عبد الله وهو عبد الله بن عباس، وكذلك أخبر أبو بكر عائشة الصديقة بأن ترد ما نحلها من ماله بالغابة، وقال: إنما هو أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله قالت عائشة: يا أبت إنما هي أسماء فمن الأخرى فقال ذو بطن بنت خارجة أراها جارية، وكذلك أمر الغيث فإنه إذا أمر تعالى بالغيث وسوقه إلى ما يشاء من الأماكن علمه الملائكة الموكلون به ومن يشاء من خلقه، أخرج البيهقي عن ابن عباس قال: أصابتنا سحابة فخرج علينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إن ملكا موكلا بالسحاب اخبرني أن يسوق السحاب إلى واد باليمن يقال له: ضريخ، فجاءنا راكب بعد ذلك فسألناه عن السحابة فأخبروه أنهم مطروا في ذلك اليوم، وللحديث شاهد مرسل عن بكر بن عبد الله المزني، ويوسف الصديق رضي الله عنه أخبر أهل مصر بالخصب سبع سنوات، ثم بالجدب سبع سنوات، ثم بعام بعد ذلك فيه الغوث، والمقصود من ذكر كل هذا أن استئثار الله بعلم الخمس وبالروح وبسائر المغيبات لا يتنافى مع إطلاع الله بعض خلقه على ما شاء من ذلك مثل ما اطلع،، ملك الرحم وملائكة الغيب وصفوة من عباده كما رويناه لك، ودلت الأحاديث على أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم أن وفاته بالمدينة كما كان يعلم موضع مصرع كل من قتل في بدر من المشركين،

4- ومما أنكروه على كتاب " الذخائر ": أنه قد نقل من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم وفضائله أنه يقطع أرض الجنة وأن الخلق ما خلقوا إلا لأجله، وأقول: **(أولا)**: إقطاع أرض الجنة: منقول عن السيوطي والقسطلاني والزرقاني والسبكي ونقله القاضي ابن العربي عن الغزالي وأقره، انظر المواهب اللدنية وشرحها للرزقاني، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بشر بعض الناس بدخول الجنة أو بشيء معين فيها وفي حديث أبي داود عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: {أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه}، وفي " الترغيب والترهيب " للمنذري، و" رياض الصالحين " للنووي، وكتاب " الروح " لابن القيم، الكثير من هذه البشارات، وما بشارته صلى الله عليه وآله وسلم في الحقيقة إلا تبليغ عن الله وعطاء منه تعالى، وبشارته صدق ووعده حق ولن يخزيه الله في وعد قطعه {يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا}، {ولسوف يعطيك ربك فترضى}، و ((لن يخزيك الله في أمتك " كما

في صحيح مسلم))، ومن الصريح في الإقطاع ما رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في الشعب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " يوضع للأنبياء منابر من يجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه قائما بين يدي ربي مخافة أن يبعث بي إلى الجنة وتبقى أمتي من بعدي فأقول: ((يارب أمتي أمتي، فيقول الله عز وجل: يا محمد ما تريد أن أصنع بأمتك فأقول: يارب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون، فمنهم من يدخل الجنة بشفاعتي، فما أزال أشفع حتى أعطي صكا برجال قد بعث بهم إلى النار وحتى أن مالكا خازن النار يقول: يا محمد ما تركت لغضب ربك من أمتك من نقمة، وهل لا يعني إعطاءه صكا برجال لإخراجهم من النار إنهم قد أعطوا أمكنة في الجنة بسببه عليه الصلاة والسلام، وفي هذه الحالة ألا يصح أن يقال أن رسول الله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أقطعهم أرضا في الجنة باعتباره المتسبب في إعطائهم إياها من الله كرامة لرسول الله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، **(ثانيا)**: الخلق ما خلقوا إلا لأجله: فقد عد العلماء ذلك من جملة خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم كالحافظ السيوطي والقسطلاني والزرقاني وغيرهم، أخرج الحاكم في مستدركه عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لما اقترف آدم الخطيئة قال: يارب بحق محمد لما غفرت لي، قال: كيف عرفت محمدا؟ قال لأنك لما خلقتني بيديك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله: محمدا رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك قال: صدقت يا آدم ولولا محمد ما خلقتك))، وأخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((أوحى الله إلى عيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب، فكتبت عليه لا إلا الله محمد رسول الله فسكن))، وروى ابن عساكر عن سلمان رضي الله عنه قال: ((هبط جبريل على النبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إن ربك يقول: إن كنت اتخذت إبراهيم خليلا فقد اتخذت حبيبا، وما خلقت خلقا أكرم على منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا))، حديث الحاكم عن ابن عمر بن الخطاب قال فيه الحاكم: هذا الحديث صحيح الاسناد، وقال الذهبي: هو موضوع، وأخرج الحديث البيهقي في " دلائله " الذي شرط ألا يخرج فيه الموضوعات، والذي قال فيه الذهبي " عليك به فإنه هدى ونور " وكذلك أخرج الحديث الطبراني في الصغير، وأبو نعيم في " دلائل النبوة " وابن عساكر وصحح الحديث السبكي في" شفاء السقام "، وذكره ابن تيمية في فتاويه وقال: " هذا الحديث يؤيد الذي قبله وهما

كالتفسير للاحاديث الصحيحة ونقل ابن كثير في بدايته هذا الحديث ولم يعترض عليه، أما حديث الحاكم عن ابن عباس فقال فيه الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد وقال الذهبي: اظنه موضوعا، وروى هذا الحديث محمد بن يوسف الشامي في " سيرته " وقال: رواه أبو الفتح في طبقات الأصفهانيين " والحاكم وصححه وأقره السبكي والبلقيني في فتاويه، قال: ورواه الديملي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((أتاني جبريل فقال: يا محمد إن الله يقول: لولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت النار))، ومن كل ما ذكر نرى أنه قد صحح أحاديث هذه الخصوصية على العموم الحاكم والسبكي والبلقيني والقسطلاني والزرقاني وأخرجهما البيهقي والطبراني وأبو نعيم وجعلهما ابن تيمية صالحة للاعتبار ورواها ابن كثير ولم يعترض عليها وكذلك نسبها الشامي في " سيرته " إلى أبي الشيخ والديملي، فحكم الذهبي عليها بالوضع ليس بأولى من رأي هؤلاء الذين صححوها والذين رووها، ثم بعد هذا كله لم الغضب وليس في الحديث انتزاع لحق من حقوق الربوبية أو الألوهية بل إنه تشهد شواهد كثيرة على أنه لا غرابة في خلق شيء لأجل البشر، فقال تعالى: {خلق لكم ما في الأرض جميعا}، {وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار}، فأثبت الله أن كل هذه قد خلقت لأجل البشر تكريما لهم، وقد وقع من نوع هذا التكريم لأفراد هذه الامة وغيرهم فالله سبحانه يغفر لهذا من أجل هذا، ويدفع العذاب عن أهل أرض بالصالحين وجاء في الأحاديث أن من عباده من لأجله يرزق أهل الأرض وينصرون على أعدائهم ويصرف بهم البلاء والغرق ويحفظ بهم الأرض، وبهم تقوم وبهم يمطر الناس، وفي كتاب " الترغيب والترهيب " للمنذري و" مجمع الزوائد " الشيء الكثير من هذه الأحاديث وأمثالها مع اعتقادنا الكامل بأنهم أسباب فقط أما الحقيقة فكل هذه الأمور بيد الله وهو فاعلها، وإزاء وجود هذه الأمور من أجل البعض فأي غرابة أن يقال: أن الكون خلق من أجل محمد، لا سيما وأنه قد قال بهذه الخصوصية له صلى الله عليه وآله وسلم رجال من أئمة هذه وحفاظها، وأخرجوا فيها أحاديث وصححها الكثير منهم وحاشا أن يقولوا ذلك عن هوى، وهب أن هؤلاء كلهم قد غلطوا في التصحيح، وأصاب الذهبي في الحكم عليها بالوضع، فلمنكر الخصوصية أن يقول: إن الحديث لم يصح عليها بالوضع، فلمنكر الخصوصية أن يقول: إن الحديث لم يصح فيها ولكن لا يصل الحال إلى أن يقال عن التمسك بها بناء على تصحيح الحديث من أئمة حفاظ أنه أتى ضلالا، واعتقد شركا ومنكرا طالما أن هذه الخصوصية لا تدل على أي مشاركة لله في صفاته أو استحقاقه للعبادة،

5- ومما أنكروه على كتاب " الذخائر " نقل مؤلفه عن طائفة من العلماء تفضيل ليلة مولده صلى الله عليه وآله وسلم على ليله القدر وتفضيل موضع دفنه على الكعبة والعرش، وأقول: تفضيل ليلة مولده على ليلة القدر: قال القسطلاني: المفاضلة هي بين ليلة القدر وبين ليلة المولد الحقيقة التي فيها لحظة ميلاده لا ليلة المولد المتكرره في كل عام، والمفاضلة مبينة على أن ليلة القدر كانت بطلب منه صلى الله عليه وآله وسلم لما رأى قصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار الأمم السابقة فأكرمه الله بليلة القدر، قال القسطلاني: ليلة مولده أفضل لأنها ليلة ظهوره وليلة القدر معطاه له، وما شرف بظهور ذاته أشرف مما شرف بما أعطي، ولأن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها وليلة المولد شرفت بظهوره فيها، ولأن ليلة القدر وقع التفضل بها على أمة محمد وليلة المولد وقع التفضل بها على عمت النعمة به جميع الخلائق وسائر الموجودات، وعلى كل الأحوال فهذا رأي معلل بحيثيات يحتمل الخطأ والصواب وذلك أمر لا يوجب تكفيرا ولا تضليلا إذ ليس فيه دعوى مشاركة الربوبية في شيء، وأما تفضيل موضع دفنه على الكعبة ففي " بدائع الفوائد " لابن القيم "قال ابن عقيل: سألني سائل أيما أفضل حجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الكعبة؟ فقلت: إن أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل وإن أردت وهو فيها فلا والله ولا العرش وحملته ولا جنة عدن ولا الأفلاك الدائرة لأن بالحجرة جسدا لو وزن بالكونين لرجح " ولم يعلق ابن القيم على الفتوي بشيء، وفي فتاوي ابن تيمية: " أما نفس محمد فما خلق الله خلقا أكرم عليه منه، وأما نفس التراب فليس أفضل من الكعبة ولا يعرف أحدمن العلماء فضل تراب القبر على الكعبة إلا عياض "، قلت: توفي عياض سنة 544، وتوفي ابن عقيل الحنبلي قبله في عام 513 وقد أقر عياض على أفضلية قبره صلى الله عليه وآله وسلم الخفاجي شارح الشفا وقال: بل أفضل من السموات والعرش والكعبة، وقد حكى عياض والباجي وابن عساكر على أن أفضل البقاع الموضع الذي ضم أعضاءه الكريمة حتى من الكعبة لحلوله فيه، بل نقل التاج السبكي عن ابن عقيل الحنبلي أنه أفضل من العرش وصرح الفاكهاني بتفضيله على السموات، بل قال البرماوي: " الحق أن مواضع أجساد الأنبياء وأرواحهم أشرف من كل ما سواها في الأرض والسماء "،، قال الزرقاني: أفضل تلك المواضع القبر الشريف بالإجماع وقال: واستشكله العز بن عبد السلام بأن معنى التفضل أن ثواب العمل في إحداهما أكثر من الآخر ... وموضع القبر الشريف لا يمكن العمل فيه لأن العمل فيه محرم وفيه عقاب شديد، ورد عليه تلميذه الشهاب القرافي بأن التفضيل للمجاورة والحلول وليست أسباب التفضيل محصورة في الثواب بل أسباب التفضيل كثيرة بينتها في كتابي " الفروق "، وقال التقي السبكي:

قد يكون التفضيل بكثرة الثواب، وقد يكون لأمر آخر وإن لم يكن عمل فإن القبر الشريف ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة وله عند الله من المحبة ولساكنه ما تقصر عنه العقول، فكيف لا يكون أفضل الأمكنة وأيضا فباعتبار ما قيل كل أحد يدفن في الموضع الذي خلق منه وقد تكون الأعمال مضاعفة فيه باعتبار حياته صلى الله عليه وآله وسلم به وأن أعماله مضاعفة فيه باعتبار حياته صلى الله عليه وآله وسلم به وأن أعماله مضاعفة أكثر من كل أحد، وقال السمهودي: والرحمات النازلة بذلك المحل يعم فيضها الأمة وهي غير متناهية لدوام ترقياته صلى الله عليه وآله وسلم فهو منبع الخيرات، قلت: تعليل عياض والباجي وابن عساكر لفضلها بحلوله صلى الله عليه وآله وسلم فيها، وكذلك تعليل القرافي لفضلها بالمجاورة والحلول، وكذلك تعليل السبكي لتفضيلها بما ينزل من الرحمة والرضوان على ساكن القبر، كل ذلك يدل على أن التفضيل إنما وقع لهذه البقعة لأن جسده صلى الله عليه وآله وسلم موجود فيها لا لنفس وعلى هذا فإنه لا خلاف بين هؤلاء وبين ما ذكره ابن عقيل وما ذكره ابن تيمية من تفضيل البقعة بوجوده صلى الله عليه وآله وسلم فيها، وأنها كما قال ابن عقيل بهذا الاعتبار لا يوازيها العرش ولا حملته ولا جنة عدن ولا الأفلاك الدائرة إلخ كلامه، اما التراب المجرد بدون وجوده صلى الله عليه وآله وسلم فيها فما أعتقد أن أحدا عناه، ولذا فإن الإنكار على هذا التفضيل مجرد تسرع بدون فهم المقصود لأن التفضيل باعتبار وجوده صلى الله عليه مسلم فيها يصبح إجماعا كما حكيناه عن الكل بما فيهم ابن عقيل وابن تيمية،

6- ومما أنكروه على كتاب " الذخائر " نقله قول البوصيري في الهمزية: (ليته خصني برؤية وجه.. زال عني كل من رآه العناء)، فقال ابن منيع: هذا كذب وباطل لأن قوما رأوه في حياته وما زال عنهم العناء ولا الكفر، وأقول: روى الترمذي وصححه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: " لا تمس النار مسلما رآني أو رأى من رآني "، و ياشيخ ابن منيع فرق بين من رآه صلى الله عليه وآله وسلم بعين المماثلة والمشاكلة التي حجب الله بها أكثر الأولين والآخرين كما حكى الله عن الكافرين: {وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق}، {ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون}، وبين من أشهد الله وجه الخصوصية فيه صلى الله عليه وآله وسلم فيعتقده ويحبه أشد المحبة ويؤمن به ويرتاح إليه ويطمئن قلبه به، ولقد أخبر الله عن الفريق المحجوب فقال: {وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون}، ثم لو تلا ابن منيع قوله تعالى: {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم} لعلم أي عناء زال عن المشركين من عذاب الاستئصال وسلامتهم من المسخ والقذف،

7- ومما أنكره ابن منيع على مؤلف " الذخائر " قوله: " لا حرج في مدحه صلى الله عليه وآله وسلم بما شاء المادح غير خصائص الربوبية والألوهية إليه، قلت: أمرنا الله بتعظيم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتوقيره ونهانا عن اعتقاد ما اعتقده النصارى في عيسى وهو أنه إله كما نهانا مثلا عن السجود له صلى الله عليه وآله وسلم، فمدحه صلى الله عليه وآله وسلم وبغير ما نهينا عنه هو فرد من أفراد تعظيمه صلى الله عليه وآله وسلم فالإنكار على مثل هذا لا وجه له إلا أن يكون الجفاء حفظنا الله تعالى منه،

8- ومما أنكروه على كتاب " الذخائر " نقله الإشادة بنعله صلى الله عليه وآله وسلم وآثاره والتبرك بشعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووضوئه وسؤره وملابسه وبصاقه، ولقد اعتنى العلماء بالبحث عن صفة نعاله صلى الله عليه وآله وسلم ولونها وجنسها وعددها وحاملها ومدحها والثناء عليها شعرا ونثرا فحقق مثال نعله ابن ايوي وابن عساكر وابن مرزوق والسيوطي والسخاوي والنتائي والعراقي وغيرهم، وممن مدحها أبو الحسن البلانسي، وإسماعيل بن سعد، والحافظ ابن الأبار القضاعي والبلنسي، والإمام أبو الخير محمد بن محمد الجزري وغيرهم كثيرون، وفي اشعارهم التوسل والتبرك بمثال نعله شغفهم حب من لبس النعال وألف الشهاب أحمد المغربي كتاب " فتح المتعال في مدح النعال " جمع فيه بعض المدائح، وحتى الفاكهاني الذي أشادوا بعلمه " لأنه غلط مثلهم في عد المولد بدعة "، فإنه في تر جمته في " الديباج المذهب " لابن فرحون: " أثناء رحلته إلى دمشق قصد زيارة نعل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي بدار الحديث الأشرفية فلما رأى النعل المكرم حسر عن رأسه وجعل يقبله ويمرغ وجهه عليه ودموعه تسيل وأنشد: (ولو قيل للمجنون ليلى ووصلها * تريد أم الدنيا وما في طواياها * لقال غبار من تراب نعالها أحب * إلى نفسي وأشفي لبلواها).. وللفاكهاني رحمه الله وغفر له مواقف محمودة في إجلال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقلنا منها كلامه في مواضع متفرقة من هذه الرسالة في مناسباتها شكر الله صنيعه وجزاه خيرا، ويحتار المرء في حملة ابن منيع الإشادة بالنعل الشريف، فلعله كان يستنكف مما عده الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود شرفا له من حمل نعله الشريف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان صاحب النعال والمشط والمكحلة وأدوات وضوئه يوقظه إذا نام ويستره إذا اغتسل ويلبسه نعله إذا أراد الخروج ويخلعها من قدميه إذا هم بالدخول، ويحمل له عصاه وسواكه وهذا شأن المحبين حقا بقلوبهم لا شقشقة لسان كمن قال في ص 40: من كتاب الحوار: " وكم نتمنى أن نكون

حظينا بصحبته صلى الله عليه وآله وسلم وبالاشتراك مع أصحابه والتزاحم معهم في تتبع آثاره والاستمتاع بأحاديثه ومجالسه ومخالطته "،

9- ومما أنكروه على كتاب "الذخائر " نقله إنه صلى الله عليه وآله وسلم حي في قبره يصلى ويحج ويصوم، وأن روحانيته حاضرة في كل مكان تشهد أماكن الخير، وأن أعمال أمته تعرض عليه بعد وفاته، وأحيلك في كل هذه الأمور إلى الفصل رقم (10) التي جاءت جميعها تحت عنوان: " ما لأموات المسلمين من إدراكات والقدرة على الدعاء والاستغفار والخروج من قبورهم " فارجع إليه لتدقق في دوافع إنكارهم لها وهو ثابت،

10- ومما أنكروه على كتاب "الذخائر": نقله طهارة فضلاته، وأن ظله لا يقع على الأرض، ولا رؤي له ظل في شمس ولا قمر لأنه كان نورا، وأنه كان إذا ابتسم في الليل أضاء البيت، وأن الغسل والتطيب يستحب لقراءة حديثه، قلت: طهارة فضلاته مذكور في " كشاف القناع " الذي عليه الحكم في محاكم المملكة، فقال: " النجس منا طاهر منه ويجوز أن يستشفي ببوله ودمه كما في الدار قطني وابن حبان وكانت الأرض تجتذب أثقاله " وما في السنة من شرب دمه وبوله مشهور، وكذلك ذكر في " كشاف القناع " خصوصية أنه لا ظل له صلى الله عليه وآله وسلم في شمس ولا قمر، وقد نقل عن ابن عقيل من كبار الحنابلة أن ذلك لأنه نوراني والظل نوع ظلمه، وعد في " كشاف القناع " أيضا كثيرا من خصائصه ومما ذكر منها أنه صلى الله عليه وآله وسلم عرض عليه الخلق كلهم من آدم إلى من بعده فعلم الأشياء كلها كما علم آدم أسماء كل شيء لحديث الديملي: " مثلث لي الدنيا بالماء والطين فعلمت الأشياء كلها كما علم آدم الأسماء كلها "، وعرض عليه أمته بأسرهم حتى رآهم لحديث الطبراني: " عرضت علي أمتي البارحة لدى هذه الحجرة أولها وآخرها صوروا لي بالماء والطين حتى إني لأعرف بالإنسان منهم من أحدكم بصاحبه " وعرض عليه ما هو كائن في أمته حتى تقوم الساعة "، وأما إضاءته ففي " الشفاء " قال أبو هريرة: ما رأيت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأن الشمس تجري في وجهه إذا ضحك يتلألأ في الجدر، وفي هذا المعنى عدة أحاديث، وأما استحباب الغسل والتطيب لقراءة حديثه قال ابن فرحون في ترجمة مالك: " كان مالك إذا جلس للفقه كيف كان، وإذا الجلوس للحديث اغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا وتعمم وقعد بخشوع وخضوع ووقار ويبخر المجلس بالعود من أوله فلا يزال يتبخر إلى فراغه تعظيما للحديث،

11- ومما أنكروه على كتاب "الذخائر ": أنه عذر من قبل القبر أو تمسح به إذا غلبت عليه محبة صاحبه، قلت: صاحب الحوار لم يراع الأمانة في النقل عن المالكي إذ اقتصر على هذا وحذف بقية كلام مؤلف " الذخائر " الذي أردف بذلك " أن الأمر على كل حال لا يخلو من كراهة "، وبقية الكلام على هذا البحث ستأتي في الفصل رقم (14) " نماذج من التصرفات في حق من عظم الله قدره " إذ في هذا الفصل موضوعات متعددة منها بحث فيما يتعلق بالقبور وزيارتها، فارجع إلى ذلك،

[المفتاح التاسع]: جرأة مشايخ الوهابية على مقامه صلى الله عليه وآله وسلم

: تقدم لك ما قاله العلماء في تأديب من جعل أحواله صلى الله عليه وآله وسلم مثلا، واعتبروا ذلك عدم توقير للنبوة وعدم تعظيم للرسالة ومراعاة حرمة الاصطفاء وحظوة الكرامة لمن عظم الله قدره وألزم توقيره وبره فما بالك بمن ينتقصه صلى الله عليه وآله وسلم في كلامه ويجرأ على مقامه بما لا يليق أن يوجه إلى ذي سلطان فضلا عن توجيهه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تضافر القوم على عدم توقير النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأقوالهم وتصرفاتهم واعتقدوا أن كل ما فيه إجلاله من قول أو فعل هو شرك وتأليه له صلى الله عليه وآله وسلم،

أ – فاسمع أيها المسلم الذي يعرف مكانة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ويغار عليها إلى ما قاله شيخ منهم في حقه صلى الله عليه وآله وسلم، **قال أبوبكر الجزائري** المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والمسجد النبوي في رسالة سماها " كمال الأمة في صلاح عقيدتها ": في ص (11) لما نقم على البكري قصيدته: ما أرسل الرحمن أو يرسل لما فيها من نداء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: " كيف ينادي من لا يسمع ولا يراه ولا يقدر على إعطائه أو إنجائه "، وفي ص (14) بعد ذكر قول أحد الصحابة: ليس لنا إلا إليك يا رسول الله فرارنا " قال: " ولو قال أحد هذه الجملة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكان كاذبا وكان قوله شركا وكفرا، اما كونه كاذبا فإن الخائف أو العطشان أو الجوعان ويرى اضطراره ويعلم شدة حاجته فيطلب منه أن يؤمنه أو يسبقه أو يطعمه أو يقضي حاجته.. وصاحب "الذخائر " لو جاع اليوم أو عطش أو خاف لا يفر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما يفر إلى غني أو قوي من الناس، وأما كونه شركا وكفرا فإن الفرار لا يكون إلا لمؤمن ان يقول: ليس لنا من نفر إليه إلا رسول الله؟ والجواب: لا لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التحق

بربه فلا يسمعنا ولا يرانا ولا يعرف عنا ولا يدعو الله لنا " أهـ، بهذه الجفوة التي يوجهها الرجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكلمات طائشة يستبعد بها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أثبتته السنة من إدراكات لعامة الموتى، فضلا عن الصالحين والرسل، فضلا عن سيد المرسلين كما هو موضح بفصل ما لأموات المسلمين من إدراكات لعامة الموتى، فضلا عن الصالحين والرسل، فضلا عن سيد المرسلين كما هو موضح بفصل ما لأموات المسلمين من إدراكات، فتعسا لهذا الذي يرسل الكلمات جزافا إلى نبي الأمة فيثير المسلمين على أدعياء السلفية وأمثاله من المتطرفين وعلى المدرسين والمناهج والكتب التي تحمل مبادئ الجفاء هذه، والمسارعة في التكفير والإقدام على عدم توقيره صلى الله عليه وآله وسلم بتوجيه مثل هذه الكلمات الكاذبة إلى مقامه صلى الله عليه وآله وسلم،

ب – واستمع أيها المسلم إلى شيخ آخر من مشايخ المتطرفين، ففي ص (91) من كتاب " الحوار " لمؤلفه ابن منيع عضو هيئة تمييز الأحكام الشرعية والمنسوب إلى عضوية كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، قال: " إذا كان التعلق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يزعم المالكي وأحزابه فهذا مما نبرأ إلى الله منه ونشهد على أنا نعتقد في من يتعلق برسوله الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا التعلق أنه مشرك بالله غيره وأن شركه أعظم من شرك أبي جهل وأبي لهب وأبي بن خلف " أهـ، يريد بالتعلق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاستعانة به ودعاؤه لطلب الشفاعة منه بعد موته وغير ذلك من أمور خصصنا لها في هذه الرسالة فصلا خاصا بعنوان " ما زعم الوهابية أنه تعلق منكر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإبطال ذلك " وقد سبق ذكره، وفي كتاب " الحوار " بالصفحات 31– 70 – 106– 123، يستعظم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يحضر مجالس الخير ويجعل ذلك من التخيلات والتوهمات والخرافات والإيمان بالأرواح الوهمية التي يزعم الدجاجلة أنها تغدو وتروح، وتأمر وتنهى وترضى وتغضب، ومن انسياق العواطف إلى متاهات وترهات وخرافات تندد بها العقول السليمة، واستنكر أن تعرض عليه أعمال أمته، ووصف القول بذلك أنه قول لم يقل به جهل وأبو لهب وأبي بن خلف وغيرهم من أئمة الكفر والشرك والطغيان، ويكفي تعليقا على هذا ما أثبته الشيخ ابن القيم في كتاب " الروح " " بأنه قد تواترت الرؤى والروايات بأن لأهل القبور قدرة على التصرف بأقوى مما كانوا في الحياة لتجرد الروح من عوائق البدن "، ولعل حضور الأنبياء والرسل والأموات إلى بيت المقدس للاجتماع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم والائتمام به ليلة الإسراء هو من الترهات والخرافات عند ابن منيع، أم لعلهم حين ظهروا

في صورة أنس كما سيأتيك من كلامهم عند بحث زيارة القبور، أما إن كان ظهورهم صحيحا عند ابن منيع وأمثاله فلماذا استكثر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خروجه من قبره وحضوره مجالس الخير؟ وفي الصفحات 75- 76: من كتاب " الحوار " حين قال المالكي: " كم للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فوائد نبوية وإمدادات محمدية "، وحين قال: يسجد القلم في محراب البيان عاجزا عن مقدار آثارها ومظاهر أنوارها "، فعلق ابن منيع على هذا الكلام بقوله: "لا ندري ما مقصود المالكي بالإمدادات المحمدية، ولعلها نتيجة اعتقاده أن له مقاليد السموات والأرض، وأن له حق الإقطاع في الجنة، وأن من جوده الدنيا وضرتها ومن علومه علم اللوح والقلم، وأن الخلق خلقوا لأجله إلى غير ذلك من عبارات الغلو والإطراء والتنطع والتشدق والتفيهق، فهل يريد من صلواته عليه مددا محمدا لا مددا إلهيا، إننا لا نستطيع تصور الشرك بالله إذا لم يكن هذا الاتجاه من المالكي وأحزابه أبشع ألوانه وأظهر مثال له، وعلق ابن منيع في ص (76) على سجود القلم عاجزا بقوله " وهذه أيضا من عبارات الغلو والإطراء والتنطع والإفراط فما هذه الأنوار التي يسجد لها القلم "؟ قلت: لا نستغرب أن يتصور ابن منيع وأمثاله الشرك بمفهومه الخاطئ في التفرقة بين ما هو شرك وما ليس منه، ففي ذكره إمدادات محمدية وإمدادات إلهية، وهو لم يفرق بين معاني الألفاظ ومدلولاتها حين تطلق على الخلق بما يناسب مقام المخلوق، حين تكون نسبتها إلى الخلق من باب المجاز العقلي كالمدد مثلا، فأي شرك ممن ادعى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مددا محمدا وكأن المعترض نسي أو تناسى ما في السنة من تأثيره صلى الله عليه وآله وسلم بمجرد توجيه نظره إلى شخص كقصة فضالة بن عمير الذي تربص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة ليقتله فلما وضع يده على صدره سكن قلبه وتحول بغضه إلى حب، وكأنه نسي ما فعله صلى الله عليه وآله وسلم بأبي هريرة حين شكى إليه نسيان ما يحفظه فحثى له في ردائه حثيات وأمره بضمه إليه ما نسي بعد ذلك شيئا وأمثال هذا في السنة كثير، وحتى الجهال يفرقون بين هذا المدد وبين المدد المنسوب إلى الله فالأول تسبب والثاني خلق وإيجاد، أما عن مظاهر الأنوار في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكأن المنتقد لذلك لم يتل قوله تعالى: {هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور}، وأن الله قد ضاعف ثواب من يصلي عليه صلى الله عليه وآله وسلم فيصل الله بها عشرا عليه، وعلى هذا فإن صلاة المسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إخراج له من الظلمات إلى النور بنص الآية، فلعلك بهذا قد علمت مظاهر الانوار في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولعل الذي حجبك

عن وعي ذلك ما غلب على قلبك من استكثار لكل ما يتعلق به صلى الله عليه وآله وسلم دون روية أو تدبر،

[المفتاح العاشر]: حد التعظيم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي زعموا أنه لا يجوز تجاوزه:

في ص (33) من كتاب "الحوار " قال ابن منيع: " أنه سيمهد لرده على المالكي ما يعتقده في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يجب عدم تجاوزه لئلا نكون في مسار أهل الكتاب ممن غلوا في أنبيائهم ورسلهم حتى جعلوا آلهة يعبدون مع الله، فلما تكلم في ص (38- 39) عما يجب له وما له من خصائص ومقامات أوجز فذكر فقط وجوب طاعته ومحبته والصلاة عليه والدعاء له بالوسيلة والفضيلة والمقام المحمود، أما حين ذكر بشريته وما يصيب سائر البشر وأنه لا يغني عن نفسه ولاعن أحد شيئا بسط القول وساق في ذلك ما يروقه من آيات وأحاديث وردد حتى مانعاه الله تعالى على مشركي قريش: {مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق}، فقال في ص (35) " إن ما نعتقده في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أنه لا يعلم الغيب، ولا يملك لنفسه نفعا ولا خيرا إلا ما شاء الله وأنه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، وأنه لم يكن بدعا من الرسل، وأنه لا يدري ما يفعل به ولا ما يفعل بنا، وأنه بشر مثلنا أرسله الله إلينا،، وأنه عبد الله ورسوله يناله من الطباع البشرية ما ينال بني جنسه، وفي ص (36 – 37) قال: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرف قدر نفسه تجاه ربه إذ قال ((اجعلتني لله ندا)) لمن قال: " ما شاء الله وشئت "، وأنه نزل عليه {ليس لك من الامر شيء} لما قال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وانه لما نزل عليه {وأنذر عشيرتك الأقربين} قال: يا معشر قريش إني لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية لا أغني عنك من الله شيئا ... يا فاطمة لا أغني عنك من الله شيئا ... يا فاطمة لا أغني عنك من الله شيئا، وأنزل عليه في أبي طالب: _ {ما كان للنبي والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى} وقوله: {إنك لا تهدي من أحببت} ... ولما قال له أحدهم: " يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا " قال للناس: ((قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله، وما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل))، ثم أورد ما في الصحيحين: ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله فقولوا: عبد الله ورسوله))، ثم في ص (38): قال: إن رسول الله كان حريصا على حماية جناب التوحيد وعلى أن ننزله منزلته التي أنزله الله بها فلا غلو ولا تنطع ولا إطراء ولا إفراط "،

[مناقشة ابن منيع]: ونقول وبالله التوفيق: " إنا نؤمن بما جاء في كتاب ربنا وبسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، نؤمن بذلك كله وقد أجملنا لك في الفصل رقم (8) بعض ما خصه تعالى به صلى الله عليه وآله وسلم من مقامات الاصطفاء، وما لاطفه به ربه وأوجب من تعظيمه وتوقيره من كل ما هو ثابت في الكتاب والسنة، ونلفت نظرك ايها المسلم إلى تركيز ابن منيع على ما ورد من بشريته وما يصيبه مثل سائر البشر من أعراض وأنه لا يغني عن أحد شيئا، وأنه ليس له من الأمر شيء، وأنه لا يدري ما يفعل به وبنا، وأنه لا يعلم الغيب، وأنه لا يملك لرحمه شيئا وإيهامه ان تجاوز تلك الأوصاف التي ذكرها هو سير في مسار أهل الكتاب ممن غلوا في انبيائهم ورسلهم جعلوهم آلهة تعبد مع الله كما عبر وختمه بعبارته بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان حريصا على أن ننزله منزلته التي أنزله الله بها فلا غلو ولا تنطع وإطراء ولا إفراط، وجعل من الأدلة على مدعاه في عدم التجاوز عن ذلك: ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله))، رغم أنه من الواضح ان النهي وارد في الإطراء الذي اطرته النصارى بحق عيسى وهو نسبتهم للألوهية إليه، فأرشد النبي صلى الله عليه وآله وسلم امته إلى أنه ليس إلها وإنما عبد الله ورسوله، نعمت العبودية لله فأي علاقة للحديث في منع مدحه صلى الله عليه وآله وسلم إذا لم يصل المدح إلى وصفه بصفات الربوبية، وكذلك جعل ابن منيع من الأدلة على مدعاه في عدم تجاوز ما ذكره قوله صلى الله عليه وآله وسلم: " لمن قال له يا خيرنا وابن خيرنا ويا سيدنا وابن سيدنا،: ((قولوا: بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان انا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي انزلني الله عز وجل))، وغاب على المستدل انه في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((قولوا بقولكم)) إقرار منه صلى الله عليه وآله وسلم لما مدحوه به، ثم في الوقت نفسه حذرهم ان لا ينسوا عبوديته لله فلا يصلون في مدحه إلى رفعه عن منزلته باعتقاد أن له شيئا من صفات الربوبية، ومهلا يا رجل حين سردت بدون روية: {وما أدري ما يفعل بي ولا بكم}، {قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب}، {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله}، {قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا}، فلماذا لم تسرد مع ذلك ما ورد من وعد الله لرسوله الكرامة ووعده بإرضائه في أمته ولا يخزيه فيها، وقول رسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن لي رحماً سأبلها ببلالها))، وإخراج بعض من دخل النار بشفاعته فانتفع بكل ذلك أمته وذوو رحمه فإن ملكه ربه تعالى نفع أمته وأقاربه كما سمعت بالشفاعة الخاصة والعامة فهل تملك أنت الحجر على ربك ألا يعطيه، ثم أليس هذا العطاء مما يشمله قوله تعالى: {إلا ما شاء الله}،

وما قولك في إخباره بالمغيبات الواردة في أحاديث كثيرة، وهل يشتبه ذلك بعلم الله للغيب وإعلام الله لرسوله ببعض ذلك، فإياك يا رجل من التمسك بعموميات الكتاب، والإعراض عن صرائح السنة فذلك ليس من ديدن أهل السنة،،انه ليس بعد الحق إلا الضلال، ومعذور هو لما شبه عليه حين استكثر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعض ما وصف به صلى الله عليه وآله وسلم من الخصائص، واستعظم ما حباه به ربه لأنه نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعين البشرية المحضة، لم يحقق حقيقة معانى الألفاظ التي جاءت في أشعار المادحين وزعم أنها وصف له ببعض صفات الألوهية والربوبية، ورفع له عن مقامه بالنسبة إلى ربه لما جهل أن اللفظ يطلق على الله خلقاً وايجاداً، وقد يطلق على سواه تسبباً بالدعاء والشفاعة كما سبق إيضاحه، ولما خيل إليه أن كل تعظيم له صلى الله عليه وآله وسلم وتوقير هو غلو وتنطع وإطراء وإفراط بوهم أن ذلك حماية لجناب التوحيد، وما عقل أن الأمر بتعظيمه صلى الله عليه وآله وسلم وتوقيره كان أدرى بما يؤدي إليه ذلك التعظيم فلا ضير في تعظيمه بما لم ننه عنه، وعدا وصفه بصفات الربوبية والألوهية، ومن فرق بين مدلولات الألفاظ حين تنسب إلى الخالق، ومدلولاتها حين تنسب إلى المخلوق وأحسن الظن بالمسلمين عرف كيف يحسن الأدب معه صلى الله عليه وآله وسلم ولم يسارع إلى تكفير المسلمين، أما ادعاء أن الغيرة على التوحيد التي زعموا أنها دفعتهم إلى موقفهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي حكيناه فسبب الدعوى هو غلطهم في فهم العبادة والشرك كما وضحناه من قبل في أكثر من موضع، وانسياقاً وراء الفهم الخاطئ ورغبة ملحة في تثبيت هذه المبادئ في قلوب الجهلة وتنفيراً لهم من تعظيمه صلى الله عليه وآله وسلم بما يخيل إليهم أنه الشرك صور لهم ابن منيع في حواره ص (26 – 77 – 123) أن مما قيل في مدحه صلى الله عليه وآله وسلم هو وصف له صلى الله عليه وآله وسلم على حد تعبيره (بالتفرد بكمال الجلال والتقديس والتفرد بالعبادة وجعله صمداً شريكاً له تعالى في الملكوت والخلق والملك والتدبير والسلطة الكاملة والهيمنة الشاملة والقدرة والعلم المحيط والنفع والضر والمنع والعطاء، واعتباره صلى الله عليه وآله وسلم ملجاً وملاذاً مما هو محض حق لا يصلح لأحد غيره تعالى وأن ذلك شرك لم يقل به أبو جهل وأبو لهب وأبي بن خلف وغيرهم من أئمة الكفر والشرك والطغيان 000 إلخ أوهامه وتخيلاته)، وقد وقع بهذا الكلام ما بين الاختلاف على المسلمين وبين سوء الفهم فليس في المسلمين بحمد الله من يزعم أن لرسول الله صلى عليه وسلم مقام الربوبية والألوهية، والتفرد بكمال الجلال والتقديس، والتفرد بالعبادة وجعله صمداً شريكاً له تعالى في الملكوت والخلق

والملك والتدبير والسلطة الكاملة والهيمنة الشاملة والقدرة الذاتية والعلم الذاتي المحيط، وكل ذلك اختلافات على المسلمين وتنفير عن توقيره صلى الله عليه وآله وسلم، وأما المنع والعطاء والنفع والضر وعلى العموم التصرف وقضاء الحوائج فذلك كله لله استقلالاً بقدرة كن، وأما ما ظهر على يده صلى الله عليه وآله وسلم كشفاء العاهات وتبديل الأخلاق بلمسة، وتبديل الأعيان كانقلاب العود سيفاً، وتبديل الصفات وتكليم الجمادات والبهائم وشهادتها برسالته وطاعتها له وتكثير الطعام والشراب القليل ونبع الماء من بين أصابعه وتكثيره وانشقاق القمر فإنه وإن بدا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو فاعل ذلك فالمسلمون بحمد الله يعتقدون أن فاعل ذلك فالمسلمون بحمد الله يعتقدون أن فاعل ذلك كله هو الله، وأما الرسول صلى الله عليه وآله وسلم متسبب فيها ليس إلا وقعت ببركته كما قال تعالى: {وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى}، ومثل ذلك من طلب منه صلى الله عليه وآله وسلم قضاء الحوائج، وطلب منه الشفاعة فالمقصد في قلوب المسلمين حتى العوام هو أن يتسبب في قضاء الله لحاجته بشفاعته ودعائه وما نسبتها إليه صلى الله عليه وآله وسلم إلا من قبيل الإسناد المجازي كما وضحناه في أكثر من موضع، ومثل ذلك ما يصدر من بعض الناس من كلمات الملجأ والملاذ والرجاء والمفزع وأشباه ذلك فقد بينا في مبحث (أسباب غلط الوهابيين في الحكم بالتكفير) أن اعتقاد المسلم أن الملجأ والملاذ والمفزع وتحقيق الطلب والمدد كلها إلى الله خلقاً وإيجاداً وأصالة وما نسبتها إلى مخلوق ممن أكرمه الله بحصول الحاجات على يده إلا أنه المتسبب في قضائها بدعائه لربه وشفاعته عنده 0 وهكذا أكثر الألفاظ التي جاءت في قصائد المادحين كالبردة فهي من هذا الباب وليس مقصود القائل لها مشاركة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لربه في صفاته بل أطلقوها عليه صلى الله عليه وآله وسلم بما يناسب البشرية من كونها محدودة ومكتسبة فلا يرفعه وصفه بها إلى مقام الألوهية ولا تكون نسبتها إلى الخلوق شركاً بالله كما توهم الوهابيين، فأين الخالق من السبب، وأين صاحب العلم الذاتي المحيط من علم من علمه الله ما شاء، وقد علقنا على ذلك فيما مضى (ما زعموا أنه تعلق منكر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)، ولذا كان الإطراء الممنوع عند علماء السواد الأعظم من المسلمين هو خلع صفات الربوبية والإلهية عليه صلى الله عليه وآله وسلم باعتقاد أن له شيئاً من ذلك، بل هو عبدالله المصطفي برسالته، المحبوب من ربه وليس إلهاً كما اعتقده النصارى في عيسى ابن مريم عليهما السلام، ومرة أخرى أوضح أن (من ميز بين معاني الألفاظ ومدلولاتها حين تطلق على الله خلقاً وإيجاداً وبين معانيها ومدلولاتها حين تطلق على الخلق مجازاً عقلياً باعتبار أنهم سبب في حدوثها بدعائهم وشفاعتهم)

أراح وارتاح، ولكن القوم لغلطهم في معنى العبادة حملوا كل تعظيم وتوقير يصدر من المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأقوال والأفعال أنه شرك أو ذريعة إلى الشرك حتى قال أحد كبارهم: " من ارتكب شيئا من الأمور الشركية فهو مشرك وإن سمي ذلك توسلا وتشفعا " ص (103) من " الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية "، يريد بالأمور الشركية إتيان الأعمال التي تصلح للتعبد بها كالدعاء والذبح والنذر والاستغاثة والتعظيم، **ولو عقل المفتي أن العبادة هي إتيان أو القول بنية العبادة لمن يعتقد له ربوبية، أو خصائصها من تأثير بقدرة كن بالمنع والضر والإعطاء والنفع، أو نفوذ شفاعة عليه تعالى بمقتضى شراكته لله في ربوبيته لما أدخل في مسمى العبادة ما يفعله السواد الأعظم من المسلمين من توسل واستغاثة واستشفاع وتعظيم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأشباه ذلك، ولفرق بين من يعتقد فيمن يدعونهم أنهم أرباب ومن يعتقد أنهم أسباب**، ومن رسخ في قلبه أن كل تصرف يصدر من المسلمين بقصد إجلاله صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيمه هو من الشرك أو ذريعة له، ونفر اتباعه الجهلة من تعظيمه وتوقيره صلى الله عليه وآله وسلم بما صور لهم أنه من الشرك أو ذريعة له،، فأنى يصح زعمه بصفحة (40) من كتاب الحوار "أنه مشرب بحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه يتمنى أن يكون من قد حظي بصحبته وبالاشتراك مع أصحابه والتزاحم معهم في تتبع آثاره "، وفي الفصل التالي إشارات إلى تصرفاتهم بحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعباد الله الصالحين، ونسأله تعالى أن يلهمنا تعظيم من عظمه الله،

[المفتاح الحادي عشر]: نماذج من التصرفات الوهابية في حق من عظم الله قدره:

نذكر في هذا الفصل نماذج من التصرفات الوهابية في حق من عظم الله قدره، وستلمس فيها أن كل ما فيها أن كل ما فيها إجلاله صلى الله عليه وآله وسلم من قول أو فعل هو شرك وعبادة له صلى الله عليه وآله وسلم وتأليه أو بدعة شنيعة،بل ستلمس أنهم يبغضون زيارته صلى الله عليه وآله وسلم وزيارة القبور مطلقا، ونسلسل بعض هذه التصرفات كما يلي:

أ – الخوض في مصير الأبوين ومصير أجداده وأقاربه: يكثر القوم من الخوض في عدم نجاة الأبوين وطبع ما ألف في ذلك كرسالة القاري عفا الله عنه الذي نسب عدم النجاة إلى كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة، وفي كتاب " النهضة الإصلاحية " لمؤلفه المرحوم مصطفي سيف الحمامي نفي لهذه النسبة وقال: إن هذه المسألة ليست موجوده في الفقه الأكبر، ثم لماذا إكثارهم من الخوض في ذلك كأن المسألة من العقائد الواجب اعتقادها على المسلم بينما ليس على المسلم

شيء لو مات جاهلا مصيرهما أو معتقدا نجاتهما بفرض أنه أخطأ، وما ورد من حديث في ذلك لم يوجب ولم يندب الخوض في ذلك، فما بقي بعد هذا إلا أن اتخاذ القول فيه مضغة تلوكها الألسن، لا يقدم عليه إلا من انطوى قلبه عن عدم المبالاة بأذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسوء الأدب معه، وفي رسالة السيوطي " تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء "، ان الشافعي قال: " قطع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرأة تكلم فيها فقال: " لو سرقت فلانة " لامرأة شريفة لقطعت يدها، قال تاج الدين السبكي: فانظر إلى قول الشافعي فلانة ولم يبح باسم فاطمة تأدبا معها رضي الله عنهما أن يذكرها في هذا المعرض وإن كان أبوها صلى الله عليه وآله وسلم قد ذكرها "، ونقل السيوطي في رسالته عن عياض أن عمر بن عبد العزيز قال لرجل: انظر لنا كاتبا يكون أبوه عربيا فقال كاتب له: قد كان أبو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كافرا قال عمر: " وجعلت هذا مثلا " فعزله، وفي " ذخائر العقبي " لمحب الدين الطبري عن ابي هريرة قال: جاءت سبيعة بنت أبي لهب رضي الله عنها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله، إن الناس يقولون أنت بنت حطب النار فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مغضب فقال: ((ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي، ومن آذى قرابتي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله))، وفي " الروض الأنف " للسهيلي بعد أن أورد حديث: ((إن أبي وأباك في النار))، ما نصه: " ليس لنا أن نقول نحن هذا في أبوية صلى الله عليه وآله وسلم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات)) والله تعالى يقول: {إن الذين يؤذون الله ورسوله}، وقد سئل القاضي ابن العربي عمن قال إنهما في النار فأجاب بأنه ملعون لقوله تعالى: {إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والأخرة}، وقد أكثر القوم في الخوض في مصير أجداده وأقاربه ففي " مجموعة التوحيد " ص 26 " باب قول الله تعالى "إنك لا تهدي من أحببت " ذكر حضوره صلى الله عليه وآله وسلم عند أبي طالب في مرض موته وأن القصة رد على من زعم إسلام عبد المطلب وإسلام أبي طالب "، قلت: وقول أبي طالب أموت على ملة عبد المطلب ليس دليلا على مساواتهما في الحكم بعدم النجاة إذ الفرق واضح بين من أدرك البعثة ومن مات في الفترة، ومجال القول ذو وسعة لو اتسع له المجال،

ب – تذمرهم من اتخاذ الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وردا وطعنهم في الكتب المؤلفة فيها: يضيق القوم ذرعا ممن يتخذون الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم وردا، ويظهر ذلك في فلتات السنتهم فانظر " الدرر السنية " ج1 ص 41 انكر قائل منهم

حرق دلائل الخيرات، أو أنه ينهى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأي لفظ كان ولكنه فقط ينصح اتباعه أن لا يصير في قلبه أجل من كتاب الله وأن لا يظن القراءة فيه أفضل من قراءة القرآن "، وحاشا للمسلمين أن يكون فيهم من يفضل كتب الصلوات على كتاب الله، وانظر " الهدية السنية والتحفة الوهابية " ص 40 قال قائل منهم: (ولا نأمر بإتلاف شيء من المؤلفات أصلا إلا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك كروض الرياحين، أو ما يحصل بسببه خلل في العقائد كعلم المنطق ... وكالدلائل "، وهكذا ناقض بعضهم بعضا في حرقها أو عدم حرقها.. وكتاب " الدلائل " الذي أحرقوه ومنعوا الناس من قراءته والمكتبات من توريده ووصفوه بتلك الأوصاف الشنيعة.. هو كتاب يشتمل على صيغ من الصلوات على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أجل وأجمع الكتب المشتملة على ذلك وأكثر الصيغ فيه مأثورة، وإذ وجدت روايات في بعضها ضعف فلا يضيره ذلك عملا بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ويجبرها أحاديث فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أجل وأجمع الكتب المشتملة على ذلك وأكثر الصيغ فيه مأثورة، وإذ وجدت روايات في بعضها ضعف فلا يضره ذلك بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ويجبرها أحاديث فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد وضع لهذا الكتاب القبول لدى المسلمين شرقا وغربا عامة وعلماء منذ خمسمائة عام ونيف، وأما مؤلفه الذي طعنوا فيه والذي قالوا لا يعرف فهو الشريف الحسين محمد بن سليمان الجزولي الفقيه الصالح المتوفي سنة 870 وهو مترجم له في " ذيل ديباج " ابن فرحون وغيره، وفي حديث أحمد: ((يا معشر من آمن لسانه ولما يؤمن قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين ولا عثراتهم فإن من تتبع عثرات المسلمين تتبع الله عثرته، ومن تتبع الله عثرته يفضحه ولو في جوف بيته))، وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في الأنساب والنياحة على الميت))، وتكفير أهل القبلة هو شنشنة الخوارج، وفي رسالة موجهة إلى أهل مكة في الفتح السعودي الأول قال صاحبها: " وأما التوسل وهو أن يقول القائل: اللهم إني أتوسل إليك بجاه نبيك ... فهذا من أقسام البدع المذمومة كرفع الصوت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الآذان "، وقد أبطل الإمام المحقق المرحوم الشيخ يوسف الدجوي المتوفي سنة 1376 في مجلة الأزهر ما زعموا من بدعية الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الأذان،

ج- كراهتهم لتسويده صلى الله عليه وآله وسلم: حفظ الوهابية السيد الله فكرهوا تسويده صلى الله عليه وآله وسلم وتجاهلوا أن قائل هذا هو القائل: ((أنا سيد ولد آدم))، ((أنا سيد الناس يوم القيامة))، ((سيد الشهداء حمزه ورجل قام عند إمام جائز فأمره ونهاه فقتله)) كما في " مستدرك الحاكم ": ((أن ابني هذا سيد))، ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة))، ((أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين النبين والمرسلين))، ((قوموا لسيدكم))، ((من سيدكم يا بني سلمة))، وفي المستدرك عن جابر قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: من أنا؟ فقلنا: رسول الله،قال: نعم ولكن من أنا؟قلنا: محمد بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، قال: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر))، وفي مسند أحمد عن سهل بن حنيف يقول: مررنا بسيل فدخلت واغتسلت منه فخرجت محموما فنمى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ((مروا أبا ثابت فليتعوذ، قلت: يا سيدي والرقى الصالحة فقال: لا رقية إلا من نفس أو حمة أو لدغة)).. وقال الفاروق: " أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا "، وقال تعالى في سيدنا يحيي: {وسيدا وحصورا}، وشبيه بقول السيد المولى والله سبحانه وتعالى يقول: {فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير}، فقد سمي الله كلا من جبريل وصالح المؤمنين مولى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان الصحابة ينادون بعضهم بالتكريم والإجلال فكان أبو هريرة يقول: إذا سلم على الحسن " السلام على سيدي " كما في مستدرك الحاكم، وقد سبق في فصل (6) أن موقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع المخاطبين كان يرعى فيه حالة المخاطب بما يقضي به رسوخ الاعتقاد أو نقصه حسب حالة المخاطبين 0 فلا غرابة إن قال لمخاطب: ((السيد الله))، سداً لباب أن يسبق إلى الوهم أن أحداً يساوى الباري في سيادته، وأن يقول لآخر: ((أنا سيد ولد آدم)) إلى آخر ما تقدم من أحاديث: حيث الأمن من ذلك، ووظيفة العلماء هو الجمع بين المختلفات، والمؤمن من آمن بالنصوص كلها متجنباً ما يهوى، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((قولوا اللهم صل على محمد)) لا يفيد منعنا لتسويده صلى الله عليه وآله وسلم، بل هو المناسب لتواضعه من أن يقول لأمته سودوني في الصلاة ما دام قد أرشدهم إلى أنه السيد فمن امتثل ظاهر الأمر فقد أحسن ومن سود فقد سلك مسلك الأدب كما هي القاعدة المعروفة (أيهما أرجح امتثال الأمر أو سلوك الأدب) ؟، وما روي من حديث: (لا تسودوني في الصلاة) فهو موضوع كما نص عليه الكثيرون من المحدثين والعلماء، وأما الاحتجاج لعدم ذكر السيادة في التشهد بقوله: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) فلا حجة فيه لأن الراد بما ليس من أمره

هو ما لم يشهد الشرع باعتباره، أما ما شهد الشرع باعتباره فهو من أمره ولا شك أن توقير النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيمه هو مما شهد الشرع باعتباره وسيأتيك مزيد من التحقيق عند تعرضنا في فصل خاص لبيان معنى البدعة والمحدث، وحديث المستدرك السابق عن جابر في ترديده صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر: من أنا؟ حتى قال أخيراً: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر)) هو إرشاد إلى تسويده صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أفتى إمام الحرمين بذكر لفظ السيادة في التشهد، وقال المحلي: هذا من التزام الأدب وهو الأرجح، واسمع ما يقول أحد المتطرفين، ففي (الضياء الشارق) ص (56) لابن سحمان (يمنع من إطلاق لفظ السيد لمن يعتقد فيه فلا يقال مولانا ولا يا سيد فلان فمن قال هذا بهذا المعنى فهو كافر) اهـ، وهكذا اتسع الخرق على الراقع، والسيادة عندهم غلو في رسول الله صلى الله عليه ولكنها سائغة مقبولة عندهم إذا قيل في ابن تيمية وابن عبدالوهاب شيخ الإسلام، وقدس الله روحه، ونور ضريحه، ولا باس أن يقال صاحب الجلالة، وصاحب الفخامة، وصاحب المقام الرفيع، وصاحب المعالى، وصاحب المعالى، وصاحب الفضيلة، وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممنوع ومنكر وكفر عند أمثال ابن سحمان، ومما تجب ملاحظته أنه لا سواء بين انسان يترك التسويد في الصلاة بنية التمسك بالوارد وبين انسان يرى في اطلاق السيادة عليه صلى الله عليه وآله وسلم كفراً وشركاً كما يؤخذ من كلام ابن سحمان وأمثاله كثير،

<u>د – إنكارهم التبرك بالآثار:</u> في صحاح الأحاديث والسير أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتبركون بماء وضوئه صلى الله عليه وآله وسلم وبريقه وبشعره ملابسه وبردته وما له تعلق به، ولم ينكر عليهم صلى الله عليه وآله وسلم في حياته ولا أنكره الصحابة ولا التابعون بعد وفاته، بل فعلوه بأنفسهم، وكان من لم يصبه وضوئه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ من بلل صاحبه ودلك به ما استطاع من بدنه، وصح عن عروة بن مسعود الثقفي في ما رواه البخاري وغيره أنه قال في نصيحته لقريش حين رجع من سفارته لقريش في صلح الحديبة (أي قومي، والله وفدت على كسرى وقيصر والنجاشي، وما رأيت أحداً ما يعظم أصحاب محمد محمداً أنه لا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم ولا توضأ وضوءً إلا اقتتلوا على وضوئه يتبركون به)، وصح عند البخاري وغيره أنهم ازدحموا على الحلاق عند حلق رأسه الشريف واقتسموا شعره، وفي صحيح مسلم أنه لما حلق أعطى أبا طلحة شعره وقال اقسمه بين الناس، وكان عند خالد بن الوليد شعرات من شعره صلى الله عليه وآله وسلم وضعهن في قلنسوة له يلبسها إذا تعذر عليه الفتح فلا يلبث أن يسرع إليه الفرج، وفي صحيح مسلم وشمائل

الترمذي أنه صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يأتونه بإناء إلا غمس يده الشريفة فيه ولا يردهم خائبين، وأخرج ابن ماجه والترمذي وحسنه عن امرأة من الأنصار يقال لها كبشة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليها وعندها قربة معلقة فشرب منها وهو قائم فقطعت فم القربة تبتغي بركة موضع فم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان له صلى الله عليه وآله وسلم إناء يبول فيه بالليل، فكان إذا أصبح أراقه بيده الكريمة فأصبح ذات يوم فلم ير فيه شيئاً، فسأل فقالت أم أيمن رضي الله عنها: عطشت من الليل يا نبي الله فشربته فقال: ((صحة يا أم أيمن))، وفي رواية أنه قال: ((لن يلج النار بطنك))، وكانوا يستشفون بغسالة ما ادخروه من ملابسه فيأتي الشفاء، وفي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر أنها أخرجت لهم جبة لرسوا الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالت: هذه كانت عند عائشة ولما توفيت قبضتها فنحن نغسلها للمرضي يستشفي بها، وفي(الجمع بين الصحيحين) للحميدي قال عبد الله بن وهب: أرسلني أهلي إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقدح من ماء فجاءت بجلجل من فضة فيه شعر من شعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث بإناء إليها فخضخضت له فشرب منه، وفي (الشفاء) للقاضي عياض أن ابن عمر رضي الله عنه كان يضع يده على مقعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المنبر ثم يضعها على وجهه وفي(طبقات ابن سعد) أيضاً رواية ذلك، وهذا تبرك بمن مس ثيابه، وكذلك روي عنه أنه كان يضع يده على رمانة المنبر مكان يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويمسح بها وجهه، وفي طبقات ابن سعد أيضاً: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا خلا المسجد مسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم وفي مصنف ابن أبي شيبة 3: 450: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا خلا لهم المسجد قاموا إلى رمانة المنبر القرعاء (أي الملساء) فمسحوها ودعوا، ونقل الحافظ القرافي أن أحمد بن حنبل أجاز تقبيل قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأن أحمد تبرك بالشرب من ماء غسل الإمام الشافعي بل روى ابن تيمية نفسه تبرك أحمد بآثار الشافعي، وفي (الحكايات المنثورة) للإمام المحدث الحافظ الضياء المقدسي أن الحافظ عبد الغني الحنبلي أصيب بداء أعجزه علاجه فمسح به قبر الإمام أحمد بن حنبل تبركاً فبرئ، وفي (تاريخ الخطيب) أن الإمام الشافعي كان يتبرك بغسالة قميص الإمام أحمد وكان يأخذ منها ما يمسح به وجهه وأعضاءه، وفي(سيرة أعلام النبلاء) للذهبي 11: 212: (قال عبدالله بن أحمد: رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبي فيضعها على فيه يقبلها وأحسب رايته يضعها على عينه، ويغمسها في

الماء، ويشربه يستشفي به ورأيته أخذ مضقة النبي صلى اله عليه وسلم فغسلها في جب الماء ثم شرب فيها قلت: أين المتنطع المنكر على أحمد، وقد ثبت أن عبدالله سأل أباه عمن يلمس رمانة منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويمس الحجرة النبوية فقال: لا أرى بذلك بأساً، أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج ومن البدع) اهـ، وما حرص أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على الدفن بجواره صلى الله عليه وآله وسلم إلا للتبرك به، ومرجع هذا كله طلب البركة وفيه توجه إلى الله بما له تعلق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسائر أحبابه، وإذا صح استنزال الرحمة بما هو من الجمادات لتعلقه من قرب أو من بعد بذاته الشريفة وذوات أحباب الله يصح التوسل بالأول بذاته الشريفة وذوات سائر أحبابه تعالى، قال الخافجي في شرحه للشفاء: إن هذا يدل على جواز التبرك بالأنبياء والصالحين وآثارهم وبما يتعلق بهم ولا عبرة بمن أنكر ذلك من جهلة عصرنا وقطع عمر للشجرة التي وقعت عندها بيعة الحديبة إنما كان لقرب عهد كثير من الناس يومئذ بالجاهلية لا منعاً للتبرك إذ هو نفسه رصي الله عنه قد طلب أن يدفن بجوار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجاء أن تصيبه بركة ذلك، وبعد أن روينا لك ما تقدم من آثار فلا يجوز بعد ذلك أن يتهم من يريد أن يتبرك بأي آثار من آثاره صلى الله عليه وآله وسلم سواء في مسجده أو منبره أو محرابه أو شبك قبره أو خارج ذلك،

هـ –محاولة استئصالهم للاعتقاد في الصالحين: رغم زعم الوهابيين أنهم يثبتون الولاية وكرامات الأولياء تراهم يخاطبون أتباعهم بكلمات لا يخفي أن هدفها هو أن يستأصلوا من قلوبهم أي اعتقاد في الولاية والأولياء، واستمع إلى بعض ذلك مما اخترناه من كلمات مؤسس الدعوة الوهابية محمد بن عبدالوهاب، "الدرر السنية ج1 ص 79 ": اعلم أن الشرك هو الذي ملأ الأرض، يسمونه الناس الاعتقاد في الصالحين، " الدرر السنية ج 1 ص35 ": التوحيد الذي جحدوه (أي المشركون السابقون) هو توحيد العبادة الذي في زماننا الاعتقاد، وإنما يعني المشركون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد، " الدرر السنية ج 1 ص 28 –40": وبالجملة فالذي أنكره الاعتقاد في غير الله مما لا يجوز لغيره وأنا أنصحكم لا تظنوا أن الاعتقاد في الصالحين مثل الزنا والسرقة، بل هو عبادة الأصنام من فعله كفر وتبرأ منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، " الدرر السنية ج2 ص 59 ": اعلم أن الألوهية التي تسميها العامة في زماننا السر والولاية فالإله معناه الولي الذي فيه السر، وهو الذي يسمونه الفقير والشيخ وتسميه العامة السيد وأشباه هذا وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق عنده منزلة،،ان الإنسان يلتجئ إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم وساطة بينه وبين الله فالذي يزعم أهل

الشرك في زماننا أنهم وسائطهم هم الذين يسميهم الأولون الإله والواسطة هو الإله فقول الرجل لا إله إلا الله إبطال الوسائط) أهـ، ولعل المسلم بعد هذه العبارات لا يستغرب من أين جاء لعامتهم الاستهتار بالأولياء وتوجيه ما لا يليق من الألفاظ إليهم لأنهم فهموا أن الاعتقاد فيهم هو الشرك، وهو عبادة الأصنام وأن الولي الذي فيه السر والفقير والشيخ والسيد هو الذي كان يسميه المشركون الإله وهكذا،

<u>و- زعمهم أن المساجد عند قبور الصالحين هو من اتخاذ القبور مساجد:</u> روى الشيخان واللفظ لمسلم: ((ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون من قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك))، وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها حين ذكر له صلى الله عليه وآله وسلم تصاوير في كنيسة بالحبشة فقال: ((إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا تلك الصور أولئك شِرارُ الخَلْقِ عندَ اللهِ يومَ القيامةِ)) كل ذلك لا يدل على منع زيارته صلى الله عليه وآله وسلم لوقوع القبر في المسجد ولا يدل كذلك على منع أن يتخذ مسجد في جوار رجل صالح قصد التبرك بالقرب منه، بل المقصود من النهي في الحديثين هو أن يقصد القبر بالصلاة إليه أو عليه كما يقصد المسجد تعظيماً للقبر أو للمدفون فيه كما هو فعل اليهود والنصارى كانوا يسجدون لقبور أنبيائهم وصالحيهم، ولما صوره من صورهم كما يسجد للأوثان فهذا هو الذي يكون ذريعة للشرك، ولذا فإن هجو الموسوسين للمساجد التي فيها قبر وتسميتها مساجد الشرك وزعم أن الصلاة فيها شرك وذريعة للشرك إنما هو تعمق في الجهل وإغراق لسوء الفهم للأحاديث، فإن هذه المساجد لم تبن إلا لما بنيت له المساجد من التعبد وليس ذلك بمحرم ولا مكروه، ولذا بنيت في القرون الأولى مساجد عند القبور من غير أن تكون صلاة إلى القبر أو عليه ولو كان المراد بالحديثين هو النهي من اتخاذ المساجد في جوار قبر رجل صالح بقصد التبرك بالقرب منه لا للتعظيم له ولا التوجه نحوه أو هجر المساجد لأجل القبر فبها لوجب أن يهجر مسجده صلى الله عليه وآله وسلم بعد إدخال القبر فيه، ولما أصبح مما تشد إليه الرحل والصلاة فيه بألف صلاة مع علمه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه سيدفن في هذا الموضع لما جاء في رواية البزار بسند صحيح والطبراني ((ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة)) ولأنكر الصحابة والتابعون على عمر بن عبد العزيز إدخاله حجر أمهات المؤمنين في المسجد لتوسيعه ولكنهم لم ينكروا ولم ينزل المسجد الشريف في أنظارهم باشتماله على القبور فيه بل ما زالوا ومن بعدهم يتوافدون لزيارته صلى الله عليه وآله وسلم في مسجده، ولوكان في الأمر ما هو منكر لغير ذلك عمر

بن عبدالعزيز لما آلت إليه الخلافة وهو الذي أحيا سنة جده عمر بن الخطاب ولما أقر علماء التابعين فاطمة بنت الحسين على ضربها قبة على قبر الحسن بن على بن أبي طالب واقامت به سنة كما رواه البخاري معلقاً وهي لا محالة تقيم فيها عبادتها من صلاة وذكر وتلاوة وهي ومن معها، والعصر كان عصر الفقه وإنكار المنكر فالمراد من النهي على ذلك هو قصد القبر بالصلاة إليه أو عليه كما بقصد المسجد تعظيماً للقبر أو ممن فيه، قال الإمام البيضاوي في شرحه الطوالع (لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لشأنهم ويجعلونها قبلة يتجهون في الصلاة نحوها واتخذوها أوثاناً لعنهم ومنع المسلمين من مثل ذلك، فأما من اتخذ مسجداً في جوار رجل صالح وقصد التقرب بالقرب منه لا التعظيم له ولا التوجه نحوه فلا يدخل في ذلك الوعيد)، ونقل ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح وأقره، ومما يجب أن يعلم أنه لو وقع استقبال القبر في الصلاة من غير قصد إلى تعظيمه أو تعظيم صاحبه لم يكن على المصلي بأس وليس ذلك من جعل القبر مسجداً في شيء، قال ابن القاسم: كان مالك لا يرى بأساً من الصلاة في المقابر بينما من يصلي في المقبرة تكون القبور بين يديه وخلفه وعن يمينه وشماله 0 قال مالك: وبلغني أن بعض الصحابة كانوا يصلون في المقبرة، ولذا فإن الدعوة المحمومة لإخراج القبر الشريف من المسجد والتي نشرت قبل حين في بعض الصحف لا يحمل عليها إلا جهل أو غيظ متأصل تنطوي عليه القلوب، نساله تعالى السلامة والإخلاص وحسن الإيمان،

<u>ز- اعتبارهم البناء ونحوه على القبور يصيرها أوثاناً تعبد:</u> علل الوهابية منع البناء على القبور بأن البناء عليها يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله، وقد سبق في مقدمة هذه الرسالة أن محمد بن عتيق (قد جعل من اسباب كفر أهل مكة هو عدم هدمهم للقباب)، وجهلوا أن المؤدي إلى الشرك هو اتخاذ القبور مساجد بمعنى قصد القبر لعبادته أو عبادة من فيه كما يقصد المسجد وذلك بالعكوف عليها وتصوير الصور فيها، والمسلمون بحمد الله ليس تعظيمهم للقبور، وإنما تعظيم من فيها من الأنبياء والصالحين إذا لم يتجاوز التعظيم مراتبهم من العبودية، ولا يوجد إن شاء الله من زوار الأنبياء والصالحين من هو عابد لهم ولا متخذهم مع الله آلهة، ولا من يقصد الصلاة إلى قبورهم فالحمد الله على حفظ دينه، وقد علمت أن التوسل والاستغاثة بهم ليس من العبادة في شيء، وأن التشريك والتكفير بذلك هو نتيجة جهل بمعنى العبادة، وللعلماء في الأبنية على القبور ثلاثة أقوال: فمنهم من كره البناء في الأرض سواء كانت مملوكة أو مسبلة، ومنهم من كره البناء في المملوكة وحرمه في المسبلة، ومنهم من أجاز البناء على قبور

الأنبياء والصالحين والعلماء المشهورين وجعل ذلك مستثنى من أحاديث النهي عن البناء، واعلم أن من منع البناء من الأئمة والعلماء لم يجعل علة المنع أن البناء عليها يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله كما زعم الوهابية، بل عللوا المنع بخوف التضيق على الناس لئلا يحجر عليهم موضع القبر فلا يدفن أحد فيه فيضيق ذلك بالناس لا لأن البناء شرك أو ذريعة للشرك،

ح . منعهم السفر لزيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم: جعل القوم السفر بقصد زيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم بدعة بل وذريعة للشرك، وأنه سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة ولا يباح الفطر فيه، وفي حقيقة الأمر لا يحبذون الزيارة مطلقاً: ففي (الدرر السنية) ج 2 ص 3 –4 – 5– 6 من رسالة لمحمد عبد الوهاب قال فيها: (لما كان اتخاذ القبور مساجد وبناء المساجد عليها محرماً لم يكن من ذلك شيء على عهد الصحابة والتابعين، وكان الخليل عليه السلام في المغارة التي دفن فيها وهي مسدودة لا أحد يدخلها ولا شد الصحابة الرحال إليه ولا إلى غيره من المقابر، وهذه البقاع وأمثلها لم يكن السابقون الأولون يقصدونها ولا يزورونها فإنها محل الشرك، ولهذا توجد فيها الشياطين كثيراً وقد رآهم غير واحد على صورة الإنسان يتلون لهم رجال الغيب فيظنون أنهم رجال من الإنس غائبون عن أبصارهم وإنما هم جن) أهـ .، وليس موضع شك أن إتيانه صلى الله عليه وآله وسلم زائراً مستغفراً من أي مكان هو سبب للفوز بالغفران والرحمة، **قال تعالى:** {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء: 64]، وذلك يشمل إتيانه في الحياة وبعد الوفاة لأن الآية علقت الفوز على تحقق الزيارة والاستغفار، واستغفاره صلى الله عليه وآله وسلم لمن يأتيه وقدرته بعد الوفاة على الاستغفار متحقق لما روى البزار بسند صحيح قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم تعرض علي أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن وجدت شراً استغفرت لكم))،

اتفاق العلماء على الزيارة بشد رحل وبدونه: واعلم أن زيارته صلى الله عليه وآله وسلم من السنن المتوارثة المجمع عليها علماً وعملاً من قبل ومن بعد، بعد الحج وقبله وبدون الحج أيضاً من جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم سنيها ومبتدعيها عدا الطائفة التيمية والوهابية، وفي إجماع الأمة ما يغني عن سرد الأدلة على المسألة دون حاجة إلى الدخول في مناقشة التمحك في رد أحاديث الزيارة ويكفي ما حكاه كل من أبي بكر الآجري المتوفي سنة 360 في كتابه (الشريعة) وأبي عبدالله بن بطة المتوفي سنة 387 في كتابه (الإبانة من شريعة الفرقة الناجية): (إنه من أحد من العلماء قديماً وحديثاً رسم كتاباً في المناسك إلا هو يأمر كل من قدم

المدينة ممن يريد حجاً أو عمرة أو زيارة فقط كيف يسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والشيخين) اهـ، وكذلك كان الخليفة عمر بن عبد العزيز يرسل البريد من الشام إلى المدينة مع الزوار لرفع المقام الشريف، فكل هذا يعني أن شد الرحل بقصد الزيارة من قرب ومن بعد قرناً بعد قرن من عهد الصحابة ومن لم يتسن له السفر يبعث بسلامه لحضرته مع الزوار،

ابن تيمية هو أول من حرم شد الرحل للزيارة وادعى أن الزيارة مفضية للشرك:

حتي إذا كان القرن الثامن ادعى ابن تيمية أن السفر للزيارة مفضية للشرك ليس لصاحبه رخص السفر وزعم أن أحاديث الزيارة كلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث بل هي موضوعة فأشبعه تقي الدين السبكي رداً على ذلك في (شفاء السقام) وتكلم على أحاديث الزيارة من طريق فن الرواية، ثم زاد بأن تضافر الأحاديث عليها يزيدها قوة لا سيما حين يكون الطعن بالضعف ناشئاً من ضعف الحفظ لا من الاتهام بالكذب، وزعم ابن تيمية أن الزيارة مفضية إلى الشرك لما فيها من تعظيم المزور الذي هو حق صلى الله عليه وآله وسلم، ولو كان الأمر كما زعم لم تشرع زيارة القبور ولم يفعلها رسول الله عليه وسلم ولا الصحابة في حق شهداء أحد والبقيع وغيرهم، وليس لأحد أن يحرم إلا ما حرمه الله، وتخيل أن ذلك يفضي إلى محذور ومنعه بهذه الذريعة هو من باب معارضة الشارع فيما شرع وانتفاض ما ثبت للمزور من حق الزيارة، ولما تخيل الرجل أن الناس بزيارتهم متعرضون للإشراك بالله حاول أن يدفع كل ما ينقص ذلك بتأويل كل دليل يرد عليه والاستدلال على رأيه بكل شبهة، ولعله وأتباعه بما أشربوا في قلوبهم من دعاوى الشرك وذريعة الشرك أنهم قد أحسوا بذلك في أنفسهم حين تعظيم من عظم الله قدره، وهكذا زعم ابن تيمية فيما هو سنة بالإجماع أنه حرام بإجماع وفيما هو منبع لزيادة الإيمان أنه ذريعة للشرك، وليقولوا ما شاء لهم الخيال ما دامت الشريعة قد فصلت ما يجب لله من التوحيد وما يجب لرسوله من التعظيم، ومن دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلم: ((اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد)) ودعاؤه لا شك مستجاب، فما أعتقد أحد بحمد الله من زواره صلى الله عليه وآله وسلم أنه شريك لله في شيء فضلاً عن أن يعبدوا قبره ويتخذوه وثناً، وما القبر قصدوا ولكن تعظيم من في القبر وعلى رغم أنف من رضي أو سخط يتعقد المسلمون أنه صلى الله الله عليه وسلم الشفيع المشفع والسامع لسلامهم فيرد عليهم،

ليس في حديث (لا تشد الرحال) ما يمنع السفر للزيارة: وحديث: ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا)) فإنه ما أختلف عن سائر المساجد بشد الرحال إليها لزيارتها إلا لأنها من مباني الأنبياء وأمكنة غالب عبادتهم فإذا طلبت

زيارتها كانت زيارة أصحابها أولى بالطلب وأحق بشد الرحال إليها، ومن فهم من هذا الحديث أن شد الرحال في الزيارة داخل في المنع فإنه قد جهل الاستثناء المفرغ يجب أن يكون فيه المستثنى من جنس المستثنى منه فالمعنى لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد للصلاة فيها إلا لهذه المساجد الثلاثة فلا فضيلة لشد الرحال إلى غيرها، وقد ورد ذلك مصرحاً به في رواية أحمد ولفظه (لا ينبغي للمصلي أن يشد رحاله لمسجد يبغي الصلاة فيه غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا)، وإذا كان الحديث وارداً في قصد المساجد فإن قصد غير المساجد من الرحلة في طلب العلم وزيارة الصالحين والإخوان والتجارة والتنزه كلها وأمثالها غير داخل في الحديث،

حديث: ((لا تجعلوا قبري عيداً)) إنما هو نهي عن سوء الأدب عند الزيارة: وحديث: ((لا تجعلوا قبري عيداً)) فالمراد منه النهي عن سوء الأدب عند زيارته عليه السلام باللهو واللعب والزينة كما يفعل في العيد، وإنما يزار للسلام عليه والدعاء عنده ورجاء بركة نظره ودعائه ورد سلامه، ومما يؤيد أن المقصود هو المنع من سوء الأدب إنكار علي بن الحسين رضي الله عنهما على رجل يأتي كل غداة إلى فرجة عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدخل فيها ويدعو كما رواه أبو يعلى فروى إنكار الحسين وفي آخر الحديث: ((صلوا علي وسلموا حيثما كنتم فسيبلغني سلامكم وصلاتكم)) وذلك إزالة لجهلة وسوء أدبه إذ روى القاضي إسماعيل الحديث وقال فيه أن الرجل قد فعل ما انتهره عليه علي الحسين،

حديث ما من أحد يسلم إلي إلا رد الله إلي روحي: وحديث أبي دواد وأحمد: ((ما من أحد يسلم علي إلا رد الله إلي روحي)) أحسن ما يفسر معناه رواية البيهقي: ((إلا وقد رد إلي روحي)) فتكون الجملة حالية ومعناها كما فسرها البيهقي (أنه صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما مات ودفن رد الله عليه روحه لأجل رد سلام من يسلم عليه واستمرت في جسده صلى الله عليه وآله وسلم وذلك لأنه لو كان المراد هو تكرار مفارقة الروح لبدنه وتكرار رجوعها حين رد السلام لخالف ذلك القرآن إنه ليس إلا موتتان وحياتان، قال الفاكهاني في كتابه (الفجر المنير فيما فضل به البشير النذير) حين أورد هذا الحديث قال: (إن الحديث يدل أنه صلى الله عليه حي على الدوام لأنه محال أن يخلو الوجود كله من واحد مسلم عليه من ليل أو نهار) اهـ

ط- منعهم التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم وبالصالحين ومنع سؤاله الشفاعة

: ينكر القوم على من يتوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبالصالحين ويستغيث بهم ويتشفع

بهم ويكفرون المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بدعائم الأنبياء والصالحين مستغيثين أو مستشفعين أو متوسلين، ويضيقون ذراعاً بمدحه صلى الله عليه وآله وسلم بزعم أنها رفع لمنزلته إلى مقام الربوبية، أما عند السواد الأعظم من علماء المسلمين فأن التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبالأنبياء والصالحين بأي صيغة جاءت سواء دعوت الوسيلة ليشفع ويدعو في قضاء الحوائج أو طلبت الحوائج من نفس الوسيلة، وبأي اسم سميت كل نوع من نهذه الأنواع فكلها في حقيقتها توسل بعضها أولى من بعض، والمقصد منها كلها في حقيقتها توسل بعضها أولى من بعض، والمقصد منها كلها في قلوب الأمة حتى في قلوب أجهل الجاهلين والجاهلات هو أن يتسبب الوسيلة في قضاء الحاجة بشفاعته ودعائه لربه ولا يعتقد أحد أنه يجب على الله شيء وإنما يعنون بالحق حرمتهم أو ما تفضل الله به عليهم من كرامة عنده، وكذلك لو سألت أجهل جاهل عن مراده من قوله: يا نبي الله أو يا ولي الله: اقضي حاجتي، لعلمت من جوابه على البديهة أنه إنما يريد بذلك أن يكون الوسيلة سببا في قضاء الحوائج من الله بشفاعته ودعائه من قبيل الإسناد المجازي في إقامة السبب وإرادة المسبب، وتوحيد المتوسل قرينه على إرادته هذا المجازي في إقامة السبب وإرادة المسبب، وتوحيد المتوسل قرينه على إرادته هذا المجاز وإن لم يعرفوا تسميته باسمه الاصطلاحي فهم بأي لفظ خرج منهم إنما يطلبون الشفاعة والدعاء والتسبب بأي نحو بما أعطاه الله مع اعتقادهم الجازم أن ذلك راجع إلى محض فضله تعالى، واعتقادهم كذلك أنه تعالى هو الرب وحده والإله المستحق للعبادة وحده، ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولا يشاركه أحد في تأثير ولا في صفة من صفاته الخاصة به،، فأين في هذا عبادة غير الله بل إن ذلك عبادة لله وتذلل له تعالى ما دام هو الآمر بالوسيلة في كتاب الله وفي أحاديث رسوله مما ألف الناس فيه وقتلوا الأمر بحثا وإن كابر المكابرون وتنطعوا في رد الأحاديث وفي تأويل الآيات، وفي " الفتاوي الكبرى " لابن تيمية ج1 ص 105 وص 140 وج 3 ص 276 إجازته للتوسل، وما جاء عنه خلاف ذلك وتفريق بين صيغة فذلك شأن شذوذه وتناقضه،

<u>كلام ابن الحاج في التوسل</u>: قال ابن الحاج في مدخله في فضل زيارة القبور وهو معاصر لابن تيمية: " وأما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيأتي إليهم الزائر ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة، فإذا جاء إليه فليتصف بالذل والانكسار ... ويحضر قلبه وخاطره إليهم وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره ... ثم يثني على الله تعالى بما هو أهله ثم يصلي عليهم ويترضى عن أصحابهم ... ثم يترحم على التابعين لهم ... ثم

يتوسل إلى الله تعالى في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه ويستغيث بهم ويطلب حوائجه منهم ويجزم بالإجابة ببركتهم ... فإنهم باب الله المفتوح وجرت سنته سبحانه وتعالى بقضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم ومن عجز عن الوصول إليه فليرسل بالسلام عليهم ويذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه فإنهم السادة الكرام لا يردون من يسألهم ولا من توسل بهم ولا من قصدهم ولا من لجأ إليهم، قال: وأما في زيارة سيد الأولين والآخرين فكل ما ذكر يزيد أضعافه أعني في الانكسار والذل والمسكنة لأنه الشافع المشفع الذي لا ترد شفاعته ولا يخيب من قصده ولا من نزل بساحته ولا من استعان أو استغاث به ...فمن توسل به أو استغاث به أو طلب حوائجه منه فلا يرد ولا يخيب لما شهدت به المعاينة والآثار، قال: وقال علماؤنا: إن الزائر يشعر نفسه بأنه واقف بين يديه عليه الصلاة والسلام كما هو في حياته إذ لا فرق بين موته وحياته أغنى في مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم إلى أن قال: فالتوسل به عليه الصلاة والسلام هو محل حط كل أحمال الأوزار وأثقال الذنوب والخطايا لأن بركته شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب فليستبشر من زاره وليلجأ إلى الله تعالى بشفاعته من يزوره اللهم لا تحرمنا شفاعته بحرمته عندك آمين يا رب العالمين ومن اعتقد خلاف ظلك فهو المحروم، ولعلك قد أدركت من هو المحروم الذي يشير إليه، ولعل مشايخ الوهابية الذين نقلوا كلام ابن الحاج في المولد سيصبح في نظرهم بعد أن نقلنا عنه هذه الكلمات في الزيارة والتوسل والاستغاثة وطلب الحوائج منه أشد كفرا من أبي جهل وأبي لهب وأبي بن خلف كما يردونه دائما في مخالفي مبادئهم كما سبق نقل عبارتهم في ذلك، إنه لا منشأ لذلك إلا بغض كائن في قلوبهم لأولياء الله فإنهم لا يجدون غضاضة في نسب النفع للدواء، والضرر للسم، فإذا سمعوا نسبة ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو وليه اشمأزت قلوبهم وعبست وجوههم وادعوا أنهم يحمون بذلك جناب التوحيد، والتوحيد عني عن حمايته بهذا السلاح الذي لا يسلونه إلا على الموحدين ولا يصلونه به إلا على خلص المقربين، قال الإمام سلامة العزامي المتوفي سنة 1376: (إذا قلت: أشبعني الطعام وأرواني الماء وشفاني الدواء وقتل السم فلانا ولا يجدون حرجا، فإذا قلت: أخذ سيدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدي، أو نفعني الولي هاجوا عليك وما جوا وجن جنونهم ورموك بالخروج عن الملة) أه، قلت: وهم لا يكتفون بهذا بل يختلقون على المسلمين لترويج نحلتهم وتنفير الناس من توقيره صلى الله عليه وآله وسلم

اتفاق العلماء قبل ابن تيمية على جواز الاستغاثة: والعلماء قبل ابن تيمية على اتفاق بمشروعية زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغيره من الأنبياء والصالحين للتبرك بهم وندائهم والاستغاثة والتوسل بهم إلى الله، وإن ذلك سبب لاجتلاب البركات واستنزال الرحمات واستجابة الدعوات وسرعة قضاء الحاجات، فلما ظهر ابن تيمية منع ذلك وادعي أن ذلك شرك أو فيه شائبة شرك، وزعم أن منع ذلك مجمع عليه من الصحابة والتابعين وعلماء الأمة، وكل ذلك مخترع للتهويل وترويج هذا الشذوذ، ولا أساس لذلك من الصحة وقد رد العلماء عليه وأزالوا غبار الشبه التي أثارها، والمأثور عن العلماء قبله أن التوسل من سنن الدعاء كالصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم أول الدعاء وأثناءه وآخره فوضعوه في كتب السنن والكتب المؤلفة في عمل اليوم والليلة وغيرها وكلها متداولة بين أهل العلم فهل يجوز عاقل أن يروج دعاة الملة وفقهاء الأمة ما زعم ابن تيمية أنه شرك أو ذريعة له؟، وسيد المرسلين الذي جاء لمحو الشرك ولما شكي إليه الضرير رفع ضره لم يقل له إن ذلك شرك بل علمه دعوة فيها التوسل وفيها النداء وتدل الرواية على أن ذلك النداء وقع في غيبته لما ورد في قول راوي الحديث: ((فو الله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضر قط))، وقد جاء في بعض الروايات أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال للأعمى: ((وإن كان لك حاجة فمثل ذلك)) وبذا اجتمع رسول الله صلى عليه وسلم بالتوسل به ونداءه في غيبته وعمل ذلك كلما عرضت حاجة فيشمل ذلك ما بعد الوفاة لإطلاق القول ((وإن لك حاجة فمثل ذلك)) كما فهمه راوي الحديث حيث أرشد صاحب الحاجة إلى عثمان رضى الله عنه أن يفعل ذلك حين دخوله عليه وذلك في خلافة عثمان بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، وقد صحح القصة البيهقي والمنذري والهيثمي وقال الطبراني إنه حديث صحيح، ولا مطعن لطاعن في صحة الحديث كما سيأتي في آخر هذا المبحث كما أنه يتبين بما قدمنا أنه لاشك في جواز التوسل بالحي والغائب والميت جميعا إذ المعنى الذي أجيز به التوسل بالحي هو مكانته عند ربه وقدرته على الدعاء، وذلك معنى لم يفارق المتوسل به لا غائبا ولا ميتا، وبعد أن علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الدعوة التي فيها التوسل والنداء وأوصى بفعلها عند الحاجات يكون رمي المسلمين بعد ذلك بالشرك – بزعم أن من نادى غير الله من غائب أو ميت كان معتقدا فيه علما محيطا وقدرة شاملة – مناهضة للحديث، ولعل الزاعم لمس ذلك الاعتقاد في نفسه أو في أضغاث أحلامه، أما إن ادعى أنه لمس ذلك في اعتقادات الناس، فإن لم يكن قد شق صدورهم فليوقن أنه مصاب بحمى التعصب وخيالاته، ومعاذ الله أن يعلم رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم أمته ما هو شرك أو ذريعة للشرك، وأما جعلهم محور الجواز والمنع على ما يقدر عليه وما لا يقدر على شيء وإنما هو سبب في قضاء الحاجة بالدعاء والتشفع ليقضيها الله، وكلا الحي والميت لهم إدراكات وقدرة على الدعاء كما تقدم، وكم طلب الصحابة منه صلى الله وسلم أمورا ليست في مقدور البشر عادة ولم يقل للطالب أشركت حين طلبت مني ما لا يقدر عليه إلا الله بل أجابهم إلى ما طلبوا بإذن الله، طلب قتاده رد عينه بعد أن سالت على خده في غزوة أحد فردها وكانت أحسن عينيه، وكما في البخاري شكا إليه ابو هريرة النسيان فأمره ببسط ردائه وقذف فيه بيده من الهواء ثم قال: ضمه، قال أبو هريرة: فما نسيت بعدها شيئا، وكما في البخاري اشتكت امرأة إليه الصرع والتكشف فسألته أن لا تصرع ولا تتكشف فقال: ((إن شئت دعوت وإن شئت صبرت)) فطلبت منه الدعاء أن لا تتكشف فدعا لها بأن لا تتكشف، وأخرج ابن عبد البر في " الاستيعاب " بسنده عن طاووس قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤتي بالمجانين فيضرب صدر أحدهم فيبرأ، واستفاض في السنة مجيء الناس بمرضاهم إليه ليزيل أمراضهم عنهم بإذن الله فلا يرد أحدا خائبا بل مرة يدعو ويمسح على العلة فإذا الشفاء، ومرة يصب ماء وضوئه على العلة فيعود صحيحا بإذن الله ومرة يؤتي بالأرمد فيتفل في عينيه فإذا العافية، وهكذا كان الصحابة إذا نزل بهم ما لا يطيقون فزعوا إليه وشكوا واستغاثوا واستشفعوا، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يستجيب لطلبات ما طلب منه من خوارق العادات كشفاء المرضى وإنزال المطر بلا سحاب، وقلب الأعيان والصفات ونبع الماء من بين الأصابع، وتكثير الطعام وغير ذلك مما لا يدخل تحت قدرة البشر عادة، ولم يقل للطالبين إنكم أشركتم بطلبكم ما لا يقدر عليه إلا الله، ؟ أفيكون الوهابيون أعلم بالتوحيد وما يخرج منه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين كانوا يستغيثون به ويطلبون منه ما لا يقدر عليه إلا الله كان يعلم أنهم لا يعتقدون فيه ربوبيته أو استحقاق عبادة أو خلق شيء، وإنما يريدون منه أن يتسبب في قضاء ذلك بما قدره الله عليه من دعاء وتشفع وما أعطاه الله من تصرف، وهكذا الناس حين يطلبون شيئا لا يقدر عليه إلا الله إنما مقصودهم التشفع إلى الله في ذلك، فهم ما طلبوا منهم إلا ما أقدرهم الله عليه وملكهم إياه من التشفع، فالإسناد في كلام الناس من المجاز العقلي الذي لا خطر فيه على ما نطق به، وصدوره من الموحدين قرينة على مرادهم،

<u>طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وآله وسلم</u>: والشفاعة لا تعني إلا الدعاء، والدعاء مأذون فيه مقدور عليه، وطلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنة كثير، فيقول أنس رضى الله عنه كما في سنن الترمذي وحسنه: ((اشفع لي يوم القيامة)) فيقول صلى

الله عليه وآله وسلم ((أنا فاعل إن شاء الله))، وكذلك أخرج البيهقي في (الدلائل) وغيره قول سواد بن قارب: (فكن لي شفيعاً يوم ذو شفاعة.. سواك بمغن فتيلاً عن سواد بن قارب)، ولم يقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنس ولا لسواد: أطلب الشفاعة من الله فإن طلبها مني شرك، ولوكان طلب الشفاعة والاستغاثة والتوسل به فيما لا يقدر عليه عادة شركاً ولا كفراً كما توهموه لما جاز ذلك في حال من الأحوال لا في الحياة الدنيا ولا في الحياة الأحرى ولا يوم القيامة ولا قبلها فإن الشرك ممقوت عند الله في كل حال، فإذا ثبت التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم والشكوى إليه والاستغاثة به في الملمات وطلب الشفاعة من في حياته الدينا، دل ذلك على جوازه وطلقاً وعلى أنه لا كفر فيه ولا إشراك فيه، إذ ما هو كفر وشرك لا يختلف باختلاف الأزمان ولا الشرائع ولا الأحوال، وسواء وقعت تلك الأمور في الأحياء أو الأموات فإن المقصود كما وضحنا هو التسبب في قضاء الحاجة بالدعاء والتشفع لا اعتقاد ربوبية أو خلق شيء، ولو كان في الأمر شيء من ذلك لما جاز في الحياة ولا بعد الموت، ولا يقول عاقل أنه جائز إذا كان حياً وأما بعد الحياة فشرك، فالشرك كما وضحناه مراراً هو اتخاذ الطلوب منه رباً أو اعتقاد صفاته فيه كما هو شأن عباد الأوثان مع أوثانهم، أما اتخاذ المعظم وسيلة إلى الله من غير ذلك الاعتقاد فلا يكون عبادة للوسيلة بل هو عبادة للأمر يجعله وسيلة،

<u>لا دليل في استسقاء عمر بالعباس بأنه لا يجوز الاستعانة بالميت</u>: أما الاستناد في جواز ذلك بالحي ومنعه بالميت باستسقاء عمر بالعباس، فذلك جهل بأنواع الاستسقاء التي لا بد فيها من وجود الحي، فالحوار في الاستسقاء وفي رفع المطر حين يتأذون به كثيرة، وحين يطلب من صلى الله عليه وآله وسلم الاستسقاء، كان تارة يدعو فيغاثون أو يرتفع الأذى، استسقت به قريش لما أصابهم الجدب واستسقوا به في المدينة فوقع الغيث بدعائه، وروى البيهقي في (الدلائل) عن أنس بسند ليس فيه متهم بالوضع أن اعرابياً قال له صلى الله عليه وآله وسلم: (أتيناك يا رسول الله وليس لنا بعير يئط ولا صبي يغط وأنشد: (وليس لنا إلا إليك قرارنا.. وأين قرار الناس إلا إلى الرسل)، فقام صلى الله عليه وآله وسلم إلى المنبر ودعا فما رد يديه حتي ألقت السماء بأرزاقها، وفي البيهقي أيضاً أن وفداً زاره شكى الجدب إليه فأغاثهم بنحو ما سبق، وإقراره صلى الله عليه وآله وسلم لقول الأعرابي ليس لنا إلا إليك قرارنا، وعدم عده لذلك شركاً أن المقصود هو أن القرار المرجو نفعه هو إليك لا إلى من دونك فهذه طريقة من الطرق التي كان يسلكها صلى الله عليه وآله وسلم في إغاثتهم حين يطلبون السقي، يدعو من غير خروج بهم، وتارة يخرج بهم إلى المصلى في يوم مخصوص فيصلي بهم ركعتين بخطبتين

كما في سنن أبي داود عن عائشة، وهذا أتم أنواع الاستسقاء، فطريقته إذا قحط الناس أن يخرج الإمام أو نائبه بهم إلى المصلي في يوم مخصوص فيصلي بهم ركعتين ويخطب ويدعو، أي أن الاستسقاء بهذه الطريقة يتعلق بالأحياء، فكان عمر رضي الله عنه هو صاحب هذه المهمة بصفته إمام المسلمين ولكنه اختار أن يقوم في الدعاء قريبا من قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال كما في البخاري: ((إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا))، وأخرج الزبير بن بكار في "الأنساب " هذه القصة فذكر أن عمر قال للناس: اقتدوا أيها الناس برسول صلى الله عليه وآله وسلم في عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله، ادع يا عباس، وفي دعائه قال: قد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك ... واحفظ نبيك في عمه، فأرخت السماء مثل وأقبل الناس على العباس يتمسحون به ويقولون له: هنيئا لك يا ساقي الحرمين، وقال عمر حينذاك: هذا والله الوسيلة، فقول عمر كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا إلخ يشير إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي كان يخرج بهم إلى المصلى للاستسقاء لهم، وهذا النوع من الاستسقاء إنما يكون حين وجوده صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرهم، ولما لم يكن هذا ممكنا بعد وفاته خرج عمر بالناس إلى المصلى فتأخر عن حقه، وقدم العباس للاستسقاء تعظيما لرسول الله وتوقيرا لقرابته وتقديما لعم رسول الله صلى الله وسلم على نفسه مبالغة في التوسل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما استطاع، فمن فهم من كلام أمير المؤمنين أنه إنما توسل بالعباس ولم يتوسل بالنبي لأن العباس حي والنبي ميت فقد مات فهمه وغلب وهمه، فإن عمر لم يتوسل بالعباس من حيث هو العباس، بل من حيث هو قريب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فالتوسل الذي أشار عمر بانقضائه بوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: كنا نتوسل هو التوسل بخروجه بهم صلى الله عليه وآله وسلم إلى المصلى ليباشر الاستسقاء بالصلاة والدعاء فإن ذلك لا يكون عادة إلا ممن هو حي بهذه الحياة الدنيوية، وقول عمر رضي الله عنه في حق العباس: واتخذوه وسيلة إلى الله فيه أوضح البيان على أن الصحابة لم يكونوا يفهمون من الوسيلة التوسل بالأعمال فقط، بل ذلك شامل للتوسل بالأنبياء والصالحين وما يتعلق بهم، فالتوسل في الاستسقاء الذي انقضي بوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو استسقاؤه صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج بهم إلى المصلى بالصلاة والدعاء أما الاستسقاء بغير خروج فالتوسل به صلى الله عليه وآله وسلم لم ينقض بوفاته، فقد أخرج ابن أبي شبيه بسند صحيح وكذلك البيهقي في "الدلائل " بسند صحيح أيضا ان بلال بن الحارث المزني حامل لواء مزينة في جيش الفتح: أن الناس قحطوا في عهد عمر فجاء بلال

ووقف عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فناداه بقوله: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فلم ينكر فعله أحد من الصحابة، ولم يقل أحد منهم أن هذا فعل القبوريين المشركين، وأخرج الدارمي عن أبي الجوزاء أوس بن عبد الله التابعي قال: قحط أهل المدينة فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا قبر النبي صلى لله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى تفتقت الإبل من الشحم فسمي عام الفتق، والمقصود من ذكر كل هذا أن التوسل بالحي أو الميت فيما يقدر عليه وما لا يقدر عليه لا يعني إلا طلب التسبب في قضاء الحاجة بالدعاء والتشفع، وذلك أمر مقدور عليه ويستوي فيه الأحياء والأموات لما لهم من إدراكات وقدرة على الدعاء،

تكملة الكلام على حديث الأعمى: ومن حاول التشكيك في صحة حديث الأعمى بأن في سنده أبا جعفر لم يعرفه الترمذي، وذكر أنه غير الخطمي فإن سائر العلماء، ومنهم ابن تيمية وابن عبد البر قالوا: هو أبو جعفر الخطمي الثقة وقال ابن حجر: إنه صدوق، قال ابن أبي خيثمة: أبو جعفر هذا الذي حدث عنه حماد بن سلمة اسمه عمير بن يزيد وهو أبو جعفر الذي يروي عنه شعبة، وهذا يعني أن جميع رجال السند معرفون لكبار أئمة الحديث على أن قولهم أن الترمذي ذكر أنه غير الخطمي فيه خطأ حيث جاء في بعض نسخ الترمذي قوله "هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الخطمي وفي بعض النسخ وهو غير الخطمي وفي بعضها وليس هو الخطمي "، وهذا من تصرفات الناسخين إذ ليس من عادة الترمذي أن يقول هو غير فلان ويتركه من غير بيان، ويؤيد أنه الخطمي سند الحديث في الترمذي وغيره " عثمان بن عمر عن شعبة عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف " لأن أبا جعفر الراوي عن عمارة الذي هو من شيوخ شعبه هو أبو جعفر عمير بن يزيد الخطمي المدني ثم البصري ولا يمكن أن يكون أبا جعفر الرازي المتوفي سنة 160 فإنه وإن كان من شيوخ شعبه أيضا إلا أنه لم يدرك عمارة المتوفي سنة 105 لأن رحلته إلى الحجاز كانت بعد وفاة عمارة بنحو تسع سنين، على أن طرقا أخرى للحديث عن الطبراني كما ساقه السبكي في " شفاء السقام " ينص في صلب السند على أن أبا جعفر الراوي للحديث عن عمارة هو الخطمي الثقة باتفاق، ورجال سند الترمذي كلهم ثقات وإنما أطلق عليه الترمذي أنه حسن صحيح غريب بموجب اصطلاحه، فلانفراد عثمان بن عمر عن شعبة وانفراد أبي جعفر عن عمارة سماه غريبا وهما ثقتان، وكم من حديث صحيح ينفرد به أحد الرواة كحديث ((إنما الأعمال بالنيات))، ولتعدد طرق الحديث بعد أبي جعفر وعثمان

بن عمر سماه حسنا ولتكامل إثبات الصحة في رواته سماه صحيحا فقال عنه: حسن صحيح غريب، ثم إن الحاكم روى الحديث بسند على شرط الشيخين وأقره الذهبي ونص على صحة الحديث عدد كثير من الحفاظ فلم يبق مطعن لطاعن فيه، وإرشاد عثمان بن حنيف لصاحب الحاجة إلى عثمان في خلافته بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صححها البيهقي والمنذري والهيثمي وقال الطبراني: إنه حديث صحيح، فلم يبق مطعن لطاعن في صحة الحديث، ونص الدعاء الذي علمه صلى الله عليه وآله وسلم للضرير من رواية الترمذي: ((اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي، اللهم فشفعه في))، فواضح من هذا الدعاء أنه كان توسلا بذاته صلى الله عليه وآله وسلم وفي غيبته لما رواه النسائي في آخره: " فرجع وقد كشف الله عن بصره " ولما رواه الطبراني والبيهقي كذلك من طريقين: ((فو الله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضر قط))، وفيه النداء أيضا لما رواه ابن ماجه: ((يا محمد إني قد توجهت بك إلى ربي)) الحديث، وادعاء ابن تيمية ومن تبعه أن توسل الضرير كان توسلا بدعائه لا بذاته ولا بجاهه وأن قوله: ((إني أتوجه إليك بنبيك)) وقوله ((إني توجهت بك إلى ربي)) هو على حذف مضاف أي بدعاء نبيك، فذلك صرف لألفاظ الحديث عن ظاهر معناها وإبطال للسنة الصحيحة، وادعاء أن الشفاء قد تم بدعاء الرسول للضرير لا بتوسل الضرير به فذلك غير مصرح به في الحديث، فذلك غير مصرح به في الحديث، ولكنه مع ذلك لا شأن لنا بأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد دعا أو لم يدع، ولا بأن الاستجابة قد وقعت بدعائه صلى الله عليه وآله وسلم أو بدعاء الضرير الوارد في توسله، بل الحجة هي نص الدعاء المأثور عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث اشتمل صراحة على توسل بالذات وعلى نداء له صلى الله عليه وآله وسلم في غيبته، ونداء الغائب عندهم كنداء الميت في عدم الجواز، فادعاء منع التوسل بالميت تفريق لما أحلوه من استواء الميت والغائب في المنع، وتعليلهم للمنع بالميت بأن التوسل المشروع هو التوسل بدعاء الوسيلة، وأن الدعاء غير ممكن من الميت فذلك مناقض لما دلت عليه السنة الصحيحة من قدرة الأموات على الدعاء والاستغفار للأحياء كما سبق بيانه من حديث البزار وغيره: ((فإذا أنا مت فإن رأيت خيرا حمدت الله، وإن رأيت شرا استغفرت لكم))، على أن طلب الدعاء من المتوسل به ليس مدلولا لغويا ولا شرعيا للتوسل فقد يدعو المتوسل به ويقضي الله الحاجة بمجرد التوسل، وحيث كان ظاهر ألفاظ الدعاء أنه توسل بالذات وأن الضرير قد قام به وهو غائب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما دلت عليه رواية النسائي

والطبراني والبيهقي، وان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أباح استعماله كلما دعت الحاجة إليه حيث جاء في بعض الروايات قوله: ((وإن كان لك حاجة فمثل ذلك))، وأن عثمان بن حنيف الصحابي قد أرشد شخصا إلى استعماله في زمن عثمان بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم فقضى الله حاجته به، فكل ذلك ينقض قول ابن تيمية: " بأن التوسل بذاته صلى الله عليه وآله وسلم سواء في حضوره أو مغيبه أو بعد موته " ليس مشروعا عند الصحابة وأن المتبادر إلى أذهانهم في معنى التوسل هو طلب **الدعاء من المتوسل** به، فكل هذا ادعاء محض ومحاولة للتخلص مما ورد عليهم من حديث الضرير وروايته، وأما احتجاجهم على عدم جواز التوسل بفعل عمر في استسقائه بالعباس فقد وضحنا قبل ذلك بقليل لماذا فعل عمر ذلك، وأنه لا دليل فيه على عدم جواز الاستغاثة به صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته،

ى- استياء الوهابيين من إحياء ذكرى المولد وأشباهه: والوهابيون يستاؤون جدا من اجتماع الناس لإحياء ذكرى ميلاده صلى الله عليه وآله وسلم واجتماعهم للاحتفالات التي يقوم بها المسلمون عند مناسبات معينة، كبدء العام الهجري، وذكرى فتح مكة، وغزوة بدر ونحو ذلك مما يتوخى منه تحقيق خير يعود إلى مصلحة الدين، فكل ذلك عندهم منكر عظيم، وكانوا يقيسونه كقياس المجتمعين على الفسق والفجور، واقتصر الأمر هذه الأيام على إصدار حولياتهم الموسمية في التشهير بتلك الاجتماعات، وتحريم المولد مستخدمين في ذلك كل وسائل الإعلام والمنابر في مهاجمته وإصدار المؤلفات في ذلك وتوزيعها مجانا على النحو الذي أشرنا إليه في مقدمة هذه الرسالة، ولا بأس عندهم من شن الغارة على إحياء هذه الذكرى بينما أباحوا إقامة أسبوع للاحتفال بذكرى محمد بن عبد الوهاب وآثاره، ولا نطيل الآن القول في بحث مشروعيته المولد حيث خصصنا لذلك بحثا خاصا به، ولعلك قد أيقنت بعد سماعك ما سردناه عليك من كلمات المتطرفين وتصرفاتهم " من خوض في مصير الأبوين، وتذمر من جعل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وردا، وطعنهم في الكتب المؤلفة فيها وتضارب أقوالهم في إنكار حرقها والاعتراف به، وكراهتهم لتسويده صلى الله عليه وآله وسلم الصالحين، وتهويشهم في البناء على القبور وجعل ذلك من دلائل الشرك، والتنفير من السفر لزيارته صلى الله عليه وآله وسلم وغلق أبواب الأضرحة لمنع زيارة من فيها ومراقبة الزوار عند زيارتهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وانتهارهم ومحاولة إخراج قبره من المسجد، ومحاولة محو ما يتعلق بآثاره صلى الله عليه وآله وسلم ومنعهم التوسل به واستياؤهم من إحياء ذكرى مولده ومعراجه وما أشبه ذلك من المناسبات التي يتوخى منها تحقيق خير يوجه القلوب إلى الحماس للدين

والإيمان وحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكل تلك التصرفات تشعر بأن الوهابيين قد طبعوا أتباعهم تحت ستار حماية جناب التوحيد على أن كل ما فيه إجلاله صلى الله عليه وآله وسلم وتوقيره من قول أو فعل هو شرك وتأليه له صلى الله عليه وآله وسلم وعبادة له، وأن كل من عظمه فهو عابد له أو مرتكب بدعة أو محظورا، وانظر في " الهدية السنية والتحفة الوهابية " رسالة عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب التي وجهها إلى مكة بمناسبة فتحها لهم أول مرة وسترى فيها أن من قال يا رسول الله إني أتوسل بك أو اشفع لي فذلك شرك، وإن قال اللهم إني أتوسل إليك بنبيك أو بجاهه فقد ارتكب بدعة شنيعة، نسأل الله سلامة قلوبنا وهدايتها إلى الصراط المستقيم]] انتهى مختارات من كتاب السلفية المعاصرة مناقشات وردود للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن المكي الهاشمي

***

المبحث السابع

مسائل مستفادة من رسالة (مسائل في التوحيد والشرك)

للشيخ غيث بن عبد الله الغالبي

يهذب فيه الأخطاء التي شابت الدعوة النجدية في باب التوحيد والشرك

قال الشيخ غيث بن عبد الله الغالبي في رسالته " مسائل في التوحيد والشرك ": (فهذه مسائل ترددت مدة في كتابتها لأسباب كثيرة ومثبطات جسيمة ومن أبرزها: اقتناعي بعض الشيء

بقلة من يطلب الحق للحق لا للتعصب، وكثرة من كتب في هذه المسائل قديماً وحديثاً، ولكن طلباً للثواب من الكريم التواب وطلب لنصرة الحق وإعلاء كلمته وتفاؤل بأناس من طلبة العلم همهم طلب الحق وسعيهم في الانقياد إليه كتبت هذه السلسة عسى أن يكون فيها فائدة لمستفيد وإيقاظ لمن كان للحق مريد ولا حول ولا قوة لي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب،

(المسألة الأولى): الخطأ في تقرير توحيد الربوبية: لأن التوحيد هو أعظم مطلوب فأبدأ به، وأول أقسامه على الاصطلاح الدراسي في المناهج التعليمية توحيد الربوبية، (توحيد الربوبية): هو إفراد الله تعالى بأفعاله ومنها الخلق والرزق والتدبير، طبعاً ليس المراد التوسع في ذلك ولكن المقصود بيان المسألة بحدها (تعريفها) وتطبيقها وما يرد عليها ووجه الانتقاد هنا: فالمتأمل في الحد المذكور بعاليه يجد أن توحيد الربوبية منصب على اعتقاد العبد انفراد الله بأفعاله سبحانه وتعالى ثم ضُرب أمثلة على أفعال الرب سبحانه وتعالى بذكر الخلق والرزق والتدبير وليست أفعال الرب سبحانه وتعالى محصورة في ذلك بل إنما هي أمثلة لبعض أفعاله، إذا كان الأمر كذلك فهل كفار قريش وحدوا الله في الربوبية (أي إفراده بأفعاله) أم أنهم كفار في هذه المسألة؟! **تتابع أهل التدريس على مختلف المستويات على قولهم إن كفار قريش موحدون في الربوبية!** بدليل قوله تعالى: {ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله}، وقوله تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ}، وَقَوْلَهُ تَعَالَى{قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ، قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ، قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ}، فأفادت الآيات الكريمة أن كفار قريش قد وحدوا الله في الربوبية، هكذا يقال، !! **وهذا الكلام غير صحيح لأسباب:**

1- أن أفعال الرب سبحانه وتعالى غير محصورة في الخالقية أو الرزق أو التدبير بل المذكور في الآيات شيء من أفعال المولى سبحانه وتعالى وليست كل أفعاله فكيف نقول أنهم قد وحدوا الله في أفعاله (أي في ربوبيته) وهم قد جحدوا أشياء من أفعاله منها البعث والنشور فيقول قائلهم وقد أخذ عظم قد أرم: يا محمد أتزعم أن ربك يعيد هذا؟!! والقائل هو العاص بن وائل القرشي، وقال تعالى {زعم اللذين كفروا أن لن يبعثوا} فأين التوحيد في الربوبية؟! فكونهم

اعترفوا ببعض الأفعال لا يعني ذلك توحيدهم في بقية الربوبية، بل لو أقروا بالبعث والنشور وسائر أفعال الخالق سبحانه وتعالى ثم استثنوا نملة من مخلوقاته أو ذرة من التراب وقالوا خلق الله جميع الخلق إلا هذه النملة أو هذه الذرة من التراب، لكانوا بذلك كفاراً غير موحدين في الربوبية، فكيف وقد جحدوا البعث والنشور وزعموا أن أصنامهم شريكة لله في التصرف والتدبير وغير ذلك من ترهاتهم؟

2- كونهم يقرون لله ببعض أفعاله لا يعني أنهم ينفون الشريك له فيها ولذا فنكمل الآية السابقة حتى يتبين الحق ولا تجتزئ النصوص ونبترها فيخفى الحق عن طالبه وسأسوق الآيات السابقات وما يتبعها من آيات حتى يتكامل المعنى لدى طالب الحق {قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ * بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون * ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون * عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون}، وهنا بارك الله بكم اكتملت الآيات واتضح المراد، قال الإمام القرطبي في تفسيره: ((بل أتيناهم بالحق)) أي بالقول الصدق لا ما تقول الكفار من إثبات الشريك ونفي البعث، أ هـ، وقد وضعت لك تحت كل شاهد على ما أسلفنا خطاً لتعلم أن الإقرار بالربوبية إنما هو إقرار ببعض الأفعال لا بكلها ودون نفي وجود الشريك من آلهة أخرى ولاحظ أخي رعاك الله قوله تعالى ((وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق)، هل تتصور أن المولى عز وجل يخاطبهم بأمور لم تقع منهم بل ويدلل ببرهان التمانع على عقائد لم يعتقدوها!! سبحانه وتعالى عن ذلك، (معنى التمانع كون كل إله يذهب بما خلق): فكفار قريش يعتقدون بوجود شركاء لله في الخالقية ويعتقدون أن الله الخالق سبحانه وتعالى والأمر جلي لمن تبصر ففيه ثلاث نقاط: **(الأولى)**: اعترافهم أن الله مدبر متصرف رازق خالق فهم مقرون به: وهم بذلك يفترقون عن من ينكر ربوبية الله مطلقاً، و **(الثانية)**: اعتقاد وجود الشركاء لله ولو في بعض أفعاله (ربوبيته)، وهم بذلك يفارقون من يعتقد أنه لا شريك له في ذلك، **(الثالثة)**: أن هذا الاعتراف منهم أو المعرفة لا يعني أنهم موحدون في الربوبية لأن التصديق والإذعان غير متوفر فيهم فكيف نقول أنهم موحدون؟ وأي توحيد هذا؟ **(النتيجة): أن كفار قريش لم يوحدوا في الربوبية** وعليه فالشهادة لهم بذلك خطأ واضح فكيف بتقرير ذلك ونشره والتقليد فيه أليس في هذا بعد عن الصواب شاب عليه الكهل من أهل العلم ونشأ عليه الشباب؟!! فنسأل الله أن يهدي من يقرر ذلك أو يشهد به لهم وأن يتوب علينا وعليه، ثانياً: تفرع على التقعيد الأول وهو اعتقاد أن الكفار قد وحدوا في الربوبية اعتقاد

أخر وهو أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لم يبعثهم الله لتوحيد الربوبية وإنما بعثهم لتوحيد العبادة لأن الناس على التوحيد الحق في الربوبية، !! وهذا باطل بما سبق وأضيف تنبيه يسير مع سوق بعض الأدلة: فأما التنبيه: فاعلم أخي الحبيب أن الحكم في مسألة من المسائل العقدية أو الفرعية لابد أن يكون مكتمل الشروط ومن تلك الشروط جمع جميع الأدلة في المسألة، فلا يجوز الأخذ ببعضها وإهمال بعضها الأخر وهي نقطة أساسية لمعرفة أسباب الخطأ الذي وقع فيه كثير من المنظرين لمسألة الربوبية وغيرها من المسائل فأخذ بعض النصوص كالتي تم سياقها وترك النصوص الأخرى في نفس المسألة، تسبب في استدلال خاطئ وتصور غير صحيح نتج عنه حكم غير صحيح، وقد وردت آيات كثيرة في شأن الربوبية فمنها: قوله تعالى: {رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً}، فرتب العبادة على الربوبية، ويقول تعالى: {ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض} يشير إلى أنه لا ينبغي السجود إلا لمن ثبت اقتداره التام، ولا معنى لأن نسجد لغيره، هذا هو المعقول، ويدل عليه القرآن والسنة، أما القرآن فقد قال: (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا)، فصرح بتعدد الأرباب عندهم، فكيف نقول أنهم قد وحد الله في الربوبية وأن جميع الأنبياء لم يبعثوا لدعوة الناس لتحقيق الربوبية وإنما بعثوا لتوحيد الألوهية!!، ويقول الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام لصاحبي السجن وهو يدعوهما إلى التوحيد: {أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار}، ويقول الله تعالى أيضا: {وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي}، ومثل ذلك قوله تعالى: {لكّنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً} خطاباً لمن أنكر ربوبيته تعالى، وانظر أخي الحبيب إلى قولهم يوم القيامة: {تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين}، وانظر إلى قوله تعالى: {وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا} [الفرقان: 60]، فهل ترى صاحب هذا الكلام موحداً أو معترفاً؟!، فإذن ليس عند هؤلاء الكفار توحيد الربوبية على حقيقته، ويقول الله في أخذ الميثاق: {ألست بربكم قالوا بلى} وجعله سبحانه حجة على من أشركوا به في العبادة حيث قال: {أن تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين * أو تقولوا إنما أشرك أباؤنا من قبل} أليس هذا صريحا في أن أخذ العهد بتوحيد الربوبية هو أخذ للعهد بتوحيد العبادة؟ فلو كان الإقرار بالربوبية غير كاف وكان متحقق عند المشركين ولكنه لا ينفعهم كما يقول البعض، ما صح أن يؤخذ عليهم الميثاق بهذا، ولا صح أن يقولوا يوم القيامة: {إنا كنا عن هذا غافلين}، وما كانت محاورة فرعون لموسى عليه الصلاة والسلام إلا في الربوبية وقد قال: {أنا ربكم الأعلى} ثم قال: {لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين}،

{قال فرعون وما رب العالمين * قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين * قال لمن حوله ألا تستمعون، قال ربكم ورب أبائكم الأولين * قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون * قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون}، **وأما السنة فسؤال الملكين للميت عن ربه**، وكان الواجب على تقرير من يقول أنهم قد وحدوا في الربوبية أن يقولوا للميت: من إلهك لا من ربك!! أو يسألوه عن هذا وذاك بما أن الناس قد وحدوا في الربوبية! والحق أن التلازم بينهما جلي فالإله هو الرب والرب هو الإله ومن أقر بأنه الله لا شريك له في أفعاله فلن يعبد غيره، وإن شئت فانظر إلى قولهم لهود عليه الصلاة والسلام: {إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء}، ثم انظر بعد ذلك في زرعهم وأنعامهم: {هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم}، فقدموا شركاءهم على الله تعالى في أصغر الأمور وأحقرها، وقال تعالى في بيان اعتقادهم في الأصنام: {وما نرى معكم من شفعائكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء}، فذكر أنهم يعتقدون أنهم شركاء فيهم، ومن ذلك قول أبي سفيان يوم أحد: (أعل هبل)، فأجابه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (الله أعلى وأجل)، فانظر إلى هذا ثم قل لي ماذا ترى في ذلك من التوحيد الذي ينسبه إليهم من ينسبه ويقول: إنهم فيه مثل المسلمين سواء بسواء وإنما افترقوا بتوحيد الألوهية؟!، وأدل من ذلك كله قوله تعالى: (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)، إلى غير ذلك مما يطول شرحه، فهل ترى لهم توحيداً بعد ذلك يصح أن يقال فيه إنه عقيدة؟!،

(المسألة الثانية): توحيد العبادة: هو إفراد الله تعالى بأفعال العبد من صلاة ودعاء وصيام وسائر أعمال التعبد، وقبل أن نتكلم عن توحيد العبادة نتكلم عن الشرك الأكبر فبضدها تتميز الأشياء، (الشرك) ينقسم إلى قسمين: شرك أكبر وهو مدار بحثنا وشرك أصغر، فالشرك الأكبر له حد وتعريف **ولما كان الشرك من أعظم الذنوب بينه الشرع أتم بيان بل ورد التصريح ببيان معناه:**

1 – تعريف الشرك الأكبر: عرفه من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم كما جاء في الصحيحين حين سأله بعض من يحتاج إلى تجلية وبيان حد أعظم الذنوب فقال يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: ((أن تجعل لله نداً وهو خلقك))، والنِّد: قال الأخفش: هو الضِد والشبيه، فهو يشتمل على معنيين: (الأول): الشبيه والنظير، والثاني: الضد المخالف، وهذا ما جزم به أهل اللغة وأهل فقه الحديث، كابن الأثير في (النهاية)، إذن هو نظيرٌ لله عز وجل بزعم من

يعبده، ويخالف الله حقيقة في ذاته وأسمائه وصفاته، ولذا قال تعالى {ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله}، فمن اتخذ صنماً أو شيئاً من الأشياء كنظير مساوي لله أو يعتقد أنه أعظم من الله فقد كفر، **[أخي الكريم تأمل الصور التالية حق التأمل]: (الصورة الأولى):** إنسان يدعوا ويصلي وظاهر صفة صلاته كصلاة المسلمين غير أن نيته وقصده التعبد والتقرب للشمس، **(الصورة الثانية):** رجل يصلي ويدعوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويجاهد معه ومع الصحب الكرام بيد أن نيته وقصده ليس العبادة وإنما للدنيا أو لجاه أو لخوف من المسلمين، فهو منافق نفاق عقدي، (تنبيه هذا يخالف الشرك الأصغر لأن الرياء صاحبه يعبد الله ويزين هذه العبادة لأجل الناس ففرق بين الحالتين، **(الصورة الثالثة):** رجل يصلي ويدعوا ويصوم ونيته وقصده ابتغاء رضا الله، كل هذه الصور السابقة متماثلة الظاهر ولم يميز بينها إلا النية والقصد، فإذا كانت النية والقصد هي مدار العمل فهل هناك فرق بين فعل المسلمين في أغلب أنحاء الأرض وفعل المشركين من قريش وغيرها أم كلاهما كافر؟، نضرب أمثلة أخرى للإيضاح: أنت رجل مسلم: أتاك ضيوف من العلماء الصالحين فذبحت لهم مجاملة وجري على عادات وعرف الناس لا بنية التعبد بإكرام هؤلاء الضيوف من علماء الأمة، = فلا أجر لك ولا أثم عليك لأن ذلك مباح، وجاء الأخر فذبح يرجو الأجر والمثوبة من عند الله بإكرامه الضيف فنوى بها التعبد لله بإكرام هؤلاء الصالحين وهذا مستحب، = فله الأجر بحسن قصده وتقربه لله، وذبح أخر هدي بقصد التعبد لله بشعيرة من العبادات وهي الهدي، وذبح أخر هدي رياء ومجاملة للناس = فهو آثم وقد يحبط عمله على تفصيل في المذاهب، وجاء الأخر فذبح للجن عبادة لهم من دون الله لكي يتعلم السحر، = فهو كافر لأن نيته عبادة غير الله تعالى، لاحظ أخي الكريم أن الصور الظاهرة في كل تلك الأعمال لم يفرق بينها إلا النية، **مثال أخير: رجل مريض أخذ الدواء: (الصورة الأولى):** أخذه ينوي أن هذا الدواء شريكاً لله في الشفاء، أو مستقلاً عن الله في ذلك = فهو كافر خارج من ملة الإسلام، **(الصورة الثانية):** رجل أخذ الدواء وينوي أن هذا الدواء مجرد سبب من الأسباب وهو سبب عادي والشفاء حقيقة من الله = فلا شيء عليه، **(الصورة الثالثة):** رجل أخذ الدواء وينوي أن هذا الدواء مجرد سبب من الأسباب وهو سبب عادي والشفاء حقيقة من الله ولكن الدواء لا يصلح للمرض الذي يعانيه فمرضه بالسرطان مثلاً أجارنا الله وإياكم من كل سوء والدواء مسكن للحرارة فقط = فهذا جاهل بالدواء ولا يقال إنه مشرك ولا أنه وقع في الشرك ولا أنه تعاطى محرم، أخي اللبيب: الفرق بين الدواء المذكور في المثال وبين التوسل بالميت أن الدواء جماد لا روح فيه، بخلاف الميت وإلا فكلاهما

سبب والتعامل معهما من باب تعاطي الأسباب، وهؤلاء المتوسلون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يعتقدون أن الرسول مجرد سبب والمعطي حقيقة هو الله تعالى، فإن قلت أن الله قريب لا يحتاج لسبب فجواب المنصف يقول للمريض: الشفاء من الله لا يحتاج إلى سبب والله قريب ((واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشي لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك))، وعلى الجملة يلزم سد باب الأسباب والمسببات والوسائل والوسائط، وهو خلاف السنة الإلهية التي قام عليها بناء هذه العوالم كلها من أولها إلى آخرها، فإن قلت: أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل ولا ينافي أن الأمر كله لله فأقول لكم فأنصف فإن هذا يجري في سائر الأسباب، فإن قلت: أن الميت لا يسمع ولا عن نفسه يدفع: فأقول لك أخي هذا رأيك واجتهادك ولكن كثير من العلماء يقولون: أنه الميت يسمع وأن الله قد يعطينا إكرام له إن كان نبي أو ولي صالح، ودليلهم في كونه يسمع: (أهل قليب بدر) و (سماع الميت لقرع النعال)، (والسلام على الأموات عند الزيارة) وغيرها كثير، فلو لم يكن الميت يسمع لكان فعلنا وسلامنا عليه سفهاً، وراجع كتاب الروح لابن القيم وكتاب التذكرة للقرطبي فستعلم أكثر، وأما استدلال من يستدل بقوله تعالى {وما أنت بمسمع من في القبور} على أنه نفي لسماع الأموات للأحياء فليس المقصود ذلك بل المقصود سمع إجابة وإيمان لا مجرد السمع الحسي فإن الكفار يسمعون سمعاً حسي ولكن لا إجابة وكذا الأموات وهذا فيه جمع بين النصوص الدالة على سمع الأموات للأحياء وانظر إلى تفاسير علماء الأمة في ذلك ونسوق الآية بسياقها وسباقها حتى يكتمل المعنى: قال الله تعالى: {ولا يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذير}، فالكلام كله كان في هل الكافر يستجيب لدعوة الإسلام أما لا يستجيب كمثل الميت الذي لا يستطيع إجابة دعوة الإسلام، وأما كون دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينفع كسبب فقد ثبت ذلك بالتجربة كما ثبت نفع الدواء في إزالة المرض بالتجربة، ولا يلزم أن يطرد في النتيجة مع كل إنسان وفي كل حال كما لا يلزم أن يحصل الشفاء باستعمال الدواء مع كل إنسان وفي كل حال، وأيضاً ثبت عندهم بأحاديث صحيحة ليس هذا مكان ذكرها ولكن فيها كتب ككتاب إعلاء المنارة في تخريج أحاديث التوسل والزيارة فليراجع أو تجده على شبكة النت، ثم لو سلموا لنا بأن الميت ليس بسبب ينفع أو يضر فغاية ما نقول: إنه كمن يأخذ الدواء في غير ما صنع له كما في المثال السابق، فهل نقول أنه مشرك شركاً أصغر أو أكبر لأنه أخذ بسبب لا نفع فيه، فلم يقل أحد من سلف العلماء ومن اتبعهم أن من تعاطى سبب لا ينفع فهو مشرك شركاً اصغر ولم نسمع به إلا

في غربة العلم، **وعليه فللمسألة جهتان:** (1) أن يدعو الميت وينادي على أنه متصرف بالأمر استقلالاً أو أنه شريك وند لله تعالى فهذا كفر وشرك أكبر لا خلاف هنا، (2) أن يدعو الميت وينادي على أنه سبب فقط لا متصرف بالأمر استقلالاً ولا شريك لله تعالى فهذا جائز، فإن كان سبب حقيقي فلماذا ننكر عليه وإن كان سبب لا طائل تحته فلماذا التبديع والتكفير؟!

(تنبيه): لماذا نفرق في الاستغاثة بين الحي والميت: فنقول يجوز أن يستغيث المضطر بحي حاضر قادر ولا يجوز بالميت بل هو كفر؟ أخي الحبيب: إن نوى المستغيث بالحي القادر الحاضر أنه شريك لله تعالى أو مستقل بالاقتدار فهو شرك أكبر بلا ريب، وإن نوى أنه سبب فقط والمعطي والنافع حقيقة هو الله فهو جائز، **[إيرادات على قيود الجواز]:** (كونه قادراً): وهو قيد خرج به غير القادر، إذن لو كنت تستغيث وأنت معلق على حافة بئر فمر ولد صغير لا يجاوز الثامنة ووزنك مائة كلغ فهل يجوز لك أن تقول له أدركني أغثني يا فلان؟ هذا يا أحبتي ليس فيه شيء من الإثم غاية ما في الأمر أنه استغاث بسبب يرجو أن يستفيد منه، أخي لا أريد أن أطيل عليك ولكن تأمل في الأسباب التي يجوز التوسل بها: ولنضرب مثال على ذلك: بالعمل الصالح فهو سبب متفق على جواز التوسل به، العمل الصالح مخلوق من مخلوقات الله ثبت كونه نافع كسبب من الأسباب النافعة فلو توسلت بهذا العمل المخلوق على أنه مستقل بالنفع أو شريك لله فهو شرك أكبر، والعمل مخلوق والرسول صلى الله عليه وآله وسلم مخلوق فهل الرسول أفضل وأعظم أم عملك أخي الحبيب أجب ولا تستحي؟ إن قلت أن الرسول بل وعلماء الأمة أفضل مني ومن عملي فقل لي بربك ما الفرق بين التوسل بعملنا الأقل شأناً وبين جواز التوسل بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ مع أن كلاهما سبب ولكن سبب أقوى من سبب ولو كان عبادة أو شبه عبادة لم يجز بالحي ولا بالميت، قال تعالى: {والله خلقكم وما تعملون}: **أخي الكريم: لا يفوتني أن أقول: إن التفرقة بين الحي والميت في هذا المقام لا معنى لها،** فإن المتوسل لم يطلب شيئا من الميت أصلاً، وإنما طلب من الله متوسلاً إليه بكرامة هذا الميت عنده أو محبته له أو نحو ذلك، فهل في هذا كله تأليه للميت أو عبادة له، أم هو حق لا مرية فيه، أحبتي الكرام لقد أكثرنا من التبديع والتفسيق لإخواننا المسلمين ولا معنى لأن نستطيل في ذلك إلا الظلم والبغي، **فتلخص مما سبق نقاط لمن أراد الحق وأنصف من نفسه:** 1 – أن المسلمين اللذين يتوسلون بالصالحين لا يعبدونهم قطعاً وأنهم لا يعبدون إلا الله وحده لا شريك له، 2 – أن دعاء كفار قريش ونحوهم هو دعاء تعبد أي يعتقدون أنهم آلهة مع الله هذه نيتهم وقصدهم، 3– أن كفار قريش ونحوهم يعتقدون أن الأصنام آلهة مع الله شركاء له قال تعالى

((أجعل الآلهة إلهاً واحدا))، وقال تعالى: (تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين)، 4 – أن الأخذ بالسبب على أنه سبب وليس مستقل بالتأثير عن الله ولا شريك لله جائز، 5 – إذا عرفت هذا فتذكر قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث القدسي ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا))

(تنبيه): إن قال قائل وكيف أعلم أن الذي يدعوا الأموات ويستغيث بهم أن نيته أنهم أسباب وليسوا شركاء لله أو ليس قصدهم عبادتهم تقرباً إلى الله؟ **فجوابه بجوابين:** 1– أن الأصل في المسلم السلامة وهم يصرحون وعلماءهم يصرخون بالليل والنهار أننا لا نعبدهم وإنما هم أسباب كسائر الأسباب وأن المعطي حقيقة والمانع هو الله وأنظر رسالة الشوكاني الدر النضيد ورسالة الدجوي وغيرها مئات الرسائل والكتب، 2 – إذا رأيت مريضاً يأخذ الدواء فكيف تعرف أنه ينوي كونه سبباً أو شريكاً لله وكذا لو رأيت غريقاً يستنجد ويقول أغيثوني فكيف تعرف أنه ينوي كونه سبباً أو شريكاً لله أو عبادة لمن يستغيث به؟ فإن قلت الأصل السلامة في المسلم فأقول لك أخي الكريم: كذا قل في المستغيثين فالعاقل خصيم نفسه،

(تنبيه): الاستغاثة والتوسل عندهم بمعنى واحد فقول قائلهم: يا نبي الله أدركني (استغاثة)، هي كقوله يا رب أسألك بجاه محمد أن تغيثني، وهي كقول الحي: يا طبيب أدركني، وقوله اللهم إني أسألك بصلاتي في جوف الليل أن تدركني، لأن كل الصور المذكورة وإن اختلفت ألفاظها فقد اتحدت في كونها من باب السبب لا من باب الاستقلال ولا بنية عبادتهم، فمن اعتقد أن الطبيب مستقل أو شريك لله غير من ينوي أنه مجرد سبب والأمر لله، وكذا قل في الرسول فمن نوى أنه مجرد سبب فالأمر سيان سواء قال يا رسول الله أدركني، أو قال: أسأل الله بجاهك أن يدركني، لأن الرسول والدواء والطبيب والوظيفة وكل ذلك مخلوق وكلها أسباب،

(تنبيه أخير): كل ما تجد من الآيات والأحاديث التي يستدل بها من يكفر المسلمين كفر وصفي أو معين فاحملها على معنى التعبد أي أنهم يعبدون أصنامهم بهذه الأدعية كشركاء لله أو استقلالاً عن الله، {فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً} قال القرطبي: في تفسيرها فلا تشركوا فيها صنماً وغيره مما يعبد، أهـ أنظر تفسير القرطبي لسورة الجن، والحاصل أن الآيات والأحاديث في الباب كثيرة وهي لا تخرج عن نوعين: **(الأول):** عبادة لغير الله وهذا كفر بالإجماع لأن اعتقاد شريك لله أو إلهاً للعالم غير الله فهو كفر، **(الثاني):** أن يكون دعاءه لغير الله على وجه التعبد

لذلك الصنم أو النبي أو أي مخلوق ولو كان بقصد التقرب لله فإنه كفر أيضاً لأن صرف أي عبادة لغير الله كفر لأن العبادة نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تكون إلا لله، (لكن تذكر أن الداعي ناوياً بدعائه عبادة ذلك الغير)، وهذا كطلب بني إسرائيل من موسى أن يجعل لهم إلهاً كآلهة الكفار وطلب الصحابة حدثاء العهد بالكفر أن يجعلهم لهم شجرة ذات أنواط كالشجرة التي يعظمها الكفار، **لاحظ أخي:** عن أبي واقد اللَّيثي قال: ((خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سِدرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الله أكبر إنها السُنَن قلتم، والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: {اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة})) **تنبه أخي الكريم مشكوراً إلى عدة نقاط: (أولها):** أنهم حدثاء عهد بكفر والمنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه، لا يأمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العبادة، **(ثانيهما):** فيه تشبيه لمقالة أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم بمقالة بني إسرائيل لموسى، بجامع أن كُلاً طلب أن يجعل له ما يألهه ويعبده من دون الله، وإن اختلف اللفظان فالمعنى واحد، وفي هذا دلالة على أن اعتقاد ذلك شرك أكبر، أما مقالة بني إسرائيل فواضحة، وأما مقالة أصحابه فلتسويته صلى الله عليه وآله وسلم بين مقالتهم ومقالة بني إسرائيل مؤكداً ذلك بالقسم، ففي الحديث تصريح بأنهم كانوا يريدون عبادته مع الله تعالى كما فعل قوم موسى، فإنزال حديث أناس حدثاء عهد بكفر على أناس قد استقر في قلوبهم الإسلام أعوام مديدة في دول إسلامية عديدة خطأ بين وظلم لإخواننا المسلمين ولذا فإن من تقدم إسلامه من الصحابة لا يجهل هذا، وكذلك قوم موسى فيهم سبعون رجل لا يجهلون أن ذلك أن ذلك من الكفر كما قال أصحاب التفاسير ومنهم، قال ابن جريج: كانت تلك الأصنام تماثيل بقر وذلك أول بيان قصة العجل، أنظر تفسير الرازي 138من الأعراف، وتفسير القرطبي نفس الآية، مثاله: (أن منافق كان يؤذي المؤمنين فقال أبو بكر قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق: فقال: ((إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله)) **هذا الحديث ضعيف ولكن على فرض ثبوته فيستفاد منه التالي:** 1 – أنه بقصد تعليم الصحابة حتى لا يغلوا فيه كغلو النصارى في المسيح وغلوهم فيه هو عبادته واعتقاد كونه ولد لله وأنه إلهاً مع الله قال تعالى ((لقد كفر اللذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة)) فخشي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يعبدوه وهم حدثاء عهد بكفر، وهو كقوله ((وإذا استعنت فاستعن بالله)) فلا يعني ذلك عدم جواز الأخذ بالأسباب وطلب العون من الناس ولا يعني عدم جواز الاستغاثة بالمخلوق، 2 – أن في الحديث استغاثة بحي حاضر قادر

صلى الله عليه وآله وسلم ويلزم على هذا إجراء ذلك في الحي والميت، لأنهم استغاثوا به في حياته وحضوره فما دام أننا لا نقول بذلك لأنه بعيد فحمله على الميت أبعد عن الصواب فلم يبق إلا أن نقول: إنه خشي أن يظنوا أنه مستقل بالقدرة والتأثير فنهاهم أو أن من بينهم من هم حدثاء عهد بكفر فبين لهم حتى لا يفعلوا ما فعل قوم عيسى من غلوهم فيه وذلك بعبادتهم له عليه السلام،

[نموذج أخر]: حديث عبدالله ابن الشخير قال انطلقت في وفد بني عامر إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقلنا: أنت سيدنا فقال (السيد الله تبارك وتعالى) قلنا: وأعظمنا طولاً وأفضلنا فضلاً فقال ((قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان))، فلاحظ أنهم حدثاء عهد بكفر أتوا لمبايعته على الإسلام، ولا حظ أنه خشي أن يستجرينهم الشيطان إلى شيء أعظم، بينما تراه مع أصحابه اللذين رسخ الإسلام في أذهانهم مع الزمن يقولون له ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم وصححه من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه أنه قال: "مررنا بسيل فدخلت فاغتسلت فيه، فخرجتُ محمولاً فَنَمى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: مروا أبا ثابت يتعوذ، قال: فقلت يا سيدي والرقى الصالحة؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: "لا رقى إلا في نفس أو حمة أو لدغة"، وتسويد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الخطاب داخل ضمن عموم قول الله تعالى: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) قال قتادة كما في "تفسير ابن كثير": "أمر الله أن يُهاب نبيُّه صلى الله عليه وآله وسلم، وأن يُبَجَّل، وأن يُعَظَّم، وأن يُسَّود"، **فانظر إلى الفرق بين الموقفين موقف مع حدثاء عهد بكفر وموقف بعد استقرار الدين، فالنتيجة تتلخص في الآتي:** 1- أن كفار قريش غير موحدين لله في جميع الربوبية أي جميع أفعاله، 2- أن كفار قريش وإن أقروا لله ببعض أفعاله لكن لم ينفوا وجود الشريك له بدليل قوله تعالى {بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}، 3- أن كفار قريش كانوا يعبدون الأصنام فدعاءهم لها وحجهم لها وصلاتهم كان بنية عبادتها كشركاء لله تعالى وفي ذلك أدلة كثيرة منها قال تعالى {قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} فأخبر سبحانه وتعالى أنهم يعبدونهم من دون الله،، ومنها: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ` قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} فبين أنهم كانوا يعبدونهم، وقال تعالى: {ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا

ينفعهم وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون} يونس 18 ففي الآية عدة أشياء متلازمة: [أنهم يعبدونهم من دون الله]، [ويكذبون على الله فيدعون أنهم شفعاء لهم عنده،] [ثم بين أنهم مشركون بالله]، فقال ((سبحانه وتعالى عما يشركون)) فهذه ثلاثة أشياء، قال أهل التفسير ومنهم الإمام القرطبي: (قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض) أي أتخبرون الله أن له شريك في ملكه أو شفيع بغير إذنه والله لا يعلم لنفسه شريكا في السماوات ولا في الأرض لأنه لا شريك له فلذلك لا يعلمه،) أهـ، **(إيقاظ):** هذه الآية تساق في التدريس غالباً مجتزئة عن سياقها وسباقها فيورد منها ((وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ)) ولا يذكر ما قبل ذلك ولا ما بعده فتنبه أخي،

4 – أن المسلمين اللذين يكفرهم ويظن بعض طلاب العلم والمشايخ أنهم مثل كفار قريش لا يعبدون الأنبياء ولا الأولياء وإنما هو من باب الأخذ بالأسباب مع اعتقادهم أنهم غير مستقلين بشيء ولا شركاء لله سبحانه وتعالى ففارقوا أهل الإشراك في التالي: 1– إقرارهم وإيمانهم بأن الله لا إله غيره ولا رب سواه، فبيننا وبينهم حرمة لا إله إلا الله فأين أنت منها يوم القيامة، 2– أنهم لا يعبدون الأنبياء ولا الأولياء بخلاف المشركين فإن الله أخبرنا في كتابه وفي سنة رسوله أنهم يعبدون أصنامهم، 3– أن التوسل عندهم إنما هو من باب الأخذ بالأسباب كما تتوسل أنت بالعمل الصالح وكما يستغيث المسلم المضطر بالحي الحاضر القادر، وليس هذا بشرك ولا الأخر بشرك لأنه ليس فيه عبادة أصلاً ولا اعتقاد من المسلم أن هذا المستغاث به سواء كان حياً أو ميتاً مستقل بالأمر من دون الله ولا أنه شريك لله وإنما هو مجرد سبب، بخلاف المشركين فإنهم يعبدونهم ويعتقدون أنهم شركاء لله وهذا صريح في الآيات، 4– لا معنى لأن نجيز الاستغاثة بالحي الحاضر القادر ونجعل الاستغاثة بالميت شرك أكبر مخرج من الملة لأن الشرك هو الشرك سواء استغاث بالحي أو بالميت، فإن كان في الحي من باب الأخذ بالسبب فقط فكذا في الميت، أما لو اعتقد أنه معبود له أو أنه مستقل بذلك أو شريك لله فهو شرك أكبر سواء كان استغاثة بحي أم بميت،

(نقطة مهمة لابد من الكلام عنها): إن قال قائل إن كفار قريش وأصحاب التوسل سواء في كونهم يعبدون غير الله وما كانت عبادة قريش لأصنامها إلا بدعائهم و (الدعاء هو العبادة) كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ **الجواب:** رغم أن ما مضى في البحث يكفي في ذلك ولكن طلباً للبيان فأقول ولا حول ولا قوة إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم: أن (الدعاء هو العبادة) كما قال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والدعاء عمل من أعمال التعبد

يفتقر إلى النية وذلك لقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى)) وأقرب لك الصورة أكثر بمثالين: 1- رجل مضطر قد حاصره العدو من كل مكان فاستغاث بحي حاضر قادر ينقذه منه وكان هذا الحي الحاضر القادر ولي من الأولياء فقال: يا فلان أدركني فكيف أعلم أن دعاءه هنا لهذا الولي يريد به دعاء عبادة أو ليس بعباده؟ الجواب أن مرد ذلك إلى نيته وقصده فإن كان يريد أن يعبد هذا الولي فهو مشرك وإن كان مراده أنه سبب لإنقاذه فقط والأمر لله وحده فهو جائز، فتحصل عندنا نوعان من الدعاء: (أحدهما): دعاء بقصد العبادة فهذا لا يجوز إلا لله تعالى وحده كسائر العبادات، (ثانيهما): دعاء بدون قصد العبادة فهذا جائز لأنه ليس بعبادة أصلاً، فليس المراد أن كل دعاء هو عبادة بل قد يكون عبادة أو غير عبادة والضابط في ذلك هو النية،

أمثلة لبيان اختلاف الدعاء: (1) {كهيعص، ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادا ربه نداءً خفيا، قال ربي إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك ربي شقيا،، }، (2) {وادعوا شهداءكم}، (3) وقوله تعالى: {لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا}، (4) ويأتي الدعاء بمعنى العبادة ((والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير)) أي والذين تعبدون من دونه، وكقوله تعالى أيضا: (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك) أي ولا تعبد من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك، فاتضح بأن ليس كل دعاء عبادة فتنبه،

مسألة: فإن قلت بأن المتوسل ينادي الولي والنبي بتذلل وخضوع؟ فجوابه: قد سبق ضابط تعرف به كون العمل يراد به عبادة أو غير عبادة ألا وهي النية، والنية أيضا تضبط كون العبادة لله أو يريد بها غير الله، فما ذكرت من تذلل وخضوع فهو عمل كسائر الأعمال يشترط له النية فإن نوى به العبادة فيشترط فيه أن يكون خالصاً لله فالنية يا أخي تميز العبادة عن غير العبادة وتميز كونها عبادة لله أو لغير الله، ولذا فقد يخضع الإنسان ويتذلل لوالديه محبة وإجلالاً أو للرسول صلى الله عليه وآله وسلم تعظيماً وإكراماً أو يخضع لعدو أو حاكم جائر ظالم فليس كل خضوع يكون عبادة، وقد يخضع ويتذلل بنية عبادة ذلك المعبود فإما أن يكون تذلل وخضوع لله فهو حق أو يكون تذلل وخضوع عبادة لغير الله فهو شرك أكبر، فالفرق هو بالنية لأنه عمل ظاهر ولكل إنسان ما نوى، أخيراً أسوق لكم كلام لبعض العلماء وهو حق لمن أراد الحق فاستفده: قال: ليس كل تعظيم لشئ عبادة له شرعاً، حتى يكون شركا، بل من التعظيم ما يكون واجباً كتعظيم الرسول والوالدين أو مندوبا إذا كان مأمورا به أو مرغبا فيه كتعظيم قدر العلماء

الصادقين، ومنه ما يكون مكروهاً أو محرماً كتعظيم الفسقة والمنافقين، ومنه ما يكون مباحاً كتعظيم قدر طالب مجتهد أو زميل وفي، ولا يكون التعظيم لشيء شركاً حتى يقترن معه اعتقاد ربوبية ذلك الشئ، أو خصيصة من خصائص الربوبية، فكل من عظم شيئاً فلا يعتبر في الشرع عابدا له إلا إذا اعتقد فيه ذلك الاعتقاد، وقد استقر في عقول بني آدم ما داموا على سلامة الفطرة أن من ثبتت له الربوبية فهو للعبادة مستحق، ومن انتفت عنه الربوبية فهو غير مستحق للعبادة، فثبوت الربوبية واستحقاق العبادة متلازمان فيما شرع الله في شرائعه وفيما وضع في عقول الناس، وعلى أساس اعتقاد الشركة في الربوبية بنى المشركون استحقاق العبادة لمن اعتقدوهم أرباباً من دون الله تعالى، ومتى انهدم هذا الأساس من نفوسهم تبعه ما بني عليه من استحقاق غير الله للعبادة، ولا يسلم المشرك بانفراد الله تعالى باستحقاق العبادة حتى يسلم بانفراده عز وجل بالربوبية، وما دام في نفسه اعتقاد الربوبية لغيره عز وجل استتبع ذلك الاعتقاد في هذا الغير الاستحقاق للعبادة ولذلك كان من الواضح عند أولي الألباب أن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية شئ واحد ولا فرق بينهما وهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر في الوجود وفي الاعتقاد، فمن اعترف أنه لا رب إلا الله كان معترفا بأنه لا يستحق العبادة غيره، ومن أقر بأنه لا يستحق العبادة غيره كان مذعنا بأنه لا رب سواه، وهذا هو معنى لا إله إلا الله في قلوب جميع المسلمين، ولذلك نرى القرآن في كثير من المواضع يكتفي بأحدهما عن الآخر، ويرتب اللوازم المستحيلة على انتفاء أي واحد منهما ليستدل بانتفائها على ثبوته فانظر إلى قوله تعالى: {لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا} [الأنبياء: 22]، وقوله تعالى: {وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض} [المؤمنون: 91]، حيث عبر بالإله ولم يعبر بالرب، وكذلك في الميثاق الأول، قال سبحانه: {ألست بربكم} [الأعراف: 172]، ولم يقل بإلهكم، واستفاض عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أن الملكين يقولان للميت في قبره (من ربك؟) ويكتفيان بالسؤال عن توحيد الربوبية، ويكون جوابه بقوله: (الله ربي)، كافيا، ولا يقولان له إنما عرفت توحيد الربوبية واعترفت به فقط، ولم تعترف بتوحيد الألوهية، ولا يقولان له ليس توحيد الربوبية كافيا في الإيمان،، ويثبت أنه لا فرق بين توحيد الألوهية والربوبية أيضا أن الله تعالى ذكر عن فرعون أنه قال مرة: {ما علمت لكم من إله غيري} [القصص: 38]، ومرة أخرى: أنه قال: {أنا ربكم الأعلى} [النازعات: 24]، فاتضح أن الإله هو الرب، والرب هو الإله ولا فرق،

و[ملخص ما مر]: أن العبادة في اللغة هي مطلق الطاعة والخضوع لأي أحد كان بخلاف العبادة في اصطلاح الشرع فهي غاية التذلل والخضوع لمن يعتقد الخاضع له بعض صفات الربوبية، فإذا فهمت ذلك علمت يقينا أن من أطاع أحدا وخضع له لا لاعتقاده أن له بعض صفات الربوبية لا يسمى عابدا له شرعا وإن كان الخضوع والتذلل لغير الله تعالى قد يحرم في بعض صوره كما إذا كان لغني لأجل غناه، لكنه لا يسمى عبادة شرعا، ولا يكون صاحبه مشركا، كما أفاد ذلك العلامة محمد حبيب الله الشنقيطي في زاد المسلم، ويوضح ذلك أيضا أن نقول: إن العبادة شرعا معناها الإتيان بأقصى الخضوع قلبا وقالبا، فهي إذن نوعان: باطنة وظاهرة، (فالقلبية): هي اعتقاد الربوبية أو خصيصة من خصائصها كالاستقلال بالنفع أو الضر ونفوذ المشيئة لمن اعتقد فيه ذلك، و (الظاهرة): هي الإتيان بأنواع الخضوع الظاهرة من قيام وركوع وسجود وغيرها مع ذلك الاعتقاد القلبي، فإن أتى بواحد منها بدون ذلك الاعتقاد لم يكن ذلك الخضوع عبادة شرعاً ولو كان سجوداً، وإنما قال العلماء بكفر من سجد للصنم لأنه أمارة وعلامة على ذلك الاعتقاد أي اعتقاد كونه إلهاً، لا لأنه كفر من حيث ذاته، إذ لو كان كفرا لذاته – السجود – لما حل في شريعة قط، وقد حل كما هو معلوم في آيات كثيرة، فكيف حل وهو كفر، والله لا يأمر بالفحشاء، قال تعالى: {إن الله لا يأمر بالفحشاء} [الأعراف: 27]، فقد كان كما هو معلوم السجود لغير الله عز وجل على وجه التحية والتكريم مشروعا في الشرائع السابقة وإنما حرم في هذه الشريعة، فمن فعله لأحد تحية وإعظاما من غير أن يعتقد فيه ربوبية كان آثما بذلك السجود إثماً عظيماً، ولكن لا يكون به كافرا إلا إذا قارنه اعتقاد الربوبية للمسجود له، ويرشدك إلى ذلك قوله عز وجل في سيدنا يعقوب نبي الله عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وامرأته وبنيه حين دخلوا على سيدنا يوسف {وخروا له سجدا} [يوسف: 100]، قال ابن كثير في تفسيرها: أي سجد له أبواه وإخوته الباقون وكانوا أحد عشر رجلا، وقد كان هذا سائغا في شرائعهم، إذا سلموا على الكبير يسجدون له، لم يزل هذا جائزا من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام، فحرم هذا في هذه الملة) ا هـ المقصود منه، ويوضح ذلك أيضا أمره عز وجل الملائكة بالسجود لآدم، فكان سجودهم له عليه الصلاة والسلام عبادة للآمر عز وجل، وإكراما لآدم عليه الصلاة والسلام، ومن هنا نعلم أن تعظيم الكعبة بالطواف حولها وتعظيم الحجر الأسود باستلامه وتقبيله ليس عبادة شرعا للبيت ولا للحجر، وإنما هو عبادة للآمر بذلك سبحانه وتعالى، الذي اعتقد الطائف بالبيت ربوبيته سبحانه، أه كلامه،

(المسألة الثالثة): الشرك الأصغر: ما هو حد الشرك الأصغر؟: عرفه جميع العلماء في المذاهب بتعريف النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد بين بالتعريف المنضبط ما هو حد الشرك بقسميه الأكبر والأصغر فقال: ((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)) قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ ((قال الرياء))، وسمي الرياء شركاً لأن متعلقه الإخلاص في العبادة لأن الإنسان إما أن يكون إخلاصه منتفياً انتفاء كلياً بأن يجعل لله نداً وشريك يعبده فهذا هو الشرك الأكبر، وإما أن يعبد الله وحده لكنه يزين هذه العبادة لأجل الناس لسمعهم أو لنظرهم وهذا هو الشرك الأصغر، والأحاديث فيه كثيرة فمنها: ما جاء في تفسير ابن كثير الشافعي رحمه الله قال: قال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد يعني ابن مسهر قال قال شهر بن حوشب قال ابن غنم لما دخلنا مسجد الجابية أنا وأبو الدرداء لقينا عبادة بن الصامت فأخذ يميني بشماله وشمال أبي الدرداء بيمينه فخرج يمشي بيننا ونحن نتناجى والله أعلم بما نتناجى به فقال عبادة بن الصامت إن طال أحدكما أو كليكما لتوشكان أن تريا الرجل من ثبج المسلمين يعني من وسط قراء القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأعاده وأبداه وأحل حلاله وحرم حرامه ونزله عند منازله لا يجوز فيكم إلا كما يجوز رأس الحمار الميت قال فبينما نحن كذلك إذ بشداد بن أوس رضي الله عنه وعوف بن مالك فجلسا إلينا فقال شداد ((إن أخوف ما أخاف عليكم أيها الناس لما سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول من الشهوة الخفية والشرك)) فقال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء اللهم غفرا الم يكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قد حدثنا أن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب أما الشهوات الخفية فقد عرفتموها هي شهوات الدنيا من نسائها وشهواتها فما هذا الشرك الذي تخوفنا يا شداد؟ فقال شداد أرأيتكم لو رأيتم رجلا يصلي لرجل أو يصوم لرجل أو يتصدق أترون أنه قد أشرك قالوا نعم والله إن من صلى لرجل أو صام أو تصدق له لقد أشرك فقال شداد فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من صلى يرائي فقد أشرك ومن صام يرائي فقد أشرك ومن تصدق يرائي فقد أشرك قال عوف بن مالك فعند ذلك أفلا يعمد الله إلى ما أبتغي به وجهه من ذلك العمل كله فيقبل ما خلص له ويدع ما أشرك به فقال شداد عند ذلك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ((إن الله يقول أنا خير قسيم لمن أشرك بي من أشرك بي شيئا فإن عمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به أنا عنه غني)) طريق أخرى لبعضه قال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني عبد الواحد بن زياد أخبرنا عبادة بن نسي عن شداد ابن أوس رضي الله عنه أنه بكى فقيل له

ما يبكيك قال شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأبكاني سمعت رسول الله يقول ((أتخوف على أمتي الشرك والشهوة الخفية)) قلت يا رسول الله أتشرك وجبت من بعدك ((قال نعم أما إنهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكن يراؤن بأعمالهم والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائما فتعرض له شهوة من شهواته فيترك بحال)) ورواه ابن ماجه من حديث الحسن بن ذكوان عن عبادة بن نسي به وعبادة فيه ضعف وفي سماعه من شداد نظر، أ هـ من تفسير ابن كثير لسورة الكهف الآية 110 {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي}، لاحظ أخي وتنبه لما وضعت خط تحته من الحديث ففيه إيقاظ لمريد الحق، والخلاصة: أن الشرك الأصغر في شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو الرياء فقط كذا في المذاهب الأربعة خلافاً لما رآه بعض العلماء كالإمام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله وابن القيم فقد ادخلا غيره من الأعمال وقلدهم في ذلك جمع من أهل العلم، وجاء في تفسير السيوطي: خرج ابن أبي الدنيا في الإخلاص وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقى عن شداد بن أوس قال ((كنا نعد الرياء على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الشرك الأصغر)) [5: 470]،

(فائدة): حكم الحلف بغير الله وبالأمانة وكذلك الطيرة والتمائم والتولة: إذا علمنا أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد بين الشرك الأكبر والأصغر بحده فماذا يقال في الأحاديث الأخرى كحديث ((من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك))، وحديث ((الطيرة شرك)) وحديث ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)) ؟ أخي الكريم سددك الله هي تحمل عند جميع العلماء من فقهاء الأمة في المذاهب الأربعة على أحد معنيين: (1) أنه من باب التغليظ، (2) أن المقصود أنه شرك أكبر وذلك إذا أعتقد فيها الاستقلال والتأثير،

(فائدة): كلمة التأثير عند العلماء هي بمعنى الإيجاد من العدم وهو مبني على مسألة السبب هل هو مؤثر أم معرف فأهل السنة والجماعة يقولون أنه معرف والمعتزلة ونحوهم يقولون أنه مؤثر وبناء على هذا التقعيد تبنت المعتزلة كون العبد يخلق فعل نفسه الاختياري وليس هذا موطن الإطناب في المسألة ولكن هي فائدة فقط، فمسألة الحلف بغير الله وكذا الطيرة إن خلت عن نية واعتقاد كون المحلوف به يعظم كتعظيم الله وخلت الطيرة ونحوها كالتولة وغير ذلك عن اعتقاد التأثير المستقل فهي مسألة فقهية اختلف العلماء فيها على أقوال تجدها في الفقه وليس مبحثها العقائد، وراجع في ذلك كتب الفقهاء في المذاهب الأربعة، وراجع شرح الأحاديث كشروح صحيح البخاري ومسلم وجامع الترمذي والتمهيد وغيرها من كتب التي عنت بشرح الأحاديث

وكذا راجع كتب التفسير عند قوله تعالى ((قل طائركم عند الله))، **وإليكم أخي الكريم بعض النقول في المسألة: قال الإمام ابن حجر** العسقلاني الشافعي رحمه الله: خرج الترمذي من وجه آخر عن انه سمع رجلا يقول لا والكعبة فقال لا تحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ((من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)) قال الترمذي حسن وصححه الحاكم والتعبير بقوله فقد كفر أو أشرك للمبالغة في الزجر والتغليظ في ذلك وقد تمسك به من قال بتحريم ذلك، قوله من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت قال العلماء السر في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده وظاهر ثم تخصيص الحلف بالله خاصة لكن قد اتفق الفقهاء على أن اليمين تنعقد بالله وذاته وصفاته العلية واختلفوا في انعقادها ببعض الصفات كما سبق وكأن المراد بقوله بالله الذات لا خصوص لفظ الله وأما اليمين بغير ذلك فقد ثبت المنع فيها **وهل المنع للتحريم قولان عند المالكية** كذا قال بن دقيق العيد والمشهور عندهم الكراهة **والخلاف أيضا عند الحنابلة لكن المشهور عندهم التحريم** وبه جزم الظاهرية وقال بن عبد البر لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع ومراده بنفي الجواز الكراهة أعم من التحريم والتنزيه فإنه قال في موضع آخر اجمع العلماء على أن اليمين بغير الله مكروهة منهي عنها لا يجوز لأحد الحلف بها **والخلاف موجود عند الشافعية** من اجل قول الشافعي أخشى أن يكون الحلف بغير الله معصية فأشعر بالتردد وجمهور أصحابه على انه للتنزيه وقال إمام الحرمين المذهب القطع بالكراهة وجزم غيره بالتفصيل فان اعتقد في المحلوف فيه من التعظيم ما يعتقده في الله حرم الحلف به وكان بذلك الاعتقاد كافرا وعليه يتنزل الحديث المذكور وأما إذا حلف بغير الله لاعتقاده تعظيم المحلوف به على ما يليق به من التعظيم فلا يكفر بذلك ولا تنعقد يمينه، [فتح الباري 11: 531]، **فتلخص من كلامه رحمه الله عدة أحكام على التفصيل:** 1- إن اعتقد تعظيم المحلوف به كتعظيم الله فهو كافر كفر أكبر، (الكاف للتسوية والتشريك)، 2- إن حلف بغير الله على غير نية التعظيم المساوي لتعظيم الله فتقدم فيه ذكر الحكم في المذاهب الفقهية الأربعة لأنها حينئذ مسألة فقهية ومعتمد الحنابلة هو التحريم وليس بكبيرة، 3 – تعرض لمسألة الكفارة إذا حنث في يمينه وهي تأتي على جهتين: (الجهة الأولى): أن يكون حلف بالله أو أسمائه وصفاته فعليه الكفارة بالإجماع، (الجهة الثانية): أن يكون حلف بغير الله فالجمهور أن عليه الكفارة خلافاً للشافعية، 4- إذا حلف بغير الله لاعتقاده تعظيم المحلوف به على ما يليق به من التعظيم فلا يكفر بذلك ولا تنعقد يمينه، (كالحلف بالنبي والمصحف والكعبة)، **ولعلك تعلم سبب الخلاف:** وهو أن هذه مسائل

اجتهادية لا تبديع فيها ولا تفسيق بين أهل العلم بل المصيب له أجران ومن لم يصب فله أجر واحد ولا يقطع فيه بأن المصيب هذا أو هذا لأن القطع بذلك في المسائل الاجتهادية خطأ فادح فلعل الحق عند الله هو في الرأي الأخر ولكن الإنسان يبذل جهده في طلب الحق مع عدم الجزم به لأن في ذلك تضليل للمخالف وهذا في مسائل الاجتهاد لا في مسائل الإجماع ومعنى المسائل القطعية هي قطعية الثبوت في الدليل وقطعية في دلالة الدليل على المقصود، قال الإمام ابن عبد البر المالكي رحمه الله: خبرنا عبدالرحمن بن يحيى قراءة مني عليه أن علي بن محمد حدثهم قال حدثنا أحمد بن داود حدثنا سحنون حدثنا وهب أخبرني حيوة بن شريح عن خالد بن عبدالله المعافري عن مشرح بن هاعان قال سمعت عقبة بن عامر الجهني يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ((من علق تميمة فلا أتم الله له ومن علق ودعة فلا ودع الله له)) وقرأت على خلف بن أحمد أن أحمد بن مطرف حدثهم قال حدثنا أبو صالح أيوب بن سليمان وأبو عبدالله محمد بن لبابة قالا حدثنا أبو زيد عبدالرحمن بن إبراهيم قال حدثنا عبدالله بن يزيد المقرئ قال أخبرنا حيوة بن شريح قال أخبرنا خالد بن عبدالله أنه سمع مشرح بن هاعان يقول إنه سمع عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له قال أبو عمر التميمة في كلام العرب القلادة هذا أصلها في اللغة ومعناها عند أهل العلم ما علق في الأعناق من القلائد خشية العين أو غيرها من أنواع البلاء وقال الخليل بن أحمد التميمة قلادة فيها عود قال والودع خرز قال فكان المعنى في هذا ثم أن من تعلق تميمة خشية ما عسى أن ينزل أو لا ينزل قبل أن ينزل فلا أتم الله عليه صحته وعافيته ومن تعلق ودعة وهي مثلها في المعنى فلا ودع الله له أي فلا ترك الله له ما هو فيه من العافية أو نحو هذا والله أعلم وهذا كله تحذير ومنع مما كان أهل الجاهلية يصنعون من تعليق التمائم والقلائد يظنون أنها تقيهم وتصرف البلاء عنهم وذلك لا يصرفه إلا الله عز وجل وهو المعافي والمبتلي لا شريك له فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما كانوا يصنعون من ذلك في جاهليتهم، [أهـ من كتاب التمهيد17: 161]، وبالله العصمة والرشاد حدثنا أحمد بن محمد بن أحمد وعبيد بن محمد قالا حدثنا الحسن بن سلمة بن المعلى حدثنا عبدالله بن الجارود حدثنا إسحاق بن منصور قال قلت لأحمد بن حنبل ما يكره من المعاليق قال ثم شيء يعلق قال من تعلق شيئا وكل إليه قال إسحاق وقال لي إسحاق بن راهويه هو كما قال إلا أن يفعله بعد نزول البلاء فهو حينئذ مباح له قالت ذلك عائشة أخبرنا أحمد بن قاسم بن عبدالرحمن وأحمد بن محمد بن أحمد قالا حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أبو إسماعيل

الترمذي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا ابن المبارك أخبرنا شعبة عن حماد عن إبراهيم قال إنما يكره تعليق المعاذة من والجنب وأما ثم الذي جاء فيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال قلدوا الخيل ولا تقلدوها الأوتار فليس من قلائد الإبل المذكورة في هذا الباب في شيء وإنما معنى ذلك ثم في الخيل ما ذكره وكيع بن الجراح في تأويله قال وكيع معناه لا تركبوها في الفتن فمن ركب فرسا في فتنة لم يسلم أن يتعلق به وتر يطلب به أن قتل أحدا على فرسه في مخرجه في الفتنة عليه وهو في خروجه ذلك ظالم قال ولا بأس بتقليد الخيل قلائد الصوف الملون إذا لم يكن ذلك خوف نزول العين، [التمهيد لابن عبد البر 17: 162]،

[الطيرة]: قال ابن حجر: وإنما جعل ذلك شركاً لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعاً أو يدفع ضراً فكأنهم أشركوه مع الله تعالى وقوله ولكن الله يذهبه بالتوكل إشارة إلى أن من وقع له ذلك فسلم لله ولم يعبأ بالطيرة أنه لا يؤاخذ بما عرض له من ذلك وأخرج البيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن عمرو موقوفا من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك [فتح الباري10: 213]، وقال: يتعاطاه وقد أخرج الطبري عن عكرمة قال كنت عند بن عباس فمر طائر فصاح فقال رجل خير خير فقال بن عباس ما عند هذا لا خير ولا شر وقال أيضا الفرق بين الفأل والطيرة أن الفأل من طريق حسن الظن بالله والطيرة لا تكون إلا في السوء فلذلك كرهت وقال النووي الفال يستعمل فيما يسوء وفيما يدفع وأكثره في السرور والطيرة لا تكون إلا في الشؤم وقد تستعمل مجازا في السرور اه وكأن ذلك بحسب الواقع وأما الشرع فخص الطيرة بما يسوء والفال بما يدفع ومن شرطه أن لا يقصد إليه فيصير من الطيرة قال بن بطال جعل الله في فطر الناس محبة الكلمة الطيبة والأنس بها كما جعل فيهم الارتياح بالمنظر الأنيق والماء الصافي وأن كان لا يملكه ولا يشربه وأخرج الترمذي وصححه من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا خرج لحاجته يعجبه أن يسمع يا نجيح يا راشد وأخرج أبو داود بسند حسن عن بريدة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يتطير من شيء وكان إذا بعث عاملا يسأل عن اسمه فإذا أعجبه فرح به وأن كره اسمه رؤى كراهة ذلك في وجهه **وذكر البيهقي في الشعب** عن الحليمي ما ملخصه كان التطير في الجاهلية في العرب إزعاج الطير عند إرادة الخروج للحاجة فذكر نحو ما تقدم ثم قال وهكذا كانوا يتطيرون بصوت الغراب وبمرور الظباء فسموا الكل تطيرا لأن أصله الأول قال وكان التشاؤم في العجم إذا رأى الصبي ذاهبا إلى المعلم تشاءم أو راجعا تيمن وكذا إذا رأى الجمل موقرا حملا تشاءم فإن رآه واضعا حمله تيمن ونحو ذلك فجاء الشرع برفع ذلك كله وقال من

تكهن أورده عن سفر تطير فليس منا ونحو ذلك من الأحاديث وذلك إذا اعتقد أن الذي يشاهده من حال الطير موجبا ما ظنه ولم يضف ذلك إلى الله تعالى [أي جعله مستقل بالتأثير كما سبق بيانه فهذا شرك أكبر بخلاف ما إذا جعله سبب يتشاءم منه فهو منهي عنه إن لم يدفعه]، فأما إن علم أن الله هو المدبر ولكنه أشفق من الشر لأن التجارب قضت بأن صوتا من أصواتها معلوما أو حالا من أحوالها معلومة فإن وطن نفسه على ذلك أساء وإن سأل الله الخير واستعاذ به من الشر ومضى متوكلا لم يضره ما وجد في نفسه من ذلك وإلا فيؤاخذ به وربما وقع به ذلك المكروه بعينه الذي اعتقده عقوبة له كما كان يقع كثيرا لأهل الجاهلية والله أعلم [فتح الباري 10: 215]، وللفائدة فالمسألة فقهية إن اعتقد أن ذلك الشيء لا يؤثر بنفسه استقلالاً وإلا فهو شرك أكبر إن اعتقد أن ذلك يؤثر استقلالاً عن الله أو اعتقد أن الطير تعلم الغيب، وحكمها الفقهي أنها محرمة باتفاق العلماء كما قال ملا علي قاري في شرح مشكاة المصابيح بل ذهب جمع من الحنابلة إلى أنها كبيرة، ولكن لم يقل علماء المذاهب بأنها شرك اصغر لأنه سبق أن ذكرت معنى الشرك الأصغر فقد حده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبينه وتابعه علماء الأمة، **[أخيراً]**: من الخير لنا الرجوع إلى أقوال جمهور علماء الأمة في هذه المسائل وترك التعصب، ... والأمر كله لله ولا حول ولا قوة إلا به، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الناس أجمعين وعلى آله وصحبه المبجلين]] انتهى كلام الشيخ غيث بن عبدالله الغالبي في مسائل في التوحيد والشرك،

***

الفصل السادس

مفاتيح مسائل فقهية

أُلحقت بباب التوحيد والشرك وليست منه

المبحث الأول: مفاتيح تحقيق القول في التوسل

المبحث الثاني: مفاتيح تحقيق القول في الاستغاثة والاستعانة

المبحث الثالث: مفاتيح تحقيق القول في التبرك

المبحث الرابع: مفاتيح تحقيق القول في بناء المساجد على المقابر

المبحث الخامس: مفاتيح تحقيق القول في شد الرحال إلى زيارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

تنبيه

ليس المقصد من تحقيق تلك المسائل هو الانتصار لرأي فقهي على حساب آخر، وإنما المقصد الأساسي من ذلك ثلاثة أمور:

(الأول): هو بيان أنّ هذه المسائل تتبع الفقه ولا تتبع التوحيد، وتتبع الصواب والخطأ ولا تتبع السنّة والبدعة لأنّ المسلمين – على مر عصور الإسلام – مهما بلغ الجهل منهم مبلغه، فلم يعبدوا إلا الله ولم يصرفوا العبادة إلا إلى الله، كيف وشعارهم هو (لا إله إلا الله)،

(الثاني): تهذيب مسائل التوحيد والشرك ومسائل السنّة والبدعة، فلا يشوبها شائبة الغلو والجفاء، واتهام المسلمين بالشرك الأكبر وهم منه برآء، واتهام المسلمين

بالبدعة في مسائل فقهية خلافية لكل فقيه فيها ادلته، فعلاج الخلل لا يكون بالخلل، وعلاج الخطأ لا يكون بالخطأ، وعلاج التفريط لا يكون بالإفراط، ودين الله تعالى عدل بين ظلمين، ووسط بين طرفين، والله الهادي إلى صراطه المستقيم،

(الثالث): أنّ جمهور الفقهاء في هذه المسائل يخالفون الوهابيين فيما ذهبوا إليه فكيف يصل بهم الامر إلى جعلها مسائل عقدية يتخذونها ذريعة لتكفير المسلمين واتهامه بالشرك واستحلال دماءهم واموالهم بسبب تلك المسائل الفقهية

المبحث الأول

مفاتيح تحقيق القول في التوسل

وتشتمل على تلك المفاتيح: (1) معنى التوسل، (2) درر ومعلومات عن التوسل جاءت في الموسوعة الفقهية، (3) خطأ في فهم المقصود من التوسل، (4) تحرير المعنى المقصود من التوسل، (5) أنواع واقسام التوسل، (6) أدلة التوسل وتقييمها شرعاً، (7) هل هناك فرق بين

التوسل بذوات الأنبياء والصالحين، وبين التوسل بالعمل الصالح، (8) هل هناك فرق في التوسل بالصالحين بين الحي والميت، (9) لا يوجد في الشرع دليل واحد يمنع من التوسل الصحيح بكافة انواع التوسل، (10) هل التوسل من أبواب العقيدة أم أبواب الفقه، (11) التوسل في مذاهب الفقهاء الأربعة والعلماء، (12) أخطاء الوهابيين في باب التوسل،

***

[المفتاح الأول]: **معنى التوسل: التوسل في اللغة:** هو ما يتقرب به إلى الغير، قال الجوهري في الصحاح مادة ((وسل)) (5: 1841): (الوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير، والجمع: الوسيلة والوسائل، والتوسيل والتوسل واحد يقال: وسل فلان إلى ربه وسيلة وتوسل إليه بوسيلة أي تقرب إليه بعمل) اهـ، وجاء في لسان العرب الوسيلة: المنزلة عند الملك والدرجة والقربة، ووسل فلان إلى الله وسيلة: إذا عمل عملاً تقرب به إليه، والواسل كالراغب إلى الله، اهـ، **والتوسل في الشرع:** هو ما يُتقرب به إلى الله تعالى، **قال الإمام القرطبي فى تفسيره** (ص 2156، طبعة الشعب): قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة}، الوسيلة: هى القربة عن أبي وائل، والحسن، ومجاهد، وقتادة، وعطاء، والسُدِّي، وابن زيد، وعبد الله بن كثير، وهى فعلية من توسلت إليه أى تقربت،، والوسيلة القربة التي ينبغي أن يطلب بها) أهـ، ابن كثير في تفسيره (3: 97): (الوسيلة هي ما يتوصل بها إلى تحصيل المطلوب) اهـ، وجاء تفسير أبو السعود ({وَابْتَغُوا} أي اطلبوا لأنفسكم {إِلَيْهِ} أي إلى ثوابه والزلفى منه {الْوَسِيلَةَ} هي فعلية بمعنى ما يتوسل به ويتقرب به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل إلى كذا أو تقرب إليه بشيء،، وقبل الجملة الأولى يعني {اتَّقُوا اللَّهَ} أمر بترك المعاصي، والثانية يعني {وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ} أمر بفعل الطاعات) أهـ [تفسير أبو السعود، ج1، ص371]،

[المفتاح الثاني]: تحرير المعنى المقصود من التوسل: التوسل إنما هو طلب القربى إلى الله تعالى بالوسائل الجائزة شرعاً، والمتوسِّلُ المسلم الموحد لا يعبد إلا الله، ولا يرجو سوى الله، ولا يدع إلا الله وحده، فالله وحده – في عقيدة كل مسلم – هو المالك القادر المهيمن، وهو وحده المعطي والمانع، وهو وحده المعز والمذل وهو وحده النافع والضار ولكن المتوسّل اتخذ قربة شرعية جائزة – أجازها الكتاب والسنة – رجاء قبول مبتغاه عند الله، وليس التوسل – أبداً – اتخاذ واسطة بين العبد وربه، كما كان يفعل المشركون بقولهم: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ

هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: 3]، فشتان بين مسلم لا يعبد إلا الله، ويستأفف من نسبة عبادته إلى غير الله، ولا يرضى أبداً أن يقال عنه أنه عابد لغير الله، وهو يقر بالقرآن والإسلام وأركان الإيمان، ويشهد بالشهادتين (لا إله إلا الله – محمد رسول الله)، عن يقين واعتقاد، فهل يستوي هذا مع من يستنكف عن التوحيد والإسلام والإيمان، ويزعم أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ساحر كذاب، وقد صور القرآن الكريم حالهم بقوله تعالى: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ * أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ} [ص: آية 4 إلى آية 8]، فهل من العدل والإنصاف في دين الله تعالى أن نساوي بين توسل المسلم الذي أقر بالتوحيد والإسلام والإيمان، وبين اتخاذ المشرك وسائط إلى الله على زعمه الكاذب الذي كذبه القرآن الكريم، وجعله كاذب كفار حرمه الله تعالى من الهداية، قال تعالى: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: 3]، وعلى ذلك فإن المعنى المقصود من (التوسل) إذا قاله المسلم، هو طلب القربى إلى الله تعالى بالوسائل الجائزة شرعاً، وليس المقصود به أبداً اتخاذ واسطة بين الله تعالى وبين العبد على غرار ما يفعله المشركون المنكرون لرسالة الإسلام، وهنا إذ تحرر موضع النزاع في معنى التوسل، بقي أن نعلم ما هي أنواع التوسل الجائزة شرعا، فنقول لها سمعاً وطاعةً، ولا نتقدم على الشرع الحكيم برأي أو هوى أو غلو أو تقصير، أو إفراط أو تفريط،

[المفتاح الثالث]: خطأ في فهم المقصود من التوسل: ظن البعض أنَّ المقصود من التوسل هو اتخاذ واسطة بين العبد وربه، وأدى هذا الظن إلى خلل في فهم موضوع التوسل، واعتقاد أنه مخالف للتوحيد ويفتح بابا إلى الشرك، وإلى غلو في تقييم بحث التوسل وإلحاقه بباب التوحيد، واعتقاد أن المتوسلين إنما يدعون غير الله، ويتخذونهم وسطاء يقربونهم إلى الله زلفا، وهذا خطأ جسيم وفهم خاطئ لموضوع التوسل، إذ التوسل إنما هو طلب القربى إلى الله تعالى بالوسائل الجائزة شرعاً، وليس من باب اتخاذ واسطة بين العبد وربه أبدا، وهذا هو السر في الخلاف الحاصل بين طوائف أهل السنة والجماعة، فلو حررنا موضع النزاع في فهم التوسل، ونظرنا إلى الوسائل المشروعة للتوسل، فما أجازه الشرع من معاني التوسل أجزناه، وما منعه الشرع من معاني التوسل منعناه، لا نفتئت على الشرع ولا نتقدم عليه برأي

دون دليل، **قال الشوكاني رحمه الله – وهو يحاول تصحيح هذا الخطأ –: (وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل بالأنبياء والصلحاء من نحو** قوله تعالى {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} ونحو قوله تعالى {فلا تدعوا مع الله أحداً} ونحو قوله تعالى {له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء} ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه، فإن قولهم {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} مصرح بأنهم عبدوهم لذلك، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يعبده بل علم أن له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك، وكذلك قوله {ولا تدعوا مع الله أحداً} فإنه نهى عن أن يدعى مع الله غيره كأن يقول بالله وبفلان، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله فإنما وقع منه التوسل عليه بعمل صالح عمله بعض عباده كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم وكذلك قوله {والذين يدعون من دونه} الآية فإن هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه، وإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع خروجاً زائداً على ما ذكرناه كاستدلالهم بقوله تعالى {وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله} فإن هذه الآية الشريفة ليس فيها إلا أنه تعالى المنفرد بالأمر في يوم الدين وأنه ليس لغيره من الأمر شيء، والمتوسل بنبي من الأنبياء أو عالم من العلماء هو لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركة لله جل جلاله في أمر يوم الدين، ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبياً أو غير نبي فهو في ضلال مبين، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله {ليس لك من الأمر شيء} {قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً} فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أمر الله شيء وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فكيف يملك لغيره، وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء أو الأولياء أو العلماء، وقد جعل الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه وقال له سل تعطه واشفع تشفع وقيل ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه ولا تكون إلا لمن ارتضى، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل قوله تعالى {وأنذر عشيرتك الأقربين} يا فلان بن فلان لا أملك لك من الله شيئاً، يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئا ً، فإن هذا ليس فيه إلا التصريح بأنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يستطيع نفع من أراد الله ضره ولا ضر من أراد الله تعالى نفعه، وأنه لا يملك لأحد من قرابته فضلاً عن غيرهم شيئاً من الله، وهذا

معلوم لكل مسلم وليس فيه أنه لا يتوسل به إلى الله فإن ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر والنهي وإنما أراد الطالب أن يقدم بين يدي طلبه ما يكون سبباً للإجابة ممن هو المنفرد بالعطاء والمنع وهو مالك يوم الدين)) أهـ [رسالته الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد]، ويمكن القول بأن الذين يفسرون الشرك بالتعلق والتوسل بغير الله، إنما يصح كلامهم هذا إذا اعتقد الانسان بتأثير الوسائل والاسباب على نحو الاستقلال والاصالة، أما إذا اعتقد بأنها تؤثر بإذن الله فإنه لاشك لا علاقة له بالشرك، لاسيما إذا اتخذ الوسائل المشروعة للقربى من الله،

[المفتاح الرابع]: درر ومعلومات عن التوسل جاءت في الموسوعة الفقهية:

(أ) التوسل لغة: التقرب، يقال: توسلت إلى الله بالعمل: أي تقربت إليه، وتوسل إلى فلان بكذا: تقرب إليه بحرمة آصرة تعطفه عليه، والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود، قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة} ووسل إلى الله تعالى توسيلا: عمل عملا تقرب به إليه كتوسل، والواسل: الراغب إلى الله تعالى، ولا يخرج التوسل في الاصطلاح عن معناه في اللغة، فيطلق على ما يتقرب به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المنهيات، وعليه حمل المفسرون قوله تعالى: {وابتغوا إليه الوسيلة}، **(ب) ويطلق التوسل أيضا** على التقرب إلى الله بطلب الدعاء من الغير، وعلى الدعاء المتقرب به إلى الله تعالى باسم من أسمائه، أو صفة من صفاته، أو بخلقه كنبي، أو صالح، أو العرش، وغير ذلك، على خلاف وتفصيل بين الفقهاء كما سيتضح، **(ت) من الألفاظ ذات الصلة بموضوع التوسل**: (الاستعانة)، والاستعانة لغة طلب العون، وفي الاصطلاح كذلك، وتكون الاستعانة بالله وبغيره، أما الاستعانة بالله فهي مطلوبة في كل خير، وأما الاستعانة بغير الله ففيها تفصيل يرجع إليه في مصطلح استعانة، والتوسل والاستعانة لفظان متساويان لغة واصطلاحا، و (الاستغاثة): وهي طلب الغوث والنصر، وفي الاصطلاح كذلك، والاستغاثة غير التوسل ; لأن الاستغاثة لا تكون إلا في حال الشدة، والتوسل يكون في حال الشدة وحال الرخاء، **(ث) اتفق الفقهاء على أن التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته مستحب** لأي شأن من أمور الدنيا والآخرة، وأجمع الفقهاء على جواز التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة التي يعملها الإنسان متقربا بها إلى الله تعالى، **(ج) التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم**: لا خلاف بين العلماء في جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في: طلب الدعاء من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحياة الدنيا وطلب الدعاء من النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم

القيامة والتوسل بالنبي على معنى الإيمان به ومحبته، وذلك كأن يقول: أسألك بنبيك محمد ويريد: إني أسألك بإيماني به وبمحبته، وأتوسل إليك بإيماني به ومحبته، ونحو ذلك، **(ح) التوسل بالنبي بعد وفاته:** اختلف العلماء في مشروعية التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته كقول القائل: اللهم إني أسألك بنبيك أو بجاه نبيك أو بحق نبيك، على أقوال: **[القول الأول]:** ذهب جمهور الفقهاء (المالكية والشافعية ومتأخرو الحنفية وهو المذهب عند الحنابلة) إلى جواز هذا النوع من التوسل سواء في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بعد وفاته، **[القول الثاني]:** في التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته: التوسل بمثل قول القائل: بحق رسلك وأنبيائك وأوليائك، أو بحق البيت فقد ذهب أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد إلى كراهته، قال الحصكفي: لأنه لا حق للخلق على الله تعالى وإنما يخص برحمته من يشاء من غير وجوب عليه، قال ابن عابدين: قد يقال: إنه لا حق لهم وجوبا على الله تعالى لكن الله سبحانه وتعالى جعل لهم حقا من فضله، أو يراد بالحق الحرمة والعظمة، فيكون من باب الوسيلة، وقد قال تعالى: {وابتغوا إليه الوسيلة}، **[القول الثالث]:** في التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته: ذهب تقي الدين بن تيمية وبعض الحنابلة من المتأخرين إلى أن التوسل بذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يجوز، **(خ) لا يخرج حكم التوسل بالصالحين من غير النبي عما سبق من الخلاف في التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم)** أهـ [الموسوعة الفقهية – وزارة الأوقاف – دولة الكويت – مادة وسل]

[المفتاح الخامس]: أنواع واقسام التوسل: من جهة الاتفاق والاختلاف بين

طوائف أهل السنة والجماعة، فإن هناك قسمان، **[القسم الاول]:** متفق عليه، ويشمل التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، كقوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: 180]، والتوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة، كحديث الغار المتفق على صحته، وفيه توسل الثلاثة بالعمل الصالح، والتوسل إلى الله تعالى بدعاء المسلم الحي لأخيه، كما في الحديث الذي أخرجه أخرج أبو داود والترمذي في سننهما ((أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: استأذنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في العمرة، فأذن لي، وقال لي: لا تنسنا يا أخي من دعائك، أو قال: أشركنا يا أخي في دعائك، قال عمر: فقال كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا))، فهذا من التوسل المتفق عليه بين طوائف أهل السنة، والتفصيل فيه لا داعي له لأنه تحصيل حاصل بحمد الله تعالى، **[القسم الثاني]:** مختلف فيه، ويشمل التوسل إلى الله تعالى بذات وشخص المتوسل بهم من الانبياء والصالحين، والتوسل إلى الله تعالى بحق الأنبياء

والصالحين، أو جاههم، أو حرمتهم، وهذا القسم ينبغي فيه الرد إلى الكتاب والسنة، كما أمرنا الله تعالى بقوله سبحانه: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [الشورى: 10]، وقوله تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: 59]،

[المفتاح السادس]: أدلة التوسل وتقييمها شرعاً: (تنبيه): انظر لتفصيل

هذا المبحث كتاب رفع المنارة بتخريج أحاديث التوسل والزيارة للشيخ الفاضل محمود سعيد ممدوح فأكثره مستفاد منه جزاه الله خيرا،

[الدليل الأول]: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: 35]، والآية عامة في إثبات شرعية التوسل وفضيلته، ولم تتعرض للوسائل الشرعية الجائزة في باب التوسل،

[الدليل الثاني]: قال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} [الإسراء: 57]، والآية كذلك عامة في إثبات شرعية التوسل وفضيلته، ولم تتعرض كذلك لبيان الوسائل الشرعية الجائزة في باب التوسل،

[الدليل الثالث]: قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء: 64]، تصرّح الآية الكريمة بأن التوسل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاستشفاع به إلى الله عز وجل والاستغفار منه لمغفرة المعاصي، مؤثر وموجب للتوبة والرحمة الإلهية، والآية الكريمة مطلقة لم تحدد الاستغفار بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حياته فقط، أو أنها صالحة إلى يوم القيامة، **قال المانعون للتوسل** بذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الآية تتعلق بحياته دون موته لأنه لا إدراك له بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فكيف يتوسل إلى الله تعالى لمغفرة ذنوبهم، **وقال المجيزون للتوسل** – وهم جمهور الفقهاء (المالكية والشافعية ومتأخرو الحنفية وهو المذهب عند الحنابلة) [الموسوعة الفقهية: مادة وسل]: إن هذه الآية صالحة إلى يوم القيامة سواء في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بعد وفاته، لاسيما وقد جاءت الأدلة التي تدل على إدراك النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قبره لحال أمته – سياتي بيان أدلتهم –، وبالتالي فلا فرق بين حياته وموته، ومن فرق بين حياته وموته صلى الله عليه وآله وسلم فعليه أن يأتي

بدليل مقيد للإطلاق الذي عليه الآية الكريمة،

[الدليل الرابع]: أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه: ((حدثنا عمرو بن علىّ، قال: حدثنا أبو قتيبة، قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه قال: سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب: (وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال عصمة للأرامل)، وقال عمر بن حمزة: حدثنا سالم عن أبيه "ربما ذكرت قول الشاعر، وأنا أنظر إلى وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستسقي، فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب: (وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال عصمة للأرامل) وهو قول أبي طالب)) [أخرجه البخاري: ح 963]، وفي فعل ابن عمر رضي الله تعالى عنه جواز التوسل إلى الله تعالى بوجه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في قضاء الحاجات ومنها نزول المطر، ولكن قد ترد عليه شبهة أن المقصود هو التوسل بذات الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في حياته ووجوده وقيامه بالدعاء، والامر محتمل، ولكن إذا ثبت ان مشاركة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأمته لم تنقطع عنها بوفاته، فلا فرق إذن عند التوسل به في حياته أو بعد انتقاله للرفيق الاعلى حديث الاستسقاء بالعباس،

[الدليل الخامس]: أخرج البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: ((أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقنا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا))، قال فيسقون)) [أخرجه البخاري: ح 964]، قال ابن حجر في الفتح: " ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة) أهـ [فتح الباري ج 2: 494]، والحديث صريح في التوسل بالصالحين، لا سيما إذا كانوا من أهل البيت النبوي عليهم السلام، **ولكن قد يرد عليه اعتراض** أن الصحابة كانوا يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته، فلما انتقل إلى الرفيق الاعلى كان توسلهم بالعباس رضي الله تعالى عنه، بمعنى أنه يدعو لهم الله تعالى وهم يؤمنون على دعائه، ولكن قد يرد على الاعتراض اعتراض أنه ليس في الحديث ما يدل على تحريم التوسل بذات العباس على المعنى الصحيح للتوسل، ولا في الحديث ما يدل على تحريم التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم بعد انتقاله للرفيق الأعلى سبحانه،

[الدليل السادس]: أخرج الإمام أحمد في المسند (4: 138)، والترمذي في سننه (تحفة 10: 132، 133)،: حدثنا عثمان بن عمر، أخبرنا شعبة بن أبي جعفر، عن عمارة بن خزيمة ابن ثابت عن **عثمان بن حنيف:** ((أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي (ص) فقال: ادع الله أن يعافيني

قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتُقضى لِي اللهم فشفعه في)) [أخرجه الإمام في المسند [4: 138]، والترمذي [4: 281–282 بشرح التحفة] وابن ماجة [1: 418] والنسائي في عمل اليوم والليلة [ص 417]، والبخاري في التاريخ الكبير [6: 210] والطبراني في الكبير [3: 2: 2]، وفي الدعاء أيضاً [2: 1289] والبيهقي في دلائل النبوة [6: 166]، والحاكم [1: 313] كلهم من طريق عثمان بن عمر (شيخ أحمد فيه): أنا شعبة عن أبي جعفر المدني قال: سمعت عمرة بن خزيمة يحدث عن عثمان به، وقال الترمذي: "حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو غير الخطمي "، وفي ابن ماجة " قال أبو إسحاق: حديث صحيح " ثم رواه أحمد: ثنا شعبة به وفيه الرواية الأخرى، وتابعه محمد بن جعفر ثنا شعبة به، رواه الحاكم [1: 519] وقال: " صحيح الإسناد " ووافقه الذهبي، وقد أعله بعضهم بأن في اسناده أبا جعفر، قال الترمذي: " لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر، وليس الخطمي " فقالوا: هو إذا الرازي، وهو صدوق ولكنه سيء الحفظ، ولكن هذا مدفوع بأن الصواب أنه الخطمي نفسه، وهكذا نسبه أحمد في رواية له [4: 138]، وسماه في أخرى: " أبا جعفر المدني " وكذلك سماه الحاكم، والخطمي هذا لا الرازي هو المدني، وقد ورد هكذا في " المعجم الصغير " للطبراني، وفي طبعة بولاق من سنن الترمذي أيضاً، ويؤكد ذلك بشكل قاطع أن الخطمي هذا هو الذي يروي عن عمارة بن خزيمة ويروي عنه شعبة كما في إسناده هنا، وهو صدوق، وعلى هذا فالإسناد جيد لا شبهة فيه، وقد جاءت زيادة موقوفة عن المرفوع، قال الطبراني في المعجم الصغير (1: 184): حدثنا طاهر بن عيسى بن قيرس المقري المصري التميمي، حدثنا أصبغ بن الفرج، حدثنا عبد الله بن وهب عن شعيب بن سعيد المكي، عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر الخطمي المدني، عن أبي أمامة ابن سهل ابن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف: ((أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقى عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف اءت الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك (ربي) جل وعز فيقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك، ورح إليّ حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قاله عثمان ثم أتى باب عثمان فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه

على الطنفسة وقال: حاجتك؟ فذكر حاجته فقضاها له ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فأتنا، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلى حتى كلمته في، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأتاه ضرير فشكا إليه ذلك ذهاب بصره، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (أفتبصر؟)، فقال: يا رسول الله إنه لي قائد وقد شق علي، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ايت الميضأة فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات، قال عثمان ابن حنيف: ((فو الله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط)) [أخرجه من هذا الوجه الطبراني في الكبير (9: 17)، وفي الدعاء (2: 1288)، والبيهقي في دلائل النبوة (6: 167 – 168)،]، وقد اختلف في صحة هذه الرواية الموقوفة لعدة أسباب تقبل الأخذ والرد والاجتهاد، منها أن شيخ الطبراني (طاهر بن عيسى)، مجهول في زعم البعض، ولكن يرده أن الطبراني صحح الحديث، وتصحيحه يعني توثيق رجال إسناده ومنهم شيخه طاهر بن عيسى المصري وهو أعلم به من غيره، ومنها أن شبيب بن سعيد الحبطي تفرد بالقصة، وهو ضعيف الحفظ عند البعض، ولكن قد وثقه علي بن المديني، ومحمد بن يحيى الذهلي، والدار قطني، والطبراني، وابن حبان والحاكم، وقال أبو زرعة، وأبو حاتم والنسائي: لا بأس به،

[الدليل السابع]: قال الطبراني في المعجم الكبير (24: 352 حديث) رقم (871): حدثنا أحمد بن حماد بن زغبة، ثنا روح بن صلاح، ثنا سفيان الثوري، عن عاصم الأحول، عن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلس عند رأسها فقال: ((رحمك الله يا أمي كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعيني وتعرين وتكسيني وتمنعين نفسك طيباً وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة))، ثم أمر أن تغسل ثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده ثم خلع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاضطجع فيه ثم قال: ((الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم

الراحمين))، وكبر عليها أربعاً وأدخلوها اللحد هو والعباس، وأبو بكر الصديق رضي الله عنهما، ورواه من هذا الوجه الطبراني في الأوسط (1: 152)، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (3: 121)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (9: 257): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه روح بن صلاح وثقة ابن حبان، والحاكم، وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح، اهـ، وروح بن صلاح قد اختلف فيه فوثقه قوم وضعفه آخرون فمثله يحتاج لإعمال النظر لبيان حاله، فقال عنه الحاكم في سؤالات السجزي: ثقة مأمون، وذكره ابن حبان في الثقات (8: 244)، وروى عنه يعقوب بن سفيان الفسوي في المعرفة والتاريخ (3: 406) فهو ثقة عنده، قال الفسوي (التهذيب: 11: 378): كتبت عن ألف شيخ وكسر كلهم ثقات، اهـ، أما من ضعفه فالدارقطني في المؤتلف والمختلف للدارقطني (3: 1377) قال: روح بن صلاح ابن سيابه يروي عن ابن لهيعة وعن الثوري وغيرهما كان ضعيفاً في الحديث سكن مصر، اهـ،، ومثله لابن ماكولا في الإكمال (5: 15) وابن عدي في الكامل (3: 1005)

[الدليل الثامن]: أخرج الحافظ أبو بكر البزار في مسنده (كشف الأستار: 1: 397): حدثنا يوسف بن موسى، ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن سفيان عن عبد الله بن السائب، عن زاذان، عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض على أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شرٍ استغفرت لكم))، قال الحافظ العراقي في (طرح التثريب) (3: 297): إسناده جيد، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (9: 24): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، اهـ، وصححه السيوطي في الخصائص (2: 281)، وفي تخريج الشفا، والحديث أيضاً فيه مقال من جهة عبد المجيد بن أبي رواد، فقد ضعفه البعض، قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (4: 148): (أخرجه البزار من حديث عبد الله بن مسعود، ورجاله رجال الصحيح إلا أن عبد المجيد بن أبي رواد، وإن أخرج له مسلم ووثقه ابن معين، والنسائي، فقد ضعفه كثيرون، ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بنحوه بإسنادٍ ضعيف) اهـ،

[الدليل التاسع]: أخرج الإمام أحمد في المسند (3: 21)، وابن ماجه في سننه (1: 256)، وابن خزيمة في التوحيد (17، 18)، والطبراني في الدعاء (2: 990)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص40)، وابن أبي شيبة في المصنف (10: 211-212)، والبيهقي في (الدعوات الكبير) (ص47)، جميعهم عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله: ((من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاي هذا فإني لم أخرج

أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمع وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك))، أخرجه ابن ماجه في سننه (1: 256): حدثنا محمد بن سعيد بن يزيد بن إبراهيم التستري، ثنا الفضل بن الموفق أبو الجهم، ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (3: 21) عن يزيد بن هارون، وابن خزيمة في التوحيد (17، 18) عن ابن فضيل بن غزوان وأبي خالد الأحمر، والطبراني في الدعاء (2: 990) وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص40) كلاهما عن عبد الله بن صالح العجلي، والبيهقي في (الدعوات الكبير) (ص47) عن يحيى بن أبي كبير، كلهم عن فضيل بن مرزوق، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه به مرفوعاً، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (10: 212–211) عن وكيع وأبى نعيم الفضل بن دكين كما في (أمالي الأذكار) (1: 273)، كلاهما عن فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري موقوفاً عليه، وقد حسن الحديث جمع من الحفاظ منهم الحافظ الدمياطي في المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح (ص 471_472)، والحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ الحافظ المنذري كما في الترغيب والترهيب (3: 273)، والحافظ العراقي في تخريج أحاديث الحياء (1: 291)، والحافظ بن حجر العسقلاني في أمالي الأذكار (1: 272)، وقال الحافظ البوصيري في مصباح الزجاجة (1: 99): لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه، من طريق فضيل بن مرزوق، فهو صحيح عنده، اهـ، ومع قبول هؤلاء الحفاظ للحديث إلا أن الحديث به ثلاث علل، تتمثل في الكلام في فضيل بن مرزوق، والكلام في عطية العوفي، والاختلاف بين وقف الحديث ورفعه، أما فضيل بن مرزوق فهو من رجال مسلم في صحيحه، ووثقه جماعة من الأئمة منهم: العجلي في ثقاته (ص384) فقال: جائز الحديث، ثقة، ووثقه السفيانان: ابن عيينة، والثوري، وقال ابن عدي في الكامل (6: 2045): ولفضيل أحاديث حسان، وأرجو أنه لا بأس به، وقال أحمد بن حنبل كما في الجرح (7: 75): لا أعلم إلا خيراً، ووثقه ابن شاهين بإدخاله في الثقات (ص185)، وكذا ابن حبان فذكره في الثقات (7: 316)، والإمام مسلم أدخله في صحيحه، واحتج به، أما من تكلموا فيه،

فقد قال الحاكم في (سؤلات مسعود السجزي) له: فضيل بن مرزوق ليس من شروط الصحيح فعيب على مسلم بإخرجه في الصحيح، وقال الذهبي في سير النبلاء (7: 342): إنما يروي له مسلم في المتابعات، وقال أبو حاتم الرازي (7: 75 الجرح): صدوق صالح الحديث يهم كثيراً يكتب حديثه، قال ابن أبي حاتم: يحتج به؟ قال: لا، اهـ،، أما عن العلة الثانية وهي الكلام في عطية بن سعد العوفي، بسبب تدليسه وتشيعه وروايته شيئاً أنكر عليه، وقد جرحه بعض علماء الجرح والتعديل كما جاء في العلل ومعرفة الرجال (1: 122)، والجرح والتعديل (6: 383) وضعفاء العقيلي (3: 359)، والكامل لابن عدي (5: 2007) عطية العوفي بسبب روايتهم تدليسه تدليس الشيوخ، قال ابن حبان في المجروحين (2: 176): سمع من أبي سعيد الخدري أحاديث فلما مات أبو سعيد جعل يجالس الكلبي ويحضر قصصه، فإذا قال الكلبي: قال رسول الله كذا فيحفظه وكناه أبا سعيد ويروي عنه، فإذا قيل له من حدثك بهذا؟ فيقول: حدثني أبو سعيد فيتوهمون أنه يريد أبا سعيد الخدري وإنما أراد الكلبي، اهـ، وعلى ذلك فعطية العوفي مختلف في مدى الاحتجاج به، فمن المحدثين من قبل حديثه ومنهم من لا يحتج به، قال ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (6: 304): (وكان ثقة إن شاء الله، وله أحاديث صالحة، ومن الناس من لا يحتج به) اهـ، والعلة الثالثة اختلاف المحدثين بين وقف الحديث ورفعه، فقد قال ابن أبي حاتم في "العلل" (2: 184): سألت أبي عن حديث رواه عبد الله بن صالح بن مسلم، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إذا خرج الرجل من بيته فقال: اللهم بحق السائلين عليك وبحق ممشاي" وذكر الحديث، رواه أبو نعيم، عن فضيل، عن عطية، عن أبي سعيد موقوفاً قال أبي: موقوف أشبه، اهـ، وأيده الذهبي في "الميزان"، فإن الحديث قد اختلف فيه عن فضيل بن مرزوق فروى مرفوعاً وموقوفاً،

[الدليل العاشر]: قال الحاكم في المستدرك (2: 615): حدثنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور العدل، ثنا أبو الحسن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، ثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهري، ثنا إسماعيل ابن مسلمة، أنبأ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه، قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى إسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا

محمد ما خلقتك))، قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد، ولكن تعقبه الحافظ بقوله – في النكت على ابن الصلاح (1: 328) –: (ومن عجيب ما وقع للحاكم أنه أخرج لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال _ بعد روايته: هذا صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن مع أنه قال في كتابه الذي جمعه في الضعفاء: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه)، وأخرج الحديث كذلك البيهقي عن الحاكم في دلائل النبوة (5: 489) وقال: تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه عنه، وهو ضعيف، وقال الذهبي في تلخيص المستدرك (2: 615): موضوع، وعبد الرحمن واهٍ، رواه عبد الله بن مسلم الفهري ولا أدري من ذا عن إسماعيل بن مسلمة عنه، وقال في ترجمة عبد الله بن مسلم من الميزان (2: 504): روى عن إسماعيل بن مسلمة بن قعنب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خبراً باطلاً فيه: يا آدم لولا محمد ما خلقتك، **وبعد فتلك أهم الأدلة الواردة في باب التوسل، ومنها يتبين أمران:** (الأول): أن هناك أدلة تدل على جواز التوسل بذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبجاهه عند الله تعالى، وحق الأنبياء والصالحين وجاههم عند الله تعالى، ولكن هذه الادلة على كثرتها لا ترقى لان تكون أدلة قطعية الثبوت والدلالة على جواز التوسل بذوات الأنبياء والصالحين وجاههم وحقهم على الله تعالى، بحيث يبدع المخالف فيها، ولكنها أدلة قوية محتملة عليها جمهور أهل العلم، ولا يمكن إهمالها بحال من الأحوال إلا بنوع من الجفاء والتعصب البغيض، وفي نفس الوقت لا يمكنها إلزام الخصم بقبول هذا النوع من التوسل إلا بنوع من التعنت، و (الثاني): أن الخلاف في باب التوسل مسألة خلافية من باب الفقه وليس من باب العقيدة، وهو خلاف يدخل فيه الاجتهاد بين صواب وخطأ، وليس – أبداً – خلاف عقدي بين توحيد وشرك، أو بين إيمان وكفر، أو بين هدى وضلال،

[المفتاح السابع]: هل هناك فرق بين التوسل بذوات الصالحين وبين التوسل بالعمل الصالح:

عند التحقيق نجد انّ المتوسلين لا يتوسلون بالأجساد لأنها جميعها خلقت من طين، وإنما يتوسلون بصلاح الصالحين واعمال الصالحين التي جعلتهم صالحين مقربين من الله، قال الشوكاني في رسالته الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد: **(التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله**، فإذا قال القائل: (اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني) فهو باعتبار ما قام به من العلم، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حكى عن الثلاثة

الذين انطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة) أهـ [رسالة الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني]

[المفتاح الثامن]: هل هناك فرق في التوسل بالصالحين بين الحي والميت:

(أ) هناك خلاف – اليوم – بين السلفية والصوفية حول جواز التوسل بالصالح الميت، وهذا الخلاف منشؤه التفريق بين الحي والميت، فالطائفة السلفية تزعم أنه بموت الإنسان ينقطع عن الدنيا، ولا علاقة له بها، ولا ينتفع منها إلا من ثلاث: عمل صالح ينتفع به، وولد صالح يدعو له، وصدقة جارية، وبعد ذلك فلا علاقة له باهل الدنيا ولا بأحوالهم وبالتالي فلا يجوز اتخاذهم وسيلة إلى الله تعالى لأنه ليس لديهم علم بمن طلب منهم التوسل واتخذهم وسيلة إلى الله تعالى، وليست لديهم قدرة على التوسل، بينما تزعم الطائفة الصوفية أن الأنبياء والاولياء الصالحين أحياء في قبورهم حياة برزخية كاملة، حياتهم أكثر كمالاً من الحياة الدنيا، وأنهم يسمعون من يطلب منهم الإعانة، وأنهم يتوسلون إلى الله تعالى لمن يطلب منهم التوسل، وأنهم أقدر من الأحياء على نجدة من طلبهم، وعلى ذلك فليس في باب التوسل فرق بين الحي والميت، في اتخاذهم وسيلة إلى الله تعالى ما داموا أنبياءً أو أولياءَ صالحين، ولذا فلابد أن نبحث أولاً في تحقيق أدلة الطرفين، ومن ثم الرد إلى الكتاب والسنة للوصول إلى الصواب في المسالة،

(ب) تستدل الطائفة التي تُجيز التوسل بالصالح الميت على مذهبها بعدة أدلة تتمثل في: [الدليل الاول]: قوله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 169 إلى 171]، و قوله تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} [البقرة: 154]، ووجه الاستدلال في الآيتين أنه إذا كان الشهيد حياً وهو أقل منزلة من النبي والولي والصديق، فمن باب الاولى ان يكون النبي والولي الصديق أحياءً لأنهم أعلى منزلة من الشهيد، **[الدليل الثاني]:** أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: ((وقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على قليب بدر فقال: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ ثم قال: أنهم الآن يسمعون ما أقول))، وفي رواية في صحيح البخاري: ((أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فأنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا،

فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم))، **[الدليل الثالث]:** أخرج الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام)) [أخرجه الحاكم في المستدرك (2 421)، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الحافظ الذهبي، وفي فيض القدير (2: 479): رواه أحمد في المسند والنسائي وابن حبان والحاكم، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وقال الحافظ العراقي: الحديث متفق عليه دون قوله سياحين]، **[الدليل الرابع]:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما من أحد يسلم علي إلا رد الله إلي روحي حتى أرد عليه السلام)) [أخرجه أبو داود وغيره وصححه النووي في رياض الصالحين وفي الأذكار]، **[الدليل الخامس]:** أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول إذا ذهب إلى المقابر: ((السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسال الله لنا ولكم العافية)) يقول ابن القيم في كتابه الروح: (فإن السلام على من لا يشعر ولا يعلم بالمسلم محال، وقد علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمته إذا زاروا القبور أن يقولوا: سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، وهذا السلام والخطاب والنداء الموجود يسمع، ويخاطب، ويعقل، ويرد، وإن لم يسمع المسلم الرد، وإذا صلى قريبا منهم شاهدوه، وعلموا صلاته، وغبطوه على ذلك) أهـ، **[الدليل السادس]:** قال الحافظ السيوطي (الحاوي 2: 421): روى الحافظ ابن عبد البر في الاستذكار و التمهيد من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله: ((ما من أحد يمر على قبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلِّم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام)) [صححه الحافظ أبو محمد بن عبد الحق الأشبيلي، (وهو إمام في العلل ومعرفة الحديث كما في تذكرة الحفاظ للذهبي) (و أشار إلى صحة الحديث صاحب "عون المعبود " (3: 370)]، **[الدليل السابع]:** قوله صلى الله عليه وآله وسلم ((حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض على أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت لكم)) [قال الحافظ العراقي في (طرح التثريب) (3: 297): إسناده جيد، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (9: 24): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، اهـ، وصححه السيوطي في الخصائص (2: 281)، وفي تخريج الشفا]، **[الدليل الثامن]:** أخرج

النسائي وأبو دواد وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه والبيهقي في إثبات عذاب القبر: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذكر خروج الروح وقال في روح المؤمن ((فيؤتى به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاً به من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألون ما فعل فلان؟ وما فعل فلان؟ فيقولون دعوه فإنه كان في غم الدنيا، فإذا قال: أما أتاكم؟!! قالوا ذُهب به إلى أمه الهاوية)) [أخرجه النسائي في المجتبى [4: 8] والكبرى [1959] وأبو دواد [2389]، وابن حبان في صحيحه [3014] والحاكم في مستدركه [1: 504] والحديث قال عنه الحاكم: إسناده صحيح، وقال الحافظ العراقي إسناده جيد وقال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب [4: 370] إسناده صحيح، والحديث دليل على أن المؤمن حي حياة الأرواح وأنها تتزاور وتكلم بعضها وتحس بغيرها، **ومن أقوال علماء المسلمين التي تدل على إدراك الأموات وسماعهم: ما قاله ابن القيم في كتابه "الروح"**: (المسألة الأولى: وهي هل تعرف الأموات زيارة الأحياء وسلامهم أم لا؟، قال ابن عبد البر: ثبت عن النبي أنه قال ما من مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام فهذا نص في أنه يعرفه بعينه ويرد عليه السلام وفي الصحيحين عنه من وجوه متعددة أنه أمر بقتلى بدر فألقوا في قليب ثم جاء حتى وقف عليهم وناداهم بأسمائهم يا فلان ابن فلان و يا فلان ابن فلان هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإني وجدت ما وعدني ربى حقا فقال له عمر يا رسول الله ما تخاطب من أقوام قد جيفوا فقال والذي بعثنى بالحق ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون جوابا، وثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين له إذا انصرفوا عنه وقد شرع النبي لأمته إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به،، إلى أن قال: ويكفي في هذا تسمية المسلم عليهم زائرا، **ولولا أنهم يشعرون به لما صح تسميته زائرا فإن المزور إن لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح أن يقال زاره** هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الأمم وكذلك السلام عليهم أيضا فإن السلام على من لا يشعر ولا يعلم بالمسلم محال وقد علم النبي أمته إذا زاروا القبور أن يقولوا سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية، وهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويردوا إن لم يسمع المسلم الرد وإذا

صلى الرجل قريبا منهم شاهدوه وعلموا صلاته وغبطوه على ذلك) أهـ [كتاب الروح: ص 5 وما بعدها]، **وقال الإمام ابن مفلح في الفروع: (2: 235):** (ويسمع الميت الكلام ولأحمد من حديث سفيان عمن سمع أنسا عنه مرفوعا إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيرا استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا وروى أبو داود الطيالسي في مسنده عن جابر مرفوعا وهو ضعيف قال أحمد يعرف زائره يوم الجمعة بعد الفجر قبل طلوع الشمس وفي الغنية يعرفه كل وقت وهذا الوقت آكد وأطلق أبو محمد البربهاري من متقدمي أصحابنا أنه يعرفه، **إلى أن قال:... قال شيخنا استفاضت الآثار بمعرفته بأحوال أهله وأصحابه في الدنيا وأن ذلك يعرض عليه وجاءت الآثار بأنه يرى أيضا وبأنه يدري بما يفعل عنده ويسر بما كان حسنا ويتألم بما كان قبيحا** وكان أبو الدرداء يقول اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملا أخزى به عند عبدالله بن رواحة وهو ابن عمه ولما دفن عمر عند عائشة كانت تستتر منه وتقول إنما كان أبي وزوجي وأما عمر فأجنبي تعني أنه يراها) أهـ **[الفروع: (2: 235)]، وقال البهوتي** في كتابه: "كشاف القناع عن متن الإقناع" (2: 165): (ويسمع الميت الكلام بدليل حديث السلام على أهل المقابر قال الشيخ تقي الدين واستفاضت الآثار بمعرفة الميت بأحوال أهله وأصحابه في الدنيا وإن ذلك يعرض عليه وجاءت الآثار بأنه يرى أيضا وبأنه يدري بما فعل عنده ويسر بما كان حسنا ويتألم بما كان قبيحا وكان أبو الدرداء يقول اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملا أجزى به عند عبد الرحمن بن رواحة وكان ابن عمه ولما دفن عمر عند عائشة كانت تستتر منه وتقول إنما كان أبي وزوجي فأما عمر فأجنبي، ويعرف الميت زائره يوم الجمعة قبل طلوع الشمس قاله أحمد وفي الغنية يعرفه كل وقت وهذا الوقت آكد وينتفع بالخير ويتأذى بالمنكر عنده) أهـ [كشاف القناع عن متن الإقناع" (2: 165 []، ومن الأدلة السابقة – وغيرها – استدلت الطائفة الصوفية على أن أموات المسلمين أحياء في قبورهم حياة الأرواح وأنهم يتزاورون ويكلم بعضهم بعضاً، وإذا كان ذلك عاما في حق أموات المسلمين، فمن باب الاولى أنه آكد في حق الانبياء والأولياء والصالحين، وأن لهؤلاء الاكرمين ادراك بمن يزورهم ويسلم عليهم ويتوسل بهم إلى الله، وأنهم يدعون الله تعالى – ودعاؤهم أقرب للإجابة بما لهم من منزلة عند الله تعالى – أن يقضي حاجة من توسل بهم إلى الله،

(ت) وتستدل الطائفة التي لا تُجيز التوسل بالصالح الميت على مذهبها بعدة أدلة تتمثل في: [الدليل الاول]: قوله تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [فاطر: 22]، فالآية تدل على أنه لا يستوي الحي والميت، وأن أهل

القبور لا يسمعون، **ولكن قد يرد اعتراض بأن الآية محمولة على حياة القلوب وموتها**، فإن القلب الحي (وهو قلب المؤمن) هو الذي يسمع القرآن ويتأثر به، والقلب الميت (وهو قلب الكافر) لا يسمع القرآن ولا يتأثر به، **قال ابن جرير في تفسيره**: (يقول تعالى ذكره: (وما يستوي الأعمى) عن دين الله الذي ابتعث به نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم (والبصير) الذي قد أبصر فيه رشده، فاتبع محمداً وصدقه وقبل عن الله ما ابتعثه به (ولا الظلمات) يقول: وما تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان (ولا الظل) قيل: ولا الجنة، (ولا الحرور) قيل: النار.. وقوله (وما يستوي الأحياء ولا الأموات) يقول: وما يستوي الأحياء القلوب بالإيمان بالله ورسوله، ومعرفة تنزيل الله، والأموات القلوب لغلبة الكفر عليها، حتى صارت لا تعقل عن الله أمره ونهيه، ولا تعرف الهدى من الضلال، وكل هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والإيمان، والكافر والكفر، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل) أهـ، **ويؤيده كذلك قول ابن جرير**: في تفسير قوله تعالى {أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس} قال: الهدى الذي هداه الله به ونور له، هذا مثل ضربه الله لهذا المؤمن الذي يبصر دينه، وهذا الكافر الأعمى فجعل المؤمن حيا وجعل الكافر ميتا ميت القلب(أومن كان ميتا فأحييناه) قال: هديناه إلى الإسلام كمن مثله في الظلمات أعمى القلب وهو في الظلمات، أهذا وهذا سواء) أهـ، **وقال ابن كثير**: (وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات، كقوله تعالى: {أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها}أهـ، وقال: وقوله: {إن الله يسمع من يشاء} أي: يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها {وما أنت بمسمع من في القبور} أي: كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم، وهم كفار بالهداية والدعوة إليها، كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم، ولا تستطيع هدايتهم) أهـ، ومنه نعلم أن المقصود هو سمع الهداية لا السمع الحسي، ولذلك فليس وجه الشبه بين من في القبور وبين الكفار هو السمع الحسي بل هو سمع الاستجابة والهداية فقط، فكما أن الميت لا يستجيب لدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام لأنه انتقل من دار التكليف إلى دار الجزاء فكذلك الكفّار لا يستجيبون ولا يهتدون إلى الإسلام، فإذا تبين أن الآية التي استدلوا بها قد تحمل على السماع المؤدي إلى الإيمان (سماع الهداية) فلا حجة فيها على عدم سماع الأموات لاسيما وأن هناك أدلة عديدة تدل على سماع الأموات للأحياء، **[الدليل الثاني]**: أن جميع الأدلة التي ساقها الصوفية على ادراك الاموات من المسلمين هي أدلة خاصة لأنها تعارض الآية السابقة: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ

اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [فاطر: 22]، **وهذا الدليل بعيد لان المفسرين حملوا المقصود بالأحياء والاموات على معنى حياة القلوب بالإيمان**، وموت القلوب بالكفر، وان القلب الحي قلب المؤمن يسمع كلام الله تعالى سماع قبول واتعاظ، وان القلب الميت قلب الكافر لا يسمع كلام الله تعالى سماع قبول وهداية، وبالتالي فلا تعارض بينها، وأن الآية ليس لها علاقة بالمسألة، والأدلة على عمومها في الدلالة على سماع الأموات للأحياء لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والأصل هو بقاء العام على عمومه حتى يرد ما يخصصه ولا يوجد له مخصص يخصصه، **[الدليل الثالث]:** أن الميت في دار جزاء لا دار تكليف فلا يمكن أن يعاون الحي في شيء لأنه لا تكليف عليه في البرزخ، ولكن يرد عليه بأن ذلك من باب النعيم والثواب لا من باب التكليف، كما أن أصحاب الجنة يسبحون لله تعالى من باب التنعم لا من باب التكليف، وكما أن الأنبياء يصلون في قبورهم كما في قصة الإسراء وكما أنهم نفعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمته بما أشاروا عليه في قصة موسى عليه السلام في تخفيف الصلاة، فإذن ليس معاونتهم للحي من باب التكليف، بل هم يفعلونه كما يفعلون سائر الخير من باب التنعم لا التكليف، **وبعد، فإنه مما سبق يتبين أن الخلاف في مسألة التفريق بين الحي والميت في مبحث التوسل خلاف فقهي يخضع للاجتهاد**، وأنه يجوز التسوية في التوسل بين الحي والميت، لان لكلٍ منهما حياة تتعلق به يستطيع من خلالها الادراك، كما أنه لا يجوز بحال تبديع الفريق المخالف والاعتراض عليه، لاسيما وانه خلاف فقهي لا يجوز فيه الأمر أو النهي، إذ لكل فقيه فيه ما يرى، كما هو مقرر في قواعد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر – عند أهل السنة والجماعة – أنه لا أمر ولا نهي في المسائل المختلف على صحتها،

[المفتاح التاسع]: لا يوجد في الشرع دليل واحد يمنع من التوسل الصحيح بكافة انواع التوسل:

(أ) سبق ان ذكرنا أن (التوسل) معناه في الشرع: هو ما يُتقرب به إلى الله تعالى بالوسائل الجائزة شرعاً، وذكرنا أن هناك خطأ في فهم المقصود من التوسل، أدى إلى الغلو في الحكم على التوسل وخلطه بما يتعلق بالتوحيد والشرك، ويتمثل ذلك الخطأ في ظن الوهابيين أنَّ التوسل هو اتخاذ واسطة بين العبد وربه، مع ان المتوسِّل المسلم الموحد لا يعبد إلا الله، ولا يرجو سوى الله، ولا يدع إلا الله وحده، لان (الله) تعالى وحده – في عقيدة كل مسلم – هو المالك القادر المهيمن، وهو وحده المعطي والمانع، وهو وحده المعز والمذل وهو وحده النافع والضار

ولكن المتوسّل اتخذ قربة شرعية جائزة – أجازها الكتاب والسنة – رجاء قبول مبتغاه عند الله، وليس التوسل – أبداً – من باب اتخاذ واسطة بين العبد وربه، كما كان يفعل المشركون بقولهم: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: 3]، فشتان بين مسلم لا يعبد إلا الله، ويستأنف من نسبة عبادته إلى غير الله، ولا يرضى أبداً أن يقال عنه أنه عابد لغير الله، وهو يقر بالقرآن والإسلام وأركان الإيمان، ويشهد بالشهادتين (لا إله إلا الله – محمد رسول الله)، عن يقين واعتقاد، لا يستويان مثلا عند الله تعالى، وعند المؤمنين، **وعلى ذلك فإن المعنى المقصود من (التوسل) إذا قاله المسلم**، هو طلب القربى إلى الله تعالى بالوسائل الجائزة شرعاً، وليس المقصود به أبداً اتخاذ واسطة بين الله تعالى وبين العبد على غرار ما يفعله المشركون المنكرون لرسالة الإسلام،

(ب) ليس هناك دليل شرعي واحد صحيح يدل على حرمة التوسل – على معناه الصحيح – بذوات الانبياء والاولياء والصالحين، وكل مسلم يعلم أن حب ذواتهم ليس حباً للأجساد، إذ كل بنى آدم – حتى الكفار منهم – أجسادهم من طين، ولكنه حب لما حوته تلك الذوات من الإيمان بالله والطاعة لله وتعظيم أمر الله تعالى، ولذلك حرّم الله تعالى على الارض أن تأكل أجساد الانبياء، إن ذوات هؤلاء معظمة في قلب كل مسلم لما حوته من تعظيم لأمر الله تعالى، ثم أليس اعتقاد حرمة ذوات الانبياء والمرسلين وأتباعهم من الاولياء والصالحين هو ناشئ عن الإيمان بهم والإيمان بالرسل، أليس هو ركن من أركان الإيمان، لا يصح الإيمان إلا به، وأليس جائز في دين الله تعالى، ولا خلاف فيه بين المسلمين، أنه يجوز التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة، فإن حب ذواتهم واعتقاد حُرمتها ومكانتها عند الله والتقرب بذلك الحب والاعتقاد إلى الله تعالى، أليس هذا من أعظم الإيمان والعمل الصالح، فلم لا نحمل التوسل بذوات الانبياء واتباعهم من الاولياء والصالحين إلى الله تعالى بانه توسل بالأعمال الصالحة المتمثلة في اعتقاد حرمة تلك الذوات ومنزلتها العظيمة عند الله تعالى،

(ت) ليس هناك دليل شرعي واحد صحيح يدل على حرمة التوسل – على معناه الصحيح – بجاه الصالحين، لأن الاعتراف بجاه هؤلاء هو من الإيمان والعمل الصالح، ولولا الإيمان لما اعترف المسلم بجاه هؤلاء الصالحين عند الله تعالى، وكل مسلم يعلم ان للأنبياء والأولياء والصالحين وجاهة عند الله، ألم يقل الله تعالى في حق موسى عليه السلام: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا} [الأحزاب: 69]، وألم يصف الله تعالى عيسى عليه السلام بالوجاهة عند الله تعالى، بقوله تعالى: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا

مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} [آل عمران: 45]، وألسنا نتفق أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مقدم في الوجاهة على غيره من الانبياء والمرسلين، فأي مخالفة للعقيدة الصحيحة إن توسل المسلم – التوسل الصحيح – إلى الله تعالى بجاه هؤلاء الوجهاء عند الله تعالى، لاسيما وقد دلت الآثار والأحاديث على جواز ذلك وتواترت أقوال العلماء الذين رزقهم الله تعالى القبول عند أهل السنة والجماعة على جواز التوسل بجاه الانبياء والمرسلين وأتباعهم من الاولياء والصالحين إلى الله تعالى،

(تنبيه): يظن الوهابيون أن مجرد اعتقاد قرب الصالحين ووجاهتهم عند الله تعالى هو من الشرك، ويظنون أن نبي الله تعالى نوح عليه السلام إنما أرسل إلى قومه لما غلوا في الصالحين وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً، وهذا خطأ لأنه أرسل إليهم عندما تبدل اعتقاد صلاحهم ووجاهتهم عند الله تعالى، باعتقاد ألوهيتهم وأنهم شركاء لله تعالى في ربوبيته، وعبدوهم من دون الله تعالى، بدليل قولهم كما حكاه القرآن الكريم عنهم: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر: 3]، فقد أقروا بعبادتهم لهم من دون الله واتخاذهم آلهة مع الله تعالى وقالوا لا تذرن آلهتكم، كما قال تعالى: {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} [نوح: 23]، وفي الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: {وقالوا لا تذرُنَّ آلهتكم ولا تذرُنَّ وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً}، قال: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عُبدت)، والمسلم مهما بلغ اعتقاده في الصالحين، فلن يعبدهم من دون الله، ولن يعتقد ألوهيتهم وشراكتهم لله في استحقاق العبودية، فشتان بين اعتقاد الوجاهة في الصالحين عند الله تعالى وهو حق وإيمان، وبين اعتقاد استحقاقهم للعبادة من دون الله وهو باطل وشرك،

(ث) ليس هناك دليل شرعي واحد صحيح يدل على حرمة التوسل – على معناه الصحيح – بحق الانبياء والصالحين على الله تعالى، وهو ليس بالحق الواجب على الله تعالى، بل هو حق التفضل والرحمة والوعد الذي كتبه الله تعالى – تفضلاً – على نفسه لعباده المرسلين والصالحين والمؤمنين، كما في قوله تعالى: {ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ (103) } [يونس: 103]، وقوله تعالى: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم: 47]، ووعد الله تعالى حق وصدق، كما قال تعالى: {وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا} [الكهف: 98]، وقوله تعالى: {وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ} [التوبة: 111]،

فأي مخالفة بعد ذلك للعقيدة الصحيحة إن توسل المسلم – التوسل الصحيح – إلى الله تعالى بحق ذوي الحرمة والحقوق على الله تعالى – وهو كما أسلفنا ليس حقاً ذاتياً لهم، بل هو الحق الذي قطعه الله تعالى على نفسه تفضلاً ورحمة –، لاسيما وقد دلت الآثار والأحاديث على جواز ذلك وتواترت أقوال العلماء الذين رزقهم الله تعالى القبول عند أهل السنة والجماعة على جواز التوسل بحق الانبياء والمرسلين وأتباعهم من الاولياء والصالحين إلى الله تعالى، ثم أليس الإيمان بان لهؤلاء المكرمين حق على الله تعالى، هو من باب الإيمان بهم، وهو جزء كما تقدم من الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، وألا يصلح ذلك الإيمان أن يكون بمثابة العمل الصالح الذي نتوسل به إلى الله تعالى

[المفتاح العاشر]: هل التوسل من أبواب العقيدة أم أبواب الفقه: التوسل ليس من مباحث الاعتقاد، ولا يوجد – في حد علمي – في السابقين من علماء السلف من جعل التوسل من أبواب العقيدة، وإنما كانت البداية في القرن السابع عندما حدث الخلاف بين ابن تيمية وبين جماهير العلماء في عصره، وإنما كان التوسل من موضوعات الفقه، **وهذا هو الصواب لأسباب عديدة أهمها:**

(أ) أن حقيقته اتخاذ قربة إلى الله تعالى، والقربة من الطاعات، والطاعات مجالها الفقه وليس العقيدة، إذ لا يوجد بين المسلمين من يعتقد أن لغير الله تعالى قدرة مستقلة على تصريف أو تدبير أي شيء، بل جميع طوائف أهل السنة بمن فيهم الصوفية يعتقدون أن الأمر كله لله وحده بيده مقادير كل شيء، ويعتقدون أن جميع الأنبياء والأولياء لا فعل لهم ولا قدرة ولا تصرف، لا في حياتهم ولا مماتهم، وأن الأمر كله أولاً وآخراً لله، وإنما التوسل بهم وطلب الدعاء منهم هو لأن دعاءهم مستجاب وهم أهل ومحل رضا الله تعالى، فلا يوجد أي وجه لإدخال التوسل في أبواب العقيدة إلا إذا اتهمنا سواد المسلمين الأعظم بالشرك وأخرجناهم من ملة الإسلام،

(ب) إن أصل التوسل مشروع لا خلاف فيه، وإنما الخلاف في بعض أنواع التوسل، وجميعها أستدل لها مؤيدوها بأدلة مقبولة في الجملة، وعليها جمهور علماء أهل السنة على مر عصور الإسلام، وعلى ذلك فالخلاف فيها فقهي محض، يدور على الاجتهاد، ولا يجوز في أبواب الاجتهاد إلزام وأمر ونهي، وهذا من أهم قواعد الحسبة على الدين: أن الأمر المختلف فيه لا

يجوز فيه إلزام المخالف ولا أمره أو نهيه ما كان الخلاف في أمر فقهي يخضع للاجتهاد، ولكل فريق أدلته الشرعية التي يستدل بها،

(ت) كما أن التوسل على أنواعٍ وأمره يدور بين الجواز والندب، والحرمة، وما كان أمره كذلك فهو من الأحكام الشرعية التي موضوعها علم الفقه، وإقحام موضوعات الفقه في التوحيد والعقائد خطأ يجب مجانبته،

(ث) السادة الفقهاء يذكرون استحباب التوسل أو جوازه، في باب الاستسقاء في كتاب الصلاة وعند زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كتاب الحج، وهذا يدل على أن بحث التوسل يخص الفقه ولا يخص العقيدة،

(ج) من أمثلة ذلك الغلو في جعل التوسل من باب العقيدة وليس الفقه، قول أحدهم: (التوسل في الدعاء بذوات الصالحين أو حقهم أو جاههم يعتبر أمراً مبتدعاً، ووسيلة من وسائل الشرك، والخلاف فيه يعتبر خلافاً في مسائل العقيدة لا في مسائل الفروع، لأن الدعاء فيه أعظم أنواع العبادة ولا يجوز فيه إلا ما ورد في الكتاب والسنَّة) أهـ، والجواب على ذلك الغلو يتمثل في أن هذا الكلام به مغالطات قد لا يدركها قائل الكلام، منها أن الدعاء من أعظم أنواع العبادة، ولكن هل المتوسل يدعو غير الله، إن التوسل إنما هو طلب القربى إلى الله تعالى بالوسائل الجائزة شرعاً، والمتوسِّلُ المسلم الموحد لا يعبد إلا الله، ولا يرجو سوى الله، ولا يدع إلا الله وحده، فالله وحده – في عقيدة كل مسلم – هو المالك القادر المهيمن، وهو وحده المعطي والمانع، وهو وحده المعز والمذل وهو وحده النافع والضار ولكن المتوسّل اتخذ قربة شرعية جائزة – أجازها الكتاب والسنة – رجاء قبول مبتغاه عند الله، وهو في توسله إنما يتوسل اتباعاً لقول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة}، وقصارى الامر أن بعض أنواع التوسل مختلف في جوازها، ولكل فريق أدلته، فأين هذا من علم العقيدة والخلاف في العقيدة، إ، محل هذا الخلاف موضوع علم الفقه، أما علم العقيدة أو التوحيد فيتكلم في الإلهيات والنبويات والسمعيات، فلا معنى لإدخال بحث التوسل في العقيدة،

(ح) ومن أمثلة ذلك الغلو في جعل التوسل من باب العقيدة وليس الفقه، استدلالهم في تحريم بعض اقسام التوسل بقول الله تعالى: {وقال ربكم ادعوني أستجب لكم}، وقوله تعالى: {فادعوا الله مخلصين}، وهذا أيضا خلط بين أبواب العلم، فالآية الأولى فيها طلب دعاء الله تعالى، والثانية فيها حث على الدعاء مع الإخلاص، أما التوسل فهو اتخاذ قربة لله رغبة في

إجابة الدعاء، وهذه القربة على أنواع كما هو معلوم فلا تنافي بأي وجه للتوسل مع الدعاء وإخلاصه لله، بل التوسل يوفقهما من حيث أن المسلم يدعوا الله تعالى ولا يدعو غيره، ولكن المتوسل يتوسل بما يراه أقرب عند الله رجاء قبول مبتغاه عند الله ورجاء استجابة دعائه من الله، وأصل التوسل جائز شرعا، واقسامه منها ما هو متفق عليه ومنها ما هو مختلف عليه، والجمهور من علماء أهل السنة والجماعة المقبولين عند المسلمين على جواز المختلف فيه، فأي دخلٍ للعقيدة في باب التوسل بعد ذلك،

(خ) ومن أمثلة ذلك الغلو في جعل التوسل من باب العقيدة وليس الفقه، زعمهم أن التوسل المختلف فيه يجر إلى الشرك، فإذا كان التوسل يجر إلى الشرك، فهل جماهير علماء اهل السنة والجماعة الذين أجازوا التوسل، وتوسلوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كالإمام احمد بن حنبل وغيره من العلماء وما أكثرهم، هل يعقل أنهم انجروا إلى الشرك، و أليست الشريعة الغراء تحوي على أدلة تجيز هذا النوع من التوسل، وقد تقدم كثير من تلك الأدلة، فإما إن تكون الشريعة تجر إلى ذلك – وحاشاها من ذلك – وإما أن هناك خلل وغلو ينبغي علاجه، وهذا أهون من سب المسلمين وفيهم الكثير من العلماء بمسبة الشرك، وحاشاهم من ذلك، **إنّ جعل بحث التوسل في العقائد، وجعله وسيلة من وسائل الشرك، فمسلك خطير يؤدي إلى الغلو في الدين، وتغيير حقائق الإسلام وتوازناته الربانية، وتلاعب بباب التوحيد، وفتح لباب التشريك واتهام المسلمين بالشرك على أمور فقهية خلافية لا يجوز أصلاً فيها احتساب وامر ونهي ما كان لكل فريق دليله المعتبر،**

(د) إذا كان في المسألة وجهان أو قولان محتملان شرعاً، فلا بأس لكل مسلم أن يأخذ بأحد القولين، ولكن التحجر على قول واحد وتبديع الطرف المخالف أو اتهامه بالشرك، مع أن له من الأدلة ما له وجه مقبول في الشريعة هذا ليس من باب التدين والورع، لان الله تعالى حذرنا أشد التحذير من تحريم ما أحل الله، {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ} [النحل: 116]، لان الشرع لله والدين لله يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء، ولحكمة يعلمها الحكيم الخبير، وقد لا نعلمها نحن، جعل الشرع واسعا، بتوازنات ربانية إلهية لا يمكن أن نتدخل فيها لتضييق واسع من دين الله أو توسيع ضيق، فالدين دينه والشرع شرعه لا معقب لحكمه، وتضييق واسعاً من دين الله وتحريم ما أحل الله تعالى بحجة الخوف على التوحيد، أخشى أن يكون من باب الهوى والتعصب، وإلا فهل الخوف على التوحيد مبرر لاتهام سواد الامة الأعظم

بالشرك وما يترتب على ذلك من استحلال دماء المسلمين وحرماتهم، فهل نحن بهذا الصنيع نضرب مثلاً في الحفاظ على الدين وأهله، أم نمثل نكبة وعقدة في طريق الحفاظ على الدين ووحدة أهله،

[المفتاح الحادي عشر]: التوسل في مذاهب الفقهاء الأربعة والعلماء:

ذهب جمهور الفقهاء سلفا وخلفا ومنهم السادة المالكية والشافعية ومتأخرو الحنفية وهو المذهب عند الحنابلة إلى جواز التوسل بذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وألحق به صلى الله عليه وآله وسلم الصالحين من المسلمين، المالكية والشافعية ومتأخري الحنفية، بمعنى أن جمهور الفقهاء على جواز التوسل بالأنبياء والصالحين سواء في حياتهم أو بعد مماتهم، وإليك التفصيل من داخل المذاهب الفقهية الأربعة وبعض المستقلين كالشوكاني وغيرهم، (تنبيه): أكثر مراجع هذا المبحث مستفاد من كتاب: (التوسل بالصالحين بين المجيزين والمانعين) تأليف د عبد الفتاح قديش اليافعي حفظه الله،

(أ) حكم التوسل بالنبي والصالحين عند الأحناف: المذهب الحنفي هو احد أعمدة الفقه الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وقد استقرت فتوى المذهب الحنفي على جواز التوسل إلى الله تعالى بذات الرسول، وحملوا قول المتقدمين على الكراهة في باب الإقسام على الله تعالى، وليس في باب التوسل، **وممن أجاز ذلك النوع من التوسل** – على سبيل المثال لا الحصر – الائمة العلماء: الكلاباذي البخاري الحنفي (ت: 380 هـ)، والقدوري الحنفي، و ابن العديم الحنفي (ت: 660 هـ)، ومجد الدين الموصلي الحنفي (ت: 683 هـ) صاحب الاختيار فيما يقال عند زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والزيلعي (ت: 743هـ)، وابن أبي الوفاء القرشي الحنفي(ت: 775 وابن نجيم الحنفي (ت 710 هـ)، والسيد الشريف الجرجاني الحنفي (ت: 816 هـ) وابن حجة الحموي الحنفي (ت: 837 هـ)، والإمام العيني (ت: 855 هـ) والإمام كمال الدين بن الهمام الحنفي (ت: 861هـ)، وأبو العباس أحمد الزبيدي الحنفي(ت: 893 هـ)، والصالحي الشامي الحنفي (ت: 942 هـ)، وطاش كبري زاده الحنفي (ت: 968 هـ) والشيخ علي القاري المكي الحنفي (ت: 1014هـ) وحاجي خليفة الحنفي (ت: 1067 هـ) والشرنبلالي الحنفي (ت: 1069 هـ) وعبد الرحمن أفندي داماد المدعو بشيخي زاده (ت: 1078هـ)، وعلاء الدين الحصكفي (ت: 1088هـ)، وخاتمة اللغويين الحافظ مرتضى الزبيدي الحنفي (ت: 1089هـ)، وعبد القادر البغدادي الحنفي (ت: 1093هـ)، والعلامة محمد الخادمي ت (1176هـ) وإسماعيل حقي (ت:

1137هـ) والمرادي الحنفي (ت: 1206 هـ) والشيخ أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي المصري شيخ الحنفية بالديار المصرية (ت 1231 هـ)، والجبرتي الحنفي (ت: 1237 هـ)، وخاتمة المحققين الشيخ ابن عابدين الحنفي (ت: 1252 هـ)، والمحدث محمد عابد السندي الحنفي (ت 1257 هـ)، وشهاب الدين الألوسي (ت: 1270هـ)، وأحمد عارف الحسيني الحنفي (ت: 1275هـ) والعلامة الفقيه عبد الغني الغنيمي الحنفي(ت: 1298هـ)، والعدوي الحمزاوي (ت: 1303 هـ)، والشيخ محمد علاء الدين ابن الشيخ ابن عابدين (ت: 1306 هـ)، والشيخ عبد الرزاق البيطار (ت: 1335هـ)، وخليل أحمد سهارنبوري (ت: 1349 هـ) ومحمد بخيت المطيعي الحنفي، ومحمد زاهد الكوثري، والحافظ أبي الحسنات محمد عبد الحي بن الحافظ محمد عبد الحليم اللكنوى الانصاري الايوبي الحنفي (ت: 1304 هـ)، **ومن أقوال علماء المذهب الحنفي في جواز التوسل: قال الإمام كمال الدين بن الهمام الحنفي** في كتاب الحج، باب زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ويسأل الله حاجته **متوسلا إلى الله بحضرة نبيه** ثم قال يسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الشفاعة فيقول يا رسول الله أسألك الشفاعة يا رسول الله أتوسل بك إلى الله،) [فتح القدير، ج2، ص332]، **وذكر الشرنبلالي الحنفي** (ت: 1069 هـ) في مراقي الفلاح في آداب الزيارة: (يقف عند رأسه الشريف ويقول: اللهم انك قلت وقولك الحق: {ولو انهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا اللّه واستغفر لهم الرسول لوجدوا اللّه توابا رحيما}، وقد جئناك سامعين قولك، طائعين أمرك، **مستشفعين بنبيك**، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا انك رؤوف رحيم، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، سبحان ربنا رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد للّه رب العالمين، ويدعو بما يحضره من الدعاء) أهـ، **وقال الشيخ أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي شيخ الحنفية بالديار المصرية** (ت 1231 هـ): (قوله فيتوسل إليه بصاحبيه ذكر بعض العارفين أن الأدب في التوسل أن يتوسل بالصاحبين إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ثم به إلى حضرة الحق جل جلاله وتعاظمت أسماؤه فإن مراعاة لواسطة عليها مدار قضاء الحاجات) أهـ [حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ص 360]، **وقال العلامة شهاب الدين الألوسي** (ت: 1270هـ): (وبعد هذا كله أنا لا أرى بأساً في التوسل إلى الله تعالى بجاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم حياً وميتاً، ويراد من الجاه معنى يرجع إلي صفة من صفاته تعالى، مثل أن يراد به المحبة العامة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته، فيكون معنى قول القائل أتوسل إليك بجاه نبيك صلى الله عليه وآله وسلم أن تقضي لي

حاجتي يعني إلهي اجعل محبتك له وسيلة في قضاء حاجتي) أهـ [تفسير روح المعاني: ج 2 ص 299]، **وقال العدوي الحمزاوي** (ت: 1303 هـ) في كنز المطالب (ص216): (ومن أحسن ما يقول بعد تجديد التوبة في ذلك الموقف الشريف، وتلاوة {ولو انهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا اللّه واستغفر لهم الرسول} الآية: نحن وفدك يا رسول اللّه وزوارك، جئناك لقضاء حقك وللتبرك بزيارتك **والاستشفاع بك مما اثقل ظهورنا واظلم قلوبنا)** أهـ، **وفي كتاب الفتاوى الهندية** (ج1: 266) وقد قام بتأليفه جماعة من علماء الهند برئاسة الشيخ نظام الدين البلخي بأمر من سلطان الهند أبي المظفر محيى الدين محمد أورنك زيب في كتاب المناسك: (باب: خاتمة في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بعد أن ذكر كيفية وآداب زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ذكر الأدعية التي يقولها الزائر فقال: "ثم يقف (أي الزائر) عند رأسه صلى الله عليه وآله وسلم كالأوّل ويقول: اللهم إنك قلت وقولك الحق: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ،، } الآية، وقد جئناك سامعين قولك طائعين أمرك، مستشفعين بنبيك إليك") أهـ، **وقال خليل أحمد سهارنبوري** (المتوفي 1349 هـ) في كتابه المهند على المفند(ص 86-87) وهو من كبار علماء أحناف ديوبند بالهند، في جواب هذا السؤال: هل للرجل أن يتوسل في دعوته بالنبي والصالحين والصديقين والشهداء والأولياء؟ (عندنا وعند مشايخنا يجوز التوسل بهم في حياتهم وبعد وفاتهم بأن يقول: " **اللّهم إني أتوسل إليك بفلان أن تجيب دعوتي وتقضي حاجتي** "، كما صرح به الشاه محمد إسحاق الدهلوي والمهاجر المكي ورشيد أحمد الكنكومي) أهـ [وأيد ووافق على هذا الكتاب حوالي 75 نفراً من علماء الأحناف الكبار في باكستان]، **وقال الإمام محمد زاهد الكوثري** في كتاب " مقالات الكوثري " (صـ 410) (وعلى التوسل بالأنبياء والصالحين أحياء وأمواتا جرت الأمة طبقة فطبقة) أهـ

(ب) حكم التوسل بالنبي والصالحين عند المالكية: يكاد المذهب يُجمع على جواز التوسل بذات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وجاهه وقدره وحرمته عند الله تعالى، لاسيما وفي المذهب نصوص واضحة جلية لإمام المذهب بذلك، **وممن نص على ذلك من علماء المذهب،** الإمام مالك رحمه الله، والائمة ابن خويز منداد، والقاضي عياض (ت: 544 هـ)، وعبد الحق الإشبيلي (ت: 582 هـ)، وأبو عبد الله محمد بن موسى المراكشي المالكي (ت: 683)، صاحب كتاب "مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام عليه السلام في اليقظة والمنام"، وابن جبير المالكي (ت: 614 هـ): وأبو عبد الله القضاعي المالكي المعروف بابن الأبار (ت: 658 هـ)، والإمام القرطبي (ت: 671 هـ)، والقرافي المالكي (ت: 682 هـ)، وابن عطاء الله السكندري

المالكي (ت: 709 هـ)، وابن أبى جمرة المالكي (ت: 699 هـ) والإمام الفكهاني (ت: 734)، ومحمد بن محمد العبدري المالكي الشهير بابن الحاج (ت: 737 هـ)، وابن جزي الكلبي المالكي (ت: 757 هـ)، والبلوي المالكي (ت: 767هـ)، وابن خلدون (ت: 808 هـ)، وابن الخطيب المالكي (أو ابن قنفد) (ت: 810 هـ)، وأبو الطيب المكي الفاسي المالكي (ت: 832 هـ)، ومحمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل أبو عبد لاله المغربي الأندلسي ثم القاهري المالكي والمعروف بالراعي (ت: 853هـ)، ومحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشمس بن الشمس المسوفي الأصل المدني المالكي (ت: 885هـ)، والشيخ أحمد زروق المالكي (ت: 899 هـ)، وأبو الحسن المالكي (ت: 939 هـ)، والقسطلاني (ت 923 هـ)، وابن عاشر المالكي (ت: 1040 هـ)، وإبراهيم اللقاني المالكي (صاحب جوهرة التوحيد) (ت: 1041 هـ)، والمقري التلمساني المالكي (ت: 1041 هـ)، وميارة المالكي (ت: 1072 هـ)، والإمام الزرقاني اليوسي المالكي (ت: 1102 هـ)، وأحمد بن غنيم بن سالم النفراوي (المتوفى: 1126هـ)، والعدوي المالكي (ت: 1189هـ)، والإمام الصاوي المالكي، والشيخ عليش (ت: 1299هـ)، وأبو العباس الناصري السلاوي المالكي (ت: 1315هـ)، وخلق غيرهم من علماء المالكية كثير، **ومن أقوال علماء المذهب المالكي في جواز التوسل: أخرج أبو الحسن على بن فهر في كتابه فضائل مالك بسنده:** (أن مالكا رضي الله عنه لما سأله أبو جعفر المنصور العباسي – ثاني خلفاء بن العباس– يا أبا عبد الله: أأستقبل رسول الله صلى الله عليه سلم أم استقبل القبلة وأدعو؟ فقال الإمام مالك: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك أدم عليه السلام إلى الله عز وجل يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفع فيك) أهـ، **وقد أخرج هذه القصة القاضي عياض** في [الشفا 2: 41] بسنده الذي قال فيه الخفاجي في [شرحه 3: 398] (ولله دره حيث أوردها بسند صحيح وذكر أنه تلقاها عن عدة من ثقات مشايخه) أهـ، **وذكرها القسطلاني في المواهب:** (4: 580)، **والزرقاني شارح المواهب في شرحه** (8: 304) وقال في معرض رده على من أنكرها (وهذا تهور عجيب فإن الحكاية رواها أبو الحسن على بن فهر في كتابه فضائل مالك بإسناد حسن، وأخرجها القاضي عياض في الشفاء من طريقه عن عده من ثقات مشائخه، فمن أين أنها كذب؟ وليس في لسنادها وضاع ولا كذاب)، **وكذا نقلها السمهودي في وفاء الوفا** [ج 2 ص 422] عن القاضي عياض، **وقال ابن حجر** في الجوهر المنظم قد روي هذا بسند صحيح، وجاء ذكرها في اكثر كتب المذهب كالمدخل [1: 248، 252]، والفواكه الدواني [2: 466]، وشرح أبي الحسن على رسالة القيرواني [2: 478]، والقوانين الفقهية [ص 148]، **وقال العلامة ابن الحاج المالكي**

(توفى737 هـ) – في آداب زيارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (ويحضر قلبه وخاطره إليهم، وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره، لأنهم لا يبلون ولا يتغيرون، ثم يثني على الله تعالى بما هو أهله، ثم يصلي عليهم ويترضى عن أصحابهم، ثم يترحم على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم يتوسل إلى الله تعالى بهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه ويستغيث بهم ويطلب حوائجه منهم ويجزم بالإجابة ببركتهم ويقوي حسن ظنه في ذلك فإنهم باب الله المفتوح، وجرت سنته سبحانه وتعالى في قضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم، ومن عجز عن الوصول إليهم فليرسل بالسلام عليهم، وذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه إلى غير ذلك، **فإنهم السادة الكرام، والكرام لا يردون من سألهم ولا من توسل بهم، ولا من قصدهم ولا من لجأ إليهم** هذا الكلام في زيارة الأنبياء، والمرسلين عليهم الصلاة والسلام عموما)، **وقال ابن جزي الكلبي المالكي** في القوانين الفقهية: (ينبغي لمن حج أن يقصد المدينة فيدخل مسجد النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – فيصلي فيه ويسلم على النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وعلى ضجيعيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما **ويتشفع به إلى الله** ويصلي بين القبر والمنبر ويودع النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – إذا خرج من المدينة، **وقال ابن خلدون** (ت: 808 هـ) في تاريخه (6: 43): (نسأله سبحانه و تعالى من فيض فضله العميم، و نتوسل إليه بجاه نبيه الكريم، أن يرزقنا إيمانا دائما، و قلبا خاشعا، وعلما نافعا..،) أهـ، **وقال القسطلاني** (ت 923 هـ) في المواهب اللدنية: (وينبغي للزائر له صلي الله عليه وسلم ان يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به صلي الله عليه وسلم، فجدير بمن استشفع به ان يشفعه اللّه فيه،، إلى أن قال: وان الاستغاثة هي طلب الغوث فالمستغيث يطلب من المستغاث به اغاثته ان يحصل له الغوث، فلا فرق بين ان يعبر بلفظ الاستغاثة، أو التوسل، أو التشفع، أو التوجه أو التجوه لانهما من الجاه والوجاهة، ومعناهما علو القدر والمنزلة وقد يتوسل بصاحب الجاه الى من هو اعلى منه، قال: ثم ان كلا من الاستغاثة، والتوسل والتشفع، والتوجه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم واقع في كل حال: النصرة قبل خلقه وبعد خلقه، في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في البرزخ، وبعد البعث في عرصات القيامة،) [المواهب اللدنية: 4: 593]، **وقال الإمام الزرقاني في شرح المواهب:** (ونحو هذا في منسك العلا مة خليل، وزاد: وليتوسل به صلى الله عليه وآله وسلم، ويسال اللّه تعالى بجاهه في التوسل به، اذ هو محط جبال الاوزار واثقال الذنوب، لان بركة شفاعته وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب، ومن اعتقد خلاف ذلك فهو المحروم الذي طمس اللّه بصيرته واضل سريرته، الم يسمع قوله تعالى: {ولو انهم اذ ظلموا

انفسهم جاؤوك فاستغفروا اللّه} الاية) [شرح المواهب (8: 317)]، **وقال الإمام الصاوي المالكي** في حاشية الصاوي على الشرح الصغير (والأفضل في الزيارة القرب من القبر الشريف، بحيث يكون النبي يسمع قوله على حسب العادة، ويلزم في تلك الحضرة الأدب الظاهري والباطني ليظفر بالمنى،، وحين يدخل المسجد الشريف يأتي الروضة فيصلي بها ركعتين تحية المسجد، ثم يأتي قبالة القبر الشريف ويقول: " السلام عليك يا سيدي يا رسول الله،، **ثم يتوسل به في جميع مطلوباته)** أهـ،

(ت) حكم التوسل بالنبي والصالحين عند الشافعية: يكاد المذهب الشافعي يُجمع على جواز التوسل بذات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وجاهه وقدره وحرمته عند الله تعالى، لاسيما وفي المذهب نصوص واضحة جلية لإمام المذهب بذلك، **وممن نص على ذلك من علماء المذهب:** الإمام الشافعي، والإمام البيهقي الشافعي (384 هـ)، والقاضي أبو الطيب الشافعي (450هـ)، والحافظ ابن عساكر الشافعي (ت: 571 هـ)، والعماد الأصبهاني (ت: 597هـ)، والإمام الرافعى القزويني الشافعي (623هـ)، والحافظ ابن الصلاح الشافعي (ت: 643 هـ)، والإمام النووي (ت: 676 هـ)، وابن خلكان الشافعي (ت: 681 هـ)، والمحب الطبري الشافعي (ت: 694 هـ)، وعماد الدين بن العطار(ت: 724 هـ)، وتقي الدين بن دقيق العيد الشافعي (ت: 702هـ)، وابن الزملكاني الشافعي (ت: 727 هـ)، وتقي الدين أبو الفتح السبكي (ت: 744 هـ)، والإمام السبكي (ت: 756 هـ)، والصفدي (ت: 764هـ)، والحافظ الحسيني الدمشقي الشافعي (ت: 765 هـ)، والعفيف اليافعي الشافعي (ت: 768 هـ)، وابن الرفعة الشافعى، وابن الزملكانى الشافعى، والعلامة الفيومي الشافعي (ت: 770 هـ)، وسعد الدين التفتازاني الشافعي (ت: 791 هـ)، وتقي الدين الحصني الشافعي (ت: 829هـ)، والحافظ ابن الجزري الشافعي (ت: 833 هـ)، والقلقشندي الشافعي (ت: 821 هـ)، والإمام السمهودي (ت: 911 هـ)، والأبشيهي الشافعي (ت: 850 هـ)، وشمس الدين الرملي (ت: 894 هـ)، والحافظ السخاوي (ت: 902 هـ)، وشمس الدين محمد بن أبي بكر الأنصاري الشافعي (ت: 903)، والإمام السيوطي (ت: 911 هـ)، وأبو الحسن البلبيسي المكي الشافعي (ت: بعد 916هـ)، والإمام زكريا الأنصاري (ت: 919 هـ)، والشيخ ابن حجر الهيتمي الشافعي (ت: 973 هـ)، والخطيب الشربيني (ت: 977 هـ)، والإمام الرملي (ت: 1004هـ)، ومحمد بن محمد شمس الدين القدسي الشافعي الدمشقي المعروف بالسيد الصادي (ت: 1008 هـ)، وعبد الرؤوف المناوي (ت: 1030 هـ)، وأبو المواهب بن محمد بن علي البكري الصديقي المصري الشافعي (ت: 1037هـ)، وابن علان المكي الشافعي (ت: في

حدود 1057 هـ)، والغزي الشافعي (ت: 1098 هـ)، والمحدث إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي الشافعي (ت: 1162 هـ)، والبجيرمي (ت: 1221 هـ)، والهوريني الشافعي (ت: 1291هـ)، والشرواني (ت: 1301هـ)، والجاوي الشافعي (ت: 1315 هـ)، تاريخ دمشق لابن عساكر [5: 312] و طبقات الشافعية الكبرى للسبكي في [2: 35] و البداية و النهاية لابن كثير [10: 331] ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي[ص 610]: أن الإمام الشافعي توسل وتبرك بقميص الإمام أحمد ابن حنبل، وروى الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في التاريخ [ج1، ص 123]، والعلامة ابن حجر في كتابه الخيرات الحسان، [ص69]، والخوارزمي في مناقب أبي حنيفة [ج 2 ص 199]، والكردري في مناقبه [2 ص 112]، وطاش كبرى زادة في مفتاح السعادة[2 ص 82] **ومن أقوال علماء المذهب الشافعي في جواز التوسل: قال الإمام الغزالي** في كتابه إحياء علوم الدين، باب زيارة المدينة وآدابها [1: 360]: (يقول الزائر، اللهم قصدنا نبيك **مستشفعين به إليك** في ذنوبنا وقال في آخره ونسألك بمنزلته عندك وحقه إليك)، و**قال الإمام النووي في المجموع** [ج8: 274] كتاب صفة الحج، باب زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (ثم يرجع إلى موقفه الأول قُبالة وجه رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم **ويتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه)، وقال الإمام السبكي** في كتابه شفاء السقام: (اعلم أنه **يجوز ويحسن التوسل والاستعانة والتشفع بالنبي صلى الله عليه** وآله وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى وجواز ذلك وحُسْنُه من الأمور المعلومة لكل ذي دين المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام من المسلمين، ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان ولا سمع به في زمن من الأزمان حتى جاء ابن تيمية فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار وابتدع ما لم يسبق إليه في سائر الأعصار) اهـ **وقال الإمام تقي الدين الحصني** في كتابه دفع شبه من شبه وتمرد [ص89]: (**والمراد أن الاستغاثة بالنبي واللواذ بقبره مع الاستغاثة به كثير على اختلاف الحاجات**، وقد عقد الأئمة لذلك باباً، وقالوا: إن استغاثة من لاذ بقبره وشكى إليه فقره وضره توجب كشف ذلك الضر بإذن الله تعالى) أهـ، **وفي فتاوى الإمام شمس الدين الرملي** (فتاوى الرملي بهامش الفتاوى الكبرى لابن حجر الهيتمي(4: 382) ما نصه: " سئل عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد: يا شيخ فلان، يا رسول الله، ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين فهل ذلك جائز أم لا؟ وهل للرسل والأنبياء والأولياء والصالحين والمشايخ إغاثة بعد موتهم؟ وماذا يرجح ذلك؟ فأجاب: **بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين جائزة**، وللرسل والأنبياء

والأولياء والصالحين إغاثة بعد موتهم، لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم، أما الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجون كما وردت به الأخبار وتكون الإغاثة منهم معجزة لهم، وأما الأولياء فهي كرامة لهم فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة يجريها الله تعالى بسببهم) أهـ، **وقال السيوطي** في تاريخ الخلفاء (1: 452): (وأسأل الله تعالى أن يقبضنا إلى رحمته قبل وقوع فتنة المائة التاسعة!! **بجاه محمد صلى الله عليه** و سلم و صحبه أجمعين، آمين)، وقال الشيخ ابن حجر الهيتمي الشافعي في خاتمة كتابه "تحفة الزوار إلى قبر المختار" داعياً: (ختم الله لنا ولمن رأى في هذا الكتاب بالسعادة والخير ورفعنا وإياهم في الجنة إلى المقام الأسنى **(بجاه سيد الأولين والآخرين)** أهـ، **وقال الإمام الرملي** في كتابه نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج داعيا للإمام النووي: (تغمده الله برحمته، ونفعنا والمسلمين ببركته **بجاه محمد وآله وعترته)، ويقول** : (ومن خطه نقلت المعروض على المسامع الكريمة حرسها الله تعالى من كل سوء **بجاه محمد صلى الله عليه وآله** وسلم)، **ويقول في منتصفه:** (وأسأله الإعانة على الإتمام **بجاه محمد سيد الأنام** ومصباح الظلام)، وفي آخره: (والله أسأل، **وبرسوله أتوسل، أن ينفع به كما نفع بأصله)، وجاء في إعانة الطالبين** [1: 171]، في ذاكرة القصد من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم:) بل يقصد أنه مفتقر له عليه الصلاة والسلام وأنه يتوسل به إلى ربه في نيل مطلوبه لأنه الواسطة العظمى في إيصال النعم إلينا)

(ث) حكم التوسل بالنبي والصالحين عند الحنابلة: يكاد المذهب الحنبلي يُجمع على جواز التوسل بذات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وجاهه وقدره وحرمته عند الله تعالى، **وممن نص على ذلك من علماء المذهب:** الإمام احمد بن حنبل، والشيخ عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١ هـ)، والإمام بن قدامة المقدسي الحنبلي، والإمام ابن عقيل الحنبلي (ت 503)، وابن الجوزي (ت 597 هـ)، وأبو عبد الله محمد بن الحسين السامري الحنبلي (ت: 616 هـ)، والشيخ العلامة أبو زكريا الصرصري البغدادي الحنبلي (ت: 656 هـ)، والإمَامُ المرْدَاوي (ت 885هـ)، وابن مفلح الحنبلى، والبهوتى الحنبلي ت (1051هـ)، وابن كنان الحنبلي (ت: 1153هـ)، **ومن أقوال علماء المذهب الحنبلي في جواز التوسل: قال الإمام احمد بن حنبل** في منسكه الذي رواه عنه المروزي ما نصه: **(وسل الله حاجتك متوسلاً** إليه بنبيه(صلى الله عليه وآله وسلم) تُقْضَ من الله عز وجل)، هكذا ذكره ابن تيمية في الرد على الأخنائي (ص 168)، **وذكر معناه برهان الدين بن مفلح** في المبدع (2: 204) وقريب منه ما في الإقناع للعلامة الحجاوي (1: 208)

والفروع لشمس الدين ابن مفلح(ت: 763 هـ) (2: 159) وغيرهم، **وفي كتاب العلل ومعرفة الرجال** ما نصه: (سألته عن الرجل يمس منبر النبي (صلّى الله عليه و سلّم) و يتبرك بمسّه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا يريد التقرب إلى الله جل وعز فقال: لا بأس بذلك) أهـ [العلل لأحمد بن حنبل (2: 492)،]، **وقال الشيخ أبو الفرج بن قدامة** إمام الحنابلة صاحب الشرح الكبير وهو الشيخ شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن قدامة الحنبلي: (مسألة): فإذا فرغ من الحج استحب زيارة قبر النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وقبر صاحبيه رضي الله عنهما، ثم ذكر الشيخ ابن قدامة صيغة تقال عند السلام على النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وفيها أن يقول: (اللهم إنك قلت وقولك الحق: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً} وقد أتيتك مستغفراً من ذنوبي **مستشفعاً بك إلى ربي** فأسألك يا رب أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللهم اجعله أول الشافعين ثم قال: ولا يستحب التمسح بحائط قبر النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ولا تقبيله، قال أحمد رحمه الله: ما أعرف هذا، قال الأثرم: رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون قبر النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –، يقومون من ناحية فيسلمون، قال أبو عبد الله: وهكذا كان ابن عمر رضي الله عنهما يفعل، قال: أما المنبر فقد جاء فيه ما رواه إبراهيم ابن عبد الله بن عبد القارئ إنه نظر إلى ابن عمر وهو يضع يده على مقعد النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – من المنبر ثم يضعها على وجهه، اهـ [(الشرح الكبير ج3 ص495)]، **وقال الإمام بن قدامة المقدسي الحنبلي** في وصيته (ص 92): (وإذا كانت لك حاجة إلى الله تعالى تريد طلبها منه فتوضأ، فأحسن وضوءك، واركع ركعتين، وأثن على الله عز وجل، وصلَ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قل: لا إِلَهَ إِلاَّ الله الحَلِيمُ الكَرِيمُ، سُبحَانَ رَبِّ العَرشِ العَظِيمِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينِ، أَسأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغفِرَتِكَ وَالغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، لا تَدَعْ لي ذَنباً إِلاَّ غَفَرْتَهْ وَلا هَمَّاً إِلاَّ فَرَّجْتَهْ، وَلا حَاجةً هِيَ لَكَ رِضاً إِلاَّ قَضَيتَهَا يَا أَرحَمَ الرَّاحمين، وإن قلت: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبي الرحمة **يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي** فيقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك، وروي عن السلف أنهم كانوا يستنجحون حوائجهم بركعتين يصليهما ثم يقول: اللهم بك أستفتح وبك أستنجح، وإليك بنبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم أتوجه، اللهم ذلل لي صعوبة أمري، وسهل من الخير أكثر مما أرجو، واصرف عني من الشر أكثر مما أخاف) أهـ، **وقال ابن عقيل الحنبلي** (ت 503): في زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم (**يا محمد إني أتوجه**

بك إلى ربى) [التذكرة: 87]، **وقال ابن الجوزي** (ت: 597 هـ) في المدهش [ج١: ص١٤١] (لم يزل ذكر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم منشورا وهو في طي العدم **توسل به آدم** وأخذ له ميثاق الأنبياء على تصديقه)، **وقال أبو عبد الله محمد بن الحسين السامري الحنبلي** (ت: 616 هـ) في المستوعب (3: 88) " باب زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) " وذكر آداب الزيارة، وقال: (ثم يأتي حائط القبر فيقف ناحيته ويجعل القبر تلقاء وجهه، والقبلة خلف ظهره، والمنبر عن يساره، وذكر كيفية السلام والدعاء ومنه: (اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك مستغفرا، فأسألك أن توجب لي المغفرة كم أوجبتها لمن أتاه في حياته، **اللهم إني أتوجه إليك بنبيك** (صلى الله عليه وآله وسلم)، **وقال الإمَامُ المرْدَاوي** (ت 885هـ) في "الإنْصاف" [2: 456] (يَجُوز التوسُّل بالرجل الصالح، على الصحيح من المَذْهَب، وقيل يُسْتَحب قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَنْسَكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ لِلْمَرُّوذِيِّ: **يَتَوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي دُعَائِهِ** وَجَزَمَ بِهِ فِي الْمُسْتَوْعِبِ وَغَيْرِهِ)، **وقال البهوتى الحنبلي** ت (1051هـ) في كتاب كشاف القناع الجزء الثاني: (وقال السامري وصاحب التلخيص: لا بأس بالتوسل للاستقاء بالشيوخ والعلماء المتقين، **وقال في المذهب:** يجوز أن يستشفع إلى الله برجل صالح وقيل للمروذي: إنه يتوسل بالنبي في دعائه وجزم به في المستوعب وغيره، ثم قال: قال إبراهيم الحربي: الدعاء عند قبر معروف الكرخي الترياق المجرب، وذكر أبو عبد الله الأردبيلي: سمعت أبا بكر بن أبي الخصيب يقول: ذُكر صفوان بن سليم عند أحمد بن حنبل فقال: هذا رجل يستسقى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره) أهـ [تهذيب الكمال للحافظ المزي [13: 186 برقم 2882]، **قال عبد الله ابن أحمد ابن حنبل** في " المسائل " (217): " سمعت أبي يقول: حججت خمس حجج منها ثنتين [راكبا] و ثلاثة ماشيا، أو ثنتين ماشيا و ثلاثة راكبا، فضللت الطريق في حجة و كنت ماشيا، فجعلت أقول: **(يا عباد الله دلونا على الطريق!)** فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق، أو كما قال أبي) أهـ، وذكر القصة البيهقي في " الشعب " (2: 455: 2) وابن عساكر (3: 72: 1) من طريق عبد الله، وذكرها ابن مفلح في الاداب الشرعية، **وقال الإمَامُ السَّامُري في "المُسْتوعِب"** (3: 88): **(ولا بَأسَ بالتوسُّل إلى اللهِ تعالى في الإستسقاء بالشيوخ والزهَّاد** وأهلِ العلم والفضل والدين من المسلمين،) **وقال الإمَامُ تقيُّ الدين الأدَمي** في "المُنوّر" [ص: 190]: **(ويُبَاحُ التوسُّلُ بالصُلَحَاء)** أهـ، **وقال الإمامُ ابنُ مُفْلح** في "الفروع" [3: 229]: **(ويَجُوزُ التوسُّلُ بصالحٍ** ، وقيْلَ يُسْتحبُّ) أهـ، **وقال الإمام الحجاوي** في "الإقناع" مع شرحِهِ للإمام البُهوتي [1: 546]: **(ولابأس بالتوسل بالصالحين)** أهـ، وقال الإمامُ ابنُ النجّار في "منتهى الإرادات" مع شَرْحِهِ

للإمَام الُبهوتي [2: 58]: **(وأُبيْحَ التوسُّلُ بالصَالحيْن)، وقال الإمُامُ مرْعيٌّ الكرْمي** في "غاية المُنْتَهى" مع شرْحه للإمَام الرحيْبَاني [2: 316]: **(وكذا أبيْحَ توسلٌ بصالحيْن)** أهـ، **وقال الإمام منصور بن يونس البيهوتي الحنبلي** المتوفى سنه 1051هـ في كتاب كشاف القناع الجزء الثاني: (وقال السامري وصاحب التلخيص: **لا بأس بالتوسل للاستقاء بالشيوخ والعلماء المتقين**، وقال في المذهب: **يجوز أن يستشفع إلى الله برجل صالح** وقيل للمروذي: إنه يتوسل بالنبي في دعائه وجزم به في المستوعب وغيره، ثم قال: قال إبراهيم الحربي: الدعاء عند قبر معروف الكرخي الترياق المجرب) أهـ، **وقال الإمام ابن الجوزي الحنبلي** في كتاب مناقب الإمام أحمد ص 297: (عن عبد الله بن موسى أنه قال: خرجت أنا وأبي في ليلة مظلمة نزور « أحمد » فاشتدت الظلمة، فقال أبي: **يا بني تعال حتى نتوسل إلى الله تعالى بهذا العبد الصالح** حتى يضاء لنا الطريق، **فمنذ ثلاثين سنة ما توسلت به إلا قضيت حاجتي**، فدعا أبي وأمنت على دعائه، فأضاءت السماء كأنها ليلة مقمرة حتى وصلنا إليه) اهـ، وبعد فتلك اقوال الفقهاء من مختلف المذاهب والتي تدل على جواز هذا النوع من التوسل بذات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وجاهه عند الله تعالى،

(ج) قول الشوكاني في التوسل: للشوكاني كلام قوي جدا في نصرة التوسل بذات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وجاهه عند الله تعالى، وألحق به جواز التوسل بالصالحين عموماً، كما اعتبر ذلك التوسل بمثابة التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح، وهو اعتقاد فضلهم والإيمان بمنازلهم عند الله تعالى، كما أنه رد على الغالين في هذا الباب ممن ألحق التوسل بباب التوحيد والشرك وليس باب الفقه والاجتهاد، **ومن ذلك: قوله رحمه الله في تحفة الذاكرين** – عند شرح حديث الضرير: (وفي الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله عز وجل مع اعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى وأنه المعطي المانع، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن) أهـ، **وقوله فيها** في شرح قول صاحب العمدة: (ويتوسل إلى الله بأنبيائه والصالحين) ما لفظه: (ومن التوسل بالأنبياء، ما أخرجه الترمذي من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن أعمى أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الحديث ثم قال: وأما التوسل بالصالحين فمنه ما ثبت في الصحيح أن الصحابة استسقوا بالعباس رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال عمر رضي الله عنه اللهم إنا نتوسل إليك بعم نبينا الخ) أهـ، **وقوله في رسالته (الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد)**: (وأما التوسل إلى الله سبحانه بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام إنه لا

يجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إن صح الحديث فيه اهـ، ولعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه النسائي في سننه والترمذي وصححه وابن ماجه وغيرهم أن أعمى أتى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إني أصبت في بصري فادع الله لي، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((توضأ وصل ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد، يا محمد إني أستشفع بك في رد بصري اللهم شفع النبي فيّ)) وقال: ((فإن كان لك حاجة فمثل ذلك)) فرد الله بصره، **وللناس في معنى هذا قولان: (أحدهما):** أن التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب لما قال: كنا إذا أجدبنا نتوسل بنبينا إليك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا وهو في صحيح البخاري وغيره فقد ذكر عمر رضي الله عنه أنهم كانوا يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته في الاستسقاء، ثم توسل بعمه العباس بعد موته، وتوسلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه، فيكون هو وسيلتهم إلى الله تعالى، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في مثل هذا شافعاً وداعياً لهم، **و (القول الثاني):** أن التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم يكون في حياته وبعد موته وفي حضرته ومغيبه، **ولا يخفاك أنه قد ثبت التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وثبت التوسل بغيره بعد موته بإجماع الصحابة إجماعاً سكوتياً** لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في التوسل بالعباس رضي الله عنه، وعندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لأمرين: **(الأول):** ما عرفناك به من إجماع الصحابة رضي الله عنهم، **و(الثاني): أن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله،** فإذا قال القائل: (اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني) فهو باعتبار ما قام به من العلم، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة، **فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز أو كان شركا كما يزعمه المتشددون في هذا الباب** كابن عبد السلام ومن قال بقوله من أتباعه لم تحصل الإجابة لهم ولا سكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم، **وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل بالأنبياء والصلحاء من نحو** قوله تعالى {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} ونحو قوله تعالى {فلا تدعوا مع الله أحداً} ونحو قوله تعالى {له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء} **ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه،** فإن قولهم

{ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} مصرح بأنهم عبدوهم لذلك، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يعبده بل علم أن له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك، وكذلك قوله {ولا تدعوا مع الله أحداً} فإنه نهى عن أن يدعى مع الله غيره كأن يقول بالله وبفلان، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله فإنما وقع منه التوسل عليه بعمل صالح عمله بعض عباده، كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم وكذلك قوله {والذين يدعون من دونه} الآية فإن هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه، **وإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع خروجاً زائداً على ما ذكرناه** كاستدلالهم بقوله تعالى {وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله} فإن هذه الآية الشريفة ليس فيها إلا أنه تعالى المنفرد بالأمر في يوم الدين وأنه ليس لغيره من الأمر شيء، والمتوسل بنبي من الأنبياء أو عالم من العلماء هو لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركة لله جل جلاله في أمر يوم الدين، ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبياً أو غير نبي فهو في ضلال مبين، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله {ليس لك من الأمر شيء} {قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً} فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أمر الله شيء وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فكيف يملك لغيره، وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء أو الأولياء أو العلماء، وقد جعل الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه وقال له سل تعطه واشفع تشفع وقيل ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه ولا تكون إلا لمن ارتضى، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل قوله تعالى {وأنذر عشيرتك الأقربين} يا فلان بن فلان لا أملك لك من الله شيئاً، يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئا ً، فإن هذا ليس فيه إلا التصريح بأنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يستطيع نفع من أراد الله ضره ولا ضر من أراد الله تعالى نفعه، وأنه لا يملك لأحد من قرابته فضلاً عن غيرهم شيئاً من الله، وهذا معلوم لكل مسلم وليس فيه أنه لا يتوسل به إلى الله فإن ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر والنهي وإنما أراد الطالب أن يقدم بين يدي طلبه ما يكون سبباً للإجابة ممن هو المنفرد بالعطاء والمنع وهو مالك يوم الدين)) أهـ [الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني]،

[المفتاح الثاني عشر]: أخطاء الوهابية في باب التوسل: هناك غلو شاب بعض أتباع الدعوة السلفية المعاصرة تجاه مسائل التوسل تمثل فيما يلي:

(أ) جعلوا مسألة التوسل من مسائل العقيدة وبهذا يترتب على المتوسل الكفر والشرك والابتداع والخروج من الملة، وهذا غلو كبير، فمسألة التوسل من مسائل الفقه وليست من مسائل العقيدة، والخلاف في العقيدة خلاف بين توحيد وشرك، وبين ايمان وكفر، وبين حق وباطل، أما الخلاف في الفقه فهو خلاف بين صواب وخطأ، واين هذا من ذاك، وقد اتفق الفقهاء على أن الخلاف في مباحث التوسل خلاف فقهي لاسيما وان جميع المسلمين، لا يعبدون إلا الله، ولا يدعون إلا إياه، ولا يطلبون قضاء الحاجات أصلا إلا من الله تعالى،

(ب) جعلوا التوسل المختلف فيه من باب الشرك، وساووا بين المتوسلين من الموحدين وبين مشركي العرب، بل أضل على زعمهم لان مشركي العرب كانوا يشركون في الشدة فقط والمتوسلين يشركون في الشدة والرخاء – هذا على زعمهم، والبون شاسع، والفرق كبير بين المتوسلين من أهل الإسلام والتوحيد وبين مشركي العرب، إذ مشركي العرب بجميع فرقهم كانوا يتخذون من يدعونه إلهاً من دون الله كما صرح به القرآن، فالتوسل غير الشرك، فدعاء المشركين دعاء ألوهية وتعبد، ودعاء المسلمين توسل واستشفاع، وفرقٌ كبير بين مَنْ يقول: يا رب أعطني كذا بحق فلان، وبين من يقول: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}، إنّ الإشراك الذي حصل من المشركين الذين ذمهم القرآن هو عبادتهم للأنبياء والملائكة والأولياء بناءً على اعتقادهم فيهم أنهم شاركوا الله في الألوهية وأن لهم تأثيراً في الأشياء، وهم كانوا يعبدون آلهتهم ويعتقدون أنها تستطيع أن تقربهم إلى الله، وهذا بنص القرآن، فاعترفوا على أنفسهم بأمرين عظيمين: أنهم **يعبدون آلهتهم** التي **يعتقدون أنها تؤثر في الكون** مع الله تعالى، وهذا كفر، ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم "لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك"، وقد علم في علم التوحيد أنه لا فعل إلا لله، وأنه من أثبت لغير الله فعلاً كفعله فإنه كافر بالله تعالى، وإن زعم أنه مؤمن،

(ت) ظنهم أنَّ التوسل هو اتخاذ واسطة بين العبد وربه، مع ان المتوسِّل المسلم الموحد لا يعبد إلا الله، ولا يرجو سوى الله، ولا يدع إلا الله وحده، لان (الله) تعالى وحده – في عقيدة كل مسلم – هو المالك القادر المهيمن، وهو وحده المعطي والمانع، وهو وحده المعز والمذل وهو وحده النافع والضار ولكن المتوسّل اتخذ قربة شرعية جائزة – أجازها الكتاب والسنة –

رجاء قبول مبتغاه عند الله، وليس التوسل – أبداً – من باب اتخاذ واسطة بين العبد وربه، كما كان يفعل المشركون بقولهم: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: 3]، فشتان بين مسلم لا يعبد إلا الله، ويستأفف من نسبة عبادته إلى غير الله، ولا يرضى أبداً أن يقال عنه أنه عابد لغير الله، وهو يقر بالقرآن والإسلام وأركان الإيمان، ويشهد بالشهادتين (لا إله إلا الله – محمد رسول الله)، عن يقين واعتقاد، لا يستويان مثلا عند الله تعالى، وعند المؤمنين، وعلى ذلك فإن المعنى المقصود من (التوسل) إذا قاله المسلم، هو طلب القربى إلى الله تعالى بالوسائل الجائزة شرعاً، وليس المقصود به أبداً اتخاذ واسطة بين الله تعالى وبين العبد على غرار ما يفعله المشركون المنكرون لرسالة الإسلام،

(ث) الجفاء في فهم مباحث التوسل لأن غاية ما في التوسل هو الاستعانة بالأسباب المعينة على تحقيق المطالب، كما ان ليس هناك دليل شرعي واحد صحيح يدل على حرمة التوسل – على معناه الصحيح – بذوات الانبياء والاولياء والصالحين، وكل مسلم يعلم أن حب ذواتهم ليس حباً للأجساد، إذ كل بنى آدم أجسادهم من طين، ولكنه حبها لما حوته تلك الذوات من الإيمان بالله والطاعة لله وتعظيم أمر الله تعالى، ولذلك حرّم الله تعالى على الارض أن تأكل أجساد الانبياء، إن ذوات هؤلاء معظمة في قلب كل مسلم لما حوته من تعظيم لأمر الله تعالى، ثم أليس اعتقاد حرمة ذوات الانبياء والمرسلين وأتباعهم من الاولياء والصالحين هو ناشئ عن الإيمان بهم والإيمان بالرسل، أليس هو ركن من أركان الإيمان، لا يصح الإيمان إلا به، وأليس جائز في دين الله تعالى، ولا خلاف فيه بين المسلمين، أنه يجوز التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة، فإن حب ذواتهم واعتقاد حُرمتها ومكانتها عند الله والتقرب بذلك الحب والاعتقاد إلى الله تعالى، أليس هذا من أعظم الإيمان والعمل الصالح، فلم لا نحمل التوسل بذوات الانبياء واتباعهم من الاولياء والصالحين إلى الله تعالى بانه توسل بالأعمال الصالحة المتمثلة في اعتقاد حرمة تلك الذوات ومنزلتها العظيمة عند الله تعالى،

(ج) زعمهم أنه لا يجوز التوسل بالموتى – ولو كانوا من الانبياء أو الاولياء والعباد الصالحين – بزعم أنه خطاب لمعدوم، وانّ ذلك قبيح عقلا، لعدم قدرة الميت على الإجابة، وهذا جفاء لان للميت من الإدراك والشعور والالتفات والسماع ما دل عليه الشرع الحكيم، وقد تقدمت الادلة عليه، حتى قال الغزالي: (ظن بعضهم أن الموت هو العدم، وهذا رأي الملحدين، وكل

من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وهذا معنى ما يقال: الناس نيام وإذا ماتوا انتبهوا، فإن أول ما ينكشف له ما يضره وما ينفعه من حسناته وسيئاته، فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها) أهـ،

(ح) كما أنه ليس هناك دليل شرعي واحد صحيح يدل على حرمة التوسل – على معناه الصحيح – بجاه الصالحين، لأن الاعتراف بجاه هؤلاء هو من الإيمان والعمل الصالح، ولولا الإيمان لما اعترف المسلم بجاه هؤلاء الصالحين عند الله تعالى، وكل مسلم يعلم ان للأنبياء والأولياء والصالحين وجاهة عند الله، فأي مخالفة للعقيدة الصحيحة إن توسل المسلم – التوسل الصحيح – إلى الله تعالى بجاه هؤلاء الوجهاء عند الله تعالى، لاسيما وقد دلت الآثار والأحاديث على جواز ذلك وتواترت أقوال العلماء الذين رزقهم الله تعالى القبول عند أهل السنة والجماعة على جواز التوسل بجاه الانبياء والمرسلين وأتباعهم من الاولياء والصالحين إلى الله تعالى، كما أنه ليس هناك دليل شرعي واحد صحيح يدل على حرمة التوسل – على معناه الصحيح – بحق الانبياء والصالحين على الله تعالى، وهو ليس بالحق الواجب على الله تعالى، بل هو حق التفضل والرحمة والوعد الذي كتبه الله تعالى – تفضلاً – على نفسه لعباده المرسلين والصالحين والمؤمنين، كما في قوله تعالى: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم: 47]، فأي مخالفة بعد ذلك للعقيدة الصحيحة إن توسل المسلم – التوسل الصحيح – إلى الله تعالى بحق ذوي الحرمة والحقوق على الله تعالى – وهو كما أسلفنا ليس حقاً ذاتياً لهم، بل هو الفضل الذي تفضل به الله تعالى تفضلاً ورحمة –، لاسيما وقد دلت الآثار والأحاديث على جواز ذلك وتواترت أقوال العلماء الذين رزقهم الله تعالى القبول عند أهل السنة والجماعة على جواز التوسل بحق الانبياء والمرسلين وأتباعهم من الاولياء والصالحين إلى الله تعالى، ثم أليس الإيمان بان لهؤلاء المكرمين حق على الله تعالى، هو من باب الإيمان بهم، وهو جزء كما تقدم من الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، ألا يصلح ذلك الإيمان أن يكون بمثابة العمل الصالح الذي نتوسل به إلى الله تعالى،

(خ) يتشدق هؤلاء بأنّ حديث توسل عمر بالعباس دليل على أنه لا يجوز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم يعد وفاته، ولا حجة لهم، والحديث صحيح رواه البخاري عن انس رضي الله عنه: (أن عمر بن الخطاب، كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال: فيسقون) [صحيح البخاري: ح 3710]، ومفاتيح فهم الحديث: (1): اختيار عمر للعباس رضي الله عنهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالتوسل الأصل بالرسول صلى

الله عبليه وسلم، لأنّ عمر افضل من العباس، رضي الله عن الجميع، (2) اختيار العباس كان لهدف ان يتقدم العباس فيدعو بالناس، فلا بد من صالح يدعو ويؤمن المسلمون على دعائه، (3) توسل الصحابة بالعباس لا يتنافى مع التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في قبره لأن سبب توسلهم به رضي الله عنه هو قرابته من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فكأنهم توسلوا بالرسول صلى الله عليه وسلم، (4) أخرج ابن أبي شيبة عن مالك الدار بسند صحيح كما في فتح الباري وأخرجه البخاري في التاريخ وابن أبي خثيمة والبيهقي في الدلائل (أن بلال بن الحارث المزني الصحابي، أتى إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الرماد في عهد عمر بن الخطاب وقال: (يا رسول الله استسق لأمتك فانهم قد هلكوا،)، وهو نص في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر أحد على الصحابي الجليل، فكانه اجماع على صحة التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في قبره، ومعلوم عند كل مسلم انّ حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا، وجاهه عند الله حيا كجاهه ميتا، ولذلك فإنّ مذهب الجماهير من الفقهاء على صحة التوسل وجوازه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وبعد وفاته، وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، ولا يوجد مسلم موحد يعتقد لهم تأثيرا ولا نفعاً ولا خيراً إلا بإذن لله وحده لا شريك له، فلا فرق في التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو غيره من الأنبياء، أو بالأولياء والصالحين، ولا فرق بين كونهم أحياءً أو أمواتاً، لأنهم لا يملكون من الامر شيء إلا بإذن الله، وإنما يتبرك المسلمون بهم في إجابة الدعاء، لكونهم أحب الخلق إلى الله،

(فائدة): التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم لا بأس به: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا} [الأحزاب: 69]، وقال تعالى: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} [آل عمران: 45]، والمراد بالوجاهة استجابة الدعاء، لا يرد لهم دعاء، لأنّ لهم المحبة التامة من اللهن والنبي صلى الله عليه وسلم خير منهما صلى الله وسلم وبارك عليهم أجمعين، وعلى ذلك فما البأس **في التوسل إلى الله بجاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم حياً وميتاً، فيكون معنى قول القائل: إلهي أتوسل إليك بجاه نبيك صلى الله عليه وآله وسلم أن تقضي حاجتي إلهي اجعل محبتك له وسيلةً في قضاء حاجتي، ولا فرق بين هذا وقولك إلهي أتوسل إليك برحمتك أن تفعل كذا،**

(فائدة): قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا} [النساء: 64]، [الآية صالحة لكل زمان ومكان، وا لأنبياء أحياء في قبورهم]: فإذا كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، لقوله تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} [البقرة: 154]، وقوله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: 169]، **فكيف بالأنبياء، ثم كيف بسيدهم وخاتمهم صلى الله عليه وسلم، وقد دلت الآثار على أنه صلى الله عليه وسلم يرد السلام على من يسلم عليه وتبلغه صلاة المسلمين عليه، روى النسائي عن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (إن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) وروى البيهقي في كتاب الأنبياء وصححه من حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون)، وروى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (مررت على موسى ليلة اسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره)، وروى الحافظ الهيثمي عن عبد الله بن مسعود وقال رواه البزار ورجاله رجال الصحيح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (حياتي خير لكم تحدثون ويُحدّث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم تُعرض علي أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله وان رأيت شراً استغفرت لكم)، وعلى ذلك فإنّ قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا} [النساء: 64]، هذه الآية حكمها باق إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، ثم إنّ كل مسلم موحد يعلم أن جميع الأنبياء والأولياء لا فعل لهم ولا قدرة ولا تصرف، لا في حياتهم ولا مماتهم، على سبيل الاستقلال، وأن الأمر كله لله، وإنما التوسل بهم وطلب الدعاء منهم هو لأنهم محل نظر ورعاية وولاية الله تعالى، فيستوي بذلك الأمر في حياتهم الدنيوية والبرزخية، وإذا كان أصل التوسل مشروع لا خلاف فيه، فما المشكلة في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته أو بعد مماته، هل يظن احد من المسلمين أنّ نبوته انتهت بمماته معاذ الله، وهل يظن أحد أن له القدرة استقلالا من دون الله، المسلمون في مأمن من الامرين، فلماذا يصرفون معنى التوسل إلى معنى الشرك فإنّا لله وإنا إليه راجعون،**

***

المبحث الثاني

مفاتيح تحقيق القول في الاستغاثة والاستعانة

[المفتاح الأول]: (الاستعانة) طلب المعونة، **قال تعالى**: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5]، أي لا نطلب العون إلا منك يا ألله، وكل مسلم وكل موحد يعتقد أنّ النفع والضر بيد الله، لا يملك النفع والضر أحد سواه، و(الاستغاثة): طلب الغوث والنصر، **قال تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ}** الآية، إذ تطلبون منه النفع لأنه مالك النفع والضر وحده فهو النافع الضار على الحقيقة ابتداء واستقلالا وهو مجيب الدعوات وقاضي الحاجات ومستجيب الدعوات، ولكن الله تعالى جعل لنا أسبابا نطلبها ولكن في اطار التوكل على الله مسبب الأسباب، ولذلك جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة": 153]، وقال تعالى: {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ} [القصص:15]، وقال تعالى: {وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ} [الأنفال:72]، وقال تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا } [النساء:64]، وقال تعالى: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى} [المائدة:2]، وفي صحيح مسلم في حديث أويس القرني: (فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل، فقال له عمر: فاستغفر لي، فاستغفر له) [رواه مسلم]، وثبت بالتواتر أن الصحابة كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء في الأمور الدنيوية والأخروية،

[المفتاح الثاني]: فهم معاني العبودية ضروري لفهم مسألة الاستغاثة: العبودية هي الطاعة مع الخضوع والتذلل والاستسلام والانقياد لمن نعتقده إلها له صفات الربوبية واستحقاق العبودية، هذا هو المعنى الحقيقي بضابطه الفقهي للعبودية، فمن صرف مفردات العبادة لمن

يعتقده إلها فقد اتخذه معبودا له سواء أكان هذا المعبود هو الله المعبود بحق، أو المعبودات الباطلة من دون الله، إن ضوابط الفقه في الدين توجب وجود معنى وراء الطاعة والمحبة والخضوع والتذلل يستقيم له مسمى العبادة، فهذه المعاني قد تصرف للوالدين وتكون من أعظم البر بهما ولا يصح تسميتها عبادة قال تعالى {وَاخْفِضْ لَهُما جناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} [الإسراء: 24] ولا يعد التذلل لهما عبادة وكذلك من باب الأولى الطاعة والمحبة، وكذلك فما هو الفرق بين سجود الملائكة لله وسجودهم لآدم، الهيئة واحدة هي هيئة السجود (وهي أقوى هيئة تدل على التذلل والخضوع)، الفعل واحد هو السجود، والنية تختلف الاول بنية العبودية لله والثاني بنية طاعة الله تكريما لآدم، إذ قوله تعالى: {وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم} لم يكن سجود عبادة لآدم وإنما سجود تكريم لم أكرمه الله تعالى بالعلم، فشتان ما بين السجود للتكريم، والسجود بنية العبادة، كذلك: الفرق بين سجود نبي الله يعقوب وبنيه لله وسجودهم ليوسف عليه السلام، الاول بنية العبودية لله والثاني تكريما ليوسف في قوله تعالى: {وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا}، وهذا المعنى هو الضابط لفقه العبادة فشتان ما بين السجود للتكريم، والسجود بنية العبادة، ومن سجد بنية العبادة، فإنه لا يسجد سجود عبودية إلا لمن يعتقده إلها وربا ومعبودا، إذن الاعتقاد هو ضابط الفقه في مسائل العبادة، والاعتقاد الضابط للعبودية هو اعتقاد الربوبية والألوهية أو شيئاً من مفرداتهما فيمن تصرف إليه العبادة: فمن صرف الطاعة الممتزجة بالمحبة والذل والخضوع لغير الله معتقدا ربوبيته وألوهيته فهو عابد له من دون الله، ومن صرفها بغير هذا الاعتقاد فلا يصح تسميتها بالعبادة،

[المفتاح الثالث]: خطورة الذهول عن فقه ضابط العبادة (اعتقاد مفردات الربوبية والألوهية أو بعضها للمعبود): العبادة لها أصل هو اعتقاد الربوبية والألوهية واستحقاق العبودية لمن تصرف له الطاعة المصحوبة بالحب والتذلل والخضوع والخوف والرجاء، وبغير هذا الاعتقاد لا تكون الطاعة عبادة، ولها (للعبادة) صور تتمثل في العديد من هيئات العبادة كالسجود والصلاة والذبح والدعاء وغير ذلك من هيئات العبادة، فمن صرف السجود _ وهو غاية مظاهر التذلل والخضوع _ لغير الله اعتقادا له بالربوبية والألوهية فهو مشرك بالله الشرك الأكبر ومن صرفه بغير اعتقاد الربوبية والألوهية لمن سجد له فلا يكون عبادة ومنه سجود الملائكة لآدم وسجود آل يعقوب ليوسف عليه السلام، هذا وإن كان النهي عن السجود لغير الله تعالى هو الذي جاء به الإسلام، ولكن من سجد بنية التكريم بغير اعتقاد، فلا يكفر، ولا يعد مشركاً بالله الشرك الأكبر المخرج من الملة، وإنما هي معصية من المعاصي التي لا يجوز فعلها بحال،

[المفتاح الرابع]: خلاصة الأمر في التعريف الصحيح العبادة: التعريف الصحيح للعبادة ينبغي أن يشتمل على الضابط الذي يمنع من اتهام المسلم بالشرك الاكبر وهو لم يتخذ مع الله تعالى إلهاً آخر، ويكون التعريف الصحيح للعبادة هو عبارة عن الأفعال والأقوال الظاهرة والباطنة الدالة على الذل والخضوع المقترن باعتقاد الألوهية والربوبية واستحقاق العبودية في حقّ المخضوع له، فكل طاعة تقترن بالاعتقاد تكون عبادة، فمن صرفها لله وحده فهو موحد، وإن صرفها لغير الله تعالى كان مشركاً، والعبادة (أي عبادة)، لها أصل وصورة، فالأصل هو العقيدة الخاصة التي تدفعه إلى عبادة المخضوع له وهي اعتقاد الألوهية والربوبية فيه، والصورة هي الفعل أو القول الدال على الطاعة مع المحبة والخضوع و التذلّل، ومنه يتبين أنّ للعبادة ركن ركين، لا تكون عبادة بدونه ألا وهو العقيدة التي تدفع الإنسان إلى عبادة المعبود، فإن صرفها لله وحده كان عابدا موحدا لله، وإن صرف شيئاً منها لغير الله فقد عبده من دون الله، وأمّا الفعل أو القول كالسجود والذبح والدعاء فهذه مفردات للعبادة وصورٌ لها، فمن صرفها بغير اعتقاد ربوبية وألوهية لمن يصرف إليه فليس من الشرك الأكبر المخرج من الملة، وفعله أو قوله يدور بين الشرك في إطار الملة أو البدعة أو المعصية ولا تستحل محارمه بغير اعتقاد،

[المفتاح الخامس]: الفقه في مفهوم (الاستعانة) ومتى يكون اعتقادها لغير الله تعالى الشرك الأكبر: ما قيل فيجميع مفردات العبادة يُقال مثله في الاستعانة، فمن استعان بمن يظن به صفات الربوبية والالوهية أو بعضها، فقد أشرك الشرك الاكبر المناقض لتوحيد الألوهية، ومن استعان بمن يظن فيه النفع بإذن الله تعالى وحده، فهذا لا علاقة له بمعاني التوحيد والشرك، وذلك لأنّ كل مسلم لابد له أن يستعين بالأسباب التي جعلها الله تعالى بمثابة القوانين الضابطة للحياة، فمن طلب المال استعان عليه بالعمل، وهو يعلم أنّ الرزق بيد الله تعالى، ومن طلب الولد استعان عليه بالزواج، وهو يعلم أنّ الولد بيد الله يهب لمن يشاء، ويجعل من يشاء عقيما، وهكذا، وقد جعل الإسلام الأخذ بالأسباب من أركان التوكل الصحيح على الله، وهو لا ينافي افراد الله تعالى بالاستعانة كما في قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5]، فالآية قصر للاستعانة بالله وحده، والقصد على وجه الاستقلال، فإنه لا يملك التدبير والتصريف إلا هو، وكما علمنا القرآن الكريم توحيد الاستعانة بالله تعالى، فقد علمنا الأخذ بالأسباب ومنها الاستعانة بالصبر والصلاة، كما في قوله تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} [البقرة: 45]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153} [البقرة:

153]، وضابط الاستعانة، أنّ من اعتقد أنّ أحداً له تأثير مستقل من دون الله فهذا شرك الاستعانة، ومن اعتقد أنّ الأمر كله بيد الله وحده لا شريك له، وليس لأحد معه أمر ولا تأثير، فلا بأس أن يأخذ بأسباب التوفيق والقبول والقربى من الله، والخلاصة أنّ الرب الناصر القادر هو الله وحده، ولكنّه . مع ذلك أقام هذا الكون على سلسلة من الأَسباب والعلل التي تعمل بقدرته وأمره، والأخذ بهذه الأسباب مع تعلق القلب بالله وحده هو عين التوكل على الله، وبعد فهذا هو الضابط العام لمفردات العبادات التي ينبغي أن لا تصرف إلا لله وحده، فصرفها لغير الله تعالى بنية العبادة لذلك الغير كفر وشرك بالله، وصرفها لمن نعتقد فيه الربوبية والالوهية (لأنهما متلازمان) أو بعض صفاتهما فهو كفر وشرك بالله، وإن خلت من النية والاعتقاد، فهي وفق حكمها الشرعي فقد تكون شرك دون شرك وقد تكون كبيرة من الكبائر، وقد تكون جائزة كالاستعانة بالأسباب مع ربط القلب بخالق الأسباب

[المفتاح السادس]: الاستغاثة جائزة بالرسول صلى الله عليه وسلم: روى البخاري في صحيحه: « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسي، ثم بمحمد، فيشفع ليقضى بين الخلق ...، » [صحيح البخاري ج 1475 (2: 536)]، **وروى البخاري في صحيحه** من كتاب الاستسقاء عن أنس بن مالك: « أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائما فقال: يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فأدع الله يغيثنا –أي يمطرنا– قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يديه فقال: اللهم اسقنا، اللهم أسقنا، اللهم اسقنا، قال أنس ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئا وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال: فطلعت من وراءه سحابة مثل الترس ثم انتشرت، ثم أمطرت... » [صحيح البخاري (1013]، **وروى الترمذي عن عثمان بن حنيف:** (أن ضريرا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أدع الله أن يعافيني قال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت، قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء «اللهم أني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في »[الترمذي ح 3578 (5: 569)]، وفي رواية ابن ماجة: أنه أمره بصلاة ركعتين بعد الوضوء وقال في آخره: «يا محمد إني قد توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه ... » [سنن ابن ماجة (1385)] الحديث قال في تحفة الأحوذي وزاد النسائي في آخره: «فرجع وقد كشف الله عن بصره»

[النسائي ح 10495 (6: 169)] وفي رواية الطبراني قال ابن حنيف: «فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضر قط» [المعجم الكبير الطبراني ح 8311 (9: 30)،]، **وروى الطبراني** في معجمه « أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له وكان عثمان رضي الله عنه لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته فلقى الرجل عثمان بن حنيف فشكى ذلك إليه فقال عثمان بن حنيف: أئت الميضأة فتوضأ ثم أئت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل «اللهم أني أسألك ... إلخ الدعاء ... وأذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ما قاله له ثم أتى باب عثمان فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان رضي الله عنه فأجلسه معه على الطنفسة وقضى حاجته» [الطبراني في الصغير (1: 306) والكبير (9: 30)]، **وروى ابن أبي شيبة والبيهقي بسند صحيح** ورواه – في دلائل النبوة البيهقي بسنده إلى الأعمش عن أبي صالح عن مالك الدار وكان خازن عمر قال: «أصاب الناس قحط في زمن عمر رضي الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فأتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال: ائت عمر فأقرئه مني السلام وأخبره أنهم مسقون وقل له عليك الكيس، قال فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر رضي الله عنه وقال: يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه، فهذا الرجل جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته وطلب منه الاستسقاء لأمته فلو كان الطلب منه بعد انتقاله محرما لما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يلمه عمر ولا أحد من الصحابة على فعله بل صدق رؤيته واستسقى بالمسلمين [صحح هذا الحديث إلى مالك الدار الحافظ ابن حجر في فتح الباري وأقر ابن تيمية بثبوته في اقتضاء الصراط المستقيم (ص373)، ورواه ابن أبي شيبة (6: 356)،]، **ومما قاله حسان بن ثابت في وصف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (يَا رُكنَ مُعتَمِدٍ وَعِصْمَةَ لائِذٍ * ومَلاذَ مُنتجعٍ وَجَارَ مُجَاوِرِ)،**

[المفتاح السابع]: خلل الوهابيين في فهم معاني الاستغاثة: لما رأى الوهابيون أنّ المشركين كانوا يتقربون لآلهتهم بالذبح والنذر والدعاء والاستعانة ظن أنّ مجرد إتيانهم هذه الأمور لذاتها هو العبادة، وأنّ كل عمل يصلح للتعبد به لا يقع إلا عبادة إن وقعت لله فهي التوحيد، وإن وقعت لغيره فهي الشرك، وهذا مخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة، الذين فقهوا أن المشركين كانوا يأتون تلك الأعمال بنية العبادة لمن اعتقدوا فيهم شيئاً من صفات الإلهية أو الربوبية أو استحقاق العبادة، فإن المشركين لما اعتقدوا لآلهتهم تلك الخصائص زاولوا تلك الأعمال لهم بنية عبادتهم، (تنبيه): لا معنى لبناء الجواز والمنع في الاستغاثة على ما

يقدر عليه وما لا يقدر عليه لأنه لا يعتقد أنّ العبد يخلق أفعال نفسه إلا المعتزلة ومن قلّدهم، والمسلمون حين يدعون أحداً أو يستنجدون به أو يستعينون به حياً كان أو ميتاً، حاضراً أو غائباً يعتقدون أنه لا يقدر على شيء ولا استقلال له بنفع أو ضر وإنما هو سبب من الأسباب يسخره الله، ولا معنى كذلك لبناء الجواز والمنع على الحياة والموت لأن المعنى الذي أجيزت به الاستغاثة مثلاً بالأحياء هو أنهم سامعون قادرون على الدعاء وغيره وذلك موجود على أتم وجوهه في عامة موتى المسلمين فضلاً عن خاصتهم إذ صحت الأحاديث بحياتهم ولوازمها من السمع والبصر والكلام والسلام والتزاور والقدرة على دعائهم للأحياء لا سيما لقرابتهم وزوارهم، وفي كتاب "الروح" لابن القيم فصول تُفيد " أنه قد تواتر بأنّ لأهل القبور قدرة على التصّرف والترائي للأحياء "، ومن الأدلة على صحة كلامه: (1) أن الله تعالى أخبر عن الشهداء بقوله تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} [سورة البقرة: 154]{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [سورة آل عمران: 169]، وإن الأنبياء، والصديقين وكثيرًا من صالحي المسلمين الذين ليسوا بشهداءَ كأكابر الصحابة، أفضل من الشهداء بلا شك ولا مرية، فإذا ثبتت الحياة للشهداء فثبوتها لمن هو أفضل منهم أولى، (2) ما رواه الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: وقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على قليب بدر فقال: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ ثم قال: أنهم الآن يسمعون ما أقول، وفي رواية في الصحيح (البخاري): أن النبي صلى الله عليه واله وسلم جعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: ((يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فأنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم))، (3) وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام) رواه الحاكم في المستدرك (2 421) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الحافظ الذهبي، (4) حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما من أحد يسلم علي إلا رد الله إلي روحي حتى أرد عليه السلام) رواه أبو داود وغيره وصححه النووي في رياض الصالحين وفي الأذكار، وقال الحافظ ابن حجر: رجاله ثقات، كما في فيض القدير، (5) حديث (: أن النبي صلى الله عليه واله وسلم كان يقول إذا

ذهب إلى المقابر: (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسال الله لناولكم العافية.)، وهذا السلام والخطاب والنداء دليل على أنّ اهل المقابر يسمعون ويعلمون، (فائدة): إذا تبين فساد هذه الضوابط التي قال بها أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجواز والمنع، تبين أنّ الضابط الصحيح للتفرقة بين الجواز والمنع هو (الاعتقاد)، فإذا كان العمل أو القول لمن لا يعتقده رباً فليس من العبادة في شيء، أما إن وقع بنية العبادة لمن يعتقد ربوبيته واستقلاله بالنفع والضر وقبول شفاعته بحكم شراكته في الربوبية فذلك الذي يعتبر عبادة إن صرف لله، وشركاً إن صُرف لغيره لا فرق في ذلك بين حاضر وغائب ولا ميت وحي وكل المسلمين على عقيدة لا إله إلا الله، وعلى ذلك فإنه لا يدخل في الشرك أبداَ كل ما يفعله السواد الأعظم من المسلمين من توسل واستغاثة وغيرهما، لأنها تفتقد إلى اعتقاد الربوبية والإلهية لمن تصرف إليه هذه الأعمال، وعدُّ ذلك من الشرك المخرج عن الملة إنما يجر إليه الجهل بمعنى الشرك والعبادة، و (الخلاصة): أنّ غلط الوهابيين في مفهوم العبادة كان هو السبب في تكفيرهم لعوام المسلمين بالدعاء والاستغاثة

[المفتاح الثامن]: النبي صلى الله عليه وسلم كان يراعي حالة السائل فيجيب وفق حاله من قوة الإيمان وضعفه:

الصحابة رضي الله عنهم كانوا يستغيثون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويستعينون به ويطلبون منه الشفاعة وشكون إليه حالهم من فقر أو مرض أو بلاء أو دين أو جدب وقلة مطر، وكانوا يعلمون أنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يفعل ذلك بذاته أو بقوته، وإنما يفعله بإذن الله وأمره وقدرته وأنه عبد مأمور وله مقامه وجاهه وكرامته وأنّ الحقيقة هو مجرد سبب من أسباب الإجابة ولا فاعل إلا الله، وكان موقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع السائلين تارة الاستجابة لطلبهم وتارة يخيرهم بين الصبر أو كشف البلاء كما خير الأعمى والمرأة التي تصرع وقتادة الذي أصيبت عيناه، وتارة يقول لهم: (إنما يستغاث بالله)، وتارة يقول لهم: (إذا سألت فسأل الله و وإذا استعنت فاستعن بالله)، وتارة يقول: (السيد هو الله)، وتارة يقول: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)، وواضح من اختلاف أجوبته صلى الله عليه وآله وسلم للسائلين أنه كان يراعي حالة السائل حين يسأله فيجيبه بما يصلح شأنه، والصحابة الكرام كانوا لا يعنون من الطلب منه صلى الله عليه وآله وسلم إلا وساطته ووسيلته بالتوجه إلى الله ليدعو ويشفع، ومع ذلك راعى صلى الله عليه وآله وسلم حالة السائل في الجواب لمن يخشى على اعتقاده، ومن ذلك انّهم لما قالوا: ((قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم من هذا المنافق))، قال صلى الله عليه وسلم لهم: ((إنما يستغاث بالله ولا يستغاث بي))، ليحقق له كمال التوحيد، ومثل ذلك أيضا: أنّه لما قال له رجل: (ما شاء الله وشئت) فأجابه صلى الله عليه وآله وسلم: ((أجعلتني لله نداً، بل ما شاء الله)) مراعاة لحال السائل وسدا لذريعة الاعتقاد، أن يسبق إلى الظن أن تتساوى المشيئتان، وإلا فإنه فقد ورد في القرآن الكريم العطف بالواو الذي استنكره على السائل في آيات كثيرة، مثل قوله تعالى: {وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ}، إذ لا يشتبه معنى أغنى حين ينسب إلى الله وحين ينسب إلى الرسول، وقوله تعالى: {فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ} إذ لا يشتبه ولاية الله بولاية جبريل وصالح المؤمنين، وقوله تعالى: {وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ} إذ لا يشتبه الفضل حين ينسب إلى الله وحين ينسب إلى الرسول، ومنه قول الصحابة رضي الله عنهم في كل ما لا يعلمونه: ((الله ورسوله أعلم)) إذ العلم لله هو غير العلم لرسوله، وحسان رضي الله عنه حين يقول: (يا ركن معتمد وعصمة لائذ * وملاذ منتجع وجار مجاور) كان يعلم أنّ الله هو الفاعل لكل ذلك، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو فقط سبب من أسباب ذلك، وهو من باب الإسناد المجازي، ويؤيده حثه صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين القادرين على تفريج كرب المكروب في قوله صلى الله عليه وسلم: (من فرج عن مؤمن كربة فرَّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة)، والمسلمون جميعا يعلمون علم اليقين أن المعين والميسر والمفرج هو الله بالأساس، وليس الناس إلا أسبابا في ذلك، ولا يوجد في المسلمين من يعتقد لأحد مع الله فعل أوترك أو رزق أو نصر أو إحياء أو إماتة، وإن وجدنا ذلك عند بعض العامة، فهو على سبيل الاسناد المجازي، وليس الحقيقي، لوجود قرينة التوحيد وقولهم واعتقادهم لشهادة التوحيد: (لا إله إلا الله)، فشتان بين قول المسلم النبي صلى اله عليه وسلم شفيعنا عند الله، وقول المشركين: { هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} [يونس: 18]، لأنّ المشركين يعبدون الآلهة المزعومة، ويتسبون لها الشفاعة الإجبارية على الله، كما نرى ذلك أول الآية نفسها، قال تعالى: { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [يونس: 18]، قال تعالى: { وَيَعْبُدُونَ}، فهم يعبدونها ويعتقدون أنّ شفاعة آلهتهم محتمة القبول عليه تعالى بحكم شراكتهم له في الربوبية كما قال تعالى: {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ}، فالفرق بين واضح، **((تنبيه))**: كل ما يجري على الاستغاثة من مسائل وأحكام فإنه يجري على الاستعانة، وذلك لأنّ معناهما واحد هو طلب العون والغوث، وإنما الفرق أنّ

الاستعانة تكون غالباً في الرخاء، والاستغاثة لا تكون إلا في الشدة، والاستعانة مصدر استعان، وهي: طلب العون، والأصل في الاستعانة أنها تُطلب من الله تعالى، لقوله تعالى: {إياك نعبد وإياك نستعين}، وقد تكون بفعل الطاعات، كقوله تعالى: {واستعينوا بالصبر والصلاة}

***

المبحث الثالث

مفاتيح تحقيق القول في التبرك

[المفتاح الأول]: التبرك: لغة: طلب البركة، والبركة هي: النماء والزيادة، والتبريك: الدعاء للإنسان بالبركة، وبارك الله الشيء وبارك فيه وعليه: وضع فيه البركة، وتبركت به تيمنت به، قال الراغب الأصفهاني: البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء، قال تعالى: {ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض}، وقال تعالى: {وهذا ذكر مبارك أنزلناه} تنبيها على ما يفيض به من الخيرات الإلهية، و **(التبرك)** على المعنى الاصطلاحي هو: طلب ثبوت الخير الإلهي في الشيء [الموسوعة الفقهية – تبرك]،

[المفتاح الثاني]: أدلة التبرك: [الدليل الأول]: قوله تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام لإخوته: {اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً}، ثم قال تعالى {فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ}،

فكان هذا دليلا على التبرك بآثار الأنبياء والصالحين والاستشفاء بهما، **[الدليل الثاني]: قال تعالى:** {) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: 29]، فالقرآن كتاب مبارك فيه الهدى وفيه الفلاح وفيه النجاح وفيه الهداية وفيه النجاة فهو كتاب مبارك وذكر مبارك، كما في قوله تعالى: {وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ} [الأنبياء: 50]، **[الدليل الثالث]: قال تعالى:** {وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً}، وجعلني مباركا أي للناس، أينما ذهبت حلت البركة، بالنماء والزيادة والهداية والخير، **[الدليل الرابع]: قال تعالى:** {حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنزلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ}، فليلة القدر ليلة مباركة تعم المسلمين بالخير والعفو والعافية، **[الدليل الخامس]: قال تعالى:** {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً}، {مُبَارَكاً} كثير الخير والبركة والنماء، فالبيت الحرام كان أمنا للناس وسلاما ووسيلة إلى الله، **[الدليل السادس]: قال تعالى:** {أَنزلْنِي مُنزلاً مُبَارَكاً} أي إنزالا كله خير وعافية لا أرى فيه ما أكره، {مُبَارَكاً} يعني بالسلامة والنجاة، والخير العميم، **[الدليل السابع]: أخرج البخاري ومسلم** عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: ((.. فأقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه، ثم قال: اسقنا يا سهل، فخرجت لهم بهذا القدح فأسقيتهم فيه، فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه، قال: ثم استوهبه عمر بن عبدالعزيز بعد ذلك فوهبه له)) [البخاري: ح (5314)، ومسلم: ح 2007]، **يقول الإمام النووي:** «هذا فيه التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما مسه أو لبسه أو كان منه فيه سبب، وهذا نحو ما أجمعوا عليه وأطبق السلف والخلف عليه من التبرك بالصلاة في مصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الروضة الكريمة ودخول الغار الذي دخله صلى الله عليه وآله وسلم وغير ذلك، من هذا إعطاؤه صلى الله عليه وآله وسلم أبا طلحة شعره ليقسمه بين الناس، وإعطاؤه صلى الله عليه وآله وسلم حقوه لتكفن فيه بنته رضي الله عنها، وجعله الجريدتين على القبرين، وجمعت بنت ملحان عرقه صلى الله عليه وآله وسلم، وتمسحوا بوضوئه صلى الله عليه وآله وسلم، ودلكوا وجوههم بنخامته صلى الله عليه وآله وسلم، وأشباه هذه كثيرة مشهورة في الصحيح، وكل ذلك واضح لا شك فيه» [شرح النووي على صحيح مسلم 13: 178- 179]، **[الدليل الثامن]: أخرج الترمذي** عن كبشة الأنصارية رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليها وعندها قربة معلقة، فشرب منها وهو قائم، فقطعت فم القربة تبتغي بركة موضع في (أي فم) رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم) [رواه الترمذي (1892) وابن ماجه (3423)]، قال الإمام النووي في رياض الصالحين: (وإنما قطعتها لتحفظ موضع فم رسول صلى الله عليه وآله وسلم، وتتبرك به: وتصونه عن الابتذال) انتهى [رياض الصالحين ص339]، **[الدليل التاسع]: أخرج مسلم** عن أنس بن مالك قال: (دخل علينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال عندنا فعرق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا أم سليم! ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا، وهو من أطيب الطيب) [رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبي والتبرك به، رقم (2331)]، **[الدليل العاشر] : أخرج البخاري** في صحيحه قصة صلح الحديبية وفيه مجيء عروة بن مسعود رسول قريش: ((... قال: ثم إن عروة جعل يرمق صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعينه فوالله ما يتنخم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم انقادوا لأمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له) [جزء من حديث طويل رواه البخاري ح: (2581)]، فقد كانوا رضي الله عنهم وهم أعلم الناس بالدين، كانوا يتبركون بآثاره، حتى أنهم: إذا توضأ كادوا يقتتلون على بقية وَضوئه تبركا بما مسته يداه الشريفتان، **[الدليل الحادي عشر]: روى الحاكم في المستدرك:** حدثنا عبدالحميد بن جعفر عن أبيه أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك، فقال: اطلبوها، فلم يجدوها فوجدوها وإذا هي قلنسوة خلقة، فقال خالد: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلق رأسه وابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة فلم أشهد قتالا وهي معي إلا رزقت النصر) [رواه الحاكم في المستدرك: رقم (5299)، فكان خالد رضي الله عنه يتبرك بشعرة النبي صلى الله عليه وسلم، **[الدليل الثاني عشر]: أخرج البخاري ومسلم** عن عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه، أو كانت به قرحة أو جرح، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإصبعه هكذا ووضع سبابته بالأرض ثم رفعها: باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا ليشفى بها سقيمنا بإذن ربنا)[متفق عليه، واللفظ لمسلم، رواه البخاري ح (5413)، ومسلم ح (2194)]، فالتبرك بالتربة وقد خالطها ريق النبي صلى الله عليه وسلم، مع رقية النبي صلى الله عليه وسلم شفاء بإذن الله تعالى من كل داء،

[المفتاح الثالث]: أمثلة على التبرك: جاء في الموسوعة الفقهية: **(1) التبرك بالبسملة والحمدلة:** ذهب بعض أهل العلم إلى سنية ابتداء كل أمر ذي بال يهتم به شرعا – بحيث لا يكون محرما لذاته، ولا مكروها لذاته، ولا من سفاسف الأمور ومحقراتها – بالبسملة والحمدلة، كل في موضعه على سبيل التبرك، وجرى العلماء في افتتاح كلماتهم وخطبهم ومؤلفاتهم وكل أعمالهم المهمة بالبسملة عملا بما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: {كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر أو أقطع أو أجذم} وفي رواية أخرى: {كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أبتر أو أقطع أو أجذم} ومن هذا الباب الإتيان بالبسملة عند الأكل، والشرب، والجماع، والاغتسال، والوضوء، والتلاوة، والتيمم، والركوب والنزول، وما إلى ذلك، **(2) التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وآله وسلم:** اتفق العلماء على مشروعية التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأورد علماء السيرة والشمائل والحديث أخبارا كثيرة تمثل تبرك الصحابة الكرام رضي الله عنهم بأنواع متعددة من آثاره صلى الله عليه وآله وسلم نجملها فيما يأتي: **(أ) في وضوئه صلى الله عليه وآله وسلم:** ((كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه))، لفرط حرصهم على التبرك بما مسه صلى الله عليه وآله وسلم ببدنه الشريف، وكان من لم يصب من وضوئه يأخذ من بلل يد صاحبه، **(ب) في ريقه ونخامته صلى الله عليه وآله وسلم** ((كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها، وأخذوها من الهواء، ووقعت في كف رجل منهم، فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم، ومسحوا بها جلودهم وأعضاءهم تبركا بها))، ((وكان يتفل في أفواه الأطفال، ويمج ريقه في الأيادي، وكان يمضغ الطعام فيمجه في فم الشخص))، ((وكان الصحابة يأتون بأطفالهم ليحنكهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجاء البركة))، **(ت) في دمه صلى الله عليه وآله وسلم:** ثبت أن بعض الصحابة شربوا دمه صلى الله عليه وآله وسلم على سبيل التبرك، فعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: ((أنه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يحتجم، فلما فرغ قال: يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد فشربه، فلما رجع، قال: يا عبد الله ما صنعت؟ قال: جعلته في أخفى مكان علمت أنه مخفي عن الناس، قال: لعلك شربته؟ قلت: نعم، قال: ويل للناس منك،، وويل لك من الناس،،))، فكانوا يرون أن القوة التي به من ذلك الدم، وفي رواية ((أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: من خالط دمه دمي لم تمسه النار))، **(ث) في شعره صلى الله عليه وآله وسلم:** ((كان النبي

صلى الله عليه وآله وسلم يوزع شعره بين الصحابة عندما يحلق رأسه الشريف))، وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على أن يحصلوا شيئا من شعره صلى الله عليه وآله وسلم ويحافظون على ما يصل إلى أيديهم منه للتبرك به، فعن أنس رضي الله عنه: ((أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتى منى فأتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى ونحر، ثم قال: للحلاق: خذ وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس)) وفي رواية: ((لما رمى الجمرة ونحر نسكه وحلق ناول الحلاق شقه الأيمن، فحلقه، ثم دعا أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه فأعطاه إياه، ثم ناوله الشق الأيسر فقال: احلق، فحلقه، فأعطاه أبا طلحة، فقال: اقسمه بين الناس))، وفي رواية: ((فبدأ بالشق الأيمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس، ثم قال بالأيسر فصنع به مثل ذلك))، وروي أن خالد بن الوليد رضي الله عنه: فقد قلنسوة له يوم اليرموك، فطلبها حتى وجدها، وقال: اعتمر رسول الله فحلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالا وهي معي إلا رزقت النصر، وعن أنس رضي الله عنه قال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل، **(هـ) في سؤره وطعامه صلى الله عليه وآله وسلم**: ثبت أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتنافسون في سؤره صلى الله عليه وآله وسلم ليحوز كل واحد منهم البركة التي حلت في الطعام أو الشراب من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه: ((أن رسول الله أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: – وهو ابن عباس رضي الله عنهما –: والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحدا، فتله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في يده))، ((وعن عميرة بنت مسعود رضي الله عنها: أنها دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي وأخواتها يبايعنه، وهن خمس، فوجدته يأكل قديده، فمضغ لهن قديدة، ثم ناولني القديدة، فمضغتها كل واحدة قطعة قطعة، فلقين الله وما وجد لأفواههن خلوف))، وفي حديث خنس بن عقيل: ((سقاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شربة من سويق شرب أولها وشربت آخرها، فما برحت أجد شبعها إذا جعت، وريها إذا عطشت، وبردها إذا ظمئت))، **(و) في أظافره صلى الله عليه وآله وسلم**: ثبت أنه صلى الله عليه وآله وسلم قلم أظافره، وقسمها بين الناس للتبرك بها، فقد ذكر الإمام أحمد رحمه الله، من حديث محمد بن زيد أن أباه حدثه: ((أنه شهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المنحر ورجلا من قريش، وهو يقسم أضاحي، فلم يصبه منها شيء ولا صاحبه، فحلق رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم رأسه في ثوبه، فأعطاه فقسم منه على رجال، وقلم أظافره فأعطاه صاحبه))، وفي رواية ((ثم قلم أظافره وقسمها بين الناس)) **(ز) في لباسه صلى الله عليه وآله وسلم وأوانيه:** ثبت كذلك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحرصون على اقتناء ملابسه وأوانيه للتبرك بها والاستشفاء، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: ((أنها أخرجت جبة طيالسة وقالت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها))، وفي رواية: ((فنحن نغسلها نستشفي بها))، **(ح) في ما لمسه صلى الله عليه وآله وسلم ومصلاه:** كان الصحابة رضي الله عنهم يتبركون فيما تلمس يده الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ذلك ((بركة يده فيما لمسه وغرسه لسلمان رضي الله عنه حين كاتبه مواليه على ثلثمائة ودية وهو صغار النخل يغرسها لهم كلها، تعلق وتطعم، وعلى أربعين أوقية من ذهب، فقام صلى الله عليه وآله وسلم وغرسها له بيده، إلا واحدة غرسها غيره، فأخذت كلها إلا تلك الواحدة، فقلعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وردها فأخذت)) وفي رواية: ((فأطعم النخل من عامه إلا الواحدة، فقلعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغرسها فأطعمت من عامها، وأعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب، بعد أن أدارها على لسانه، فوزن منها لمواليه أربعين أوقية، وبقي عنده مثل ما أعطاهم))، ((ووضع يده الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم على رأس حنظلة بن حذيم وبرك عليه، فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه، والشاة قد ورم ضرعها، فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيذهب الورم))، وكان يؤتى إليه صلى الله عليه وآله وسلم بالمرضى وأصحاب العاهات والمجانين فيمسح عليهم بيده الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم فيزول ما بهم من مرض وجنون وعاهة، وكذلك كانوا يحرصون على أن يصلي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكان من بيوتهم، ليتخذوه مصلى لهم بعد ذلك، وتحصل لهم بركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فعن عتبان بن مالك رضي الله عنه – وهو ممن شهد بدرا – قال: ((كنت أصلي لقومي بني سالم، وكان يحول بيني وبينهم واد إذا جاءت الأمطار، فيشق علي اجتيازه قبل مسجدهم، فجئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت له: إني أنكرت بصري، وإن الوادي الذي بيني وبين قومي يسيل إذا جاءت الأمطار فيشق علي اجتيازه، فوددت أنك تأتي فتصلي في بيتي مكانا أتخذه مصلى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سأفعل إن شاء الله فغدا علي رسول الله وأبو بكر رضي الله عنه بعدما اشتد النهار، واستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأذنت له، فلم يجلس حتى قال: أين تحب أن أصلي من بيتك؟ فأشرت له إلى المكان الذي أحب أن يصلي فيه، فقام رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم فكبر وصففنا وراءه فصلى ركعتين ثم سلم، وسلمنا حين سلم))، **(3) التبرك بماء زمزم:** ذهب العلماء إلى سنية شرب ماء زمزم لمطلوبه في الدنيا والآخرة، لأنها مباركة، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ماء زمزم لما شرب له))، **(4) التبرك ببعض الأزمنة والأماكن في النكاح:** ذهب جمهور العلماء إلى استحباب مباشرة عقد النكاح في المسجد، وفي يوم الجمعة للتبرك بهما، فقد قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((أعلنوا هذا النكاح، واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدفوف)) أهـ [الموسوعة الفقهية، تبرك]

[المفتاح الرابع]: بعض نصوص الحفاظ والعلماء والمحدثين في مشروعية التبرك بالصالحين: (1) الإمام ابن عبد البر، حافظ المغرب في زمانه، قال – بعدما روى بسنده أثرا عن ابن عمر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا كنت بين الأخشبين من منى ، ونفخ بيده نحو المشرق فإن هناك واديا يقال له السرر ، به شجرة سر تحتها سبعون نبيا)، قال الحافظ: (وفي هذا الحديث دليل على التبرك بمواضع الأنبياء والصالحين ومقاماتهم ومساكنهم) [التمهيد (13/ 67)]، وقال عن قبر سيدنا أبي أيوب الأنصاري الموجود عند سور القسطنطينية: (وقبر أبي أيوب قرب سورها معلوم إلى اليوم مُعظَّم يستسقون به فيسقون) [الاستيعاب .(2/ 426)]، **(2) القاضي عياض المالكي، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته**، قال: (فيه التبرك بالفضلاء، ومشاهد الأنبياء وأهل الخير ومواطنهم، ومواضع صلاتهم) [إكمال المعلم /2) .(631]، **(3) الحافظ الكبير ابن حبان البُستي** (ت354) عَنْوَن في صحيحه بقوله (2/ 317): (ذكر ما يستحب للمرء التبرك بالصالحين وأشباههم) وقال في كتابه «الثقات» (8/457): (وَما حلّت بِي شدَّة فِي وَقت مقَامي بطوس، فزرت قبر عَلي بن موسَى الرِّضا صلوَات الله على جده وَعَلِيه، ودعوت الله إِزالَتها عَني، إلا استجيب لي وزالت عَنى تِلك الشدَّةُ، وَهَذَا شَيء جربته مرَارًا فَوَجَدته كَذَلِك، أماتنا الله على محبَّة المصطفى وَأهل بَيته صلى الله وسلم عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم أَجْمَعِين) [الثقات: 8: 457]، **(4) الإمام شيخ الإسلام، محيي الدين النووي** قال في شرحه لصحيح مسلم: (وفيه التبرك بالصالحين وآثارهم، والصلاة في المواضع التي صلَّوا بها، وطلب التبريك منهم) [النووي على شرح مسلم: 5: 161]، وقال أيضا: (وفي هذا الحديث دليل على استحباب التبرك بآثار الصالحين وثيابهم) [النووي على شرح مسلم: 14: 44]، **(5) الإمام شمس الدين الذهبي**، قال في ترجمة السيدة نفيسة بنت الحسن رحمها الله: (كانت من الصالحات العوابد، والدعاء مستجاب عند قبرها، بل وعند قبور الأنبياء والصالحين) [سير أعلام النبلاء:

10: 107]، وقال: (وعن إبراهيم الحربي، قال: قبر معروف أي الكَرْخي التِّرياق المجرَّب، يريد إجابة دعاء المضطر عنده؛ لأن البقاع المباركة يستجاب عندها الدعاء) [سير أعلام النبلاء: 9: 343]، **(6) الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني**، قاضي القضاة، وشيخ الإسلام، وأمير المؤمنين في الحديث، نص على جواز التبرك بالصالحين في مواضع كثيرة من كتابه فتح الباري – الذي هو أعظم شروح كتب السنة على الإطلاق – منها : قوله: (حديث عتبان مالك... فهو حجة في التبرك بآثار الصالحين) [فتح الباري: 1: 569]، وقوله: (وفيه الحرص على مجاورة الصالحين في القبور، طمعا في إصابة الرحمة إذا نزلت عليهم، وفي دعاء من يزورهم من أهل الخير) [فتح الباري: 3: 304]، وقوله: (وفيه التبرك بطعام الأولياء والصلحاء) [فتح الباري: 6: 600]، **(7) الإمام المحدث، شهاب الدين القسطلاني**، صاحب الشرح الفريد لصحيح البخاري المسمى: إرشاد الساري قال: (أما مَن اتخذ مسجدًا في جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه، لا للتعظيم له ولا للتوجه إليه، فلا يدخل في الوعيد المذكور) [ارساد الساري: 1: 430]، **(8) قال الحافظ أبوبكر الخطيب في تاريخ بغداد (9) وابن أبي يعلى الحنبلي في طبقات الحنابلة (10) وابن مفلح الحنبلي في المقصد الأرشد (11) وابن الجوزي في المنتظم (12) والعليمي الحنبلي في المنهج الأحمد** في ترجمة علي بن محمد بن بشار الزاهد العارف الولي الصالح شيخ الحنابلة المتوفى سنة 313هـ: دفن بالعقبة وقبره إلى الآن ظاهر معروف يتبرك الناس بزيارته انتهى [**الخطيب في تاريخ بغداد (13: 534)، وابن أبي يعلى الحنبلي في طبقات الحنابلة (2: 63)، وابن مفلح الحنبلي في المقصد الأرشد (2: 254)، وابن الجوزي في المنتظم (13: 252)، والعليمي الحنبلي في المنهج الأحمد (2: 213)]**، **(13) وقال ابن أبي يعلى في الطبقات** (2: 255) أبو بكر أحمد بن علي بن أحمد العلثي أحد المشهورين بالصلاح والزهد، صحب الوالد السعيد سنين يسمع درسه والحديث منه، فعادت بركته عليه فصار عالما زاهدا عابدا فظهر له في الناس القبول والمحبة وإجابة الدعاء، انتهى، وقال ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة: أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالرحمن البغدادي، أحد الفقهاء العقلاء والمناظرين والأذكياء، مات بآمد سنة سبع أو ثمان وستين وأربع مائة، وقبره هناك يقصد ويتبرك به انتهى [**طبقات الحنابلة (2: 234)]**، **(14) وقال العلامة ابن مفلح الحنبلي في المقصد الأرشد (15) والعلامة العليمي الحنبلي في المنهج الأحمد** في ترجمة علي بن محمد المذكور: وقبره هناك مقصود بالزيارة، انتهى [**المقصد الأرشد (2: 253) المنهج الأحمد (2: 382)]**، **(16) وفي الفروع للعلامة ابن مفلح:** " نقل ابن القاسم وشندي أن أحمد سئل عن

الرجل يأتي المشاهد ويذهب إليها ترى ذلك؟ قال: أما على حديث ابن أم مكتوم أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يصلي في بيته حتى يتخذ ذلك مصلى وعلى نحو ما كان يفعل ابن عمر يتبع مواضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأثره فليس بذلك بأس) **[الفروع 3: 125،]**،

[المفتاح الخامس]: كلام السادة الحنابلة حول التبرك: (1) جاء في دليل الطالب

: وسن أن يحمد الله إذا فرغ، ويقول الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، ويدعو لصاحب الطعام، ويفضل منه شيئا لا سيما إن كان ممن يتبرك بفضلته [**دليل الطالب 1: 248]**، وفي الإنصاف: قال ابن الزاغوني وغيره: وليأت المنبر فيتبرك به تبركا بمن كان يرتقي عليه، **[الإنصاف للمرداوي 4: 54]**، وفيه أيضا: ويستحب للضيف أن يفضل شيئا لا سيما إن كان ممن يتبرك بفضلته أو كان ثم حاجة **[الإنصاف للمرداوي 8: 333]**، **(2) وفي منار السبيل**: ويفضل منه –أي الضيف– شيئا ولاسيما إن كان ممن يتبرك بفضلته، أو كان ثم حاجة، قال أبو أيوب كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أتى بطعام أكل وبعث بفضله إلي فيسأل أبو أيوب عن موضع أصابعه فيتبع موضع أصابعه **[منار السبيل 2: 192]**، **(3) وفي كشاف القناع:** ويستحب للضيف أن يفضل شيئا من الطعام لا سيما إن كان ممن يتبرك بفضلته أو كان ثم حاجة إلى إبقاء شيء منه **[كشاف القناع 5: 181]**، **(4) وفي المغني**: ويستحب الدفن في المقبرة التي يكثر فيها الصالحون والشهداء لتناله بركتهم، وكذلك في البقاع الشريفة، وقد روى البخاري ومسلم بإسنادهما أن موسى عليه السلام لما حضره الموت سأل الله تعالى أن يدنيه إلى الأرض المقدسة رمية بحجر، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لو كنت ثم لأريتكم قبره عند الكثيب الأحمر» [المغني 2: 193، والحديث رواه البخاري في الجنائز، رقم (1274)، ومسلم في الفضائل، رقم (2372)]، **(5) وفي الفروع**: ويجوز لمس القبر باليد، وعنه – أي الإمام أحمد –: يكره، لأن القرب متلقى من التوقيف ولم يرد به سنة، ولأنه عادة أهل الكتاب، وعن الشافعية كهذا، وعن الحنفية مثله والذي قبله، وعنه: يستحب، صححها أبو الحسين في التمام، لأنه يشبه مصافحة الحي، لا سيما ممن ترجى بركته **[الفروع 2: 234–233]**، **(6) وفي الإنصاف**: يجوز لمس القبر من غير كراهة.. وعنه: يكره، وأطلقهما في الحاويين، والفائق، وابن تميم، وعنه: يستحب، قال أبو الحسين في تمامه: وهي أصح **[الإنصاف 2: 562–563]**، وفي غاية المنتهى: ولا بأس بلمس قبر بيد لا سيما من ترجى بركته **[غاية المنتهى مع مطالب أولي النهى 1: 934]**، وانظر [كلمة هادئة في أحكام

القبور للدكتور عمر كامل]، فكثير من مفاتيح هذا المبحث مستفادة منه،

***

المبحث الرابع

مفاتيح تحقيق القول في اتخاذ القبور مساجد

[المفتاح الأول]: الأحاديث الواردة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد، والفهم الصحيح لمعاني تلك الاحاديث: لقد وردت أحاديث صحيحة تنهى عن اتخاذ القبور مساجد: منها: **(الحديث الاول)**: أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الذي لم يقم منه: ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) قالت: فلولا ذاك أُبرِز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً، [البخاري ح: 1390، ومسلم: ح 529]، **و (الحديث الثاني)**: أخرج البخاري ومسلم عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما حضرته الوفاة جعل يلقي على وجهه طرف خميصة له فإذا اغتمّ كشفها عن وجهه، وهو يقول: ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتّخذوا قبور

أنبيائِهم مساجد يحذر ما صنعوا)) [البخاري: 435، ومسلم: ح 531]، و **(الحديث الثالث):** أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ((قاتلَ اللهُ اليهودَ، اتخذوا قُبُورَ أنبيائِهِمْ مَسَاجِد)) [البخاري ح 437، ومسلم: ح 530]، و **(الحديث الرابع):** أخرج مسلم عن جندب بن عبد الله البجلي، أنه قال: ((سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم، قبلَ أن يموتَ بخمسٍ، وهو يقولُ: إني أبرأُ إلى اللهِ أن يكونَ لي منكم خليلٌ فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيمَ خليلاً، ولو كنتُ متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ألا وإن من كان قبلَكم كانوا يتخذون قبورَ أنبيائِهم وصالحيهم مساجدَ، ألا فلا تتخذوا القبورَ مساجدَ، إني أنهاكم عن ذلك)) [مسلم: ح 532]، **(علة النهي):** في الاحاديث الأربعة هي: (اتخذوا قُبُورَ أنبيائِهِمْ مَسَاجِد)، فما هو المعنى المقصود من اتخاذ القبور مساجد: له ثلاث احتمالات **(الأول):** الصلاة على القبور بمعنى السجود عليها، و **(الثاني):** السجود إليها واستقبالها بالصلاة والدعاء، و **(الثالث):** بناء المساجد عليها وقصد الصلاة فيها، وهنا يأتي دور الفقيه لتحديد المعنى المقصود من النهي في الأحاديث، **فلا شك بأن المعنى الأول والمعنى الثاني داخل في النهي،** فلا يجوز اتخاذها مساجد بمعنى السجود عليها أو استقبالها والسجود إليها، فكلا الامرين داخل في النهي، ومستحق للعن، لكن (المعنى الثالث): بناء المساجد عليها وقصد الصلاة فيها هل هو مقصود ام لا، وهل يتناوله النهي أم لا، ها هنا بيت القصيد، بمعنى أنه إذا كان المسلم بجوار قبر ولكنه لا يسجد عليه ولا يتخذه قبلة للصلاة والسجود، بل هو عند الصلاة يتجه للقبلة كما يفعل كل المسلمين، فهل هذا مستحق للعن، لو كان كذلك لما سلم المسلمون من أول الرسالة وإلى اليوم من هذا الوعيد، ولكن لله الحمد، فالملعون هو من سجد إلى القبر أو سجد على القبر، **أما المعنى الثالث:** بناء المساجد عليها وقصد المسلم الصلاة فيها إلى قبلة المسلمين المعروفة وسجد على الأرض وإلى الكعبة فلا يدخل فيه النهي النبوي الشريف، ولو نظرنا إلى كتاب الله وسنة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وإلى عمل المسلمين على مر العصور وجدنا أن النهي لا يدخل فيه المعنى الثالث أبدا أبدا، فمما جاء في كتاب الله تعالى مما يُخالف المعنى الثالث، **قوله تعالى في قصة أصحاب الكهف:** {وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا} [الكهف: 21]، قال الفقهاء فقد ذكر الله تعالى عنهم بناء المسجد على قبورهم، ولم يعقب القرآن الكريم على فعلهم ولو كان شركا كما يظن البعض لما سكت عنه القرآن، ولو كان كبيرة لنوه إلى ذلك القرآن الكريم لأنّه

بالأساس كتاب تشريع وهدى وبيان ولم يأت لغرض الإخبار فقط عن حالهم، وهذا أمر يتنزه القرآن عنه أن يسرد واقعة فيها شرك أو كبيرة من الكبائر ثم لا يُشير إليها ولا يعقب عليها، ثم لم يعقب عليها النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان فيه شرك لحذرنا النبي صلى الله عليه وسلم، ولا تكلم فيه الصحابة رضي الله عنهم، وجمهور المفسرين على ان الذين غلبوا على امرهم هم المؤمنون، فهل إلى زمان الشيخ النجدي لم ينتبه احد إلى هذا الأمر سواه، واعجباه!!!، **وكذلك صلاة النبي صلى الله عليه و سلم في مسجد الخيف مع أن فيه قبر سبعين نبيا كما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم [وهذا صححه ابن حجر العسقلاني وذكره البزار في مسنده وعده من فضائل مسجد الخيف]، وأيضا ما ذكر في بعض الآثار الصحيحة أن قبر إسماعيل عليه السلام في الحجر من المسجد الحرام وهو أفضل مسجد يتحرى المصلى فيه، والشاهد أن النبي لم ينبش هذه القبور ويخرجها من المسجد بل ولم يضع حولها سورا ويمنع الصلاة عندها، ولو نظرنا إلى قبر النبي صلى الله عليه و سلم في مسجده الشريف** ولو كان ذلك لا يجوز لما دفنوه صلى الله عليه و سلم في مسجده، وقد اخبر هو صلى الله عليه وآله وسلم أنّ قبره سيكون داخل المسجد، ((ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة)) [متفق عليه]، ورواه مالك وأحمد والبزار والطبراني وأبي نعيم وابن أبي عاصم وابن عساكر بلفظ (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة)، وأيا كان لفظ الحديث فإنّ الصديق أبا بكر لما اختلفوا في مكان دفنه صلى الله عليه وآله وسلم استدل لهم بحديث عائشة رضي الله عنها قالت: ((لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – شيئا ما نسيته، قال: ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه، ادفنوه في موضع فراشه)) [رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد]، فقبره صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد النبوي الشريف، بل في أفضل بقاع المسجد الروضة الشريفة، ولم يقل أحد من الصحابة إن دفنه في المسجد النبوي حرام ولا يجوز، وعند توسعة المسجد النبوي وإدخال القبر في المسجد، كان الكثير من الصحابة على قيد الحياة، فضلا عن جل التابعين، ولم يعترض منهم أحد على ذلك ولا ذكر أنه حرام أو أنه يتعارض مع حديث: ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))، ولا قال احد منهم انه يفتح بابا إلى الشرك، **وكذلك ما ورد في السيرة أنّ أول من بُنى عليه مسجد في الإسلام كان بناء أبي جندل رضي الله عنه مسجدا على قبر أبي بصير رضي الله عنه في عهد النبي صلى الله عليه و سلم كما جاء في « الاستيعاب » لابن عبد البر، وذكر ذلك ابن الأثير في (أسد الغابة) والسهيلي في**

الروض الأنف، كما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، فالخبر ثابت وأقره النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى مر عصور الإسلام كان المسلمون إذا مات العالم أو الصالح دفنوه في المسجد، ولهذا فإنّ أقصى ما وصل إليه الفقهاء في المسألة (بناء المساجد عليها وقصد الصلاة فيها): هو كراهة بناء المساجد على المقابر، عدا المذهب المالكي فإنّه لا يرى الكراهة ولكن يرى الجواز بلا كراهة، ورواية عن الإمام أحمد بحرمة ذلك، وهذه المسألة إذا بُني المسجد على القبر، ولكن إن دُفن الرجل الصالح في المسجد فلم يقل أحد من الفقهاء المعتبرين ببطلان الصلاة في تلك المساجد، والأمر كما ترى خلاف فقهي في مسائل لا تبلغ حد التحريم، فمن الخلل الجسيم ادراجها ضمن مباحث التوحيد، ومن أوردها فإنه أوردها بسبب الفهم الخطأ للحديث المرسل الذي اخرجه الإمام مالك في الموطأ عن عطاء بن يسار: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ))، وقد ورد الحديث مسندا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((اللهم لا تجعل قبري وثنا، لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))، هكذا من دون كلمة (يعبد)، قال الحافظ ابن رجب في " فتح الباري " (2: 441) عن حديث أبي هريرة: " بإسناد فيه نظر "، فالمقصود إن صح الحديث: اللهم لا تجعل قبري وثنا يصلى إليه، ويسجد نحوه ويعبد من دون الله، قال ابن عيد البر في الاستذكار: (وليس فيه حكم أكثر من التحذير أن يُصلَّى إلى قبره، وأن يتخذ مسجدا، وفي ذلك أمر بأن لا يعبد إلا الله وحده، وإذا صنع من ذلك في قبره، فسائر آثاره أحرى بذلك، وقد كره مالك وغيره من أهل العلم طلب موضع الشجرة التي بويع تحتها بيعة الرضوان، وذلك والله أعلم مخالفة لما سلكه اليهود والنصارى في مثل ذلك) أهـ [الاستذكار " (2: 360)]، وقد نقل هذا الكلام الحافظ ابن رجب رحمه الله، وأكده، ثم قال: (وقد اتفق أئمة الإسلام على هذا المعنى: قال الشافعي رحمه الله: وأكره أن يعظم مخلوق حتى يتخذ قبره مسجدا، خشية الفتنة عليه وعلى من بعده، وقال صاحب " التنبيه " من أصحابه: أما الصلاة عند رأس قبر رسول الله متوجها إليه فحرام، قال القرطبي: بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأعلوا حيطان تربته، وسدوا الداخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذ كان مستقبل المصلين، فتتصور إليه الصلاة بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين، وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلث من ناحية الشمال، حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره، ولهذا المعنى قالت عائشة: (ولولا ذلك لأبرز قبره) أهـ [فتح الباري

لابن رجب (2: 442-443]، إذن المعنى المنهي عنه في الاحاديث كلها هو استقبالها بالصلاة والدعاء والسجود إليها، أما بناء المساجد عليها وقصد الصلاة فيها فعمل المسلمين على مر عصور الإسلام لا يمنع من ذلك البته، بل وأقوال الفقهاء على مر عصور الدين لا يرى هذا المعنى داخلا في النهي النبوي أبدا، (تنبيه) أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((أن أمَّ حبيبةَ وأمَّ سلمةَ ذكرتا كنيسةً رأَيْنَهَا بالحبشةِ فيها تصاويرُ، فذكرتا للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إن أولئك إذا كان فيهم الرجلُ الصالحُ فمات، بَنَوْا على قَبرِهِ مَسجِدًا، وصَوَّرُوا فيه تلك الصورَ، أولئك شِرارُ الخَلْقِ عندَ اللهِ يومَ القيامةِ)) [البخاري ح: 3873]، وأخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: ((أن أمَّ حبيبةَ وأمَّ سلمةَ ذكرتا كنيسةً رأينها بالحبشةِ، فيها تصاويرُ لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: " إن أولئك، إذا كان فيهم الرجلُ الصالحُ، فمات بنوْا على قبرِه مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصورَ، أولئك شرارُ الخلقِ عند اللهِ يومَ القيامةِ)) [مسلم: ح 528]، فعلة النهي في الحديث أمران: الأول اتخاذها قبلة للصلاة والدعاء، والثاني: التصاوير التي نهى الشرع الحنيف عنها في البيوت فكيف بأماكن العبادة، فالذم في الحديث منصب على اتخاذ قبور انبيائهم قبلة للسجود والدعاء، وكذلك التصاوير، فليس الذم منصرفا إلى بناء المسجد، ولكن على اتخاذ قبور انبيائهم قبلة للسجود والدعاء، وعمل التصاوير حولها في أماكن العبادة،

(فائدة) في بيان معنى اتخاذ القبور مساجد: جاء في سلسلة مفاهيم يجب أن تصحح، كلمة هادئة في أحكام القبور للدكتور عمر كامل رحمه الله: (أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» [البخاري]، فالحديث لا يتناول أيَّ مكان آخر غير عين القبر، فلا يدخل فيه ما حول القبر أو ما جاوره أو ما كان فوق القبر غير مسامِتٍ له، أي على غير فتنة، فالمقصود بالحديث هو عين القبر من حيث: السجود عليه أو له، فإن المساجد جمع مسجد وهو ما يسجد (عليه) كما هو مقتضى اللغة العربية، قال العلامة البيضاوي: (كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم ويجعلونها قبلة لهم يتوجهون في الصلاة نحوها فقد اتخذوا أوثانا ولذلك لعنهم الله ومنع المسلمين عن مثل ذلك) أهـ فبين صلى الله عليه وآله وسلم أن المحذور هو أمران: (الأول): السجود للقبور وهو غاية التعظيم، (الثاني): جعلها قبلة والتوجه في الصلاة إليها – وإلى صاحبها– قلبيا وحسيا أي: عبادتها، ولا يخفى أن بعضهم قد بالغ – بعد تغيير كتبهم وتحريفها– في تعظيم أنبيائهم فعبدوهم كما أخبر القرآن:

{وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله}، **قال ابنُ عبد البر**: (في هذا الحديث إباحة الدعاء على أهل الكفر، وتحريم السجود على قبور الأنبياء، وفي معنى هذا أنه لا يحل السجود لغير الله عزَّ وجلّ، ويحتمل الحديث أن لا تُجْعل قبور الأنبياء قِبلة يُصلَّى إليها، ثم قال: **وقد زعم قوم أنَّ في هذا الحديث ما يدل على كراهية الصلاة في المقبرة وإلى المقبرة، وليس في ذلك عندي حجة** » [التمهيد (6/383)]، وقال ابن عبد البر في موضع آخر من التمهيد: «وكانت العرب تصلِّي إلى الأصنام وتعبدها، فخشى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم: كانوا إذا مات لهم نبي، عكفوا حول قبره كما يُصْنَعُ بالصنم، فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: اللَّهُمَّ لا تجعل قبري وثنًا يُصَلَّى إليه، ويُسْجَدَ نحوه ويُعْبَدُ فقد اشتدَّ غضبُ الله على من فعل ذلك، وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يحذِّر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبله الذين صَلُّوْا إلى قبور أنبيائهم، واتخذوها قبلة ومسجدًا، كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ويعظمونها، وذلك الشرك الأكبر، فكان النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه، وأنه ممَّا لا يرضاه خشية عليهم امتثال طرقهم .. ثم قال: (وقد احتجَّ بعضُ من لا يرى الصلاة في المقبرة بهذا الحديث، ولا حجة له فيه) [التمهيد (5/45)]، والاتِّخاذُ الموجب لِلَّعن شرحه العلامة السيِّد عبد الله بن الصِّدِّيق الغُمَاري رحمه الله تعالى في رسالته [إعلام الراكع السَّاجد بمعنى اتِّخاذ القبور مساجد ص 3]: فقال: (اتِّخاذ القبور مساجد، معناه: السجود لها على وجه تعظيمها وعبادتها، كما يسجد المشركون للأصنام والأوثان، وهو شرك صريح، وهذا المعنى، منطوق اللفظ وحقيقته، **وثبتت أحاديث مبينة له ومؤيدة**: منها: حديث عائشة عند الشيخين، قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في مرضه الذي لم يقم منه: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، قالت: (فلولا ذلك أبرزوا قبره، غير أنه خشي أن يُتَّخَذَ مسجدًا)، أي يسجد له، ومنها: ما رواه ابن سعد في الطبقات بإسناد صحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: « اللَّهُمَّ لا تجعل قبري وثنًا، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) [الموطأ(85)]، ومعنى الحديث: اللَّهُمَّ لا تجعل قبري وثنًا يُسْجَدُ له ويُعْبَدُ كما سجد قوم لقبور أنبيائهم) أهـ [كلمة هادئة في أحكام القبور للدكتور عمر كامل]،

(تنبيه): زعم الالباني أنّ النهي يتناول المعاني الثلاثة، ولكنه عندما وصل إلى المعنى الثالث الذي نختلف معه في فهمه، تبين مدى ضعف الاستدلال، حيث نسب القول بالمعنى الثالث إلى

البخاري، وذلك على زعمه لأنّ البخاري بوب الباب بقوله: (باب ما يكره من اتخاذ القبور مسجدا على القبور)، وقصارى ما فعله البخاري أنّه جعله من باب الكراهة وليس التحريم وشتان بين الكراهة وبين التحريم وشتان ما بين التحريم وما بين الشرك، وها هنا انقل كلامه كله في رسالته تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، بعدما ساق أحاديث النهي، قال الألباني: (لقد تبين من الأحاديث السابقة خطر اتخاذ القبور مساجد، وما على من فعل ذلك من الوعيد الشديد عند الله عز وجل، فعلينا أن نفقه معنى الاتخاذ المذكور حتى نحذره، فأقول: الذي يمكن أن يفهم من هذا الاتخاذ إنما هو ثلاث معان: الأول: الصلاة على القبور بمعنى السجود عليها، الثاني: السجود إليها واستقبالها بالصلاة والدعاء، الثالث: بناء المساجد عليها وقصد الصلاة فيها، وبكل واحد من هذه المعاني قال طائفة من العلماء، وجاءت بها نصوص صريحة عن سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، أما الأول، فقال ابن حجر الهيتمي في " الزواجر " (1: 121): « واتخاذ القبر مسجدا معناه الصلاة عليه أو إليه »، فهذا نص منه على أنه يفهم الاتخاذ المذكور شاملا لمعنيين أحدهما الصلاة على القبر، وقال الصنعاني في « سبل السلام » (1: 214): « واتخاذ القبور مساجد أعم من أن يكون بمعنى الصلاة إليها أو بمعنى الصلاة عليها »، ويشهد للمعنى الأول أحاديث: (الأول): عن أبي سعيد الخدري: ((أن رسول الله صلى الله عليه و سلم نهى أن يبنى على القبور أو يقعد عليها أو يصلى عليها)) [رواه أبو يعلى في « مسنده » (ق 66: 2) وإسناده صحيح وقال الهيثمي (3: 61): " ورجاله ثقات]، و (الثاني): قوله صلى الله عليه و سلم: ((لا تصلوا إلى قبر ولا تصلوا على قبر)) [رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (3: 145: 2) وعنه الضياء المقدسي في « المختارة » عن عبد الله بن كيسان عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا وقال المقدسي: " وعبد الله بن كيسان قال فيه البخاري: منكر الحديث قال أبو حاتم الرازي ضعيف وقال النسائي: ليس بالقوي إلا أني لما رأيت ابن خزيمة والبستي أخرجا له أخرجناه " قلت: لكن الحديث صحيح، فإن له عند الطبراني (3: 150: 1) طريقا آخر خيراً من هذه عن ابن عباس علقه البخاري في « التاريخ الصغير » (ص 163)، وشطره الأول له شاهد من حديث أبي مرثد]، و (الثالث): عن أنس: أن النبي صلى الله عليه و سلم نهى عن الصلاة إلى القبور [رواه ابن حبان (343)]، و (الرابع): عن عمرو بن دينار – وسئل عن الصلاة وسط القبور – قال: ذكر لي أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ((كانت بنو إسرائيل اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فعلنهم الله تعالى)) [رواه عبد الرزاق (1591) وهو مرسل صحيح الإسناد، وموضع الشاهد منه أن

عمرا استشهد بالحديث على النهي عن الصلاة بين القبور، فد على أنه يعني المعنى المذكور]، وأما المعنى الثاني: فقال المناوي في « فيض القدير » حيث شرح الحديث الثالث المتقدم: " أي اتخذوها جهة قبلتهم مع اعتقادهم الباطل، وإن اتخاذها مساجد لازم لاتخاذ المساجد عليها كعكسه، وهذا بين به سبب لعنهم لما فيه من المغالاة في التعظيم، قال القاضي (يعني البيضاوي): لما كانت اليهود يسجدون لقبور أنبيائهم تعظيماً لشأنهم، ويجعلونها قبلة، ويتوجهون في الصلاة نحوها، فاتخذوها أوثاناً لعنهم الله، ومنع المسلمين عن مثل ذلك ونهاهم عنه.. "، قلت: وهذا معنى قد جاء النهي الصريح عنه فقال صلى الله عليه و سلم: « لا تجلسوا على القبور و لا تصلوا إليها)) [رواه مسلم (3: 62) وأبو داود (1: 71) والنسائي (1: 124) والترمذي (2: 154)]، قال الشيخ علي القاري في « المرقاة » (2: 372) معللا النهي: " لما فيه من التعظيم البالغ كأنه من مرتبة المعبود، ولو كان هذا التعظيمُ حقيقة للقبر أو لصاحبه لكفر المعظم، فالتشبه به مكروه، وينبغي أن تكون كراهة تحريم، وفي معناه بل أولى منه الجنازة الموضوعة (يعني قبلة المصلين) وهو مما ابتلي به أهل مكة حيث يضعون الجنازة عند الكعبة ثم يستقبلون إليها "، .. ونحو الحديث السابق ما روى ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال: (كنت أصلي قريباً من قبر، فرآني عمر بن الخطاب فقال: القبر القبر ، فرفعت بصري إلى السماء، وأنا أحسبه يقول: القمر!)) [رواه أبو الحسن الدينوري في « جزء فيه مجالس من أمالي أبي الحسن القزويني » (ق 3: 1) بإسناد صحيح، وعلقه البخاري (1: 437 _ فتح)، ووصله عبد الرزاق أيضا في « مصنفه » (1: 404:: 1581) وزاد: « إنما أقول القبر: لا تصل إليه »]، وأما المعنى الثالث: فقد قال به الإمام البخاريُّ، فإنه ترجم للحديث الأول بقوله « باب ما يكره من اتخاذ القبور مسجدا على القبور »، فقد أشار بذلك إلى أن النهي عن اتخاذ القبور مسجداً يلزمُ منه النهي عن بناء المساجد عليه، وهذا أمر واضح، وقد صرح به المناوي آنفا وقال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث: " قال الكرماني: مفاد الحديث منع اتخاذ القبر مسجداً، ومدلول الترجمة اتخاذ المسجد على القبر ومفهومها متغاير، ويجاب بأنهما متلازمان وإن تغاير المفهوم " [تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للألباني]، (قلت): لعلنا نلحظ التدليس في قوله: (وأما المعنى الثالث: فقد قال به الإمام البخاريُّ ، فإنه ترجم للحديث الأول بقوله « باب ما يكره من اتخاذ القبور مسجدا على القبور) أهـ وكلنا يرى صنيع البخاري فقد جعله من باب الكراهة وليس التحريم وشتان بين الكراهة وبين التحريم وشتان ما بين التحريم وما بين الشرك الذي يزعم الألباني أنه مناط النهي في الحديث

لعلة انه يفتح بابا إلى عبادة غير الله، وليس هذا مذهب احد من المسلمين على حد علمي سوى اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب

[المفتاح الثاني]: درة من كلام الشيخ عبدالله بن الصديق الغماري في كتاب اتقان الصنعة في معنى البدعة تبين الفقه الصحيح للأحاديث، قال رحمه الله: (استدل الذين قالوا بكراهة بناء المساجد على القبر بحديث: ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) [أخرجه البخاري (437) ومسلم (530)]، والحديث صحيح ولكن الاستدلال به غير صحيح لأمور: (1) أن معنى اتخاذ القبور مساجد: الصلاة اليها تعبدا أو السجود لها، (2) أنّ عائشة لما روت قوله صلى الله عليه وآله وسلم أعقبته بقولها: (ولولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أني أخشى أن يتخذ مسجدا)، (3) قال الحافظ في الفتح: قولها لأبرزوا أي لكشف قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يتخذ عليه الحائل والمراد الدفن خارج بيته، (4) بقي أمر لابد أن ننبه عليه وهو: إذا كان مسجد مبنيا ثم دفن فيه ميت أو أدخل فيه قبر فلا يدخله الخلاف في بناء المسجد على القبر لأنه لم يبن عليه والدليل على ذلك أمور: (أ) استشارة سيدنا أبي بكر للصحابة الكرام في اختيار موضع دفنه عليه الصلاة والسلام فقال بعضهم: عند المنبر وقال بعضهم حيث كان يصلي يؤم الناس، فهؤلاء الصحابة لم يشيروا بدفنه صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الأماكن إلا لعلمهم بأن هذا لا يشمله بناء مسجد على قبره وهؤلاء هم أصحابه الكرام، (ب) أن القبر الشريف أدخل في المسجد النبوي في عهد الوليد بن عبد الملك على يد عمر بن عبد العزيز ولم يغير ذلك خلفاء بني العباس ولا أرشدهم أحد إليه مع كثرة من زار المسجد النبوي من الأئمة والحفاظ والفقهاء والزهاد وغيرهم وكان الإمام مالك مسموع الكلمة عند المنصور ولو أشار عليه بإقامته حاجز بين القبر والمسجد لفعله وما ذاك إلا لأن إدخال قبر في مسجد ليس كبناء المسجد عليه وهو في المسجد النبوي إجماع من الأمة بجميع طبقاتها وامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تجتمع على ضلالة، ومما يستأنس به في هذا الباب حكاية الله عز وجل لقول الذين اكتشفوا أهل الكهف وقالوا: {لنتخذن عليهم مسجدا} وهم مسلمون كما قال ابن عباس فذكر الله جل جلاله قولهم ولم ينكر عليهم، والآن وبعد جميع ما ذكر من صور إحداث الصحابة رضي الله عنهم لأمور في زمن النبوة وبعدها لم تكن موجودة في عهد النبوة وأنها من باب قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها))، نستطيع أن نصل إلى قاعدة نجعلها أساسا لنا خلال مسيرتنا

في هذه الحياة لنكون دعاة إلى جمع شتات المسلمين ألا وهي (ليس كل جديد بدعة) لأن الحياة ما تزال تتحول بأصحابها من حال إلى حال ومن طور إلى طور وهذه سنة الله تعالى في الكون فلا مطمع في إمكان التغلب عليها وربطها بمسمار من الثبات والجمود على حالة واحدة على مر الأزمنة والعصور وكانت هذه التطورات موجودة في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان يرحب بسنة الحياة إذا لم تكن مخالفة لقواعد الشريعة، فالبدعة بمعناها الشرعي هي التي يجب الابتعاد عنها والتحذير من الوقوع فيها، وأصل ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) وليس المقصود منها معناها اللغوي وهو ما تعارف عليه الناس بأنه كل جديد طارئ على حياة المسلم مما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا أصحابه الكرام ولم يكن معروفا لديهم، إذ لو كان المقصود من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))، المعنى اللغوي إذا لكان المسلمون اليوم كلهم يعانون من ضلالات لا مفر لهم منها ويتقلبون في بحار من البدع أينما حلوا وأينما سكنوا أبنية بيوتهم وموائدهم وطراز ثيابهم والأساليب التي تنهض عليها أنشطتهم الثقافية والعلمية والاجتماعية طامات متراكمة بدأت بعد عصر الصحابة إلى يومنا هذا ولا مطمع في إمكانية التغلب عليها!! فلا يعقل إذا أن يكون المقصود من البدعة هو المعنى اللغوي، على أننا بعد هذا كله لابد لنا أن نتذكر قول إبراهيم النخعي التابعي: (كانوا يكرهون اشياء لا يحرمونها) وكذلك كان مالك والشافعي وأحمد كانوا يتوقون إطلاق لفظ الحرام على ما لم يتيقن تحريمه لنوع شبهة فيه أو اختلاف أو نحو ذلك بل كان أحدهم يقول (أكره كذا) لا يزيد على ذلك ويقول الإمام الشافعي تارة: أخشى أن يكون حراما ولا يجزم بالتحريم، يخاف أحدهم إذا جزم بالتحريم أن يشمله قول الله تعالى {لا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب} فمن نحن أمام الإمام الشافعي والإمام أحمد وأئمة السلف الصالح؟!! هل بلغنا من العلم القدر الذي فقناهم فيه حتى يجوز لنا أن نسارع بالتحريم والتحليل من ذات أنفسنا؟!! اللهم اهدنا سواء السبيل والحمد لله رب العالمين " أهـ [من كتاب اتقان الصنعة في معنى البدعة للشيخ عبدالله الغماري]

[المفتاح الثالث]: درة أخرى من كلام الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري في رسالته: إعلام الراكع الساجد بمعنى اتخاذ القبور مساجد: قال رحمه الله:

[1] (معنى الحديث اتخاذ القبور مساجد): السجود لها على وجه تعظيمها وعبادتها، كما يسجد المشركون للأصنام والأوثان وهو شرك صريح، وهذا المعنى، منطوق اللفظ وحقيقته، وثبتت أحاديثه مبينة له ومؤيدة منها: حديث عائشة عن الشيخين قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في مرضه الذي لم يقم منه ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))، قالت: فلولا ذلك، أبرزوا قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً أي يسجد له، قال القاضي عياض: شدد في النهي عن ذلك، خوف أن يتناهى في تعظيمه، ويخرج عن حد المبرة إلى حد النكير فيعبد من دون الله عز وجل، ولذا قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد)) لأن هذا الفعل كان أصل عبادة الأوثان ولذا لما كثر المسلمون في عهد عثمان واحتيج إلى الزيادة في المسجد وامتدت الزيادة حتى أدخلت فيه بيوت أزواجه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أدير على القبر المشرف حائط مرتفع، كي لا يظهر القبر في المسجد، فيصلى إليه العوام، فيقعوا في اتخاذ قبره مسجداً ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من جهة الشمال، حتى لا يمكن استقبال القبر في الصلاة، ولذا قالت: لولا ذلك لبرز قبره اهـ، وهذا يبين أن اتخاذ القبر مسجداً، هو السجود له، ومنها: ما رواه ابن سعد في الطبقات بإسناد صحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((اللهم لا تجعل قبري وثناً لعن الله قوماً اتخذوا من قبور أنبيائهم مساجد)) جملة لعن الله قوماً، بيان لمعنى جعل القبر وثناً، ومعنى الحديث: اللهم لا تجعل قبري وثناً يسجد له ويعبد كما سجد قوماً لقبور أنبيائهم، ومنها: ما رواه البزار عن أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ((اللهم إني أعوذ بك من أن يتخذ قبري وثناً فإن الله تبارك وتعالى اشتد غضبه على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) إسناده ضعيف، لكن حديث أبي هريرة شاهد له، ومنها: ما رواه ابن سعد في الطبقات قال: أخبرنا معن ابن عيسى، أخبرنا مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ((اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))، مرسل صحيح الإسناد، ومنها: ما رواه ابن أبي شيبة، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن ابن عجلان، عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((اللهم لا تجعل قبري وثناً يصلى له، اشتد غضب الله على قوم، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))، ورواه عبد الرازق، عن معمر، عن زيد به وإسناده صحيح، تقرر في علم المعاني: أن الجملتين إذا كانتا بمعنى واحد فإنهما يجردان عن العاطف،

كما في هذه الأحاديث، لإفادة اتحادهما في المعنى، هل للحديث معنى آخر؟: ذكر كثير من شراح الحديث: أن اتخاذ القبور مساجد يحتمل معنيين: السجود لها وعبادتها، كما سبق، وبناء المساجد عليها، وهذا المعنى خطأ لا يصح، وبيان ذلك من وجوه: (الأول): أنه مجاز، والمجاز لا يجتمع مع الحقيقة في كلمة، كما تقرر في علم البيان وهو الراجح عند جمهور الأصوليين، (الثاني): وعلى القول الضعيف بجواز اجتماعهما، فإنما يمكن ذلك إذا كان في سياق نفي، فيصح نفي الحقيقة، والمجاز معاً في كلمة، كأن يقال: ما رأيت أسداً، ويراد الحيوان المفترس والرجل الشجاع، والنفي أوسع دائرة من الإثبات، والفعل في الحديث مثبت، وهو اتخذوا، والفعل المثبت لا يعم، فلا يراد به إلا الحقيقة، (الثالث): أن بناء المساجد على القبور، ثبت فيه حديث بخصوصه وهذا يبين أنهما معنيان مختلفان بالحقيقة والمجاز،

[2] [بناء المساجد على القبور]: روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما ذكرتا كنيسة رأيناها بالحبشة، فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم {أن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فما بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة}؟ فهذا الحديث وراد في بناء المسجد على القبر، ومن ضمه إلى حديث اتخاذ القبور مساجد، وجعل معناهما واحد فقد أخطأ ووهم وهماً كثيراً، يظهر ذلك بكلام على معنى الحديث وشرحه، فقوله {أولئك شرار الخلق} قال الأبي: الأظهر في الإشارة أنها لمن نحت وعبد وأن كانت لمن نحت فقط فيحتمل كونهم شرار بتصويرهم، لحديث وعيد المصورين، فذم أولئك ليس لبنائهم المسجد ولكن لنحتهم التصاوير يؤيد هذا أن البخاري قال في الصحيح: باب الصلاة في البيعة وقال عمر رضي الله عنه: أنا لا ندخل كنائسكم من أجل التماثيل التي فيها الصور، وكان ابن عباس يصلي في البيعة إلا بيعة فيها تماثيل، قال الحافظ: أثر عمر وصله عبد الرازق من طريق أسلم مولى عمر قال: لما قدم الشام صنع له رجل من النصارى طعاماً وكان من عظمائهم وقال: أحب أن تجيبني وتكرمني، فقال له عمر: أنا لا ندخل كنائسكم إلخ، وأثر بن عباس وصله البغوي في الجعديات، وزاد: فإن كان فيها تماثيل، خرج فصلى في المطر، أي في محل بارز للمطر، فصح أن الذكم في الحديث لنحت التصاوير والتماثيل، لا لبناء المسجد، لأنه مكان للعبادة لا ذم يلحق فاعله، أما قول ابن عباس: لعن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج فهو وأن حسنه الترمذي حديث ضعيف، في سنده أبو صالح اسمه باذان ويقال باذام ضعيف

مدلس وكيف يلعن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم زائرات القبور مع أنه أباح لهن زيارتها؟ وأخرج ابن سعد في الطبقات: أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء أخبرنا عوف عن الحسن، قال: ائتمروا أن يدفنوه صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المسجد فقالت عائشة: كان واضعاً رأسه في حجري إذ قال {قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد} فأجتمع رأيهم أن يدفنوه حيث قبض في بيت عائشة، قلت: عزم الصحابة على دفنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المسجد، إذ لم يروا في ذلك حرجاً، لكن منعهم حديث عائشة وخاف أن يتخذ قبره مسجداً يسجد له، وقال البيضاوي: (لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم تعظيماً لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها، واتخذوها أوثاناً، لعنهم ومنع المسلمين على مثل ذلك، فأما من اتخذا مسجداً في جوار صالح، وقصد التبرك بالقرب منه، لا للتعظيم له، ولا التوجه نحوه فلا يدخل في ذلك الوعيد) اهـ، وقال التوربشتي في شرح المصابيح في حديث (لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مسجد) هو مخرج على وجهين: (أحدهما): كانوا يسجدون لقبور الأنبياء، تعظيماً لهم وقصد العبادة في ذلك، و (ثانيهما): أنهم كانوا يرون الصلاة في مدافن الأنبياء وأتوجه إلى قبورهم في حالى الصلاة والعبادة لله نظراً منهم أن ذلك الصنيع أعظم موقعاً عند الله، لاشتماله على الأمرين: عبادة ومبالغة في تعظيم الأنبياء، وكلا الطريقين غير مرضيه، أما الأولى فشرك جلي، وأما الثانية فلما فيها من معنى الإشراك بالله عز وجل، وإن كان خفياً، والدليل على ذم الوجهين قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم {اللهم لا تجعل قبري وثناً، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد} والوجه الأول أظهر وأشبه اهـ،

[3] [الصلاة إلى القبر]: روى مسلم في صحيحه عن أبي مرثد الغنوي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم {لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها} قال العلماء: النهي في الحديث للكراهة، قال البخاري: رأى عمر، أنس بن مالك يصلي عند قبر فقال: القبر، القبر ولم يأمره بالإعادة، قال الحافظ: استنبطه من تمادي أنس على الصلاة، ولو كان ذلك يقتضي فسادها لقطعها واستأنف، قال: واثر عمر، رويناه موصلاً في كتاب الصلاة لأبي نعيم شيخ البخاري ولفظه بينما أنس يصلي إلى قبر، ناداه عمر: القبر، القبر، فظن أنه يعني القمر، فلما رأى أنه يعني القبر، جاز القبر وصلى، وعلى الكراهة التشبه بعباد القبور.. (الخلاصة): ... أن بناء المسجد على القبر غير اتخاذه مسجداً، وغير دفن الميت في مسجد مبني، .. قال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي

سلمة بن عبد الرحمن، ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، قالا: قال: أبو بكر أبين يدفن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ قال قائل منهم عند المنبر وقال قائل منهم: حيث كان يصلي يؤم الناس، وقال أيضاً: أخبرنا معن بن عيسى أخبرنا مالك بن أنس أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما توفى قال ناس يدفن عند المنبر، فهؤلاء الناس لم يشيروا بدفنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم عند المنبر أو حيث يؤم الناس، إلا لعلمهم بأن هذا لا يدخل في بناء مسجد على القبر وهؤلاء كانوا صحابة، وهنا ينتهي ما أردته من الكلام على معنى اتخاذ القبور مساجد، هاهنا مسائل يجب أن ننبه عليها:

[المسألة الأولى]: تقرر في علم الأصول أن الأمة الإسلامية لا تجتمع على ضلالة، لقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم (لا يجمع الله أمتي على الضلالة) وله طرق كثيرة ذكرتها في تخريج أحاديث منهاج البيضاوي، وهو متواتر، فالأمة معصومة في إجماعها عن الخطأ والضلال، وهذا مقرر في علم الأصول بأدلته،

[المسألة الثانية]: ضاق المسجد النبوي عن المصلين، فلم يعد يستوعبهم بعد الزيادة التي زادها عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، فأمر الوليد بن عبد الملك، عامله على المدينة المنورة عمر بن عبد العزيز بهدم بيوت أمهات المؤمنين وإدخالها في المسجد توسعة له، فدخل فيه بيت عائشة رضي الله عنها وفيه القبور الثلاثة فبكى يومئذ كثير من الناس على هدم البيوت، لا على دخول القبور في المسجد، وكان لا بد من الهدم، لأن المصلحة اقتضته والذي قام بذلك ونفذ عمر بن عبد العزيز العالم الصالح، ولم ير هو ولا غيره من العلماء أن إدخال القبور في المسجد مخالف للدين وللحديث، ومباين لمقاصد الشريعة، ثم تولى الخلافة بعد ذلك – وكان خليفة راشداً – فلم يبن جدار يحجز بين القبر الشريف والمسجد، ولم يقترح عليه ذلك أحد من العلماء في عصره، ثم جاء أئمة المسلمين لزيارة المسجد النبوي وفيه القبور، فلم ينكروا ذلك، وكان الإمام مالك مسموع الكلمة عند أبي جعفر المنصور، الخليفة العباسي، ولو أشار عليه بعمل حاجز بين الروضة والمسجد لنفذه في الحال، لكنه لم يشر عليه بذلك، وتوالت القرون، والمسجد النبوي يزار من طبقات الأمة على اختلاف أنواعها، والروضة الشريفة داخلة، يزورنها ويتبركون بها، واهدوا لها الهدايا المختلفة، وهذا إجماع قطعي، يفيد أن وجود القبر في المسجد لا شيء فيه، يضاف إلى هذا الإجماع القطعي حديث ((ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة)) وهذا الحديث ترجم له البخاري بقوله: باب

فضل ما بين القبر والمنبر، وإن كان قد رواه بلفظ بيتي فالإشارة إلى أن قبره في بيته، وجاء في صحيح البخاري بلفظ قبري في رواية ابن عساكر، ورواه جماعة بلفظ قبري أيضاً، قال البزار: حدثنا محمد بن عبد الرحيم ثنا محمد بن إسحاق، حدثنا عبيدة بنت نابل عنعائشة بنت سعد عن أبيها أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ((ما بين قبري ومنبري أو قبري ومنبري روضة من رياض الجنة))، قال الحافظ والهيثمي: رجاله ثقات، قلت: سعد هو ابن أبي وقاص، ومحمد بن إسحاق روى له البخاري، وهو ضعيف في روايته عن مالك، وقال البزار أيضاً حدثنا عبد الصمد ابن سليمان المروزي ثنا أبو نباته ثنا سلمة بن وردان عن أبي سعيد بن المعلى عن علي بن أبي طالب وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ((ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة))، وقال الخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق: أخبرنا الحسن بن أبي بكر أخبرنا أحمد بن إسحاق بن نيخاب الطيبي ثنا الحسن بن المثنى ثنا عفان ثنا عبد الواحد بن زياد ثنا إسحق بن شرفي مولى ابن عمر قال: حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال: حدثني أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ((ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة))، وقال الخطيب في الموضح أيضاً ص 431 ج 1: أخبرني الأزهري حدثنا علي بن عمر الحافظ حدثني محمد ابن محمد بن داود السجستاني ثنا مكي بن عبدان ثنا يحيى بن محمد بن يحي الذهلي حدثنا أحمد بن المنذر القرشي ثنا مالك عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ((ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة))، ورواه أبو النعيم في الحلية من طريق عبد الله بن نافع عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ((ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة وإن منبري لعلى حوضي))، وللحديث طرق عن ابن سعيد الخدري وأم سلمة وعبد الله بن زيد وجابر بن عبد الله وعمر بن الخطاب وأبي هريرة، وأسانيد أحاديثهم مذكورة في كتاب إحياء المقبور وهو حديث صحيح جداً، ويؤخذ منه أمران: (احداهما): استحباب زيارة القبر الشريف، والصلاة في الروضة الشريفة، و (الآخر): الإشارة إلى إدخال القبر في المسجد، لأنه لا يتيسر أن يكون ما بين القبر والمنر روضة إلا بكونهما داخل المسجد، لا خارجه، وهذا مدرك بالضرورة الحسية، فاقتراح بعض المتزمتين في هذا العصر: أن يبني جدار يحجز الروضة الشريفة عن المسجد، خروج عن إجماع الأمة، وغفلة عما يفيده الحديث، وتنطع يأبه الدين،

[المسألة الثالثة]: أول ما بني المسجد على القبر، في العهد النبوي وبيان ذلك: أن أبا بصير الثقفي رضي الله عنه انفلت من المشركين بعد صلح الحديبية، وذهب إلى سيف البحر، ولحق به أبو جندل بن سهيل بن عمرو، انفلت من المشركين أيضاً، ولحق بهم أناس من المسلمين حتى بلغوا ثلاثمائة وكان يصلي بهم أو بصير وكان يقول: " الله العلي الأكبر.. من ينصر الله فسوف ينصر " وهذا رجز، فلما لحق به أبو جندل، كان هو يؤمهم وكان لا يمر بهم عير لقريش، إلا أخذوها وقتلوا أصحابها، فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تناشده الله، والرحم ألا أرسل إليهم، فمن أتاك منهم فهو آمن، وكتب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى أبي جندل وأبي بصير ليقدما عليه، ومن معهم من المسلمين أن يلحقوا ببلادهم وأهليهم، فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على أبي جندل، وأبو بصير يموت، فمات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بيده يقرأه، فدفنه أبو جندل مكانه، وبنى على قبره مسجداً، رواه موسى بن عقبة في المغازي، وابن إسحاق في السيرة عن الزهيري عن عروة عن المسور ومروان، وكان الإمام مالك يقول: عليكم بمغازى الرجل الصالح موسى بن عقبة، فأنها أصح المغازي، وكان يحيى بن معين يقول: كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من أصح هذه الكتب، قال أخي في كتاب إحياء المقبور: وبلا شك يدري كل ذي حس سليم يعرف سيرة الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه لا يمكن إحداث أمر عظيم مثل هذا ولا يذكرونه له صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وكذلك يستحيل أن يحدث مثل هذا من أصحابه، ويكون حراماً يجر إلى كفر وضلال، ثم لا يعلمه الله تعالى به، كما أعلمه بمسجد الضرار وبقصد أصحابه من بنائه، وأمر بهدمه، فإذن لا شك أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم علم ببناء المسجد على قبر أبي بصير ولم يأمر بهدمه، إذ لو أمر بذلك لنقل في الخبر نفسه أو في غيره لأنه شرع لا يجوز أن يضيع اهـ، ويؤيد هذا أن أبا جندل رجع إلى المدينة بأمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلا بد أنه حكى له جميع أعمالهم في سيف البحر – وسيف بكسر السين – ساحل البحر،

[المسألة الرابعة]: لا يوجد دليل على حرمة الصلاة في مسجد فيه قبور، ولم يقل أحدمن الأئمة بذلك، بل هم مجمعون على وجود القبور في المسجد النبوي، وحديث {{لعن الله اليهود اتخذوا من قبور أنبيائهم مساجد}} لا يجوز الاستدلال به من جهة معارضة القرآن له، ولا يوجد وجه للجمع بينهما، وحديث {{أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصورا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة}} سبب وروده أن أم حبيبة

وأم سلمة ذكرتا للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنهما رأتا بالحبشة كنيسة يقال لها مارية، فيها تماثيل وتصاوير، فأخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن وضع التصاوير في أماكن عبادتهم من قبيح فعلهم، مع أن التصاوير منهي عنها في البيوت فكيف بأماكن العبادة؟ فالذم في الحديث منصب على التصاوير لا على بناء المسجد، لأنه يوافق القرآن في قول الله تعالى {قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً} ويؤيد هذا أن عمر رضي الله عنه لما ذهب إلى بيت المقدس وعزمه راهب أن يتغدى عنده في الكنيسة قال له عمر: إنا لا ندخل كنيستكم لما فيها من التصاوير، وتغدى معه خارجها، فالتصاوير هي مصدر الذم ومبعثه، ومن استدل بالحديث على حرمة بناء المسجد على القبر، لم يفهم معناه لغفلته عن سبب وروده،

[المسألة الخامسة]: اعترض الألباني، في استدلاله لبناء المسجد على قبر بآية الكهف، لأن الله تعالى أقرهم على ما قالوا، وبنى اعتراضه على أمرين: (الأول): لا يصح اعتبار عدم الرد عليهم إقرار لهم، إلا إذا ثبت أنهم كانوا مسلمين صالحين، وليس في الآية إشارة إلى ذلك، بل يحتمل أنهم كانوا كفار وفجار وهو الأقرب، (الثاني): أن الله رد صنيعهم على لسان رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وذكر حديث {لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد} ثم قال: فأي رد أوضح من هذا؟ وذكر أنّ من يستدل بهذه الآية على خلاف الأحاديث الصحيحة كمثل من يستدل على جواز صنع التماثيل والأصنام، بقوله تعالى في الجن المذللين لسليمان عليه السلام {يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات}، وما أبداه خطأ محض لا نصيب له من الصواب وبيان ذلك: أن احتمال أن يكون مقترحو بناء المسجد كفار بعيد جداً يأباه السياق، وإن قال به بعض المفسرين، والصواب: ما ذكره ابن عباس والسدى وغيرهما أن أهل البلد كان فيهم مشركون ينكرون البعث، وملكها ومن معه مسلمون، فلما عثروا على أهل الكهف، وعلم أهل البلد أنهم قاموا بعد قرون، انتصر الملك على منكري البعث بدليل مادي محسوس، ولما رجع الفتية إلى كهفهم، تنازع أهل البلد في شأنهم، فقال المشركون {ابنوا عليهم بنيانا} وقال الذين غلبوا على أمرهم – هم الملك وأصحابه – {لنتخذن عليهم مسجدا}، من المعقول جدا أن يبنى المسلمون على فتية مؤمنين، وليس من المعقول أبدأ أن يقترح المشركون بناء مسجد ولا يوافقون عليه، ولم يقع ولا يجوز أن يقع أن يحكى الله تعالى عملا أو قولا لكافر ثم يقره عليه، وإليك أمثلة من ذلك: (1) نبه الله على مسجد الضرار وفساد نية بانييه وقال لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم {لا تقم

فيه أبدا} وقال اليهود والنصارى {نحن أبناء الله وأحباؤه}، فرد عليهم بقوله {قل فلم يعذبكم بذنوبكم * بل أنتم بشر ممن خلق} (2) وقال اليهود {يد الله مغلولة}، فرد عليهم {غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا} (3) وقال اليهود {إن الله فقير ونحن أغنياء}، فرد عليهم {سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق}، وقال المشركين {اتخذ الله ولدا}، فرد عليهم {بل عباد منكرون}، وهكذا لا نجد قولاً لكافر أو مشرك يحكيه الله تعالى إلا أعقبه برده، وهذا ما يرجح أن مقترح بناء المسجد على أهل الكهف مسلمون،

[المسألة السادسة]: حديث الصحيحين {لا تشد الحال إلا إلى ثلاث مساجد، المسجد الحرام ومسجدي والمسجد الأقصى} أخذ بظاهره بعض العلماء فمنع السفر إلى غير هذه المساجد المذكورة في الحديث، وهذا ضعيف، لأنه يقتضي منع السفر للتجارة وطلب العلم وصلة الرحم وغير ذلك، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: قال بعض المحققين {إلا إلى ثلاث مساجد} المستثنى منه محذوف، فأما أن يقدر عاماً فيصير: لا تشد الرحال إلى مكان في أي أمر كان إلا إلى ثلاثة مساجد، أو أخص من ذلك، لا سبيل إلى الأول لإفضائه إلى سد باب السفر للتجارة وصلة الرحم وطلب العلم وغيرها فتعين الثاني، والأولى أن يقدر ما هو أكثر مناسبة وهو لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه إلا إلى المساجد الثلاث، فيبطل بذلك قول من منع شد الرحال إلى زيارة القبر الشريف، وغيره من قبور الصالحين أهـ، وقال تقي الدين السبكي: ليس في الأرض بقعة لها فضل لذاتها حتى تشد الرحال إليها غير البلاد الثلاثة، ومرادي بالفضل ما شهد الشرع باعتباره، ورتب عليه حكما وشرعياً، وأما غيرها من البلاد فلا تشد الرحال إليها لذاتها، بل لزيارة أو جهاد أو علم أو نحو ذلك من المندوبات أو المباحات، قال: وقد التبس ذلك على بعضهم، فزعم أن شد الرحال لمن في غير الثلاثة داخل في المنع، وهو خطأ، لأن الاستثناء إنما يكون من جنس المستثنى منه، فمعنى الحديث: لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد، أو إلى مكان من الأمكنة، لأجل ذلك المكان إلا إلى الثلاثة المذكورة، وشد الرحال إلى زيارة أو طلب علم ليس إلى المكان، بل من في ذلك المكان اهـ، ويؤيده ما رواه أحمد من طريق شهر بن حوشب قال: سمعت أبا سعيد – وذكر عنده الصلاة في الطور – فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ((لا ينبغي للمصلي أن يشد رحاله إلا إلى مسجد تبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي))، قال الحافظ: وشهر حسن الحديث، وإن كان فيه بعض الضعف اهـ، وروى البزار عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم {أنا خاتم الأنبياء ومسجدي خاتم

مساجد الأنبياء، أحق المساجد أن يزار، ويشد إليه الرواحل، المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي} في سنده عن موسى ابن عبيدة الربذي وثقه ابن سعد ووكيع، والجمهور ضعفوه لكنهم وصفوه بالصلاح، وقال زيد بن الحباب: كنا عند موسى بن عبيدة بالربذة فأقمنا عنده ومرض ومات فأتيت قبره ومعي رفيق لي، فجعل ريح المسك يفوح من قبره، فجعلت أقول لرفيقي: أما تشم؟ أما تشم؟ وليس بالربذة يومئذ مسك ولا عنبر، قال البزار: موسى بن عبيدة رجل مفيد وليس بالحافظ وأحسب إنما قصر به عن حفظ الحديث شغله بالعبادة، وهذا الحديث مؤيد بحديث شهر، وهما يفيدان ترك شد الرحلة إلى مسجد غير المساجد الثلاثة، فلو نذر شخص صلاة ركعتين أو أكثر، بجامع القرويين أو الأزهر، لم يلزمه أن يشد الرحلة إليه ويفي بنذره بالصلاة في أي مسجد ببلده، ولو نذر الصلاة في أحد المساجد الثلاثة، لزمه الرحلة إليها عند الجمهور، لأنها مساجد الأنبياء، وروى أبو الفتح الأزدي وأبو الحسن العسكري وأبو موسى المديني من طريق يقية عن عمرو بن عتبة عن أبيه عن زيادة ابن سمية سمعت زكرة بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول ((لو أعرف موضع قبر يحيى لزرته)) قال أبو حاتم: زيادة بن سمية ليس هو الأمير المشهور الذي استخلفه معاوية، وقال ابن عبد البر: ليس إسناده بقوي، ومن المعلوم أن قبر يحيى عليه السلام بالشام، فالحديث يفيد جواز الرحلة لزيارة القبور، والقرآن يؤيده في ذلك لأن الله تعالى رخص في كتابه الكريم للمسافر أن يتيمم ويقصر الصلاة، ويفطر في رمضان، وبم يقيد السفر بأن يكون للمساجد الثلاثة، بل جعله سفراً عاماً يشمل السفر للتجارة وطلب العلم وصلة الرحم وزيارة الأخوان والصالحين أحياء وأمواتاً، وزيارة الفسحة والنزهة وكل سفر واجب أو مندوب أو مباح، وهذا هو اليسر الذي أراده الله لنا في قوله تعالى {يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر}،

[المسألة السابعة]: تواتر عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال {جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فعنده مسجده وطهورة} وهذا من خصائص النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بإجماع العلماء، والخصائص لا تنسخ ولا يستثنى منها ولهذا حمل العلماء الحديث الوارد عن الصلاة في المقبرة على الكراهة ولم يحملوه على البطلان، بل حتى من حمل النهي عن التحريم قال أن الصلاة صحيحة، ونص الحافظ البيهقي والحافظ ابن عبد البر، والحافظ بن حجر على أن الحديث {لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا

إليها} محمول على الكراهة فقط، بل رجح حافظ المغرب ابن عبد البر عدم الكراهة واعتمادهم في ذلك كله على الحديث السابق ذكره،

[فتاوي الديار المصرية]: وأما نص الفتوى لمفتي الديار المصرية على المذاهب الأربعة: 1- قال فقهاء مذهب أبي حنيفة: تكره الصلاة في المقبرة إذا كان القبر بين يدي المصلي بحيث لو صلى صلاة الخاشعين وقع بصره عليه فإذا كان القبر خلف المصلي وهو مستقبل القبلة فلا كراهة، 2- وقال فقهاء مذهب مالك: الصلاة في المقبرة جائزة بلا كراهة إذا خلت عن النجاسة، 3- وقال فقهاء مذهب الشافعي: تكره الصلاة في المقبرة غير المنبوشة، سواء كانت القبور أمامه أو خلفه، أو على يمينه أو على شماله، أما الصلاة في المقبرة المنبوشة بلا حائل فباطلة لوجود النجاسة بها، 4- وقال فقهاء مذهب أحمد بن حنبل: أن الصلاة في المقبرة التي تحتوي على أقل من ثلاث قبور صحيحة بلا كراهة إذا لم يستقبل المصلي القبر، وأن استقبله كانت الصلاة مكروهة، لذا كانت الصلاة في المصلى المسؤول عنها صحيحة بلا كراهة في فقه الأئمة أبي حنيفة، ومالك، وأحمد، ومكروهة في فقه الإمام الشافعي رحمهم الله اهـ، ومن هنا يعلم أن من قال أن الصلاة في المسجد الذي فيه قبور باطلة، فهو كاذب، يدخل في قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ((أجراؤكم على الفتيا أجراؤكم على النار)) وحديث ((من حدث بحديث يظن أنه كاذب فهو أحد الكذابين)) والله سبحانه وتعالى أعلم [انتهى من كتاب إعلام الراكع الساجد بمعنى اتخاذ القبور مساجد للشيخ الحافظ عبد الله بن محمد الصديق الغماري]،

[المفتاح الرابع]: درة من كلام الشيخ عبد الرحمن المكي الهاشمي في كتابه السلفية المعاصرة شبهات وردود تبين الفقه الصحيح للحديث ويشير إلى تشدد علماء نجد في المسألة وفهمهم الخاطئ للاحاديث: قال رحمه الله:

(أ) زعمهم أن المساجد عند قبور الصالحين هو من اتخاذ القبور مساجد: روى الشيخان واللفظ لمسلم: ((ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون من قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك))، وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها حين ذكر له صلى الله عليه وآله وسلم تصاوير في كنيسة بالحبشة فقال: ((إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا تلك الصور أولئك شِرارُ الخَلْقِ عندَ اللهِ يومَ القيامةِ)) كل ذلك لا يدل على منع زيارته صلى الله عليه وآله وسلم لوقوع القبر في

المسجد ولا يدل كذلك على منع أن يتخذ مسجد في جوار رجل صالح قصد التبرك بالقرب منه ، بل المقصود من النهي في الحديثين هو أن يقصد القبر بالصلاة إليه أو عليه كما يقصد المسجد تعظيماً للقبر أو للمدفون فيه كما هو فعل اليهود والنصارى كانوا يسجدون لقبور أنبيائهم وصالحيهم، ولما صوره من صورهم كما يسجد للأوثان فهذا هو الذي يكون ذريعة للشرك، ولذا فإن هجو الموسوسين للمساجد التي فيها قبر وتسميتها مساجد الشرك وزعم أن الصلاة فيها شرك وذريعة للشرك إنما هو تعمق في الجهل وإغراق لسوء الفهم للأحاديث، فإن هذه المساجد لم تبن إلا لما بنيت له المساجد من التعبد وليس ذلك بمحرم ولا مكروه، ولذا بنيت في القرون الأولى مساجد عند القبور من غير أن تكون صلاة إلى القبر أو عليه ولو كان المراد بالحديثين هو النهي من اتخاذ المساجد في جوار قبر رجل صالح بقصد التبرك بالقرب منه لا للتعظيم له ولا التوجه نحوه أو هجر المساجد لأجل القبر فبها لوجب أن يهجر مسجده صلى الله عليه وآله وسلم بعد إدخال القبر فيه، ولما أصبح مما تشد إليه الرحل والصلاة فيه بألف صلاة مع علمه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه سيدفن في هذا الموضع لما جاء في رواية البزار بسند صحيح والطبراني ((ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة)) ولأنكر الصحابة والتابعون على عمر بن عبد العزيز إدخاله حجر أمهات المؤمنين في المسجد لتوسيعه ولكنهم لم ينكروا ولم ينزل المسجد الشريف في أنظارهم باشتماله على القبور فيه بل ما زالوا ومن بعدهم يتوافدون لزيارته صلى الله عليه وآله وسلم في مسجده، ولو كان في الأمر ما هو منكر لغير ذلك عمر بن عبدالعزيز لما آلت إليه الخلافة وهو الذي أحيا سنة جده عمر بن الخطاب ولما أقر علماء التابعين فاطمة بنت الحسين على ضربها قبة على قبر الحسن بن على بن أبي طالب واقامت به سنة كما رواه البخاري معلقاً وهي لا محالة تقيم فيها عبادتها من صلاة وذكر وتلاوة وهي ومن معها، والعصر كان عصر الفقه وإنكار المنكر فالمراد من النهي على ذلك هو قصد القبر بالصلاة إليه أو عليه كما بقصد المسجد تعظيماً للقبر أو ممن فيه، قال الإمام البيضاوي في شرحه الطوالع (لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لشأنهم ويجعلونها قبلة يتجهون في الصلاة نحوها واتخذوها أوثاناً لعنهم ومنع المسلمين من مثل ذلك، فأما من اتخذ مسجداً في جوار رجل صالح وقصد التقرب بالقرب منه لا التعظيم له ولا التوجه نحوه فلا يدخل في ذلك الوعيد)، ونقل ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح وأقره، ومما يجب أن يعلم أنه لو وقع استقبال القبر في الصلاة من غير قصد إلى تعظيمه أو تعظيم صاحبه لم يكن على المصلي بأس وليس ذلك من جعل القبر مسجداً

في شيء، قال ابن القاسم: كان مالك لا يرى بأساً من الصلاة في المقابر بينما من يصلي في المقبرة تكون القبور بين يديه وخلفه وعن يمينه وشماله، قال مالك: وبلغني أن بعض الصحابة كانوا يصلون في المقبرة، ولذا فإن الدعوة المحمومة لإخراج القبر الشريف من المسجد والتي نشرت قبل حين في بعض الصحف لا يحمل عليها إلا جهل أو غيظ متأصل تنطوي عليه القلوب، نساله تعالى السلامة والإخلاص وحسن الإيمان،

(ب) اعتبارهم البناء ونحوه على القبور يصيرها أوثاناً تعبد: علل الوهابية منع البناء على القبور بأن البناء عليها يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله، وقد سبق في مقدمة هذه الرسالة أن محمد بن عتيق (قد جعل من اسباب كفر أهل مكة هو عدم هدمهم للقباب)، وجهلوا أن المؤدي إلى الشرك هو اتخاذ القبور مساجد بمعنى قصد القبر لعبادته أو عبادة من فيه كما يقصد المسجد وذلك بالعكوف عليها وتصوير الصور فيها، والمسلمون بحمد الله ليس تعظيمهم للقبور، وإنما تعظيم من فيها من الأنبياء والصالحين إذا لم يتجاوز التعظيم مراتبهم من العبودية، ولا يوجد إن شاء الله من زوار الأنبياء والصالحين من هو عابد لهم ولا متخذهم مع الله آلهة، ولا من يقصد الصلاة إلى قبورهم فالحمد الله على حفظ دينه، وقد علمت أن التوسل والاستغاثة بهم ليس من العبادة في شيء، وأن التشريك والتكفير بذلك هو نتيجة جهل بمعنى العبادة، وللعلماء في الأبنية على القبور ثلاثة أقوال: فمنهم من كره البناء في الأرض سواء كانت مملوكة أو مسبلة، ومنهم من كره البناء في المملوكة وحرمه في المسبلة، ومنهم من أجاز البناء على قبور الأنبياء والصالحين والعلماء المشهورين وجعل ذلك مستثنى من أحاديث النهي عن البناء، واعلم أن من منع البناء من الأئمة والعلماء لم يجعل علة المنع أن البناء عليها يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله كما زعم الوهابية، بل عللوا المنع بخوف التضيق على الناس لئلا يحجر عليهم موضع القبر فلا يدفن أحد فيه فيضيق ذلك بالناس لا لأن البناء شرك أو ذريعة للشرك،

(أحاديث النهي عن البناء): من كره البناء استدل بحديث مسلم عن أبي الهياج الأسدي أن علياً رضي الله عنه قال له: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أن أدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته))، واستدلوا أيضاً على الكراهة بحديث مسلم وأبي داود عن جابر قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجصص القبر أو يبنى عليه وأن يكتب عليه، زاد أبو داود أو يزاد عليه أي على ترابه، والقائلون بالمنع قد اختلفوا: فمنهم من كره البناء سواء كانت مملوكة أو مسبلة ولكنه لا يقول بهدمه

إذا بني مستنداً إلى وجود البناء على قبر الشيخين في الحجرة فإنها غير مملوكة حيث أن الأنبياء لا يورثون ولم يقل بهدمه أحد، ومنهم من كره البناء في المملوكة ولم يهدمه إذا بني وحرمه في المسبلة وقال بهدمه فيها، قال الشافعي في الأم: (قد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما بني فيها فلم أر الفقهاء يعيبون ذلك قال: فإن كانت القبور في الأرض يملكها الموتى في حياتهم أو ورثتهم بعدهم لم يهدم شيء منها، وإنما يهدم إن هدم ما لا يملكه أحد فهدمه لئلا يحجر على الناس موضع القبر فلا يدفن فيه أحد فيضيق على الناس) أهـ، فأنت تراه لا يحتم الهدم في غير المملوكة بل يقول: إن هدم ولا يقول بالهدم فيما بني على أرض مملوكة لأنه بني بحق ولا يذهب في تعليل منع البناء في غير المملوكة إلا إلى خوف التضيق به على الناس ولم يقل أن البناء على القبور شرك ولا ذريعة للشرك، ولم يقل كذلك ولا أحد من أهل العلم الذي يقتدى بهم أن البناء على القبر يصيره طاغوتاً وصنماً يعبد من دون الله، وأنه شرك وأن الذاهب لزيارة هذا القبر مشرك وعابد صنم حتى جاء ابن تيمية المتوفي في القرن الثامن فقال بهذا وتبعه على ذلك من تبعه من الوهابيين فكفروا الأمة الإسلامية كما رايته في فتوى ابن عتيق، وقال ابن مفلح في كتاب الجنائز ص 681 – 682 (القبة والحظيرة والتربة إن كانت في ملكه فعل ما شاء وإن كانت في مسبلة كره للتضيق)،

(أدلة من قال أن أحاديث النهي عن البناء مخصصة بغير قبور الأنبياء والصالحين): ومن أجاز البناء على قبور الأنبياء والصالحين والعلماء المشهورين ذهب إلى أحاديث النهي عن البناء على القبور ليست عامة في جميع القبور، بل يستثني منها قبور الأنبياء والصالحين والعلماء المشهورين، فقالوا يجوز البناء عليها واستدلوا على تخصيص ذلك من أحاديث النهي بأن الصحابة قد دفنوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيت عائشة موضع ما قبض لما روي لهم من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما دفن نبي إلا في مكانه الذي توفي فيه))، ودفن في الحجرة بعده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وبنى عمر ابن الخطاب في حائطاً عليها وبنت عائشة رضي الله عنها كذلك القبور الثلاثة وكانت تسكنها وتصلي فيها قبل الحائط وبعده، وبناها عبدالله بن الزبير أيام خلافته ثم سقط حائطها فبناها عمر بن عبدالعزيز ثم لما وسع المسجد في خلافة الوليد بإدخال حجر أمهات المؤمنين فيه بني الحجرة التي فيها القبور الثلاثة وأزرها بالرخام ولم ينكر عليه من وجد من الصحابة ولا فقهاء التابعين، واستحسان بعضهم إبقاء الحجرة على ما كانت دون هدمها هو لميلهم أن يبقى البناء القديم عظة لما كان عليه سكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بساطة وبناء بالطين

ويسقف من الجريد غير المرتفع، وعمر بن عبد العزيز في خلافته مع حرصه على إبطال المنكرات أقر الحجرة على ما بنيت عليه فدل ذلك على أن البناء على القبر غير منكر ولم يزل الأمر على ذلك يتنافس في عمارتها أمراء المسلمين وتفصيل ذلك في (وفاء الوفاء) ولو كان البناء على القبور شركاً لهدموا الحجرة قبل دفنه بها ولما أحدث عمر وعائشة وغيرهما فيها بناء، ولما أعادوا بناءها بعد الانهدام أي من الصحابة الموجودين والتابعين، ولذلك لم يهدم المسلمون بعد فتحهم بيت المقدس وبلاد الشام ما وجد من المباني على قبر الخليل وقبور أولاده إسحاق ويعقوب وغيرهما من صالحي أهل بيته، ومما على قبر داود وغيره في بيت المقدس ولم يأمر عمر ولا الصحابة ولا التابعون بهدم ذلك، والمقصود أنه لذلك كله ذهبت طائفة من العلماء إلى جواز البناء على قبور الأنبياء والصالحين والعلماء المشهورين مستندين في ذلك إلى إبقاء حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المحيطة بقبره وقبر صاحبيه وتجديد بنائها في العصور الفاضلة وعدم إنكار الأئمة على ذلك وإلى عدم هدم المسلمين بعد فتح الشام ما على قبور الأنبياء من المباني كما إنه قد بنيت مباني في القرون الأولى على قبور بعض علماء هذه الأمة كما يؤخذ من (وفاء الوفاء)، فتخصيص أحاديث النهي عن البناء باستثناء قبور الأنبياء والصالحين والعلماء بالعمل المتوارث في قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبيه، وفي ترك الأبنية على القبور على حالتها بعد فتح الشام، وعدم هدمها هو أمر له وجه قوي إذ استنباط معنى يعود على حكم العام أو المطلق بالتخصيص أو التقييد إذا قام الدليل على ذلك هو أمر شائع بين العلماء ولا مؤاخذة فيه، علاوة على أن البناء على القبر هو بمثابة تعليمه بعلامة كما روى ابن ماجه وأبو داود أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد علم قبر عثمان بن مظعون بصخرة وقال: أتعلم به قبر أخي، ولا يلزم تعيين هذه العلامة وإنما المراد هو ما يفيد معرفة القبر حيث علل رسول الله صلى الله صلى عليه وسلم وضعها بأنها لمعرفة القبر، ورأي من أجاز البناء على القبور أنه مما تشمله العلامة، إذ لما وقعت حوائط الحجر لم يكتفوا بوضع حجر عند قبر الصديق والفاروق بل أدخلوهما في بنائها ورفعوا البناء وأحكموه حتى يكون علامة باقية، قال التوربشتي: (وقد أباح السلف البناء على قبور المشايخ والعلماء المشهورين ليزورهم الناس وليستروحوا بالجلوس فيه)، وفي حاشية ابن حمدون المالكي على شرح عبارة لمنظومة ابن عاشر: وإذا جاز عند القصار ومن تبعه بناء البيت على مطلق القبور في الأرض المملوكة وفي المباحة إن لم يضر بأحد كان البناء بقصد تعظيم من يعظم شرعاً أجوز)، وقال عبدالقادر الفاسي: (لم يزل الناس يبنون على مقابر

الصالحين وأئمة الإسلام شرقاً وغرباً كما هو معلوم، وفي ذلك تعظيم حرمات الله واجتلاب مصلحة عباد الله وانتفاعهم بزيارة أوليائه، وفي ذلك المحافظة على تعين قبورهم وعدم اندراسها، وما اندرست قبور الأنبياء والأولياء من الأمم المتقدمة إلا من قلة العناية بأمرهم) اهـ، قلت: بل لذلك لم يبقي قبر مقطوع به من قبور الأنبياء إلا قبه صلى الله عليه وآله وسلم، وفي التحفة من باب الوصية (إجازة الوصية بالبناء على قبر نحو عالم في المملوكة وكذلك تسوية قبره) اهـ، وفي النهاية في باب الجنائز الوصية بالتسوية وعمارة قبور الأنبياء والصالحين حتي في المسبلة) اهـ، قلت: والغاية من البناء حفظ قبورهم من الاندثار وأن تعرف فيزورهم الناس تبركاً بهم واستظلال الزائرين بها وتيسير مكثهم للذكر والتلاوة وحفظاً للقبر الذي ثبتت حرمته من دخول الدواب واكلاب ووقوع القاذورات، لا خلاف إذا كان البناء لغرض صحيح شرعي: واعلم أن الخلاف في منع البناء بالكراهة والتحريم والتفريق بين المسبلة والمملوكة ووجوب الهدم أو عدمه محله إذا لم يكن للبناء غرض صحيح شرعي، أما إذا وجد الغرض الشرعي فلا حرمة ولا كراهة ولا هدم يستوي في ذلك المسبلة والمملوكة، كأن دعت حاجة إلى البناء خوف نبش سارق أو سبع أو خرق سيل للقبر، وما كان هذا شأنه لا يجوز هدمه بعد بنائه لأنه قد بني بحق، وعلى العموم من قال بحرمة البناء إلى قبور الصالحين فقد خصصه بالمسبلة وبعدم الحاجة إليه، وعلل الحرمة بعدم التضييق على الناس نتيجة احتكار القبر فلا ينتفع المسلمون بموالاة الدفن فيه وليست العلة أن البناء يصير القبر طاغوتاً وصنماً كما قال الوهابيون " أهـ [السلفية المعاصرة شبهات وردود للشيخ عبد الرحمن المكي الهاشمي]

[المفتاح الخامس]: حكم الصلاة في مسجد به قبر: إذا أردنا الفقه في المسألة فلابد وان نتطفل على مائدة المذاهب الأربعة فهم السادة المتخصصون في الفقه، وقد قال الله تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) } [سورة النحل: الآية: 43]، و [سورة الأنبياء: الآية: 7]، فأهل الذكر في السألة هم أهل التخصص وهم هاهنا الفقهاء، فإلى المدارس الفقهية الأربعة الاحناف والمالكية والشافعية والحنابلة في المسألة، تلك المدارس التي وضع الله تعالى القبول لها بين المسلمين في الفقه على مر عصور الإسلام، وقد قال تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} [النور: 40]، ولا يوجد من الفقهاء من قال انه شرك ولا ذريعة إلى الشرك كما تفعل الوهابية، بل يدور الامر على الاباحة وهو قول المالكية، أو الكراهة والصلاة صحيحة، **وهو مذهب الجمهور الشافعية والاحناف ورواية عند الحنابلة، أو انّ ذلك حرام وهو الرواية الأخرى عند الحنابلة وعليها المذهب، وفي صحة الصلاة عندهم روايتان**

والأصح عدم الصحة، والفتوى عند الحنابلة إنما هو إذا كانت الصلاة في مقبرة مخصصة للمقابر، أما القبر والقبران فلا يمنعون من الصلاة عندها، فأين هذا الفقه ممن قال بأنه شرك وذريعة إلى الشرك، الأمر مختلف تماما، وأنقل هنا مبحث حكم الصلاة في المقبرة وفي مسجد فيه قبر دراسة فقهية مقارنة على المذاهب الفقهية الأربعة للشيخ عبد الفتاح قديش اليافعي حفظه الله تعالى، حيث يقول: (فهذا بحث موجز في حكم الصلاة في مسجد فيه قبر وقد جعلته في مبحثين: (المبحث الأول): حالات الصلاة في مسجد فيه قبر وحكم كل حالة، و (المبحث الثاني): في أدلة أهل العلم في المسألة،

[1] حالات الصلاة في مسجد فيه قبر وحكم كل حالة]: الصلاة بالنسبة للقبور لها ثلاثة أحوال: 1- أن تكون على القبور، 2- أن تكون إلى القبور، 3- أن تكون عند القبور، ولكل من ذلك حالتان: الحالة الأولى: أن توجد في موضع الصلاة نجاسة من صديد الموتى فلا خلاف بين أهل العلم في حرمة الصلاة في ذلك الموضع والصلاة عندئذ باطلة، والحالة الثانية: ألا توجد في الموضع نجاسة وقد اختلف أهل العلم في هذه الحالة على ثلاثة أقوال: (القول الأول): أن ذلك مكروه والصلاة صحيحة وهو مذهب الجمهور وعليه الشافعية وهو رواية عند الحنابلة وعليه الحنفية في حالة الصلاة إلى القبور، وكذا في حالة الصلاة على القبور مالم يكن قبر نبي، و (القول الثاني): أن ذلك جائز وهو مذهب المالكية، وهو أيضا مذهب الحنفية في حالة الصلاة عند القبور، و (القول الثالث): أن ذلك حرام وهو الرواية الأخرى عند الحنابلة وعليها المذهب، وفي صحة الصلاة عندهم روايتان والأصح عدم الصحة، ثم الكلام السابق عند الحنابلة إنما هو إذا كانت الصلاة في مقبرة أما القبر والقبران فلا يمنعون من الصلاة عندها وخالف في ذلك بعضهم كما سيأتي إن شاء الله، والآن إليك بعض أقوال أهل العلم من المذاهب الأربعة في المسألة ضمن الفروع التالية:

[الفرع الأول: من أقوال الحنفية]: - حكم الصلاة في مسجد فيه قبر - في بدائع الصنائع [1: 301]: (وأما المقبرة فقيل: إنما نهى عن ذلك لما فيه من التشبيه باليهود كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فلا تتخذوا قبري بعدي مسجد، وروي أن عمر رضي الله عنه رأى رجلا يصلي بالليل إلى قبر فناداه: القبر القبر، فظن الرجل أنه يقول القمر القمر فجعل ينظر إلى السماء فما زال به حتى تنبه، فعلى هذا تجوز الصلاة وتكره، وقيل: معنى النهي أن المقابر لا تخلو عن النجاسات لأن

الجهال يستترون بما شرف من القبور فيبولون ويتغوطون خلفه، فعلى هذا لا تجوز الصلاة لو كان في موضع يفعلون ذلك لانعدام طهارة المكان) اهـ، وفي البحر الرائق: [5: 217]: (ويكره أن يكون محراب المسجد نحو المقبرة أو الميضأة أو الحمام) اهـ، وفي حاشية ابن عابدين [1: 38]: (قوله: (ومقبرة) مثلث الباء، واختلف في علته: فقيل: لأن فيها عظام الموتى وصديدهم وهو نجس وفيه نظر، وقيل: لأن أصل عبادة الأصنام اتخاذ قبور الصالحين مساجد، وقيل: لأنه تشبه باليهود وعليه مشى في الخانية، ولا بأس بالصلاة فيها [يعني المقبرة] إذا كان فيها موضع أعد للصلاة وليس فيه قبر ولا نجاسة كما في الخانية ولا قبلته إلى قبر حلية) اهـ، وفي حاشية الطحطاوي [2: 351]: (قوله: وفي المقبرة بتثليث الباء لأنه تشبه باليهود والنصارى قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) وسواء كانت فوقه أو خلفه، أو تحت ما هو واقف عليه، ويستثنى مقابر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا تكره الصلاة فيها مطلقا منبوشة أو لا، بعد أن لا يكون القبر في جهة القبلة، لأنهم أحياء في قبورهم ألا ترى أن مرقد إسماعيل عليه السلام في الحجر تحت الميزاب وأن بين الحجر الأسود وزمزم قبر سبعين نبيا ثم إن ذلك المسجد أفضل مكان يتحرى للصلاة بخلاف مقابر غيرهم أفاده في شرح المشكاة، وفي زاد الفقير: وتكره الصلاة في المقبرة إلا أن يكون فيها موضع أعد للصلاة لا نجاسة فيه، ولا قذر فيه اهـ، قال الحلبي: لأن الكراهة معللة بالتشبه وهو منتف حينئذ، وفي القهستاني عن جنائز المضمرات: لا تكره الصلاة إلى جهة القبر إلا إذا كان بين يديه بحيث لو صلى صلاة الخاشعين وقع بصره عليه) اهـ،

[الفرع الثاني من أقوال المالكية]: – حكم الصلاة في مسجد فيه قبر – في المدونة الفقهية [1: 90]: (قلت لابن القاسم: هل كان مالك يوسع أن يصلي الرجل وبين يديه قبر يكون سترة له؟ قال: كان مالك لا يرى بأسا بالصلاة في المقابر وهو إذا صلى في المقبرة كانت القبور أمامه وخلفه وعن يمينه وعن يساره، قال: وقال مالك: لا بأس بالصلاة في المقابر، قال: وبلغني أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يصلون في المقبرة) اهـ، وفي الذخيرة للقرافي [2: 95]: (وثالثها المقبرة: قال في الكتاب: لا بأس بالصلاة إلى القبر وفي المقبرة وبلغني أن أصحاب رسول الله كانوا يفعلون ذلك، قال صاحب الطراز: ومنع ابن حنبل من الصلاة إلى القبر وفي المقبرة، والمقبرة تنقسم إلى مقبرة الكفار والمسلمين وعلى التقديرين فإما أن يتيقن نبشها أو عدمه أو يشك في ذلك فهذه ستة أقسام منع أحمد

والشافعي جميع ذلك، واختلف قول أحمد في صحة الصلاة فمرة حمل النهي على التعبد لا على النجاسة فحكم بالصحة، وفرق ابن حبيب بين قبور المسلمين والمشركين فمنع من قبور المشركين لأنه حفرة من حفر النار وقال: يعيد في العامرة أبدا في العمد والجهل لبقاء نبشها النجس ولا يعيد في الداثرة لذهاب نبشها وبين قبور المسلمين فلم يمنع كانت داثرة أو عامرة، قال صاحب الطراز: ويحمل قوله في الكتاب على أن المقبرة لم تنبش أما المنبوشة التي يخرج منها صديد الأموات وما في أمعائهم فلم يتكلم عليه مالك، حجتنا: أن مسجده عليه السلام كان مقبرة للمشركين فنبشها عليه السلام وجعل مسجده موضعها ولأنه عليه السلام صلى على قبور الشهداء، وهذه المسألة مبنية على تعارض الأصل والغالب فرجح مالك الأصل وغيره الغالب، حجة المخالف: ما في الترمذي نهى عليه السلام أن يصلى في سبعة مواضع في المزبلة والمجزرة والمقبرة وقارعة الطريق ومعاطن الإبل وفي الحمام وفوق ظهر بيت الله عز وجل وقال عليه السلام لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها) اهـ، وفي مواهب الجليل [1: 135]: (ومن صلى وبين يديه جدار مرحاض أو قبر فلا بأس به إذا كان موضعه طاهرا، قال ابن ناجي: ظاهره وإن ظهر على الجدار نجاسة وهو كذلك لأن المعتبر محل قيام المصلي وقعوده وسجوده وموضع كفيه لا أمامه أو يمينه أو شماله انتهى) اهـ، وفي حاشية الدسوقي [1: 188]: (قوله: وجازت بمربض بقر أو غنم ولو على القبر) أي هذا إذا صلى بين القبور بل ولو صلى فوق القبر فإن قلتَ: سيأتي أن القبر حبس لا يمشى عليه ولا ينبش والصلاة تستلزم المشي، قلتُ: يحمل كلامه على ما إذا كان القبر غير مسنم والطريق دونه فإنه يجوز المشي عليه حينئذ، (قوله: منبوشة أو لا) فيه أن المقبرة إذا نبشت صار التراب الذي نزل عليه الدم والقيح من الموتى ظاهرا على وجه الأرض فيكون قد صلى على تراب نجس فكيف يحكم بجواز الصلاة؟ وحاصل الجواب: أنه سيأتي في كلام المصنف تقييد الجواز بالأمن من النجاسة بأن يعتقد أو يظن طهارة المحل الذي يصلي عليه والمقبرة إذا نبشت يمكن أن يعتقد أو يظن طهارة ما صلى عليه وأنه من غير المنبوش أو أن الدم والصديد النازل من الموتى لم يعم التراب، أو يقال إن جواز الصلاة في المقبرة المنبوشة مبني على ما قاله مالك من ترجيح الأصل وهو الطهارة على الغالب وهو النجاسة عند تعارضهما فتأمل، (قوله: خلافا لمن قال بعدم الجواز في مقبرتهم) الذي في المواق ترجيح هذا القول فانظره اهـ.. (قوله: إن أمنت من النجس) أي بأن تحقق أو ظن طهارة الموضع الذي صلى فيه منها.. (قوله: كموضع

منها) أي كأن يصلي في موضع من هذه الأمور الأربعة المقبرة والزبلة والمحجة والمجزرة منقطع عن النجاسة أي بعيد عنها) اهـ،

[الفرع الثالث من أقوال الشافعية]: – حكم الصلاة في مسجد فيه قبر – في الأم [1: 92]: روى حديث (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام) ثم (قال الشافعي): وبهذا نقول ومعقول أنه كما جاء في الحديث ولو لم يبينه لأنه ليس لأحد أن يصلي على أرض نجسة لأن المقبرة مختلطة التراب بلحوم الموتى وصديدهم وما يخرج منهم وذلك ميتة وإن الحمام ما كان مدخولا يجري عليه البول والدم والأنجاس (قال الشافعي) والمقبرة الموضع الذي يقبر فيها العامة وذلك كما وصفت مختلطة التراب بالموتى وأما صحراء لم يقبر فيها قط قبر فيها قوم مات لهم ميت ثم لم يحرك القبر فلو صلى رجل إلي جنب ذلك القبر أو فوقه كرهته له ولم آمره يعيد لأن العلم يحيط بأن التراب طاهر لم يختلط فيه شيء وكذلك لو قبر فيه ميتان أو موتى) اهـ، وقال الإمام البيهقي [2: 435]: (عن أنس قال: قمت يوما أصلى وبين يدي قبر لا أشعر به فنادانى عمر القبر القبر فظننت أنه يعني القمر فقال لي بعض من يليني إنما يعني القبر فتنحيت عنه وروينا عن أبي ظبيان عن بن عباس أنه كره أن يصلى إلى حش أو حمام أو قبر وكل ذلك على وجه الكراهية إذا لم يعلم في الموضع الذي تصيبه ببدنه وثيابه نجاسة لما روينا في هذا الحديث الثابت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعلت لي الأرض طيبه طهورا ومسجدا) اهـ، وقال النووي في المجموع [3: 164]: (حكم المسألة: إن تحقق أن المقبرة منبوشة لم تصح صلاته فيها بلا خلاف إذا لم يبسط تحته شيء، وإن تحقق عدم نبشها صحت بلا خلاف وهي مكروهة كراهة تنزيه، وإن شك في نبشها فقولان: أصحهما تصح الصلاة مع الكراهة، والثاني لا تصح، هكذا ذكر الجمهور الخلاف في المسألة الأخيرة قولين كما ذكره المصنف هنا، ممن ذكرهما قولين الشيخ أبو حامد والقاضي أبو الطيب في تعليقه والمحاملي والشيخ أبو علي البندنيجي وصاحب الشامل وخلائق من العراقيين، ومعظم الخراسانيين ونقلهما جماعة وجهين منهم المصنف في التنبيه وصاحب الحاوي قال في الحاوي: القول بالصحة هو قول ابن أبي هريرة وبالبطلان قول أبي إسحاق والصواب طريقة من قال: قولان، قال صاحب الشامل: قال في الأم: لا تصح، وقال في الإملاء: تصح واتفق الأصحاب على أن الأصح الصحة وبه قطع الجرجاني في التحرير، قال أصحابنا: ويكره أن يصلي إلى القبر هكذا قالوا يكره، ولو قيل: يحرم لحديث أبي مرثد وغيره مما سبق لم يبعد، قال صاحب التتمة: وأما الصلاة عند رأس قبر رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم متوجها إليه فحرام، وقال النووي في المجموع [3: 166] (فرع): في مذاهب العلماء في الصلاة في المقبرة: قد ذكرنا مذهبنا فيها، وأنها ثلاثة أقسام، قال ابن المنذر روينا عن علي وابن عباس وابن عمر وعطاء والنخعي أنهم كرهوا الصلاة في المقبرة ولم يكرها أبو هريرة وواثلة بن الأسقع والحسن البصري وعن مالك روايتان أشهرهما لا يكره ما لم يعلم نجاستها، وقال أحمد: الصلاة فيها حرام، وفي صحتها روايتان وإن تحقق طهارتها، ونقل صاحب الحاوي عن داود أنه قال: تصح الصلاة وإن تحقق نبشها) اهـ، وفي المجموع أيضا [5: 280]: (اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على كراهة بناء مسجد على القبر سواء كان الميت مشهورا بالصلاح أو غيره، لعموم الأحاديث، قال الشافعي والأصحاب: وتكره الصلاة إلى القبور، سواء كان الميت صالحا أو غيره قال الحافظ أبو موسى: قال الإمام أبو الحسن الزعفراني رحمه الله: ولا يصلى إلى قبره، ولا عنده تبركا به وإعظاما له للأحاديث والله أعلم) اهـ، وفي فتح المعين للمليباري [2: 360] في شروط صحة النذر: (وخرج بالقربة المعصية كصوم أيام التشريق وصلاة لا سبب لها في وقت مكروه فلا ينعقدان، وكالمعصية المكروه كالصلاة عند القبر والنذر لأحد أبويه أو أولاده فقط) اه ونحوه في حاشية الشرواني على التحفة 10: 79، وقال الحافظ في الفتح [1: 524]: (قوله: (وما يكره من الصلاة في القبور) يتناول ما إذا وقعت الصلاة على القبر أو إلى القبر أو بين القبرين وفي ذلك حديث رواه مسلم من طريق أبي مرثد الغنوي مرفوعا: (لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها أو عليها) قلت: وليس هو على شرط البخاري فأشار إليه في الترجمة وأورد معه اثر عمر الدال على أن النهي عن ذلك لا يقتضي فساد الصلاة) اهـ، وقال الحافظ أيضا 1: 529: (استنبط من قوله في الحديث ولا تتخذوها قبورا أن القبور ليست بمحل للعبادة فتكون الصلاة فيها مكروهة ... قال بن التين: تأوله البخاري على كراهة الصلاة في المقابر وتأوله جماعة على أنه إنما فيه الندب إلى الصلاة في البيوت إذ الموتى لا يصلون كأنه قال لا تكونوا كالموتى الذين لا يصلون في بيوتهم وهي القبور، قال: فأما جواز الصلاة في المقابر أو المنع منه فليس في الحديث ما يؤخذ منه ذلك) اهـ،

[الفرع الرابع من أقوال الحنابلة]: – حكم الصلاة في مسجد فيه قبر – في المغني لابن قدامة [1: 403]: (اختلفت الرواية عن أحمد رحمه الله في الصلاة في هذه المواضع، فروي أن الصلاة لا تصح فيها بحال، وممن روي عنه أنه كره الصلاة في المقبرة علي وابن عباس وابن عمر وعطاء والنخعي وابن المنذر، وعن أحمد رواية أخرى أن الصلاة في هذه صحيحة

ما لم تكن نجسة، وهو مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي; لقوله عليه السلام (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا) وفي لفظ (فحيثما أدركتك الصلاة فصل، فإنه مسجد)، وفي لفظ (أينما أدركتك الصلاة فصل، فإنه مسجد) متفق عليها ولأنه موضع طاهر فصحت الصلاة فيه كالصحراء، وقال بعض أصحابنا: إن كان المصلي عالما بالنهي في هذه المواضع، لم تصح صلاته فيها ; لأنه عاص بصلاته فيها، والمعصية لا تكون قربة ولا طاعة، وإن لم يكن عالما فهل تصح صلاته؟ على روايتين: إحداهما: لا تصح لأنه صلى فيما لا تصح الصلاة فيه مع العلم، فلا تصح مع الجهل، كالصلاة في محل نجس، والثانية: تصح لأنه معذور) اهـ، وفي المغني لابن قدامة [1: 405]: (فصل: قال القاضي: المنع من هذه المواضع تعبد لا لعلة معقولة، فعلى هذا يتناول النهي كل ما وقع عليه الاسم فلا فرق في المقبرة بين القديمة والحديثة، وما تقلبت أتربتها أو لم تتقلب ; لتناول الاسم لها، فإن كان في الموضع قبر أو قبران لم يمنع من الصلاة فيها لأنها لا يتناولها اسم المقبرة، وإن نقلت القبور منها، جازت الصلاة فيها; لأن مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت فيه قبور المشركين، فنبشت متفق عليه، ويحتمل أن المنع في هذه المواضع معلل بأنها مظان للنجاسات، فإن المقبرة تنبش ويظهر التراب الذي فيه صديد الموتى ودماؤهم ولحومهم، ومعاطن الإبل يبال فيها.. فنهي عن الصلاة فيها لذلك وتعلق الحكم بها وإن كانت طاهرة لأن المظنة يتعلق الحكم بها وإن خفيت الحكمة فيها، ومتى أمكن تعليل الحكم تعين تعليله، وكان أولى من قهر التعبد ومرارة التحكم) اهـ، وفي المغني لابن قدامة [1: 406]: (فصل: ويكره أن يصلي إلى هذه المواضع فإن فعل صحت صلاته نص عليه أحمد في رواية أبي طالب وقد سئل عن الصلاة إلى المقبرة والحمام والحش؟ قال: لا ينبغي أن يكون في القبلة قبر، ولا حش ولا حمام، فإن كان يجزئه، وقال أبو بكر: يتوجه في الإعادة قولان ; أحدهما: يعيد ; لموضع النهي، وبه أقول والثاني: يصح ; لأنه لم يصل في شيء من المواضع المنهي عنها، وقال أبو عبد الله بن حامد: إن صلى إلى المقبرة والحش فحكمه حكم المصلي فيهما إذا لم يكن بينه وبينهما حائل ; لما روى أبو مرثد الغنوي، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا إليها)) [متفق عليه]، وقال الأثرم: ذكر أحمد حديث أبي مرثد، ثم قال: إسناده جيد، وقال أنس: رآني عمر، وأنا أصلي إلى قبر، فجعل يشير إلي: القبر، القبر، قال القاضي: وفي هذا تنبيه على نظائره من المواضع التي نهي عن الصلاة فيها، والصحيح أنه لا بأس بالصلاة إلى شيء من هذه المواضع إلا المقبرة ; لأن قوله عليه الصلاة

والسلام ((جعلت الأرض مسجدا)) يتناول الموضع الذي يصلي فيه من هي في قبلته، وقياس ذلك على الصلاة إلى المقبرة لا يصح لأن النهي إن كان تعبدا غير معقول المعنى امتنع تعديته ودخول القياس فيه، وإن كان لمعنى مختص بها، وهو اتخاذ القبور مسجدا، والتشبه بمن يعظمها ويصلي إليها، فلا يتعداها الحكم ; لعدم وجود المعنى في غيرها.. فعلى هذا لا تصح الصلاة إلى القبور للنهي عنها، ويصح إلى غيرها لبقائها في عموم الإباحة وامتناع قياسها على ما ورد النهي فيه، والله أعلم) اهـ، وفي الفروع لابن مفلح [2: 214]: (ويحرم إسراجها واتخاذ المسجد عليها، وبنيها ذكره بعضهم، وقال شيخنا: يتعين إزالتها لا أعلم فيه خلافا بين العلماء المعروفين قال: ولا تصح الصلاة فيها على ظاهر المذهب للنهي واللعن وليس فيها خلاف لكون المدفون فيها واحدا وإنما اختلف أصحابنا في المقبرة المجردة عن مسجد هل حدها ثلاثة أقبر أو ينهي عن الصلاة عند القبر الفذ على وجهين) اهـ، وفي الإنصاف للمرداوي [1: 493]: (الثانية: إن بنى المسجد بمقبرة: فالصلاة فيه كالصلاة في المقبرة وإن حدثت القبور بعده حوله أو في قبلته، فالصلاة فيه كالصلاة في المقبرة على ما يأتي قريبا، هذا هو الصحيح من المذهب قال في الفروع: ويتوجه تصح يعنى مطلقا، وهو ظاهر كلام جماعة، قلت: وهو الصواب، وقال الآمدي: لا فرق بين المسجد القديم والحديث، وقال في الهدى: لو وضع القبر والمسجد معا لم يجز، ولم يصح الوقف ولا صلاة، وقال ابن عقيل في الفصول: إن بنى فيها مسجد بعد أن انقلبت أرضها بالدفن: لم تجز الصلاة فيه، لأنه بنى في أرض الظاهر نجاستها، كالبقعة النجسة وإن بنى في ساحة طاهرة، وجعلت الساحة مقبرة جازت لأنه في جوار مقبرة) اهـ، وفي الإنصاف للمرداوي [1: 493]: (قوله: (وتصح الصلاة إليها) هذا المذهب مطلقا مع الكراهة، نص عليه في رواية أبي طالب وغيره، وعليه الجمهور، وجزم به في الوجيز، والإفادات، وقدمه في الهداية، والمستوعب، والخلاصة، والتلخيص، والفروع، وابن تميم، والحاويين، والفائق، وإدراك الغاية، وغيرهم، وقيل: لا تصح إليها مطلقا، وقيل: لا تصح الصلاة إلى المقبرة فقط، واختاره المصنف، والمجد وصاحب النظم، والفائق، وقال في الفروع: وهو أظهر، وعنه لا تصح إلى المقبرة والحش، اختاره ابن حامد، والشيخ تقي الدين، وجزم به في المنور، وقيل: لا تصح إلى المقبرة، والحش، والحمام، وعنه لا يصلى إلى قبر أو حش أو حمام أو طريق، قاله ابن تميم، قال أبو بكر: فإن فعل ففي الإعادة قولان، قال القاضي: ويقاس على ذلك سائر موضع النهى إذا صلى إليها إلا الكعبة، (تنبيه): محل الخلاف إذا لم يكن حائل فإن كان بين المصلى وبين ذلك حائل، ولو كمؤخرة الرحل صحت

الصلاة على الصحيح من المذهب، وقدمه في الفروع وغيره، وجزم به في الفائق وغيره، قال في الفروع: وظاهره أنه ليس كسترة صلاة، حتى يكفي الخط، بل كسترة المتخلى، قال: ويتوجه أن مرادهم لا يضر بعدٌ كثير عرفا، كما لا أثر له في مار أمام المصلى، وعنه لا يكفي حائط المسجد، نص عليه، وجزم به المجد، وابن تميم، والناظم، وغيرهم، وقدمه في الرعايتين، والحاويين، وغيرهم، لكراهة السلف الصلاة في مسجد قبلته حش وتأول ابن عقيل النص على سراية النجاسة تحت مقام المصلى، واستحسنه صاحب التلخيص، وعن أحمد نحوه، قال ابن عقيل: يبين صحة تأويلي لو كان الحائل كآخرة الرحل: لم تبطل الصلاة بمرور الكلب، ولو كانت النجاسة في القبلة كهي تحت القدم لبطلت، لأن نجاسة الكلب آكد من نجاسة الخلاء، لغسلها بالتراب قال في الفروع: فيلزمه أن يقول بالخط هنا، ولا وجه له وعدمه يدل على الفرق، (فائدة): لو غيرت مواضع النهى بما يزيل اسمها كجعل الحمام دارا ونبش المقبرة ونحو ذلك: صحت الصلاة فيها، على الصحيح من المذهب، وحكى قولا: لا تصح الصلاة، قلت: وهو بعيد جدا) اهـ، وفي الفتاوي الكبرى لابن تيمية [5: 326]: (ولا تصح الصلاة في المقبرة ولا إليها، والنهي عن ذلك إنما هو سد لذريعة الشرك، وذكر طائفة من أصحابنا أن القبر والقبرين لا يمنع من الصلاة، لأنه لا يتناول اسم المقبرة، وإنما المقبرة ثلاثة قبور فصاعدا، وليس في كلام أحمد وعامة أصحابه هذا الفرق، بل عموم كلامهم وتعليلهم واستدلالهم يوجب منع الصلاة عند قبر واحد من القبور، وهو الصواب، والمقبرة كل ما قبر فيه، لا أنه جمع قبر، وقال أصحابنا: وكل ما دخل في اسم المقبرة مما حول القبور لا يصلى فيه، فهذا يعين أن المنع يكون متناولاً لحرمة القبر المنفرد وفنائه المضاف إليه، وذكر الآمدي وغيره أنه لا تجوز الصلاة فيه، أي المسجد الذي قبلته إلى القبر، حتى يكون بين الحائط وبين المقبرة حائل آخر) اهـ، وفي شرح العمدة لابن تيمية [4: 438]: (وعن ابن عمر و ابن عباس كراهة الصلاة في المقبرة وهذا أولى أن يكون صحيحا مما ذكره الخطابي عن ابن عمر أنه رخص في الصلاة في المقابر فلعل ذلك إن صح أراد به صلاة الجنازة وعن علي رضي الله عنه مرفوعا وموقوفا قال من شرار الناس من يتخذ القبور مساجد رواه عبد الرزاق.. وعن عبد الله بن عمرو قال: تكره الصلاة إلى حش وفي حمام وفي مقبرة، وقال إبراهيم: كانوا لا يصلون التطوع فإذا كانوا في جنازة فان حضرت صلاة مكتوبة تنحوا عن القبور فصلوا رواهما سعيد.. وهذه مقالات انتشرت ولم يعرف لها مخالف إلا ما روى عن يزيد ابن أبي مالك قال كان واثلة بن الأسقع يصلي بنا صلاة الفريضة في المقبرة غير أنه لا يستتر بقبر

رواه سعيد وهذا محمول على أنه تنحى عنها بعض التنحي ولذلك قال: لا يستتر بقبر أو لم يبلغه نهي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الصلاة فيها فلما سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينهى عن الصلاة إليها تنحى عنها لأنه هو راوي هذا الحديث ولم يبلغه النهي عن الصلاة فيها عمل بما بلغه دون ما يبلغه، وأما الأحاديث المشهورة في جعل الأرض مسجدا فهي عامة وهذه الأحاديث خاصة وهي تفسر تلك الأحاديث وتبين أن هذه الأمكنة لم تقصد بذلك القول العام) اهـ، وفي شرح العمدة أيضا [4: 479]: (وأما الصلاة إلى هذه المواضع فقد نص احمد في مواضع على كراهة الصلاة إلى المقبرة والحش والحمام قال في رواية الاثرم: إذا كان المسجد بين القبور لا تصلى فيه الفريضة وإن كان بينها وبين المسجد حاجز فرخص أن يصلى فيه على الجنائز ولا يصلى فيه على غير الجنائز وذكر حديث أبي مرثد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا تصلوا إلى القبور وقال إسناده جيد، وقال في رواية الميموني وقد سئل عن الصلاة إلى المقابر والحش فكرهه، وقال في رواية أبي طالب وقد سئل عن الصلاة في المقبرة والحمام والحش وكرهه وقال: لا يعجبني أن يكون في القبلة قبر ولا حش ولا حمام وإن كان يجزيه ولكن لا ينبغي، قال أبو بكر في الشافي: يتوجه من الإعادة قولان: أحدهما لا يعيد بل يكره وهذا هو المنصوص في رواية أبي طالب وهو اختيار القاضي، والثاني: يعيد لموضع النهي قال أبو بكر: وبه أقول، قال ابن عقيل: نص احمد على حش في قبلة مسجد لا تصح الصلاة فيه وكذلك قال ابن حامد: لا تصح الصلاة في المقبرة والحش ولم يذكر الحمام، وقال كثير من أصحابنا منهم الآمدي: لا تجوز الصلاة إلى القبر وصرح جماعة منهم بان التحريم والابطال مختص بالقبر، وذهبت طائفة من أصحابنا إلى جواز الصلاة إلى هذه المواضع مطلقا من غير كراهة وهو قول ضعيف جدا لا يليق بالمذهب، ومنهم من لم يكره ذلك إلا في القبر خاصة،، فأما المقبرة إذا كانت قدام حائط المسجد فقال الآمدي و غيره: لا تجوز الصلاة إلى المسجد الذي قبلته إلى المقبرة حتى يكون بين حائطه وبين المقبرة حائل آخر وذكر بعضهم أن هذا منصوص احمد لقوله المتقدم في رواية الاثرم، وقال القاضي: إذا لم يكن يعني المصلي في ارض المقبرة بل كانت المقبرة أمامه فقال شيخنا: إن كان بينه وبينها حاجز جازت الصلاة لأنه ليس يصلي فيها ولا إليها وإن لم يكن بينه وبينها حاجز لم تجز الصلاة كما لو كان في أرضها فان كان بينه وبين هذه الأشياء عدة اذرع لم تكره الصلاة على ما نص عليه في رواية المروذي) اهـ

[2] أدلة الجمهور: – على أن حكم الصلاة في مسجد فيه قبر أنها مكروهة والصلاة صحيحة– أدلة الجمهور هي: **1– حديث جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا:** وهو الصحيحين عن جابر رضي الله عنه وله شواهد كثيرة قالوا: فهو عام وقد جاء على سبيل الامتنان فلا يصح تخصيصه، وقالوا إن النهي عن الصلاة في المقبرة الوارد في بعض الأحاديث – إن صحت – فهو للكراهة لا التحريم بدليل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى على كثير من الأموات على قبورهم وكذا صلى عند قبر أمه ركعتين كما في صحيح ابن حبان 12: 212 حيث قال: (أخبرنا الحسين بن محمد بن أبي معشر قال حدثنا عبد الرحمن بن عمرو البجلي قال حدثنا زهير بن معاوية عن زبيد الإيامي عن محارب بن دثار عن بن بريدة عن أبيه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فنزل بنا ونحن قريب من ألف راكب فصلى بنا ركعتين ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان فقام إليه عمر ففداه بالأب والأم وقال: مالك يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إني استأذنت في الاستغفار لأمي فلم يأذن لي فدمعت عيني رحمة لها من النار) اه ورواه أحمد 5: 355 والبيهقي 4: 76 قال الالباني في الإرواء: 3: 224: وإسناده صحيح على شرط مسلم) اهـ، وقال ابن حبان 3: 261: (أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع قال حدثنا أحمد بن عيسى المصري قال حدثنا بن وهب قال حدثنا بن جريج عن أيوب بن هانئ عن مسروق بن الأجدع عن بن مسعود: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج يوما فخرجنا معه حتى انتهينا إلى المقابر فأمرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فجلس إليه فناجاه طويلا ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باكيا فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أقبل علينا فتلقاه عمر رضوان الله عليه وقال: ما الذي أبكاك يا رسول الله؟ فقد أبكيتنا وأفزعتنا فأخذ بيد عمر ثم أقبل علينا فقال: أفزعكم بكائي؟ قلنا: نعم فقال: إن القبر الذي رأيتموني أناجي قبر آمنة بنت وهب وإني سألت ربي الاستغفار لها فلم يأذن لي فنزل علي (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) فأخذني ما يأخذ الولد للوالد من الرقة فذلك الذي أبكاني ألا وإني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وترغب في الآخرة) اهـ، كما حكى صلى الله عليه وآله وسلم صلاة بعض الناس عند القبور مستحسنا ففي منتخب عبد بن حميد 1: 349: (حدثني بن أبي شيبة ثنا وكيع عن الربيع بن سعد عن بن سابط عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحدثوا عن بني إسرائيل فإنه كانت فيهم الأعاجيب، ثم أنشأ يحدث قال: خرجت طائفة منهم فأتوا مقبرة من مقابرهم

فقالوا لو صلينا ركعتين فدعونا الله عز وجل يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت، قال ففعلوا فبينا هم كذلك إذ طلع رجل رأسه من قبر بن عينيه أثر السجود فقال يا هؤلاء ما أردتم إلي فوالله لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عني حرارة الموت حتى كان الآن فادعوا الله أن يعيدني كما كنت) اه وذكره الديلمي في فردوسه 2: 193، 2- أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصلون عند القبور: كما ورد عن فاطمة رضي الله عنها ففي المستدرك 3: 30: (عن جعفر بن محمد عن أبيه أن أباه علي بن الحسين حدثه عن أبيه: أن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة بن عبد المطلب في الأيام فتصلي وتبكي عنده) اهـ، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، لكن قال الذهبي في التلخيص: سليمان بن داود مدني تكلم فيه، وفي موارد الضمآن 1: 485: (أخبرنا أبو يعلى حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي قال سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله قال: رأيت أسامة بن زيد يصلي عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخرج مروان بن الحكم فقال تصلي إلى قبره فقال إني أحبه، فقال له قولا قبيحا، ثم أدبر فانصرف أسامة بن زيد فقال له: يا مروان إنك آذيتني وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن الله يبغض الفاحش المتفحش وإنك فاحش متفحش) اهـ وقال المحقق اسناده صحيح، ورواه المقدسي في الأحاديث المختارة 4: 105: (أخبرنا عبد الله بن محمد اللفتواني بأصبهان أن الحسن بن عبد الملك الأديب أخبرهم قراءة عليه أنا عبد الرحمن بن أحمد المقرئ أنا جعفر بن عبد الله أنا محمد بن هارون نا محمد بن بشار وابن المثنى قالا نا وهب بن جرير نا أبي قال سمعت مع محمد بن إسحاق يحدث عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله قال رأيت أسامة بن زيد مضطجعا على باب حجرة عائشة رافعا عقيرته يتغنى ورأيته يصلي عند قبر النبي..) اهـ وقال المحقق: اسناده حسن، وفي تاريخ الطبري 5: 583: (قال أبو مخنف: حدثنا الأعمش، قال: حدثنا سلمة بن كهيل، عن أبي صادق، قال: لما انتهى سليمان بن صرد وأصحابه إلى قبر الحسين نادوا صيحة واحدة: يا رب إنا قد خذلنا ابن بنت نبينا، فاغفر لنا ما مضى منا، وتب علينا أنت التواب الرحيم، وارحم حسينا وأصحابه الشهداء الصديقين، وإنا نشهدك يا رب أنا على مثل ما قتلوا عليه، فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، قال: فأقاموا عنده يوما وليلة يصلون عليه ويبكون ويتضرعون، فما أنفك الناس من يومهم ذلك يترحمون عليه وعلى أصحابه، حتى صلوا الغداة من الغد عند قبره، وزادهم حنقا، ثم ركبوا، فأمر سليمان الناس

بالمسير، فجعل الرجل لا يمضي حتى يأتي قبر الحسين فيقوم عليه، فيترحم عليه، ويستغفر له قال: فو الله لرأيهم ازدحموا على قبره أكثر من ازدحام الناس على الحجر) اهـ، وفي صحيح البخاري 1: 165: (باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وما يكره من الصلاة في القبور ورأى عمر أنس بن مالك يصلي عند قبر فقال القبر القبر ولم يأمره بالإعادة) اهـ، قال الحافظ في الفتح: 1: 524: (وقوله ولم يأمره بالإعادة استنبطه من تمادي أنس على الصلاة ولو كان ذلك يقتضي فسادها لقطعها واستأنف) اهـ، وقال في الفتح أيضا 1: 533: (وإيراده له هنا يحتمل أن يكون أراد أن الكراهة في الأبواب المتقدمة ليست للتحريم لعموم قوله: جعلت لي الأرض مسجدا أي كل جزء منها يصلح أن يكون مكانا للسجود أو يصلح أن يبني فيه مكان للصلاة، ويحتمل أن يكون أراد أن الكراهة فيها للتحريم وعموم حديث جابر مخصوص بها والأول أولى لأن الحديث سيق في مقام الامتنان فلا ينبغي تخصيصه، ولا يرد عليه أن الصلاة في الأرض المتنجسة لا تصح لأن التنجس وصف طارئ والاعتبار بما قبل ذلك) اهـ، والصحابة رضوان الله عليهم هم أدرى بمراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الشيخ عليش في فتح العلي المالك 1: 52: (نقل صاحب المدخل عن ابن بطال: أن العلماء قالوا: الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم يحتاج فيها إلى معرفة تلقي الصحابة كيف تلقوها من صاحب الشريعة صلى الله عليه و سلم فإنهم أعرف بالمقال وأقعد بالحال) اهـ، <u>3- أن السلف كان يحصل ذلك منهم بلا نكير</u>: ففي الروح لابن القيم ص 11: (قال يزيد بن هارون: أخبرنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، أن ابن ساس خرج في جنازة في يوم وعليه ثياب خفاف، فانتهى إلى قبر، قال فصليت ركعتين ثم اتكأت عليه، فوالله إن قلبي ليقظان إذ سمعت صوتا من القبر: إليك عني لا تؤذني فإنكم قوم تعملون ولا تعلمون ونحن قوم نعلم ولا نعمل، ولأن يكون لي مثل ركعتيك أحب إلي من كذا وكذا، فهذا قد علم باتكاء الرجل على القبر وبصلاته، وقال ابن أبي الدنيا: حدثني الحسين بن علي العجلي، حدثنا محمد بن الصلت، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ثابت بن سليم، حدثنا أبو قلابة قال: أقبلت من الشام إلى البصرة، فنزلت منزلا، فتطهرت، وصليت ركعتين بليل، ثم وضعت رأسي على قبر، فنمت، ثم انتبهت فإذا صاحب القبر يشتكيني يقول: قد آذيتني منذ الليلة، ثم قال: إنكم تعملون ولا تعلمون، ونحن نعلم ولا نقدر على العمل، ثم قال: الركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها، ثم قال: جزى الله أهل الدنيا خيرا، أقرئهم منا السلام، فإنه يدخل

علينا من دعائهم نور أمثال الجبال) اهـ، وفي شعب البيهقي 7: 19: (أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو أنا أبو عبد الله الصفار نا أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني الحسين بن علي العجلي نا عبد الله بن نمير نا مالك بن مغول عن ابن منصور عن زيد بن وهب قال:: خرجت إلى الجبانة فجلست فيها فإذا رجل قد جاء إلى قبر فسواه ثم تحول إلى مجلس فقلت له ما هذا القبر؟ قال: أخ لي مات، فقلت: أخ لك؟ فقال: أخ لي في الله رأيته فيما يرى النائم فقلت فلان عشت الحمد لله رب العالمين قال: قد قلتها لأن أقدر على أن أقولها أحب إلي من الدنيا وما فيها ثم قال: ألم تر حيث كانوا يدفنوني فإن فلانا قام فصلى ركعتين لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إلي من الدنيا وما فيها) اه وهو في حلية الأولياء 4: 171، وفي شعب البيهقي أيضا 7: 298: (أخبرنا أبو سعيد بن عمرو أنا أبو عبد الله الصفار نا أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني أبو بكر التيمي نا عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني حميد الطويل عن مطرف بن عبد الله الجرشي قال: شهدت جنازة ثم اعتزلت من ناحية قريبا من قبر فركعت ركعتين خففتهما لم أرض إنفاقهما قال: فنعست فرأيت صاحب القبر يكلمني فقال: ركعت ركعتين لم ترض إنفاقهما، فقلت: قد كان ذلك، قال: تعلمون ولا تعلمون ولا تستطيع أن تعمل لأن أكون ركعت مثل ركعتيك أحب إلي من الدنيا بحذافيرها، فقلت: من هاهنا؟ فقال: كلهم مسلم وكلهم قد أصاب خيرا، فقلت: من هاهنا أفضل؟ فأشار إلى القبر فقلت في نفسي: اللهم ربنا أخرجه إلي فأكلمه قال: فخرج من قبره فتى شاب، فقلت: أنت أفضل من هاهنا؟ قال: قد قالوا ذلك، قلت: فبأي شيء نلت ذلك فوالله ما أرى لك تلك السن فأقول نلت ذلك بطول الحج والعمرة والجهاد في سبيل الله عز وجل والعمل، قال: ابتليت بالمصائب فرزقت الصبر عليها فبذلك فضلتهم) اهـ، وهو في تاريخ ابن عساكر 58: 330،

[3] [أدلة المالكية]: – على انّ حكم الصلاة في مسجد به قبر صحيحة والامر جائز لا حرمة فيه ولا كراهة – وأما أدلة المالكية فهي: **1 – حديث (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا):** وضعفوا الأحاديث التي تمنع من ذلك أو قالوا هي منسوخة قال ابن عبد البر في التمهيد 1: 168 عن حديث جعلت لي الأرض: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اولئك قوم اذا مات الرجل الصالح عندهم بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور فأولئك شرار الخلق عند الله، قال أبو عمر: هذا يحرم على المسلمين ان يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء والصالحين مساجد وقد احتج من لم ير الصلاة في المقبرة ولم يجزها بهذا الحديث وبقوله: ان شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

صلوا في بيوتكم ولا تجعلها قبورا وهذا الاثار قد عارضها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: جعلت لي الارض مسجدا وطهورا، وتلك فضيلة خص بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يجوز عند أهل العلم في فضائله النسخ ولا الخصوص ولا الاستثناء وذلك في غير فضائله، إذا كان أمرا أو نهيا، أو في معنى الأمر والنهي، وبهذا يستبين أن الناسخ منها هو قوله صلى الله عليه و سلم جعلت لي الأرض مسجدا طهورا) اهـ، وقال في التمهيد 5: 221 عن حديث إلا المقبرة والحمام: (فلو صح لكان معناه أن يكون متقدما لقوله: جعلت لي الأرض كلها مسجدا طهورا ويكون هذا القول متأخرا عنه، فيكون زيادة فيما فضله الله به صلى الله عليه وآله وسلم) اهـ، ومما يقوي القول بالنسخ أن حديث جعلت لي الأرض.. كان في غزوة تبوك ففي فتح الباري 1: 436: (قوله: (أعطيت خمسا،،) بين في رواية عمرو بن شعيب أن ذلك كان في غزوة تبوك وهي آخر غزوات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) اهـ، 2- أن موضع مسجد النبي صلى الله عليه وآله سلم كان مقبرة للمشركين فنبشها وبنى المسجد عليها،

[3] [أدلة الحنابلة]: - على أنّ حكم الصلاة في مسجد فيه قبر أن ذلك حرام وهو الرواية الأخرى عند الحنابلة وعليها المذهب، وفي صحة الصلاة عندهم روايتان والأصح عدم الصحة - أدلة الحنابلة هي: 1 - حديث إلا المقبرة والحمام: ففي سنن الترمذي 2: 131: (عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام)، لكن هذا الحديث فيه كلام قال أبو عيسى الترمذي بعد روايته: (وفي الباب عن علي وعبد الله بن عمرو وأبي هريرة وجابر وبن عباس وحذيفة وأنس وأبي أمامة وأبي ذر قالوا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا قال أبو عيسى: حديث أبي سعيد قد روي عن عبد العزيز بن محمد روايتين منهم من ذكره عن أبي سعيد ومنهم من لم يذكره وهذا حديث فيه اضطراب) اهـ، وفي سنن الدارمي 1: 375: (عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام، قيل لأبي محمد [الدارمي]: تجزئ الصلاة في المقبرة؟ قال: إذا لم تكن على القبر فنعم وقال: الحديث كلهم أرسلوه) اهـ، وقد ذكر الحافظ في التلخيص 1: 277 طائفة ممن تكلموا في الحديث وهم: الدارقطني في العلل فقال: المرسل المحفوظ، وقال الشافعي: وجدته عندي عن بن عيينة موصولا ومرسلا، ورجح البيهقي المرسل أيضا، وقال النووي في

الخلاصة: هو ضعيف، وأفحش بن دحية فقال في كتاب التنوير له: هذا لا يصح من طريق من الطرق، وقال ابن عبد البر في التمهيد 5: 220: وفي إسناد هذا الخبر من الضعف ما يمنع الاحتجاج به، 2- حديث نهى عن الصلاة في سبعة مواطن: عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن يصلي في سبعة مواطن في المزبلة والمجزرة والمقبرة وقارعة الطريق وفي الحمام وفي معاطن الإبل وفوق ظهر بيت الله) رواه الترمذي 2: 177 وابن ماجه 1: 246، وقال الترمذي بعد إخراجه: حديث ابن عمر ليس بذلك القوي، وقد تكلم في زيد بن جبيرة من قبل حفظه، وقال الزيلعي في نصب الراية 2: 323: اتفق الناس على ضعفه، وقال ابن عبد البر في التمهيد 5: 226: (الحديث منكر، لا يجوز أن يحتج عند أهل العلم بمثله) اهـ، 3- حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (نهاني حبّي صلى الله عليه و سلم أن أصلي في المقبرة، ونهاني أن أصلي في أرض بابل فإنها ملعونة) رواه أبو داود 1: 132 والبيهقي 2: 451، قال ابن عبد البر: هذا إسناد ضعيف مجمع على ضعفه، وهو مع هذا منقطع غير متصل بعلي رضي الله عنه، وقال العيني: قال ابن القطان: هو حديث واه وقال البيهقي في المعرفة: إسناده غير قوي، وقال الخطابي رحمه الله: في إسناد هذا الحديث مقال.. وقد عارضه ما هو أصح منه، وهو قوله صلى الله عليه و سلم: (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا) اه انظر عون المعبود 1: 183، 4- أحاديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد فمنها: عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: في مرضه الذي مات فيه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مسجدا قالت ولولا ذلك لأبرزوا قبره غير أني أخشى أن يتخذ مساجد) رواه البخاري 1: 446 ومسلم 1: 376، 5- حديث ولا تصلوا إليها: فعن أبي مرثد الغنوي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها) رواه مسلم 2: 668، 6- حديث لا تجعلوا بويتكم قبورا: فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا على فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) رواه أبو داود 2: 218، هذا هو آخر المطاف والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين] أهـ [انتهى من مبحث: حكم الصلاة في المقبرة وفي مسجد فيه قبر دراسة فقهية مقارنة على المذاهب الفقهية الأربعة للشيخ عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي]،

[خاتمة المبحث]: ليس المقصد من المبحث الترجيح بين من رأى جواز الصلاة دونما كراهة في المساجد التي بها قبور بعض الصالحين كالمالكية، أو الكراهة كالشافعية والأحناف ورواية عن الحنابلة أو التحريم كرواية أخرى عند الحنابلة، وإنما المقصد هو اثبات أنّ هذا المبحث يتعلق بعلم الفقه والاختلاف في الفروع لا علم العقيدة والتوحيد، وقد ذكرت في مقدمة المبحث أن المعنى المقصود من اتخاذ القبور مساجد له ثلاث احتمالات (الأول): الصلاة على القبور بمعنى السجود عليها، و (الثاني): السجود إليها واستقبالها بالصلاة والدعاء، و (الثالث): بناء المساجد عليها وقصد الصلاة فيها، وأنّه ها هنا يأتي دور الفقيه لتحديد المعنى المقصود من النهي في الأحاديث، والفقهاء على أنّ (علة النهي): في الاحاديث الواردة في الباب هي: (اتخذوا قُبُورَ أنبيائِهِمْ مَسَاجِد)، وانه لا شك بأن المعنى الأول والمعنى الثاني داخل في النهي، فلا يجوز اتخاذها مساجد بمعنى السجود عليها أو استقبالها والسجود إليها، فكلا الامرين داخل في النهي، أما (المعنى الثالث): بناء المساجد عليها وقصد الصلاة فيها فليس هو المقصود من النهي، ولو نظرنا إلى كتاب الله وسنة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وإلى عمل المسلمين على مر العصور وجدنا أن النهي لا يدخل فيه المعنى الثالث أبدا، فمما جاء في كتاب الله تعالى مما يُخالف المعنى الثالث، قوله تعالى في قصة أصحاب الكهف: {وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا} [الكهف: 21]، قال الفقهاء فقد ذكر الله تعالى عنهم بناء المسجد على قبورهم، ولم يعقب القرآن الكريم على فعلهم ولو كان شركا كما يظن البعض لما سكت عنه القرآن، ولو كان كبيرة لنوه إلى ذلك القرآن الكريم لأنّه بالأساس كتاب تشريع وهدى وبيان ولم يأت لغرض الإخبار فقط عن حالهم، وهذا أمر يتنزه القرآن عنه أن يسرد واقعة فيها شرك أو كبيرة من الكبائر ثم لا يُشير إليها ولا يعقب عليها، ولو نظرنا إلى قبر النبي صلى الله عليه و سلم في مسجده الشريف ولو كان ذلك لا يجوز لما دفنوه صلى الله عليه و سلم في مسجده، وكذلك صلاة النبي صلى الله عليه و سلم في مسجد الخيف مع أن فيه قبر سبعين نبيا كما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم، وأيضا ما ذكر في بعض الآثار أن قبر إسماعيل عليه السلام في الحجر من المسجد الحرام وهو أفضل مسجد يتحرى المصلى فيه، وعلى مر عصور الإسلام كان المسلمون إذا مات العالم أو الصالح دفنوه في المسجد، ولهذا فإنّ أقصى ما وصل إليه الفقهاء في المسألة (بناء المساجد عليها وقصد الصلاة فيها): هو كراهة بناء المساجد على

المقابر، عدا المذهب المالكي فإنّه لا يرى الكراهة ولكن يرى الجواز بلا كراهة، ورواية عن الإمام أحمد بحرمة ذلك، وهذه المسألة إذا بُني المسجد على القبر، ولكن إن دُفن الصالح في المسجد فلم يقل أحد من الفقهاء المعتبرين ببطلان الصلاة في تلك المساجد، والأمر كما ترى خلاف فقهي في مسائل لا تبلغ حد التحريم، فمن الخلل الجسيم ادراجها ضمن مباحث التوحيد، ومما يهون الخلاف في المسألة أنّه على مر عصور الإسلام كان المسلمون إذا مات العالم أو الصالح دفنوه في المسجد، ولذلك فإنّ أقصى ما وصل إليه الفقهاء في المسألة هو كراهة بناء المساجد على المقابر، عدا المذهب المالكي فإنّه لا يرى الكراهة ولكن يرى الجواز بلا كراهة، وهناك رواية عن الإمام أحمد بحرمة ذلك، وهذه المسألة إذا بُني المسجد على القبر، ولكن إن دُفن الصالح في المسجد فلم يقل أحد من الفقهاء المعتبرين ببطلان الصلاة في تلك المساجد، والأمر كما ترى خلاف فقهي في مسائل لا تبلغ حد التحريم، فمن الخلل الجسيم ادراجها ضمن مباحث التوحيد،

***

المبحث الخامس

مفاتيح تحقيق القول في الزيارة وشد الرحال

[المفتاح الأول]: بيان حرص المسلمين على زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بألف صلاة، ومع ذلك نجد سواد المسلمين الاعظم، وعلى مر عصور

الإسلام، يتوجهون إلى المدينة المنورة وقد تركوا ثواب صلاة بمائة ألف صلاة في مكة المكرمة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله))، وشدوا رحالهم إلى المدينة المنورة، والتي الصلاة بها بألف صلاة، وما ذاك إلا لزيارة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه أجرها على الله الكريم الوهاب، لأنها دليل على تعلق المسلم بحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد جاء في الحديث: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)) [متفق عليه]،

[المفتاح الثاني]: بيان فضل البقعة الشريفة التي حوت ذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الخلق أجمعين، قال الإمام النووي رحمه الله في حديث مسلم ((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ)) قال رحمه الله: (وهذا الحديث دليل لتفضيله صلى الله عليه وآله وسلم على الخلق كلهم، لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين – يعني المؤمنين منهم – أفضل من الملائكة، وهو صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الآدميين وغيرهم) أهـ [شرح النووي على صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الخلائق]، وبذلك شرفت البقعة الطاهرة (القبر) الذي به جسده الطاهر، وقد نقل القاضي عياض رحمه الله تعالى إجماع الجمهور أن البقعة التي دفن فيها المصطفى أفضل بقاع الأرض، قال القاضي عياض (2: 91الشفا) (ولا خلاف أن موضع قبره أفضل البقاع)، وقال الشيخ الخفَّاجي (قال القاضي عياض اليحصبي في كتابه الشفا: ولا خلاف أن موضع قبره صلى الله عليه وآله وسلم أفضل بقاع الأرض، بل أفضل من السموات والعرش والكعبة كما نقله السبكي رحمة الله)، اهـ [نسيم الرياض ج 3 ص 531]، وقال الإمام النفراوي في الفواكه الدواني (4: 37) (قال ابن عبد السلام: والتفضيل مبني على كثرة الثواب المترتب على العمل فيهما، والخلاف المذكور بين الأئمة في غير قبر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لقيام الإجماع على أفضليته على سائر بقاع الأرض والسموات وعلى الكعبة وعلى العرش كما نقله السبكي لضمه أجزاء المصطفى الذي هو أفضل الخلق على الإطلاق، ولعل معنى فضل القبر على غيره أنه أعظم حرمة من غيره، لا لما قاله ابن عبد السلام في تفضيل المساجد على بعضها فافهم)، أهـ، وقال المناوي في شرحه المسمَّى فيض القدير (والخلاف فيما عدا الكعبة فهي أفضل من المدينة اتفاقا خلا البقعة التي ضمت أعضاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهي أفضل

حتى من الكعبة كما حكى عياض الإجماع عليه) اهـ [فيض القدير ج 6 ص 343]، وقال الإمام الحصفكي الحنفي في الدر المختار، وهذا الكتاب من أشهر كتب الحنفية يقول صاحبه (لا حرم للمدينة عندنا ومكة أفضل منها على الراجح إلا ما ضم أعضاءه عليه الصلاة والسلام فإنه أفضل مطلقا حتى من الكعبة والعرش والكرسي، وزيارة قبره مندوبة، بل قيل واجبة لمن له سعة) [الدر المختار ج 2 ص 689]، وقال الشيخ محمد بن أحمد عليش المالكي في شرحه على مختصر الخليل (ومحل الخلاف في غير الموضع الذي ضمه صلى الله عليه وآله وسلم فإنه أفضل من الكعبة والسماء والعرش والكرسي واللوح والقلم والبيت المعمور) [منح الجليل شرح مختصر الخليل ج5 ص 481]، وقال الإمام السخاوي في التحفة اللطيفة: (مع الإجماع على أفضلية البقعة التي ضمته صلى الله عليه وآله وسلم، حتى على الكعبة المفضلة على أصل المدينة، بل على العرش، فيما صرح به ابن عقيل من الحنابلة، ولا شك أن مواضع الأنبياء وأرواحهم أشرف مما سواها من الأرض والسماء، والقبر الشريف أفضلها، لما تتنزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة، التي لا يعملها إلا مانحها، ولساكنه عند الله من المحبة والاصطفاء ما تقصر العقول عن إدراكه) اهـ [التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة السخاوي الصفحة 12]، وقال ملا علي القاري الحنفي في المسلك المتقسط في المنسك المتوسط (قال الجمهور: فما ضمّ أعضاءه الشريفة فهو أفضل بقاع الأرض بالإجماع حتى من الكعبة ومن العرش) أهـ [المسلك المتقسط في المنسك المتوسط ص351 – ص352]، وقال الإمام البهوتي: (الكعبة أفضل من مجرد الحجرة فأما والنبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها فلا والله ولا العرش وحملته والجنة، لأن بالحجرة جسدا لو وزن به لرجح) [منتهى الإرادات: 2: 525]، وقال الإمام ابن عابدين الحَنَفِي في رد المحتار علي الدر المختار: (الكعبة أفضل من المدينة ما عدا الضريح الأقدس وكذا الضريح أفضل من المسجد الحرام، وقد نقل القاضي عياض وغيره الإجماع على تفضيله حتى على الكعبة، وأن الخلاف فيما عداه، ونقل عن ابن عقيل الحنبلي أن تلك البقعة أفضل من العرش، وقد وافقه السادة البكريون على ذلك، وقد صرح التاج الفاكهي بتفضيل الأرض على السموات لحلوله صلى الله عليه وآله وسلم بها، وحكاه بعضهم على الأكثرين لخلق الأنبياء منها ودفنهم فيها وقال النووي: الجمهور على تفضيل السماء على الأرض، فينبغي أن يستثنى منها مواضع ضم أعضاء الأنبياء للجمع بين أقوال العلماء) اهـ [ج 2 ص 688]، وقال الإمام ابن حجر الهيتمي في تحفة المحتاج (5: 167) (إلا التربة التي ضمت أعضاءه الكريمة صلى الله عليه وآله وسلم فهي أفضل إجماعا

حتى من العرش) اهـ، وفي حاشية البجيرمي على الخطيب (1: 122) [قال الرملي في شرحه: التربة التي ضمت أعضاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من جميع ما مر حتى من العرش] أهـ، فيستفاد من أقوال العلماء السابقة أن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الخلق كلهم، وبذلك شرفت البقعة الطاهرة التي بها جسده الطاهر و التربة التي ضمت أعضاءه،

[المفتاح الثالث]: بيان أنه لا علاقة لحديث شد الرحال بزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم):

حديث ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى)) [متفق عليه] حديث صحيح كثر اللغط حوله بسبب سوء الفهم في المقصود من النهي، وما هو المعنى الصحيح المراد منه، أما المعنى المقصود منه فهو بتقدير محذوف معناه: لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه بسبب فضلها فيه على غيره من المساجد إلا إلى ثلاثة مساجد فقد فضل الله تعالى الصلاة فيها على سائر المساجد، وهي المذكورة في الحديث المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف والمسجد الأقصى، أما سوء الفهم في بيان المراد من الحديث هو ظن التيميون والوهابيون أن المراد من الحديث هو النهي عن زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، بحجة أنه شد للرحال لذلك، ولا علاقة بين الحديث وبين زيارة القبر الشريف، إذ النهي متعلق بالمساجد فقط، ومتعلق بالصلاة فيها بسبب أفضلية الصلاة فيها، وإلا فشد الرحال إلى مساجد يتواجد فيها علماء لأجل طلب العلم، لا شيء فيها، بل جميع اهل العلم على مر عصور الإسلام، ما جمعوا العلم الشريف إلا بشد الرحال إلى المساجد لتلقي العلم من علمائها حيث لم توجد جامعات ولا مدارس يطلبون فيها العلم سوى المساجد، كما أن شد الرحال للتجارة جائز كما قال تعالى: {وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} [المزمل: 20]، وشد الرحال للسفر والاستمتاع جائز، وشد الرحال لزيارة الإخوان في الله تعالى جائز، فهل كل ذلك جائز، وشد الرحال لزيارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم غير جائز، اللهم غفرانك

[المفتاح الرابع]: بيان خطأ الإمام ابن تيمية في فتواه بحرمة شد الرحال إلى زيارته صلى الله عليه وآله وسلم: لأنه لا علاقة لحديث شد الرحال الذي استدل به ابن تيمية على عدم جواز السفر لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وزيارة المقابر

كلها مسنونة، فكيف بقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أمّا حديث ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى)) [متفق عليه] فالمعنى المقصود منه فهو بتقدير محذوف معناه: لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه بسبب فضل الصلاة فيه على غيره من المساجد إلا إلى ثلاثة مساجد فقد فضل الله تعالى الصلاة فيها على سائر المساجد، وهي المذكورة في الحديث المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف والمسجد الأقصى، ولا علاقة بين الحديث وبين زيارة القبر الشريف، إذ النهي متعلق بالمساجد فقط، ومتعلق بالصلاة فيها بسبب أفضلية الصلاة فيها، على أنّه لم يذهب أحد من الأئمة وعلماء الملة إلى عصر بن تيمية إلى عدم شرعيته بل اتفقوا على أنها من أفضل العبادات وأرفع الطاعات، والجمهور على ندبها، وقال بعض المالكية: إنها واجبة وقال أكثر الحنفية أنها قريبة من الواجب، وقريب الواجب عندهم في حكم الواجب، وأول من خرق الإجماع فيه وأتى بشيء لم يسبق إليه عالم قبله في هذه المسألة هو ابن تيمية، ومن العجيب أنّ لازم كلام ابن تيمية هو تحريم السفر لطلب العلم وصلة الرحم وزيارة الاخوان في الله والسفر للتجارة ... إلخ، لأنّ حديث النهي عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة حسب فهمه يدخل فيه كل ذلك، وهذا لم يقل به أحد من الأمة أبدا، ولهذا توالت ردود العلماء عليه،، **قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" [5: 66]: (والحاصل أنهم ألزموا ابن تيمية بتحريم شدِّ الرحل إلى زيارة قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال الحافظ: وهي من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية) أهـ، وقال الحافظ أبو زرعة العراقي في بعض أجوبته المسماة (الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكية ص96–98)، (وما أبشع مسألتي ابن تيمية في الطلاق والزيارة، وقد رد عليه فيهما معاً الشيخ تقي الدين السبكي وأفرد ذلك بالتصنيف فأجاد وأحسن " اهـ، وقال أيضاً في طرح التثريب (6: 43): وللشيخ تقي الدين ابن تيمية هنا كلام بشع عجيب يتضمن منع شد الرحل للزيارة، وأنه ليس من القرب، بل بضد ذلك، ورد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في شفاء السِّقام فشفى صدور قوم مؤمنين اهـ،**

[المفتاح الخامس]: الاستثناء المذكور في الحديث استثناء مفرغٌ، ولا بدَّ من تقدير المستثنى منه، وهو إما أن يُحمَل على عمومه فيكون التقدير: (لا تشدُ الرحالُ إلى مكان إلا إلى المساجد الثلاثة)، وهذا باطل لأنه يستلزم تعطيل السفر مطلقاً إلا للمساجد الثلاثة،

أو أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، فيكون المعنى: (لا تشد الرحال –بخصوص المساجد– إلا إلى المساجد الثلاثة)، وذلك لأفضلية تلك المساجد الثلاث ومزيتها على غيرها، فالأجر فيها مضاعف عن سائر المساجد، ومن الخطأ أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه، كما في المثال الخاطئ (جاء القوم إلا حماراً)، لأن الحمار لم يدخل في القوم، أو (له عندي مائة درهم إلا ديناراً) فلا يصح المعنى، والخلاصة أنّه لابد من كون المستثنى أن يكون من جنس المستثنى منه

[المفتاح السادس]: الادلة على استحباب زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم

:

[أولا] قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهم إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهم جاءوك فاستغفَرُوا الله واسْتَغْفَرَ لهُمُ الرسولُ لَوَجَدُوا الله تَوَّاباً رَحِيماً}، هذه الآية عامة تشمل حالتيْ الحياة وبعد الانتقال إلى الرفيق الأعلى، ومن أراد تخصيصها بحال الحياة فقط، يلزمه الدليل، لأن الفعل في سياق الشرط يفيد العموم، وعلى ذلك فإنّ الآية عامة تشمل حالة الحياة وحالة الوفاة وتخصيصها بأحدهما يحتاج إلى دليل، ولا دليل، لأنّ القاعدة المقررة في الأصول أن الفعل إذا وقع في سياق الشرط كان عاماً، ولأنّ الفعل في معنى النكرة لتضمنه مصدراً منكراً، والنكرة الواقعة في سياق النفي أو الشرط تكون أعلى درجات للعموم، فالآية الشريفة عامة ويؤيد عمومها ما رواه البزار عن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: (حياتي خير لكم، تحدثون ونحدث لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم) [قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح. اه. وصححه السيوطي، وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: ورجاله رجال الصحيح اهـ]، وقد ضعفه بعض اهل العلم، ولكن حتى الضعيف ما لم يكن شديد الضعف يؤخذ به في فضائل الاعمال، واما اعتراض بعضهم على أنّ (إذ) في الآية تفيد الفعل الماضي، فيقتصر على ما مضي فباطل لأنه لو كان كذلك لما صلح أن يأتي أحد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا في حياته بعد نزول الآية ولا بعد مماته، ولم يقل بذلك أحد ممن ينتسب إلى العلم، أضف إلى ذلك أنّ (إذ) كما تستعمل في الماضي فتستعمل في المستقبل أيضاً، ومنه

قوله تعالى: {ولو ترى إذ وُقِفُوا عَلَى النَّار} [الأنعام الآية 27}، وقوله تعالى: {ولو ترى إذ وقفوا على ربهم} [الأنعام الآية 30]، وقوله تعالى: {{ولو ترى إذ الظالمون في غمرات} [الأنعام الآية 93]، وقوله تعالى: {ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم} [السجدة الآية 12]، وزعم بعضهم أنّ استغفار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أمر متعذر لأنه إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث اهـ، فخطأ، لأنّه قد صح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون) [أخرجه البيهقي في حياة الأنبياء (ص15)، وأبو يعلى في مسنده (6: 147)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (2: 44)، وابن عدي في الكامل (2: 739)، وقال الهيثمي في المجمع (8: 211): (ورجال أبي يعلى ثقات) أهـ]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مررت على موسى وهو قائم يصلي في قبره) [أخرجه مسلم]، وإذا كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فما بالنا بالأنبياء، وما بالنا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم خير الأنبياء وسيد المرسلين، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد صلى إماماً بالأنبياء عليهم السلام في الإسراء، وكانوا قد ماتوا جميعاً، وراجعه موسى عليه السلام في الصلوات، ورأى جملة من الأنبياء في السموات، فمن كان هذا حاله فكيف يتعذر عليه الاستغفار؟ والصلاة دعاءٌ، واستغفارٌ، وتضرعٌ، وكذلك فإنّ استغفار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حاصل لجميع المؤمنين سواء من أدرك حياته أو من لم يدركها كما في قوله تعالى: {واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات}، ولهذا فإنّ المجئ إلى مسجده صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ثم الاستغفار، مع يقيننا باستغفار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للمؤمنين، في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، ولذلك فهم الفقهاء والمفسرون والمحدثون من الآية العموم واستحبوا لمن جاء إلى القبر الشريف أن يقرأ هذه الآية: {وَلَوْ أَنَّهم إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهم جاءوك فاستغفَرُوا الله واسْتَغْفرَ لهُمُ الرسولُ لَوَجَدُوا الله تَوَّاباً رَحِيماً}، ويستغفر الله تعالى، وهذه التفاسير بين أيدينا والمناسك التي صنفها علماء المذاهب كذلك وكلها تظهر صدق دعوى الاستدلال بالآية، قال ابن قدامة المقدسي الحنبلي في المغني (3: 590) في صفة زيارة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ما نصُّه: (ثم تأتي القبر فتولِّ ظهرك وتستقبل وسطه وتقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا نبي الله وخيرته من خلقه ... إلى أن قال بعد الثناء والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم إنك قلت وقولك الحق: {وَلَوْ أَنَّهم إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهم جاءوك فاستغفَرُوا الله واسْتَغْفرَ

لهُمُ الرسولُ لَوَجَدُوا الله تَوَّاباً رَحِيماً}} وقد اتيتك مستغفراً من ذنوبي مستشفعاً بك إلى ربّي فأسألك يا رب أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللهم اجعله أول الشافعين، وأنجح السائلين، وأكرم الآخرين والأولين، برحمتك يا أرحم الراحمين، ثم يدعو لوالديه ولإخوانه المسلمين أجمعين، انتهى باختصار،

[ثانيا] قوله صلى الله عليه وآله وسلم: وردت في ذلك احاديث عدة، منها ما أخرجه أبو داود والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنها تذكرة الآخرة) [أخرجه أبو داود (3235) بنحوه، والترمذي (1054)]، وقبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولى القبور بالزيارة، ويؤيده **قوله صلى الله عليه وسلم: (من زار قبري وجبت له شفاعتي) [أخرجه الدارقطني في سننه (2: 278)، والدولابي في الكنى والأسماء (2: 64)، والبيهقي في شعب الإيمان (3: 490)، والخطيب في تلخيص المتشابه في الرسم (1: 581)، وابن النجار في تاريخ المدينة (ص142)، وابن عدي في الكامل (6: 235)، والسبكي في شفاء السقام (ص2-14)]، قال القاضي عياض،** في الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ((زيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم سنَّة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها) اهـ [الشفا يتعريف حقوق المصطفى ج 2: 74]،، **وقال الشوكاني في نيل الأوطار** (5: 110): ((واحتج أيضاً من قال بالمشروعية بأنه لم يزل دأب المسلمين القاصدين للحج في جميع الأزمان على تباين الديار، واختلاف المذاهب الوصول إلى المدينة المشرفة لقصد زيارته، ويعدون ذلك من أفضل الأعمال فكان إجماعاً))، اهـ، **وقال العلامة أبو الحسنات محمد عبد الحي بن عبد الحليم اللكنوي** في " إبراز الغي الواقع في شفاء العيّ ": ((وأما نفس زيارة القبر النبوي فلم يذهب أحد من الأئمة وعلماء الملة إلى عصر بن تيمية إلى عدم شرعيته بل اتفقوا على أنها من أفضل العبادات وأرفع الطاعات، واختلفوا في ندبها ووجوبها، فقال كثير منهم بأنها مندوبة، وقال بعض المالكية والظاهرية: إنها واجبة وقال أكثر الحنفية أنها قريبة من الواجب، وقريب الواجب عندهم في حكم الواجب، وأول من خرق الإجماع فيه وأتى بشيء لم يسبق إليه عالم قبله هو ابن تيمية)) اهـ،

[ثالثاً]: من أقوال العلماء في استحباب السفر لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: (واعلم أن زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهم القربات، وأنجح المساعي، فإذا انصرف الحجاج والمعتمرون من

مكة استحب لهم استحباباً متأكداً أن يتوجهوا إلى المدينة لزيارته صلى الله عليه وآله وسلم، وينوي الزائر من الزيارة التقرب وشد الرحل إليه والصلاة فيه) اهـ [المجموع: 8: 204]، **وقال أيضاً في الإيضاح في مناسك الحج:** (إذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لزيارة تربته صلى الله عليه وآله وسلم فإنها من أهم القربات وأنجح المساعي، وقد روى البزَّار والدار قطني بإسنادهما عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من زار قبري وجبت له شفاعتي)) اهـ [الإيضاح في مناسك الحج ص214]، **وقال الإمام ابنُ حجر الهيثمي** في حاشية الإيضاح: (الحديث يشمل زيارته صلى الله عليه وآله وسلم حياً وميتاً، ويشمل الذكر والأنثى، الآتي من قرب ومن بعد، فيستدل به على فضيلة شد الرحال لذلك، وندب السفر للزيارة إذ للوسائل حكم المقاصد)، اهـ [ص 214 حاشية الإيضاح]، **وقال الكمال ابن الهمام الحنفي في شرح فتح القدير: (المقصد الثالث في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قال مشايخنا رحمهم الله تعالى: من أفضل المندوبات، وفي مناسك الفارس وشرح المختار: إنها قريبة من الوجوب لمن له سعة) اهـ [شرح فتح القدير 3: 179 _ 180]، وفي رد المختار على الدر المختار : ("قوله مندوبة": أي بإجماع المسلمين كما في اللباب، قوله: ((بل قيل واجبة)) ذكره في شرح اللباب، وقال كما بينته في " الدرة النبوية في الزيارة المصطفوية "، وقال القاضي عياض في الشفا (2: 74): (فصل في حكم زيارة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وفضيلة من زاره وسلَّم عليه، وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم سنَّة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلةً مرغب فيها، اهـ، وقال أبو محمد بن قدامة المقدسي: (ويستحب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما روى الدارقطني بإسناده عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي))، وفي رواية ((من زار قبري وجبت له شفاعتي)) رواه باللفظ الأول سعيد سنا حفص بن سليمان عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر، وقال أحمد في رواية عبد الله عن يزيد بن قُسَيْط عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ما من أحد يسلم عليَّ عند قبري إلا رد الله عليَّ روحي حتي أرد عليه السلام)، .. ويروى عن العتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول {ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً}، وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ**

يقول: (يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه.. فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم.. نفسي الفداء لقبرٍ أنت ساكنه.. فيه العفاف وفيه الجود والكرم)، ثم انصرف الأعرابي فحملتني عيني فنمت فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم، فقال: يا عتبى ألحَقْ الأعرابيَّ فبشره أنَّ الله غفر له، اهـ [المغني: 3: 588- 589]، وقال أبو الفرج ابن قدامة الحنبلي في الشرح الكبير: ((مسألة)): " إذا فرغ من الحج استحب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبر صاحبيه رضي الله عنهما"، تستحب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما روى الدارقطني بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي)، وفي رواية: (من زار قبري وجبت له شفاعتي) رواه باللفظ الأول سعيد، وقال أحمد في رواية عبد الله عن يزيد بن قُسيط عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم قال: (ما من أحد يسلم على عند قبري إلا رد الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام)، اهـ، ثم ذكر قصة العتبي التي تقدمت (الشرح الكبير: 3: 494)، وقال الشيخ منصور البهوتي في كشَّاف القناع: ((فصل)): وإذا فرغ من الحج استحب له زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقبر صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لحديث الدارقطني عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي)، وفي رواية: (من زار قبري وجبت له شفاعتي) رواه باللفظ الأول سعيد، (تنبيه): قال بن نصر الله: لازم استحباب زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم استحباب شد الرحال إليها لأنَّ زيارته للحاج بعد حجة لا تمكن بدون شد الرحال، فهذا كالتصريح باستحباب شد الرحل لزيارته صلى الله عليه وآله وسلم))، اهـ [2: 514 – 515]، وفي متن المقنع: (إذا فرغ من الحج استحب له زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزيارة قبر صاحبيه رضي الله عنهما) أهـ [المبدع شرح المقنع 2: 258]، وقال أبو الحسن المرداوي في الإنصاف (4: 53): (قوله إذا فرغ من الحج استحب له زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبر صاحبيه"، هذا المذهب وعليه الأصحاب قاطبة ً متقدمهم ومتأخرهم)، اهـ، وفي زاد المستقنع مختصر المقنع: (ويستحب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقبر صاحبيه رضي الله عنهما))، اهـ [الروض المربع ص 152]،

[رابعاً] المبحث الرابع: موقف الفقهاء من الزيارة: وقد اتفق جمهور العلماء والفقهاء **على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم على استحباب زيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام وفي مقدمتهم الحنابلة**، وسنبين هنا توجهات فقهاء الأمة في هذا الشأن من المذاهب الأربعة،

[أولا: موقف الحنابلة من الزيارة]: نقل المرداوي الحنبلي في الإنصاف اتفاق الحنابلة على الاستحباب فقال[الإنصاف للماوردي (4: 53)]: **«قوله فإذا فرغ من الحج استحب له زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبر صاحبيه هذا المذهب وعليه الأصحاب قاطبة متقدمهم ومتأخرهم »، وقال ابن قدامة في المغني: « (فصل) ويستحب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما روى الدارقطني بإسناده عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي» وفي رواية: «من زار قبري وجبت له شفاعتي» رواه باللفظ الأول سعيد حدثنا حفص بن سليمان عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر وقال أحمد في رواية عبد الله عن يزيد بن قسيط عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من أحد يسلم علي عند قبري إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام»[المغني لاين قدامة (3: 297)] اهـ ثم ذكر قصة العتبي مستشهدا بها، وكتب الفقهاء الحنابلة كلها تنص على استحباب الزيارة لقبره الشريف صلى الله عليه وآله وسلم** انظر: **عمدة الفقه لابن قدامة أيضا ج1 ص45، أخصر المختصرات لمحمد بن بدر الدين بن بلبان الدمشقي ج1 ص157، الروض المربع لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي ج1 ص522 ، شرح منتهى الإرادات ج1 593 له أيضا، مطالب أولي النهى لمصطفى السيوطي الرحيباني ج2 ص440، منار السبيل لإبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان ج1 ص256، الفروع لمحمد بن مفلح المقدسي أبو عبد الله ج3 ص385، المبدع لإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح الحنبلي أبو إسحاق ج2 ص284، دليل الطالب لمرعي بن يوسف الحنبلي ج1 ص94، زاد المستقنع لموسى بن أحمد بن سالم المقدسي الحنبلي أبو النجا ج1 ص94، كشف المخدرات لعبد الرحمن بن عبد الله البعلي الحنبلي ج1 ص330، وغيرها، وحتى من يرى كراهة زيارة المرأة للقبور من الحنابلة فإنه استثنى من ذلك زيارتها لقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبيه قال صاحب كتاب المبدع بعد أن ذكر الخلاف في زيارة المرأة للقبور (ويستثنى منه زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبر صاحبيه رضي الله عنهما)، وهذا متفق عليه عند الفقهاء الحنابلة فارجع إلى كتبهم التي بينا مواضع هذه المسألة فيها سلفا**، وأما فهمهم لحديث (لا تشد الرحال) فهو يتبين في النقولات التالية: **قال**

الشيخ الإمام ابن قدامة المقدسي الحنبلي في المغني: «وأما قوله عليه السلام (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)، فيحمل على نفي التفضيل لا على التحريم، وليست الفضيلة شرطاً في إباحة القصر، فلا يضر انتفاؤها » [المغني: (2: 103) **]، ومثله لأبي الفرج ابن قدامة في الشرح الكبير (2: 93)، وفي المغني لابن قدامة: «(فصل) فإن سافر لزيارة القبور والمشاهد فقال ابن عقيل لا يباح له الترخص لأنه منهي عن السفر إليها قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد متفق عليه والصحيح إباحته وجواز القصر فيه لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يأتي قباء راكبا وماشيا وكان يزور القبور وقال زوروها فإنها تذكركم الآخرة وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد فيحمل على نفي التفضيل لا على التحريم» [**المغني (2: 52) **]، وفي المغني: «ولا يتعين شيء من المساجد بنذره الاعتكاف فيه إلا المساجد الثلاثة وهي المسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسجد الأقصى لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي» هذا متفق عليه »[**المغني (3: 82) **]،**

[ثانيا موقف الشافعية من الزيارة]: قال الإمام النووي في المجموع: «واعلم أن زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهم القربات وأنجح المساعي فإذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة استحب لهم استحبابا متأكدا أن يتوجهوا إلى المدينة لزيارته صلى الله عليه وآله وسلم وينوي الزائر من الزيارة التقرب وشد الرحل إليه والصلاة فيه » [المجموع(8: 201) **]، وفي مغني المحتاج: «(و) تسن (زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) لقوله صلى الله عليه وآله وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي رواه ابن خزيمة في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ومفهومه أنها جائزة لغير زائره »[**مغني المحتاج (1: 512) **]، وفي أسنى المطالب في شرح روض الطالب: «ومن نذر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لزمه الوفاء به لأن زيارة قبره من القرب المطلوبة» [**أسنى المطالب (1: 587) **]، واتفاق فقهاء الشافعية على سنية زيارة القبر الشريف أمر مشهور معلوم لا يحتاج إلى طول شرح وتبيين، وكذلك فهمهم لحديث (لا تشد الرحال)، ففي الوسيط «إذا نذر إتيان مسجد سوى المسجد الحرام والمدينة وبيت المقدس لم يلزمه شيء قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام**

ومسجدي هذا ومسجد إيلياء) أي المسجد الأقصى وهذا لا يوجب تحريما وكراهية في شد الرحال إلى غيره على الصحيح بل بين أن القربة في هذا فقط»[الوسيط (7: 277)]،

[ثالثا: موقف المالكية من الزيارة]: قال الإمام في الخلاصة الفقهية للقروي: « تُندب زيارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهي من أعظم القربات»[الخلاصة ص266]، وفي الذخيرة للقرافي: «وزيارة النبي من السنة المتأكدة » [الذخيرة للقرافي (3: 375)]، واتفاق فقهاء المالكية على سنية زيارة القبر الشريف المؤكدة أمر مشهور معلوم لا يحتاج إلى طول شرح وتبيين، وكذلك فهمهم لحديث (لا تشد الرحال)، ففي منح الجليل: «وحديث لا تعمل المطي مخصوص بالصلاة قاله ابن عبد البر وكذا خبر لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد لا دليل فيه على منع الزيارة إذ المستثنى منه محذوف أي المسجد بدليل أن المستثنى مساجد والأصل فيه الاتصال » [منح الجليل (3: 100)]،

[رابعا: موقف الأحناف من الزيارة]: قال الإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد في شرح فتح القدير: «المقصد الثالث في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال مشايخنا رحمهم الله تعالى من أفضل المندوبات وفي مناسك الفارسي وشرح المختار أنها قريبة من الوجوب لمن له سعة»[شرح فتح القدير (3: 179)]، وفي نور الإيضاح لحسن الوفائي الشرنبلالي: «لما كانت زيارة سيدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أفضل القرب وأحسن المستحبات بل تقرب من درجة ما لزم من الواجبات فإنه صلى الله عليه وآله وسلم حرض عليها وبالغ في الندب اليها فقال من وجد سعة ولم يزرني فقد جفاني»[نور الإيضاح (1: 153)]، وفي مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر: «ومن أحسن المندوبات بل يقرب من درجة الواجبات زيارة قبر نبينا وسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقد حرض عليه السلام على زيارته وبالغ في الندب إليها»[مجمع الأنهر (1: 462)]، واتفاق فقهاء الأحناف على سنية زيارة القبر الشريف أو وجوبها أمر مشهور معلوم لا يحتاج إلى طول شرح وتبيين، وكذلك فهمهم لحديث (لا تشد الرحال)، ففي حاشية ابن عابدين: «وفي الحديث المتفق عليه: «لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» والمعنى كما أفاده في الإحياء أنه لا تشد الرحال لمسجد من المساجد إلا لهذه الثلاثة لما فيها من المضاعفة بخلاف بقية المساجد فإنها متساوية في ذلك فلا يرد أنه قد تشد الرحال

لغير ذلك كصلة رحم وتعلم علم وزيارة المشاهد كقبر النبي وقبر الخليل عليه السلام وسائر الأئمة» [حاشية ابن عابدين (2: 627) **]،**

[خاتمة]: ولازم استحباب زيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم استحباب شد الرحال إليها، لأن زيارته للحاج بعد حجه لا تمكن بدون شد الرحل، فهذا كالتصريح باستحباب شد الرحل لزيارته صلى الله عليه وآله وسلم، وقد درج علماء الإسلام (وفي مقدمتهم الحنابلة) على هذا الفهم واتفقوا على جواز شد الرحال واستحباب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إلى أن جاء ابن تيمية في القرن الثامن وخالف عامة المسلمين، وقال لا تستحب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولنوكل مهمة الرد على ابن تيمية إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني الذي قال في الفتح عند الكلام على حديث (لا تشد الرحال): «والحاصل أنهم الزموا ابن تيمية بتحريم شد الرحل الى زيارة قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنكرنا صورة ذلك، وفي شرح ذلك من الطرفين طول، وهي من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية!» [فتح الباري شرح صحيح البخاري: (3: 66) **]، والحاصل أن الحديث إن حمل على عمومه وفق مراد ابن تيمية، فهو لا يرِد على الزيارة مطلقاً، لأن المسافر للزيارة مسافر لساكن البقعة كالعالم والقريب وهذا جائز إجماعاً، وقد نقلنا إجماع المسلمين على مشروعية زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مختلف الأزمنة، وأنه لم يخالف في ذلك غير ابن تيمية ومن تبعه،** فهل من الحكمة أن نأخذ بقوله وفهمه للمسألة، وندع إجماع أئمة المسلمين في عصور ما قبل ابن تيمية؟ مع أن إجماعهم في عصر واحد حجة ملزمة!! فضلا عن أقوال أكثر أئمة المسلمين بعد عصر ابن تيمية، **ومقتضى الحمل على الأحسن أن نقول: إن المسألة اجتهادية فلابن تيمية ومن تبعه في اجتهاده أن يعملوا بما يرونه من عدم استحباب الزيارة وحرمة شد الرحال، ولغيرهم أن يعمل بما هو خلاف ذلك، فليكن الأمر على الأقل محل خلاف فقهي يدع كل ذي رأي فيه لصاحب الرأي الآخر قوله ولكل مجتهد نصيب، والله الهادي إلى الصراط المستقيم، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين [رسالة: كلمة هادئة في الزيارة وشد الرحال للدكتور عمر كامل]،**

[المفتاح السابع]: تعليق أخير في تلك المسألة أختم به مبحثنا عن الزيارة النبوية الشريفة: وهو أنه لولا تسرع ابن تيمية وتعجله في فهم حديث: ((لا تشد الرحال إلا

إلى ثلاث مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى)) [متفق عليه] لما تكلفنا عناء هذا السجال الطويل، فإنّ أول من خرق الإجماع فيه وأتى بشيء لم يسبق إليه عالم قبله في هذه المسألة هو ابن تيمية، وتلقف القول الشيخ النجدي واتباعه الوهابيون وهم كما نعلم مغرمون بكل شاذ غريب يضيع الجهود ويبعثر العلم ويشتت الامة، وهذا ديدنهم في كل المفردات التي يأكلون عليها ويشربون وكلها مفردات حشو وخلل وخطل وخبال وجهل مركب يأخذ الامة بعيدا عن أهدافها التي خلقت من اجلها، وكم من مسألة نشاذ تتبعوها لإلهاء الامة عن المحكمات إلى المتشابهات، وقد قال تعالى: { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ * رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران: 7 و 8]، فكم من متشابه تتبعوه، وكم من فتنة ادخلوها على الامة، وقد اعلم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما يكون في نجد من فتنة هؤلاء، فأبى أن يدعو لها بالبركة، كما في حديث **البخاري** عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قَال: ((اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا، قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا، قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ)) [البخاري ح 1037]، **وأخرج البخاريُ ومسلم** عن عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِيَدِهِ نَحْوَ اليَمَنِ فَقَالَ ((الإِيمَانُ يَمَانٍ هَا هُنَا، أَلاَ إِنَّ القَسْوَةَ وَغِلَظَ القُلُوبِ فِي الفَدَّادِينَ، عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ)) [متفق عليه]، وأخرج البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الفتنة من قبل المشرق) (7092) من طريق معمر عن سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قام على المنبر فقال: ((الفتنة ههنا، الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان، أو قال قرن الشمس))، وأخرج البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الفتنة من قبل المشرق) (7092)، ومسلم في كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان (7292)، **ومن نظر إلى الخريطة وجد أنّ نجد تقع تماما في جهة المشرق بالنسبة إلى المدينة المنورة حيث أشار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم**، وهذا يفند زعم بعض المغرضين والمنتفعين والكذابين: أنّ نجد المقصودة هي منطقة بالعراق، وآخرون أنّها منطقة بالشام، وكلامهم يفتقد إلى أدنى التحقيق والإنصاف، وذلك لأنّ نَجد الحِجاز كانت أرض

الفَدّادين رِعاءِ الإبِل، والعراق كانت أرض زراعة وصناعة وتجارة وما كانت آنذاك أرضًا لرِعاء الإبل، كما أنّ "نجد" الحجاز هي بلاد ربيعة ومضر وليس نجد العِراق أو الشام ثم نحن لا نعلم نجدا معروفا إذا أطلق لفظ " نجد " سوى نجد الحجاز، والتي ظهر منها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأتباعه من علماء الدعوة النجدية، التي ينتسبون إليها، وليس القصد من ذلك التجريح في اهل نجد، **ولكن المقصود الحذر ثم الحذر مما ينفرد به** (الشيخ النجدي) ومن يتسمون بـ (علماء الدعوة النجدية) من علوم الدين لأنه آنذاك يكون يقينا من الباطل الذي نفخ فيه الشيطان بقرنه، لأن الأحاديث دلت على التحذير من هذه المنطقة ومما يخرج منها من الضلال الذي يُخالف ما عليه عامة أهل السنة والجماعة من علوم الدين، **فالحذر الحذر من مفاهيم هؤلاء المغلوطة المعكوسة عن الإسلام وعن الإيمان والكفر، وعن التوحيد وعن الشرك، وعن السنّة والبدعة وعن كل ما تفردوا به عن علماء المسلمين، ومعنى الحديث:** ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى)) فهو بتقدير محذوف معناه: لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه بسبب فضل الصلاة فيه على غيره من المساجد إلا إلى ثلاثة مساجد فقد فضل الله تعالى الصلاة فيها على سائر المساجد، وهي المذكورة في الحديث المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف والمسجد الأقصى، ولا علاقة بين الحديث وبين زيارة القبر الشريف، إذ النهي متعلق بالمساجد فقط، ومتعلق بالصلاة فيها بسبب أفضلية الصلاة فيها، وإلا فشد الرحال إلى مساجد يتواجد فيها علماء لأجل طلب العلم، لا شيء فيها، بل جميع اهل العلم على مر عصور الإسلام، ما جمعوا العلم الشريف إلا بشد الرحال إلى المساجد لتلقي العلم من علمائها حيث لم توجد جامعات ولا مدارس يطلبون فيها العلم سوى المساجد، على أنّه لم يذهب أحد من الأئمة وعلماء الملة إلى عصر بن تيمية إلى عدم شرعيته بل اتفقوا على أنها من أفضل العبادات وأرفع الطاعات، فلا حول ولا قوة إلا بالله،

***

الخاتمة وأهم التوصيات

[1] علم التوحيد وفقه مسائله وأحكامه على المنهاج الحق لعلماء أهل السنة والجماعة من أهم العلوم التي تحتاج إلى مفاتيحها الصحيحة وإلا آل الامر إلى خلل فكري وعقدي بالغ، لقد انحرف أهل الغلو في باب التوحيد بسبب الفهم المغلوط لآيات نزلت في حق المشركين الأصليين فأنزلوها على المسلمين، وما دروا حقيقة الإسلام، ولا ما هو إطاره الصحيح الذي يدخل فيه كل مسلم، اصطفاه الله تعالى للإسلام، وما هي حقوق المسلم على المسلم، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله ورسوله فلا تخفروا الله في ذمته)) [أخرجه البخاري، ح: 384]، ولا يصح تفريغ الحديث من معناه، فمن صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ما للمسلمين، وعليه ما على المسلمين، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((كُلُّ المُسْلم عَلَى المُسْلم حَرَامٌ، دَمُهُ ومَالُهُ وعرْضُهُ)) [أخرجه مسلم]، المسلم: هو كل من قال (لا إله إلا الله * محمد رسول الله): مقرا لها بلسانه، معتقدا لها بقلبه، والاعتقاد القلبي له ركنان، (قول القلب وهو التصديق القلبي للشهادة، وعمل القلب، وهو الانقياد القلبي لها، هذا المسلم: لا نكفره بذنب ولا خطأ ولا جهل ولا تأويل ولا بدعة حتى ينكر معلوما من الدين بالضرورة وتقوم عليه الحجة الشرعية التامة المستوفية لشروطها وموانعها بذلك، أما أهل الغلو في باب التوحيد والشرك: فأتوا بآيات نزلت في المشركين فأنزلوها على المسلمين، وما دروا حقيقة الشرك، ولا حقائق التوحيد، ويصدق فيهم قول ابن عمر رضي الله عنهما في صنيع الخوارج: ((إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)) [علقه البخاري بصيغة الجزم في باب قتل

الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين]،

[2] إنّ فقه مسائل وأحكام التوحيد والشرك على المنهاج الحق لعلماء أهل السنة والجماعة: يجعلنا نفرق بين أصل العبادة الذي هو اعتقاد الربوبية والألوهية لمن تصرف له الطاعة المصحوبة بالحب والتذلل والخضوع والخوف والرجاء، وبغير هذا الاعتقاد لا تكون الطاعة عبادة، وبين صور العبادة، فإنّ (للعبادة) صور تتمثل في العديد من هيئات العبادة كالسجود والصلاة والذبح والدعاء وغير ذلك من هيئات العبادة، فمن صرف السجود _ وهو غاية مظاهر التذلل والخضوع _ لغير الله اعتقادا له بالربوبية والألوهية فهو مشرك بالله الشرك الأكبر ومن صرفه بغير اعتقاد الربوبية والألوهية لمن سجد له فلا يكون عبادة ومنه سجود الملائكة لآدم وسجود آل يعقوب ليوسف عليه السلام، هذا وإن كان النهي عن السجود لغير الله تعالى هو الذي جاء به الإسلام، ولكن من سجد بنية التكريم بغير اعتقاد، فلا يكفر عند الفقهاء، ولا يعد مشركاً بالله الشرك الأكبر المخرج من الملة، وإنما هي معصية من المعاصي التي لا يجوز فعلها بحال، **[إنّ التعريف الصحيح للعبادة]** هو عبارة عن الأفعال والأقوال الظاهرة والباطنة الدالة على الذل والخضوع المقترن باعتقاد الربوبية والألوهية أو شيء من مفرداتهما في حقّ المخضوع له، فكل طاعة تقترن بالاعتقاد تكون عبادة، فمن صرفها لله وحده فهو موحد، وإن صرفها لغير الله تعالى كان مشركاً، والعبادة (أي عبادة)، لها أصل وصورة، فالأصل هو العقيدة الخاصة التي تدفعه إلى عبادة المخضوع له وهي اعتقاد الألوهية والربوبية فيه، والصورة هي الفعل أو القول الدال على الطاعة مع المحبة والخضوع و التذلّل، ومنه يتبين أنّ للعبادة ركن ركين، لا تكون عبادة بدونه ألا وهو العقيدة التي تدفع الإنسان إلى عبادة المعبود، فإن صرفها لله وحده كان عابدا موحدا لله، وإن صرف شيئاً منها لغير الله فقد عبده من دون الله، وأمّا الفعل أو القول كالسجود والذبح والدعاء فهذه مفردات للعبادة وصورٌ لها، فمن صرفها بغير اعتقاد ربوبية وألوهية لمن يصرف إليه فليس من الشرك الأكبر المخرج من الملة، وفعله أو قوله يدور بين الشرك في إطار الملة أو البدعة أو المعصية ولا تستحل محارمه بغير اعتقاد، لقد أخطأ أهل الغلو في باب التوحيد والشرك في تفسير العبادة، ففسروها بمعناها اللغوي وهو الإتيان بأقصى غاية الذل والخضوع، وذهلوا عن ضابطها الذي يضبط أحكامها ألا وهو الإتيان بأقصى غاية الذل والخضوع لمن يعتقده إلها له صفات الإلهية واستحقاق العبادة من دون الله، أو لمن يعتقده رباً له بعض مفردات الربوبية استقلالا كالقدرة على النصرة

والعز والنفع والضر من دون الله، وقد كفر المشركون بسجودهم لأوثانهم و دعائهم إيّاهم، وغيرهما من أنواع الخضوع لتحقّق هذا القيد فيهم، وهو اعتقادهم ربوبية ما خضعوا له، أو اعتقاد ألهيتهم من دون الله، وقد كانوا يسمونها آلهة ويعبدونها ويظنون فيها النصر والعزة، قال تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (74) } [يس: 74]، وقال تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [مريم: 81]، وقال تعالى حكاية عن اعتقادهم {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: 5]، **[إنّ من أعظم الخلل في باب التوحيد والشرك المقارنة بين جهل المسلمين وبين شرك المشركين الأصليين]:** المسلم يعتقد أنّه لا معبود بحق سوى الله، والمشرك يتخذ من دون الله أندادا وشركاء، والمسلم يقر ويعتقد أنّه لا إله إلا الله، والمشرك يعتقد بوجود آلهة مع الله، ويقول: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: 5]، والموحد يعتقد أنّ الشفاعة لله جميعا، لقوله تعالى: {قُلْ للّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً}[الزمر: 44] وأنّ شفاعة الخلائق لا تكون قسراً على الله، وإنما لمن ارتضى، لقوله تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: 28]، والمشرك يعتقد وجود الشافعين إلزاما على الله بما لهم من شراكة – على اعتقادهم الباطل – مع الله، ويدل عليه قوله تعالى: {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ} [الأنعام: 94]، والمسلم يرى أنّ العزّة بيد اللّه سبحانه كما في قوله تعالى: {فَلِلّهِ الْعِزَّةُ جَميعاً} [فاطر: 10]، والمشرك يرى أنّ العزة بيد الاَصنام والاَوثان بدليل قوله تعالى: {وَاتّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ آلهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً} [مريم: 81]، والمسلم يرى النصر من عند الله تعالى وحده فهو الناصر وهو المعين، والمشرك يتخذ من دون الله آلهة لعلهم ينصرونه لقوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ} [يس: 74]، والمسلم يقر ويعتقد بنبوة ورسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويقولون (لا إله إلا الله – محمد رسول الله) معتقدين لها، والمشرك لا يؤمن بالرسول، ويقول – كما حكاه عنه القرآن الكريم – : {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ * أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ} [ص: 4 إلى 8]، **ولذلك لا يصح مقارنة أفعال المسلمين** ممن يتوسلون إلى الله تعالى بالصالحين من عباده ويفعلون أموراً قد تنسب إلى الجهل والبدعة ولا تنسب إلى الشرك في حق المسلم بحال، كالطواف حول القبور، وذلك لأنّ العقد سليم بأنّه لا إله إلا إله الله وأنّه لا معبود بحق سواه، وتلبسهم بصرف بعض العبادات جهلاً إلى غير الله لا

يخول اتهامهم بالشرك الأكبر المخرج من الملة لأنّ ضابط الشرك الأكبر هو صرف العبادة بنية العبادة لمن تعتقد فيه الألوهية والربوبية أو شيء من صورهما، **ومنه يتبين خطأ من أقدم على تكفير طائفة عريضة من المسلمين** واتهامهم بالشرك الأكبر، واستحلال دمائهم وأموالهم، وما ذاك إلا بسبب عدم تحريره الضابط للتفريق بين الشرك الأكبر والأصغر، وأنّ الأول اعتقادي والثاني عملي، والمسلم لا يشرك الشرك الأكبر إلا باعتقاد آلهة مع الله وأنداد من دون الله يصرفون إليهم العبادة من دون الله، وهذا لا يكون من مسلم أبدا،

[3] يدخل في علم التوحيد سبعة معان تستوفي معاني شهادة التوحيد (لا إله إلا الله):

أولها: توحيد الله تعالى في جناب ذاته ليس كمثله شيء ولا نحيط به علما، وثانيها: توحيد الله تعالى في أسمائه الحسنى، وثالثها: توحيد الله تعالى في صفاته، ورابعها: توحيد الله تعالى في أفعاله، وخامسها: توحيد الله تعالى في ربوبيته لخلقه، فلا رب للعالمين سواه، وسادسها: توحيد الله تعالى في عبوديته، فلا معبود بحق إلا إياه، وسابعها: البراءة من الشرك في الإلهية بأقسامها الستة: توحيد الذات والأسماء والصفات والأفعال والربوبية والعبودية، وذلك بالبراءة من الشرك فيما يتعلق بجناب الذات والأسماء والصفات والأفعال والربوبية والعبودية، فهذه المعاني السبعة جميعها يدخل في توحيد الإلهية، الذي يشهد به كل مسلم عند قوله: ((أشهد أن لا إله إلا الله))، ولذلك فإن علم التوحيد يشتمل على سبعة مباحث هي: توحيد جناب ذات الله تعالى وتقدس، وتوحيد الله تعالى في أسمائه الحسنى، وتوحيد الله تعالى في صفاته العلا، وتوحيد الله تعالى في أفعاله فلا خالق إلا الله، وتوحيد الله تعالى في ربوبيته لخلقه فلا رب لهم سواه، وتوحيد الله تعالى في استحقاقه للعبودية فلا معبود بحق إلا هو، والبراءة من الشرك ذلك الذنب الذي لا يغفره الله إلا أن يتوب منه صاحبه، وبحمد الله تعالى قد استوفينا ما يتعلق بتوحيد جناب ذات الله تعالى وتقدس، وتوحيد الله تعالى في أسمائه الحسنى، وتوحيد الله تعالى في صفاته العلا، وتوحيد الله تعالى في أفعاله، عند الحديث عن مفاتيح علم التقديس، ولذا اقتصر هاهنا بالإشارة إلى توحيد الله تعالى في ربوبيته لخلقه فلا رب لهم سواه، وتوحيد الله تعالى في استحقاقه للعبودية فلا معبود بحق إلا هو، والبراءة من الشرك ذلك الذنب الذي لا يغفره الله إلا أن يتوب منه صاحبه،

[4] توحيد جناب الذات: هو ذروة سنام التقديس والتسبيح والتنزيه الاعتقادي الذي هو أعلى واجل من مجرد تسبيح اللسان، كما أنّ توحيد الذات هو أساس التوحيد، إذ جميع أقسام التوحيد إنما تؤول إليه، فتوحيد الأسماء المقصود به توحيد أسماء ذات الله تعالى إذ الاسم

للمسمى، والمسمى هو ذات الله، والأسماء الحسنى إنما تدل على صفات الذات وأفعال الذات، وتوحيد الصفات المقصود منه توحيد صفات الذات إذ تعود جميع الصفات إلى الذات الذي يتصف بهذه الصفات، كما أنّ توحيد الأفعال المقصود به بيان قدرة الذات على الأفعال، وأنه لا يكون في ملك الله تعالى سوى أفعال الله تعالى، فالأفعال تعود بالضرورة إلى أفعال الذات، وتوحيد الربوبية ما هو إلا توحيد الذات المستحقة للربوبية على العالمين، وتوحيد الألوهية ما هو إلا اعتقاد استحقاق ذات الله تعالى للعبادة وحده، وصرف العبادات جميعها لذات الله وحده لا شريك له، وعلى ذلك فتوحيد الذات أصل لكل أقسام التوحيد، وجميع أقسام التوحيد إنما يعود في نهاية المطاف إلى توحيد الذات، ومن هنا كان توحيد الذات هو أساس التوحيد الذي هو حق الله تعالى على العبيد، كما أنّ توحيد الذات هو أهم قسم من أقسام التوحيد، وهو علم التقديس والتنزيه، وهو حجر الزاوية في تجديد التوحيد ووحدة أهل التوحيد، والمقصود من (توحيد الذات) هو اعتقاد الكمال لله في ذاته، والتنزيه لذاته عن كل نقص، وهذا يستلزم تنزيه ذات الله تعالى عن مشابهة ذوات الخلائق لأنها موصوفة بالنقص من كل جهة، ولما كانت العبادة لا تصحّ إلاّ بعد معرفة المعبود، ومعرفة المعبود سبحانه تستلزم أول ما تستلزم توحيد ذات المعبود سبحانه، لذا فإنّ أهم أقسام التوحيد توحيد ذات الله تعالى، ولابد من الإشارة إلى خطورة الذهول عن توحيد الذات: لأن ذلك سيؤدي ولا شك إلى خلل في فهم التوحيد والإحاطة بكل جوانبه، كما سيؤدي إلى قصور واضح جلي في الإلمام بما يجب وما يجوز وما يستحيل في ذات الله تعالى، وحتما سيؤول بأصحاب ذلك الخلل إلى الحشو على حساب التقديس، وإلى اعتقاد بدعة التجسيم وإن لم يشعروا بذلك، وقد أشرت إلى أهم لبنات علم التقديس بما يغني عن إعادته ها هنا،

[5] توحيد الله تعالى في أسمائه: الله تعالى له وحده الأسماء الحسنى، تقدست أسماؤه، وتعالت صفاته، التي دلت عليها أسماؤه، قال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [سورة طه: 8] و قال تعالى {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سورة الْأَعراف: 180]، وأسماء الله الحسنى توقيفية لا مجال للاجتهاد إذ العقل قاصر عن الاجتهاد فيما لا يدركه لقوله تعالى: {ولا تقف ما ليس لك به علم} [الإسراء: 36]، وقوله تعالى: {قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون} [الأعراف: 33]، والعلم بأسماء الله تعالى الحسنى أشرفُ العلوم لأنها تتعلق بمعرفة الله تعالى ومعرفة

صفاته العلى، وكل اسم من أسماء الله الحسنى يدل على صفة علية يتصف بها الله عز وجل، والأسماء الحسنى تقدست عن العد والحصر، ولهذا جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((أسألُكَ بكُلِّ اسم هُوَ لَكَ سَمَّيتَ به نَفْسَكَ أو عَلَّمْتَهُ أَحَدًا منْ خَلْقِكَ أو أَنْزَلْتَهُ في كِتَابِكَ أو اسْتَأْثَرتَ به في عِلْمِ الغَيبِ عِنْدَكَ)) [أخرجه أحمد وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (ح: 3528)]، ومن أحصى من هذه الأسماء الحسنى تسعة وتسعين اسماً دخل الجنة لما أخرجه البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)) [متفق عليه]، ومقصود الحديث أن من أحصى هذا القدر من أسماء الله الحسنى (مائة إلا واحداً) دخل الجنة، ومن توحيد الله تعالى في أسمائه أن ندعوه بها وأن نبرأ ممن يلحد في أسمائه، قال تعالى: {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) [الأعراف: 180]، ومن ذلك ما كان يفعله المشركون من تسمى المعبودات الباطلة بما تسمى به الله تعالى من الأسماء الحسنى، وذلك كتسميتهم اللات من الإله، والعزَّى من العزيز، ومنَاةَ من المنَّان، وتسميتهم للأصنام آلهة، يضاهئون بذلك أسماء الله تعالى الحسنى، ومنها اعتقادهم أن من أسماء آلهتهم العزيز والنصير، وأن من صفات آلهتهم النصرة والعزة، كما قال تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ} [يس: 74]، وقال تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [مريم: 81] ومن الإلحاد في أسماء الله تعالى الحسنى أيضاً أن يسمى الله تعالى بما لا يليق به من الاسماء، ومن ذلك تسميةُ النَّصارى له (الأب)، وتسميتهم له (الابن)، وهو تعالى أحد صمد كما قال تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}،

[6] توحيد الله تعالى في صفاته: ليس كمثل صفاته صفات، له سبحانه وحده صفات الإلهية والربوبية واستحقاق العبودية، وله صفات الكمال، وله صفات الجلال والإكرام، وكما أنّ جناب ذات الله تعالى وتقدس منزه عن الحد والمقدار، والمثيل والند والشبيه، فكذلك صفات الله تعالى ليس لها حد تنتهي إليه، إذ له سبحانه كمال الذات وكمال الصفات، وكما أنّ ذات الله تعالى وتقدس له الكمال المطلق منزه عن الكفء والمثيل، فكذلك الصفات تابعة للذات، ليس كمثل ذاته ذات، وليس كمثل صفاته صفات، له سبحانه كمال صفة العلم التي تدل على أنّ الله تعالى بكل شيء عليم، لا يغيب عن علمه شيء، وله سبحانه كمال صفة الرحمة، وسعت رحمته كل خلقه ووسعت كل شيء، وهكذا سائر الصفات العلى لا ندرك من معانيها إلا ما تحتمله عقولنا، وأنى للعقول المحدودة والأفهام المخلوقة أن تحيط علماً بالصفات المنزهة عن التناهي والحدود، ولهذا

كانت القاعدة التنزيهية أنّ الله تعالى أجلّ من أن تدرك صفاته، وإنّما نصفه على قدر إمكاناتنا المحدودة لا على قدر عظمته وجلاله، تعالى الله علواً كبيراً عن أن يدرك المخلوق قدر صفاته، قال تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الزمر: 66]، والصفات الواجبة لله تعالى في الحكم العقلي: الذي لا يُتصور في العقل عدمه، وذلك لأن كل واجب عقلي يقابله ويضاده المستحيل العقلي، بمعنى إنه إذا كانت له سبحانه صفات الوجود والبقاء والمخالفة للحوادث والوحدانية والحياة والقيام بالنفس والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام، وهي واجبة لله تعالى عقلا فإن أضدادها مستحيلة في حق الله تعالى، وهي العدم والفناء ومشابهة الحوادث ووجود الشريك والموت والاحتياج والعجز والاضطرار والجهل والصمم والعمى والبكم، و هناك فرق في الاصطلاح بين الحكم العقلي والحكم السمعي، إذ الحكم السمعي هو ما كان إثباته عن طريق الشرع، ولا يلزم من اثباته استحالة ضده وانتفائه في حق الله تعالى، إذ أنّ الشرع دل على ثبوت صفة الرحمة لله وثبوت ضدها وهو شدة العقاب، وعند تطبيق تلك المصطلحات بدقة لن يكون هناك لبس في تعلم العلم، فإنّه إذا قيل واجب عقلي، فإنّ معناه الذي لا يُتصور في العقل عدمه، وبالتالي فإنّ وجود الله تعالى واجب عقلي لأنّه لا يُتصور في العقل عدمه، إذ وجود جميع تلك المخلوقات والنظام الذي هي فيه يوجب في العقل وجود خالقها الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، أما (الرحمة) التي يتصف بها الرحمن سبحانه فإنّها واجب سمعي وليس عقلي، وتعريفه كما ذكرنا هو الذي دل الشرع على وجوبه، وقد أعلمنا الله تعالى بتلك الصفة بقوله تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة: 98]، ومن ذلك نعرف خطأ غير المتخصص عندما يخلط بين الواجب العقلي والواجب السمعي، ويتهم السادة الأشاعرة أو السادة الماتريدية المتخصصين في العقيدة على منهاج اهل السنّة والجماعة بأنّهم أثبتوا ثلاث عشرة صفة، وألغوا بقيتها، وحاشاهم من ذلك، فإنّهم يتكلمون على الواجب العقلي الذي لا يُتصور في العقل عدمه، وأما عند حديثهم على الواجب السمعي فإنّهم يجعلون جميع الأسماء الحسنى تدل على صفات واجبة لله تعالى من طريق السمع فلا يستلزم اثباتها نفي أضدادها كما هو الحال في الصفات الواجبة لله تعالى من جهة الحكم العقلي،

[7] توحيد الله تعالى في أفعاله: ومعناه اعتقاد أنه لا خالق ولا مُؤثرِ في الوجود إلا الله، واعتقاد أنه لا يكون ثم فعل من الأفعال في الكون إلا بخلقه ومشيئته وإرادته وقدرته، هو سبحانه وحده المنفرد بخلق جميع الكائنات بلا واسطة، ليس في الوجود خالق غيره، ولا يكون في ملكه إلا ما قدر وشاء وعمدة هذا التوحيد: قوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: 96]،

وقوله تعالى: {قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الرعد: 16]، وهذا التوحيد يعني أن كل وجود و كل حركة وكل سكون، وكل فعل في العالم يعود الي الخالق سبحانه، فهو مسبب الاسباب، حتي الافعال التي تصدر منا هي من خلق الله تعالى، ومع توحيد الأفعال يمكن أنّ نفهم مدى مسؤولية الإنسان عن أفعاله وأعماله: فالإنسان مخلوق ضمن مخلوقات الله، يجري عليه ما يجري على الجميع من مخلوقات الله تعالى، فلا يكون في ملك الله تعالى إلا ما شاءه الله، ولكن الله تعالى جعل للثقلين (الجن والإنس) نوعاً من الاختيار يجعل كلاً منهما مسؤول عن أعماله، له حرية الاختيار، وعليه أنّ يتحمل مسؤولية هذا الاختيار، عليه أن يختار بين طريق الهداية وطريق الضلال، وهو يتحمل نتائج هذا الاختيار، ولكن ليس معنى ذلك، أنّه يستطيع أن يخرج عن اطار قانون الله في الكون وأنّه وحده سبحانه الخالق لكل شيء، وأنّه لا يكون في ملكه إلا ما يريد، إن فعل الخير يحمد الله، وإن فعل الشر يجأر إلى الله بطلب الهداية والعفو، فلا منجا ولا ملجأ منه إلا إليه، فمن اختار طريق الهداية فبفضل الله تعالى وتوفيقه، لما يعلمه الله تعالى من قدره الذي لم يطلع عليه غيره، ومن اختار طريق الضلال فبخذلان الله تعالى له بعدله وعلمه فيه وقدره الذي لم يطلع عليه غيره، فليس عمل الإنسان جبراً من الله تعالى على العبد، وليس عمل الإنسان من خلق الإنسان، إذ ليس في الكون إلا خالق واحدٌ هو الله وحده، كما قال تعالى: {قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الرعد: 16]، ومن طلب في القدر ما وراء ذلك فقد ساء الأدب مع الله، وسأل الله عمّا لا يحق له التدخل فيه، قال تعالى : {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون}،

[8] توحيد الله تعالى في الربوبية: يتفرّع عن توحيد الأفعال توحيد الربوبية بجميع أقسامه: لما كان المقصود من توحيد الأفعال هو الاعتقاد بأنه لا خالق ولا مُؤثرٍ في الوجود إلا الله، واعتقاد أنه لا يكون ثم فعل من الأفعال في الكون إلا بخلقه ومشيئته وإرادته وقدرته، وأنّه سبحانه وحده المنفرد بخلق الخلق، وأن كل وجود و كل حركة وكل سكون، وكل فعل في العالم يعود الي الخالق سبحانه، فهو مسبب الاسباب، حتي الافعال التي تصدر منا هي من خلق الله تعالى، كما قال سبحانه:{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: 96]، لما كان المقصود من توحيد الأفعال كذلك، كان توحيد الربوبية فرع من توحيد الأفعال، إذ توحيد الربوبية معناه أنّه لا موجد ولا خالق ولا مكون لهذا الكون كله بما فيه إلا الله رب العالمين، ولا رازق في الكون كله إلا الله رب العالمين، ولا مالك ولا متصرف ولا مدبر للكون كله إلا الله رب العالمين، إنّ (الرب) هو المربي وهو المالك وهو المدبر المتصرف الذي بيده مقاليد تصريف الأمور، وهو السيد

المطاع وهو الحاكم المهيمن، وعلى ذلك فالربوبية مصطلح شامل يحمل معاني أساسية لا يقوم بتلك المعاني مجتمعة إلا في مسمى الربوبية وتتمثل في كل معاني الخلق والإيجاد وفي كل معاني التربية من التنشئة والرعاية والتعهد والاستصلاح ثم كل معاني التملك من الملك والتصرف والتدبير والتصريف ثم كل معاني العلو والسيادة والرئاسة والحكم والأمر ثم كل معاني الهيمنة من العز والذل والنفع والضر فمن ذلك كله تنشأ معاني الربوبية، ولا يصلح لفظ آخر أن يحل محل لفظ (الربوبية) في الإحاطة بكل معانيه، **ولهذا تكرر لفظ (الرب) في القرآن الكريم** قريب من ألف مرة، بصيغ مختلفة تدل على شمول الربوبية لجميع العالمين منها (رَبِّ الْعَالَمِينَ) و (رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) و (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) و (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) و (رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) و (رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) و (رَبُّكُمْ) و (رَبِّ الْفَلَقِ) و (رَبِّ النَّاسِ)، ووفقاً لتعريف الربوبية، فإنّ (توحيد الربوبية) مصطلح شامل يحمل اعتقاد معاني أساسية لا يقوم بتلك المعاني مجتمعة إلا مسمى توحيد الربوبية، لا يصح مصطلح توحيد الربوبية إلا باعتقادها جميعا، وإلا كان الشرك في الربوبية جليا، وتتمثل تلك الاعتقادات في اعتقاد أنه لا موجد ولا خالق ولا مكون لهذا الكون كله بما فيه إلا الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا رازق على الحقيقة في الكون كله إلا الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا مالك لا متصرف بيده ملكوت كل شيء ولا مدبر للكون كله على الحقيقة إلا الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا سيد ولا مهيمن ولا حاكم ولا آمر في الكون كله على الحقيقة إلا الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا ناصر ولا معين ولا معز ولا مذل ولا خافض ولا رافع ولا قابض ولا باسط إلا الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا شفيع في شيء من أمور الكون كله إلا من بعد إذن الواحد الأحد الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا شريك للرب الواحد الأحد الله رب العالمين في شيء من تلك المعاني التي يشملها توحيد الربوبية، لا يصح مصطلح توحيد الربوبية إلا بحصر معاني الربوبية في اللّهِ وحده، ولا يصح مصطلح توحيد الربوبية إلا باعتقادها جميعا لله رب العالمين وحده لا شريك له،

[9] توحيد الربوبية قسم عظيم من أقسام التوحيد: جاءت الآيات القرآنية متتالية تشير إلى حصر الربوبية لله رب العالمين، ومن ذلك: قوله تعالى: {قُل أَئِنَّكُم لَتكفُرونَ بِالّذي خلقَ الارضَ في يَومينِ وَتَجعَلونَ لَه أَندادا ذلكَ رَبُّ العالمين} [فصلت: 9]، وقوله تعالى: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102) [الْأَنعام: 102]، وجاءت الآيات القرآنية تترا تدعو إلى توحيد الربوبية، ومن ذلك قوله تعالى {لَكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا

أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا} [الكهف: 38]، وقوله تعالى {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 64]، وقوله تعالى {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[التوبة: 31]، وقوله تعالى {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}[الأنعام: 164]،

[10] أسس وركائز تمنع من الغلو في توحيد الربوبية: المشركون كانوا معترفين ببعض مفردات الربوبية ولم يكونوا على توحيد الربوبية: مفردات الربوبية كثيرة تشمل الخلق والرزق والتدبير والتصريف والرعاية والهداية والحفظ والسيادة والقهر والحكم والأمر، وتوحيد الربوبية لا يطلق إلا على من اعتقدها خالصة لله ليس له فيها شريك ولا معين، وقد كان المشركون على إيمان ببعض مفردات الربوبية كالخلق والرزق، وكفر بالبعض الآخر كالبعث والنشور والانفراد بتدبير الأمور، وكذلك كانوا يشركون أصنامهم مع الله ويعتقدون أن لها تدبيرا مستقلا في الكون وأنها تحفظهم وترزقهم وتنصرهم وتشفع لهم عند رب السماء والأرض شفاعة جبرية على الله بما لها من صفات الألوهية والربوبية في اعتقادهم، وهؤلاء لا يمكن بحال وصفهم بتوحيد الربوبية لأنهم أشركوها لأصنامهم مع الله، كما أنه لا يمكن بحال وصفهم بتوحيد العبودية إن عبدوا الله وأشركوا معه غيره من معبوداتهم الباطلة، وقد أشار القرآن الكريم إلى الشرك الواقع في الربوبية عند الأمم السابقة في العديد من الآيات منها قوله تعالى {وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ} [آل عمران: 64]، وقوله تعالى: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ) [التوبة: 31،]، وقوله تعالى: {أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [يوسف: 39]، والأدلة على كون المشركين في كل زمان وفي زمان الرسول كانوا على الشرك في الربوبية كثيرة (منها): اعتقادهم بأن لآلهتهم قدرة ذاتية على النفع والضر وهذا يعني ربوبيتها وهذا شرك في توحيد الربوبية وذلك باعتقادهم بقدرة غير الله على الضر والنفع والإعزاز والإذلال والنصر مستقلا عن الله، في مثل قوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [مريم: 81]، وقوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ} [يس: 74]، وقد كانوا يخوفون الرسل من بطش آلهتهم وهذا يعني اعتقادهم أنها تنفع وتضر استقلالا وهذا واضح لمن تدبره في مثل قوله تعالى: {إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ} [هود:

54]، وقوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: 36]، وذلك أنهم خوفوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم معرة معاداة الأوثان، وقالوا: لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون، و (منها): اعتقاد المشركين بوجود الشريك الذي له تأثير مستقل في الخلق وتدبير مملكة الله، ولهذا أمر الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إخبار المشركين بالبراءة من الشريك كما في قوله تعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء: 111]، وهذا يعني أن شرك المشركين لا يقتصر على شرك العبادة، ولكن معه شرك الربوبية الي يشمل اعتقاد الشريك في الملك والتدبير، و (منها): اعتقاد المشركين بوجود الند لله:، والند هو الضد والشبيه والمثيل الذي له مشاركة في الملك والخلق والتدبير، والمشركون كانوا يعتقدون في أصنامهم ومعبوداتهم أنها أنداد لله، قال تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ} [ابراهيم: 30]، وقوله تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 22]، و (منها): أنهم كانوا يساوون بين الله تعالى وبين معبوداتهم في الإلهية والربوبية: قال تعالى واصفا معتقد المشركين الذي أوداهم إلى النار: {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: 96 إلى 98] فهذه الآيات التي تحكي عقيدة المشركين و هي أنّهم جعلوا للّه سبحانه تعالى أنداداً و أنّهم كانوا يسوّون آلهتهم بربّ العالمين في صفات ربوبيته وتدبيره وتصريفه للكون وما فيه، ونستفيد مما سبق أنّ المشركين لم يكونوا على توحيد الربوبية أبداً، وأنّ من ظنّ أنهم كانوا على توحيدها لم يكن على صواب في ذلك،

[11] توحيد الله تعالى في استحقاق العبودية: من أهم أقسام توحيد الألوهية توحيد العبودية: ومن الفقه في الدين ملاحظة الفرق في الاصطلاح بين الألوهية وبين العبودية، وذلك لأنّ توحيد الألوهية يشمل جميع معاني التوحيد ويدخل فيه توحيد الذات، وتوحيد الأسماء والصفات والأفعال وتوحيد الربوبية وتوحيد العبودية، ولهذا ما كان يصلح لشهادة التوحيد وما كان يجزئ عن شهادة الموحد (لا إله إلا الله) شيء سواها،

[12] معنى العبودية وبيان المقصود من توحيد العبودية: العبودية هي الطاعة مع الخضوع والتذلل والاستسلام والانقياد لمن نعتقده إلها له صفات الربوبية واستحقاق العبودية، هذا هو المعنى الحقيقي بضابطه الفقهي للعبودية، فمن صرف مفردات العبادة لمن يعتقده إلها فقد اتخذه معبودا له سواء أكان هذا المعبود هو الله المعبود بحق، أو المعبودات الباطلة من دون الله، إن

ضوابط الفقه في الدين توجب وجود معنى وراء الطاعة والمحبة والخضوع والتذلل يستقيم له مسمى العبادة، فهذه المعاني قد تصرف للوالدين وتكون من أعظم البر بهما ولا يصح تسميتها عبادة قال تعالى {وَاخْفِضْ لَهُما جناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} [الإسراء:24] ولا يعد التذلل لهما عبادة وكذلك من باب الأولى الطاعة والمحبة، وكذلك فما هو الفرق بين سجود الملائكة لله وسجودهم لآدم، الهيئة واحدة هي هيئة السجود (وهي أقوى هيئة تدل على التذلل والخضوع)، الفعل واحد هو السجود، والنية تختلف الاول بنية العبودية لله والثاني بنية طاعة الله تكريما لآدم، إذ قوله تعالى: {وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم} لم يكن سجود عبادة لآدم وإنما سجود تكريم لمن أكرمه الله تعالى بالعلم، فشتان ما بين السجود للتكريم، والسجود بنية العبادة، وهذا المعنى هو الضابط لفقه العبادة فشتان ما بين السجود للتكريم، والسجود بنية العبادة، ومن سجد بنية العبادة، فإنه لا يسجد سجود عبودية إلا لمن يعتقده إلها وربا ومعبودا، إذن الاعتقاد هو ضابط الفقه في مسائل العبادة، والاعتقاد الضابط للعبودية هو اعتقاد الربوبية والألوهية أو شيئاً من مفرداتهما فيمن تصرف إليه العبادة: فمن صرف الطاعة الممتزجة بالمحبة والذل والخضوع لغير الله معتقدا ربوبيته وألوهيته فهو عابد له من دون الله، ومن صرفها بغير هذا الاعتقاد فلا يصح تسميتها بالعبادة،

[13] خطورة الذهول عن فقه ضابط العبادة (اعتقاد مفردات الربوبية والألوهية أو بعضها للمعبود): العبادة لها أصل هو اعتقاد الربوبية والألوهية واستحقاق العبودية لمن تصرف له الطاعة المصحوبة بالحب والتذلل والخضوع والخوف والرجاء، وبغير هذا الاعتقاد لا تكون الطاعة عبادة، ولها (للعبادة) صور تتمثل في العديد من هيئات العبادة كالسجود والصلاة والذبح والدعاء وغير ذلك من هيئات العبادة، فمن صرف السجود _ وهو غاية مظاهر التذلل والخضوع _ لغير الله اعتقادا له بالربوبية والألوهية فهو مشرك بالله الشرك الأكبر ومن صرفه بغير اعتقاد الربوبية والألوهية لمن سجد له فلا يكون عبادة ومنه سجود الملائكة لآدم وسجود آل يعقوب ليوسف عليه السلام، هذا وإن كان النهي عن السجود لغير الله تعالى هو الذي جاء به الإسلام، ولكن من سجد بنية التكريم بغير اعتقاد، فلا يكفر، ولا يعد مشركاً بالله الشرك الأكبر المخرج من الملة، وإنما هي معصية من المعاصي التي لا يجوز فعلها بحال،

[14] خلاصة الأمر في تعريف العبادة: التعريف الصحيح للعبادة ينبغي أن يشتمل على الضابط الذي يمنع من اتهام المسلم بالشرك الاكبر وهو لم يتخذ مع الله تعالى إلهاً آخر، ويكون التعريف الصحيح للعبادة هو عبارة عن الأفعال والأقوال الظاهرة والباطنة الدالة على الذل

والخضوع المقترن باعتقاد الألوهية والربوبية واستحقاق العبودية في حقّ المخضوع له، فكل طاعة تقترن بالاعتقاد تكون عبادة، فمن صرفها لله وحده فهو موحد، وإن صرفها لغير الله تعالى كان مشركاً، والعبادة (أي عبادة)، لها أصل وصورة، فالأصل هو العقيدة الخاصة التي تدفعه إلى عبادة المخضوع له وهي اعتقاد الألوهية والربوبية فيه، والصورة هي الفعل أو القول الدال على الطاعة مع المحبة والخضوع و التذلّل، ومنه يتبين أنّ للعبادة ركن ركين، لا تكون عبادة بدونه ألا وهو العقيدة التي تدفع الإنسان إلى عبادة المعبود، وأمّا الفعل أو القول كالسجود والذبح والدعاء فهذه مفردات للعبادة وصورٌ لها، فمن صرفها بغير اعتقاد ربوبية وألوهية لمن يصرف إليه فليس من الشرك الأكبر المخرج من الملة، وفعله أو قوله يدور بين الشرك في إطار الملة أو البدعة أو المعصية ولا تستحل محارمه بغير اعتقاد،

[15] أسس وركائز مهمة تمنع من الغلو في توحيد العبودية: (أ) الاعتقاد هو ضابط الفقه في مسائل العبادة: فمن صرف مفردة من مفردات العبادة بنية العبودية لغير الله وقع في الشرك الأكبر ومن صرفها بغير نية العبودية لغير الله لم يكن شركا أكبر، **(ب) الفقه في مفهوم مفردات العبادة التي من صرفها لغير الله تعالى كان مشركاً الشرك الأكبر:** العبادة لها أصل هو اعتقاد الربوبية والألوهية لمن تصرف له لعبادة، والعبادة لها صور ومفردات تتمثل في العديد من هيئات العبادة كالسجود والصلاة والذبح والدعاء وغير ذلك من هيئات العبادة، ولكل مفردة من هذه العبادات ركنان: الركن الأول: الاعتقاد أو ما يسميه العلماء القصد والنية للعبادة، والركن الثاني: العمل العبادي الدال على الطاعة والانقياد، فمن صرف العبادة بركنيها إلى غير الله صار مشركا الشرك الأكبر بالله وخرج من دين الإسلام إلى الكفر، ومن صرف العمل أو القول العبادي بغير اعتقاد ربوبية وألوهية لمن يصرف إليه فليس من الشرك الأكبر المخرج من الملة وفعله أو قوله يدور بين الشرك في إطار الملة أو البدعة أو المعصية ولا تستحل محارمه بغير اعتقاد، **(ت) الفقه في مفهوم (السجود)** ومتى يكون صرفه لغير الله تعالى الشرك الأكبر: من صرف السجود _ وهو غاية مظاهر التذلل والخضوع _ لغير الله اعتقادا له بالربوبية والألوهية فهو مشرك بالله الشرك الأكبر ومن صرفه بغير اعتقاد الربوبية والألوهية لمن سجد له – كأن فعله تكريماً أو تعظيماً فلا يكون عبادة، **(ث) الفقه في مفهوم (الدعاء)** ومتى يكون صرفه لغير الله تعالى الشرك الأكبر: ما قيل في السجود يقال مثله في الدعاء، فمن دعا من يعتقد فيه صفات الربوبية أو بعضها فهذا من الشرك الاكبر، ومن دعا بنية التوسل إلى الله تعالى بدعاء من يدعوه، فهذا باب آخر من أبواب الفقه موجود في أحكام التوسل، إلا أنّه ليس

من باب الشرك واتخاذ آلهة من دون الله، **(ج) الفقه في مفهوم (الذبح)** ومتى يكون صرفه لغير الله تعالى الشرك الأكبر: ما قيل في السجود يقال مثله في الذبح، وفقهاء أهل السنة متفقون على التفصيل في مسألة الذبح تبعاً للعقيدة، فمن ذبح لمن يعتقد فيه صفات الربوبية أو بعضها فهذا من الشرك الاكبر، ومن ذبح بنية الإكرام أو الاحترام، وكذلك كل من ذبح بغير نية التعبد واعتقاد ربوبية المذبوح له، فهذا كله لا يدخل في باب الشرك الاكبر، **(ح) الفقه في مفهوم (النذر)** ومتى يكون صرفه لغير الله تعالى الشرك الأكبر: ما قيل في السجود يقال مثله في النذر، فمن نذر لمن يعتقد فيه الربوبية وصفاتها، فهذه عبادة صرفها لغير الله تعالى شرك أكبر، وإن كان النذر خاليا من ذلك الاعتقاد فليس بعبادة، **(خ) الفقه في مفهوم (الشفاعة)** ومتى يكون اعتقادها لغير الله تعالى الشرك الأكبر: ما قيل في مفردات العبادة يُقال مثله في الشفاعة، فمن اعتقد لاحد شفاعةً الزاماً على الله تعالى بما للشافع من شراكة توجب له الشفاعة، فهذا من الشرك الأكبر، أما من اعتقد أنها تفضلٍ من الله تعالى لمن شاء من الصالحين من عباده، فهذه عقيدة أهل الإسلام، وهي ثابتة بفضل الله تعالى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، السجود يقال مثله في الذبح، وفقهاء أهل السنة متفقون على التفصيل في مسألة الشفاعة تبعاً للعقيدة، فمن صرفها لمن يعتقد فيه صفات الربوبية أو بعضها كالشراكة في التدبير أو الشفاعة اللازمة على الله تعالى، فهذا الشرك الاكبر، **(د) الفقه في مفهوم (الاستعانة)** ومتى يكون اعتقادها لغير الله تعالى الشرك الأكبر: ما قيل في مفردات العبادة يُقال مثله في الاستعانة، فمن استعان بمن يظن به صفات الربوبية والالوهية أو بعضها، فقد أشرك الشرك الاكبر المناقض لتوحيد الألوهية، ومن استعان بمن يظن فيه النفع بإذن الله تعالى وحده، فهذا لا علاقة له بمعاني التوحيد والشرك، وذلك لأنّ كل مسلم لابد له أن يستعين بالأسباب التي جعلها الله تعالى بمثابة القوانين الضابطة للحياة، فمن طلب المال استعان عليه بالعمل، وهو يعلم أنّ الرزق بيد الله تعالى، ومن طلب الولد استعان عليه بالزواج، وهو يعلم أنّ الولد بيد الله يهب لمن يشاء، ويجعل من يشاء عقيما، وهكذا، **وضابط الاستعانة**، أنّ من اعتقد أنّ أحداً له تأثير مستقل من دون الله فهذا شرك الاستعانة، ومن اعتقد أنّ الأمر كله بيد الله وحده لا شريك له، وليس لأحد معه أمر ولا تأثير، فلا بأس أن يأخذ بأسباب التوفيق والقبول والقربى من الله، **(ذ) التعريف الصحيح الضابط لفهم توحيد العبادة:** إنّ التعريف الصحيح الضابط لفهم توحيد العبادة هو إفراد الله تعالى باعتقاد الربوبية والألوهية، وافراد الله تعالى بأفعال العبد من سائر مفردات العبادة من صلاة وصيام ودعاء وذبح، ومن سائر أعمال القلوب كالتوكل والاستعانة واليقين، وقد شاب تعريف (العبادة)

قصور عند الوهابيين ولهذا لابد من تصحيح هذا التعريف لما يترتب عليه من آثار تتعلق بالتوحيد والشرك، ومتى يكون المرء موحداً، ومتى يكون مشركا، **(ر) التعريف الصحيح الضابط لفهم معنى الشرك الأكبر المناقض لتوحيد الألوهية:** إنّ الشرك الأكبر المنافي لتوحيد العبودية هو صرف العبادة إلى غير الله مع اعتقاد وجود نوع من شراكته مع الله في شيء الربوبية أو الألوهية، كأن يعتقد فيه نوع من التدبير والتصريف باستقلال عن الله، أو شفاعة ملزمة على الله، أو استحقاق أن يعبد من دون الله، فمن صرف السجود لمن يعتقد شراكته مع الله في صفات الربوبية أو الالوهية فقد أشرك في عبوديته لله تعالى، وأتى بالشرك الأكبر الذي لا يغفره الله لمن مات مصراً عليه،

[16] الشرك بالله ونواقض التوحيد: الشرك يحرم على صاحبه الجنة ويوجب عليه الخلود في النار، قال تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: 72]، والشرك يحبط العمل، لقوله تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الزمر: 65، 66]، وهو الذنب الذي لا يغفره الله تعالى أبداً إلا أن يتوب صاحبه، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء: 48]، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: 116]، وهو أعظم الذنب و أكبر الكبائر: كما جاء في الصحيح المتفق على صحته – عندما سئل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أي الذنب أعظم قال: ((أن تجعل لله ندًا وهو خلقك)) [متفق عليه]،

[17] مفردات الشرك في عقائد المشركين: من مفردات الشرك في عقائد المشركين:

(أ) اعتقاد الشريك مع الله، وهذا كقول النصارى إن الله ثالث ثلاثة، قال تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة: 73]، وقوله تعالى – في حق مشركي العرب –: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ} [ص: 5، 6]، **(ب) اعتقاد الولد والبنت لله:** كما في قوله تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} [مريم: 88 إلى

95]، فالولد من الاشياء المستحيلة في حق الله تعالى وتقدس، وقوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [سورة الإخلاص]، وقد نسب النصارى واليهود الولد إلى الله، كما في قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [التوبة: 30]، **وقد نسب مشركو العرب البنت إلى الله تعالى،** كما في قوله تعالى: {وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ} [النحل: 57]، وقوله تعالى: {فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ} [الصافات: 149]، وقوله تعالى: {أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ} [الطور: 39]، وقوله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} [النجم: 19 إلى 22]، **(ت) اعتقاد الند لله:** والند هو الضد والشبيه والمثيل الذي له مشاركة في الملك والخلق والتدبير، ويدل عليه قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سبأ: 33]، وقوله تعالى: {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [فصلت: 9]، وقوله تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ} [ابراهيم: 30]، **(ث) اعتقاد الشريك في الربوبية ومفرداتها من التصريف والتدبير:** كما في قوله تعالى: {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} [سورة الأنعام: 164]، وقوله تعالى: {وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ} [آل عمران: 64]، وقوله تعالى: {والذين هم بربهم لا يشركون} [المؤمنون: 59]، **(ج) اعتقاد الشريك في الملك:** كما في قوله تعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء: 111]، وقوله تعالى: {الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: 2]، **(ح) اعتقاد القدرة الذاتية على النفع والضر والإعزاز والنصر:** كما في قوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [مريم: 81]، وقوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ} [يس: 74]، وقوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ} [الأنبياء: 43]وقوله تعالى: {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ} [هود: 101]، والمعنى أنّهم كانوا يدعونهم ويعبدونهم وهم ينتظرون أن يغنوا عنهم من الاله شيئا، وقد كان الكفار يخوفون الرسل من بطش آلهتهم وهذا يعني اعتقادهم أنها تنفع وتضر استقلالا وهذا واضح لمن تدبره في مثل

قوله تعالى: {إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ} [هود: 54]، وقوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: 36] وذلك أنهم خوفوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معرة معاداة الأوثان، **(خ) اتخاذهم أولياء ينصرونهم من دون الله**: كما في قوله تعالى: {أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الشورى: 9]، وقوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 41]، وقوله تعالى: {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [الانعام: 14]، **(د) اعتقادهم استحقاق معبوداتهم للعبادة من دون الله**: كما في قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 64]، **(ذ)** اعتقاد التسوية بين الله وبين معبوداتهم في الربوبية: كما في قوله تعالى: {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: 96 إلى 98]، فهذه الآيات التي تحكي عقيدة المشركين و هي أنّهم كانوا يسوّون آلهتهم بربّ العالمين في صفات الربوبية،

[18] أنواع الشرك: الشرك أنواع، فمنه الشرك الأكبر، وهو المخرج من الملة، والموجب للخلود الأبدي في النار وهو شرك اعتقاد يوجب اعتقاد شريك مع الله تعالى في ذاته أو اسمائه أو صفاته أو أفعاله أو في ربوبيته أو في ألوهيته أو في هذه الأقسام جميعها، ومنه الشرك الأصغر، وهو (الرياء) شرك العمل بغير اعتقاد الشريك مع الله، ومنه الشرك الخفي وهو تعلق القلب بغير الله تعالى من سائر الأسباب، والشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة، وصاحبه مخلد في النار، وهو محبط لجميع الأعمال مبيح للدم والمال، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء: 48]، وقال الله تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزُّمَر: 65]، والشرك الأصغر لا يخرج من الملة، ينقص التوحيد ولكنه لا ينقضه، ولا يخلد صاحبه في النار، بل يعذب بقدر ذنوبه ثم يخرج من النار، وقد يتوب الله عليه فلا يدخل النار، **والشرك الأصغر** لا يحبط جميع الأعمال، وإنما يحبط العمل الذي خالطه، ولا يبيح الدم والمال كالأكبر، وحكم فاعله حكم عصاة الموحدين، والشرك الخفي: أخفى على القلب من دبيب النمل، وتخفى دقائقه على أهل التوحيد، ولهذا لا ينجو منه إلا الأنبياء والمرسلين،

ومحاربة هذا النوع من الشرك هو من كمال التوحيد، ومثاله، تعلق القلب بالأسباب، وتعلق المحبة بالأبناء والأموال، وهكذا، وقد علمنا الرسول الكريم الاستعاذة من هذا الشرك بقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم)) [أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (18781)]،

[19] ضابط الشرك الأكبر المحبط للعمل: الشرك قسمان: أكبر يتعلق بالقلب والاعتقاد، وأصغر يتعلق بالعمل والجوارح، وهذا من أعظم الفقه في دين الله تعالى ومن الموازين الربانية لضبط مسائل وأحكام الشرك، وإلا دخلت الأمة في فوضى اتهام الأمة الإسلامية بالشرك والتكفير واستحلال دماء وأموال وحرمات أهل القبلة، واتهام أهل الجهل والبدعة بالشرك الأكبر المخرج من الملة والعياذ بالله، وشرك العبادة الأكبر شرك اعتقاد: ويتناول اعتقاد إلوهية أو ربيوبية أو استحقاق عبودية غير الله، وعلى ذلك فمناط الشرك الأكبر هو الاعتقاد القلبي، وإن الاضطراب الحاصل في تحديد حقيقة الشرك الأكبر أوقع الكثير من المنتسبين للعلم في اتهام المسلمين بالشرك الأكبر في مسائل لا تبلغ بهم هذا المبلغ لأنها خالية من اعتقاد شريك مع الله في ألوهيته أو ربوبيته أو استحقاقه للعبودية، ومن أعظم قواعد أهل السنة والجماعة في ضبط مسائل الشرك: قولهم أنّ: الشرك الأكبر اعتقادي والشرك الأصغر عملي: فلا يكون العمل الشركي دالا على الشرك الأكبر إلا باعتقاد ألوهية غير الله أو ربوبيته أو استحقاق غيره للعبادة، وهذا الضابط هو العاصم من التكفير واتهام المسلم بالشرك الاكبر المخرج من الملة، بمعنى أنه كل من يقول أنا لا أعبد إلا الله وما أقوم به ليس عبادة لغير الله، لا يمكن أن يقال له: لا بل أنت مشرك، أنت تعبد غير الله لأننا نحن نعرف معنى العبادة وأنت لم تعرفها، هو مسلم بمجرد اعتقاده بأن العبادة لا تكون إلا لله ولم يقصد غير الله بالأعمال العبادية، وكل مقر بلسانه بكلمة التوحيد مسلم ليس لنا أن نتهمه بالشرك ما دام يأبى الشرك بالله، والاتهام بالشرك أخطر أنواع التكفير والمقر بلسانه بكلمة التوحيد(لا إله إلا الله) مسلم، ليس لنا أن نتهمه بغير ذلك، ما كان مقرا بأن الله هو الخالق المدبر المعبود وحده لا شريك ولا يمكن أن نحكم بكفره إلا إذا أنكر ما هو ضروري من الدين مع انتفاء الشبهة في حقه، وقد ردع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن اتهام اي مسلم بالشرك أو الكفر . ففي صحيح مسلم: ((إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما)) [صحيح مسلم ج1 ص 79]،

[20] أخطاء الوهابيين في باب الشرك: **تتمثل في: (1) خطأ المقارنة بين جهل المسلمين وبين شرك المشركين الأصليين: المسلم يعتقد أنّه لا معبود بحق سوى الله**، والمشرك يتخذ

من دون الله أندادا وشركاء، والموحد يقر ويعتقد أنّه لا إله إلا الله، والمشرك يعتقد بوجود آلهة مع الله، ويقول: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: 5]، **والموحد يعتقد أنّ الشفاعة لله جميعا**، لقوله تعالى: {قُلْ للّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً}[الزمر: 44] وأنّ شفاعة الخلائق لا تكون قسراً على الله، وإنما لمن ارتضى، لقوله تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: 28]، والمشرك يعتقد وجود الشافعين إلزاما على الله بما لهم من شراكة – على اعتقادهم الباطل – مع الله، ويدل عليه قوله تعالى: {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ} [الأنعام: 94]، **والمسلم يرى أنّ العزّة بيد اللّه سبحانه** كما في قوله تعالى: {فَلِلّهِ الْعِزَّةُ جَميعاً})فاطر: 10) والمشرك يرى أنّ العزة بيد الأصنام والأوثان بدليل قوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً} [مريم: 81]، **والمسلم يرى النصر من عند الله تعالى وحده** فهو الناصر وهو المعين، والمشرك يتخذ من دون الله آلهة لعلهم ينصرونه لقوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ} [يس: 74]، **والمسلم يقر ويعتقد بنبوة ورسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم** ويقولون (لا إله إلا الله – محمد رسول الله) معتقدين لها، والمشرك لا يؤمن بالرسول، ويقول – كما حكاه عنه القرآن الكريم –: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ * أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ} [ص: 4 إلى 8]، ولذلك لا يصح مقارنة أفعال جهلاء المسلمين ممن يتوسلون إلى الله تعالى بالصالحين من عباده ويفعلون أموراً تنسب إلى الجهل والبدعة ولا تنسب إلى الشرك في حق المسلم بحال، كالطواف حول القبور والتبرك بالصخور، وذلك لأنّ العقد سليم بأنّه لا إله إلا إله الله وأنّه لا معبود بحق سواه، وتلبسهم بصرف بعض العبادات جهلاً إلى غير الله لا يخول اتهامهم بالشرك الأكبر المخرج من الملة لأنّ ضابط الشرك الأكبر هو صرف العبادة بنية العبادة لمن تعتقد فيه الألوهية والربوبية أو شيء من صورهما، ومنه يتبين خطأ الوهابيين حين أقدموا على تكفير طائفة عريضة من جهال المسلمين واتهامهم بالشرك الأكبر، واستحلال دمائهم وأموالهم، وما ذاك إلا بسبب عدم تحريره الضابط للتفريق بين الشرك الأكبر والأصغر، وأنّ الأول اعتقادي والثاني عملي، والمسلم لا يشرك الشرك الأكبر إلا باعتقاد آلهة مع الله وأنداد من دون الله يصرفون إليهم العبادة من دون الله، وهذا لا يكون من مسلم أبدا، **(2) الشفاعة معتقد صحيح في دين الله ولا علاقة لشفاعة المسلمين بالشرك**: هناك فرق أصيل بين عقيدة المسلمين في

الشفاعة وعقيدة المشركين في الشفاعة، فالمسلم يعتقد أنّ الشفاعة تكون للصالحين فيما يأذن به الله ويرضاه سبحانه، كما في قوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا} [طه: 109]، وقوله تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: 28]، وقوله تعالى {مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ} [يونس: 3]، واعتقاد الشفاعة بهذه الضوابط لا يمكن أن يكون موجبا مستقلا للوقوع في الشرك الأكبر، بل هو على النقيض من ذلك توحيد وطاعة ووسيلة إلى رضا الله تعالى، أما المشركون فيعتقدون شفاعة آلهتهم ومعبوداتهم إلزاما على الله تعالى بموجب شراكتهم لله تعالى في ملكه وربوبيته وألوهيته، فهذه شفاعة شرك وكفران، ودليل ذلك قوله تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} [الأنعام: 94]، فالمشركون – كما تدل الآية –: {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ} يزعمون أن شفاعة معبوداتهم واجبة بما لها من شراكة مع الله، تعالى الله عما يشركون، ومنه يتبين خطأ الوهابيين حين استدلوا بآية الزمر على اتهام المسلمين بالشرك لاتخاذهم بعض الصالحين شفعاء عند الله، فالمسلم يعتقد أنّ الشفاعة تكون للصالحين فيما يأذن به الله ويرضاه سبحانه، أما المشركون فيعتقدون شفاعة آلهتهم ومعبوداتهم إلزاما على الله تعالى بموجب شراكتهم لله تعالى في ملكه وربوبيته وألوهيته، **(3) خطأ من ظن أن اعتقاد الشفاعة يمكن أن يكون موجبا مستقلا للوقوع في الشرك الأكبر:** استدل الوهابيون بالآية: {أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الزمر: 43، 44] على اعتبار اعتقاد الشفاعة المجردة موجب مستقل للشرك الأكبر، وقد تقدم أنّ هناك فرق بين اعتقاد الشفاعة عتد المسلمين والمشركين، وكذلك فإن اعتقاد المشركين لم يكن بمجرد الشفاعة بمعنى الواسطة ولكن اعتقادهم كان بالشفاعة الجبرية بما لها من شراكة في الملك والتدبير، ومن تدبر آية الأنعام علم ذلك، قال تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} [الأنعام: 94]، فجمع الله تعالى بين اعتقادهم الشفاعة وزعمهم أن لها الشراكة في الربوبية والملك والتدبير {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ}، **(4) خطأ الوهابيين عندما استدلوا بآية الزمر للتوصل إلى اتهام جهلاء المسلمين بالشرك:** قال تعالى {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ

يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}[سورة الزمر: 3]، تبدأ الآية بذكر الدين الخالص الذي هو (التوحيد) ويشمل كافة أقسام التوحيد من توحيد الذات والأسماء والصفات والأفعال ويشمل توحيد الربوبية بكافة مفرداتها وتوحيد الإلوهية بكافة مفرداتها، ثم قال تعالى: {والذين اتخذوا من دونه أولياء}، الولي في اللغة هو الناصر والمعين والمشركون اعتقدوا ذلك في آلهتهم بدليل قوله تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا}[مريم: 81]، فالآية ظاهرة الدلالة في أنهم يعتقدون أنها تحقق لهم العز، وقوله تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ}[يس: 74]، والآية ظاهرة الدلالة في أنهم يعتقدون أنها تحقق لهم النصر، وقوله تعالى {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ}[سورة هود] وهذا معتقد المشركين على مر الأزمان يعتقدون أن أصنامهم تحقق لهم الحماية وأن لها القدرة على إلحاق السوء والضرر بمن يكفر بها ويذكرها بسوء، وعلى ذلك فهم مشركون في الربوبية باعتقاد بعض مفرداتها وصرفها لمعبوداتهم مع الله، **(5) خطأ الوهابيين حين استدلوا بآية يونس للتوصل إلى اتهام جهلاء المسلمين بالشرك:** قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [يونس: 18]، والمتدبر في الآيات يفقه منها أمور ضرورية: (الأول): الإقرار بعبادة غير الله {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}، و (الثاني): اعتقاد شركاء مع الله في ألوهيته {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}، و (الثالث): تكذيب الله تعالى لهم في ادعائهم بأنهم يتخذون هذه الأصنام مجرد شفعاء لهم عند الله: {قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ}، و (الرابع): ضابط الشرك الأكبر في الآيات هو اعتقاد آلهة مع الله وصرف العبادة لها، مما سبق يعلم خطا من جعل ضابط الشرك الأكبر في الآية هو مجرد اتخاذ الوسائل والشفعاء والوسطاء، **(6) الفارق العظيم بين التوسل وبين الشرك بالله:** (أ) التوسل هو التقرب إلى الله، والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: 35]، والآية عامة في إثبات شرعية التوسل وفضيلته، ولم تتعرض للوسائل الشرعية الجائزة في باب التوسل، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء: 64]، تصرّح الآية الكريمة بأن التوسل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاستشفاع به إلى الله عز وجل والاستغفار منه لمغفرة المعاصي، مؤثر وموجب للتوبة والرحمة الإلهية، والآية الكريمة مطلقة لم تحدد الاستغفار بالرسول صلى الله

عليه وآله وسلم في حياته فقط، أو أنها صالحة إلى يوم القيامة، قال الوهابيون المانعون للتوسل بذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الآية تتعلق بحياته دون موته لأنه لا إدراك له بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فكيف يتوسل إلى الله تعالى لمغفرة ذنوبهم، وقال المجيزون للتوسل – وهم جمهور الفقهاء (المالكية والشافعية ومتأخرو الحنفية وهو المذهب عند الحنابلة): إن هذه الآية صالحة إلى يوم القيامة سواء في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بعد وفاته، لاسيما وقد جاءت الأدلة التي تدل على إدراك النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قبره لحال أمته، (**ب) الخطأ في فهم المقصود من التوسل:** ظن الوهابيون أنَّ المقصود من التوسل هو اتخاذ واسطة بين العبد وربه، وأدى هذا الظن إلى خلل في فهم موضوع التوسل، واعتقاد أنه مخالف للتوحيد ويفتح بابا إلى الشرك، وإلى غلو في تقييم بحث التوسل وإلحاقه بباب التوحيد، واعتقاد أن المتوسلين إنما يدعون غير الله، ويتخذونهم وسطاء يقربونهم إلى الله زلفا، وهذا خطأ جسيم وفهم خاطئ لموضوع التوسل، إذ التوسل إنما هو طلب القربى إلى الله تعالى بالوسائل الجائزة شرعاً، وليس من باب اتخاذ واسطة بين العبد وربه أبدا، وهذا هو السر في الخلاف الحاصل في المسالة، فلو حررنا موضع النزاع في فهم التوسل، ونظرنا إلى الوسائل المشروعة للتوسل، فما أجازه الشرع من معاني التوسل أجزناه، وما منعه الشرع من معاني التوسل منعناه، لا نفتئت على الشرع ولا نتقدم عليه برأي دون دليل، والمسألة فقهية بابها الفقه وليس العقيدة والتوحيد والشرك، **(ت) تحرير المعنى المقصود من التوسل:** التوسل إنما هو طلب القربى إلى الله تعالى بالوسائل الجائزة شرعاً، والمتوسِّلُ المسلم الموحد لا يعبد إلا الله، ولا يرجو سوى الله، ولا يدع إلا الله وحده، فالله وحده – في عقيدة كل مسلم – هو المالك القادر المهيمن، وهو وحده المعطي والمانع، وهو وحده المعز والمذل وهو وحده النافع والضار ولكن المتوسّل اتخذ قربة شرعية جائزة – أجازها الكتاب والسنة – رجاء قبول مبتغاه عند الله، وليس التوسل – أبداً – اتخاذ واسطة بين العبد وربه، كما كان يفعل المشركون بقولهم: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: 3]، فشتان بين مسلم لا يعبد إلا الله، ويستأفف من نسبة عبادته إلى غير الله، ولا يرضى أبداً أن يقال عنه أنه عابد لغير الله، وهو يقر بالقرآن والإسلام وأركان الإيمان، ويشهد بالشهادتين (لا إله إلا الله – محمد رسول الله)، عن يقين واعتقاد، فهل يستوي هذا مع من يستنكف عن التوحيد والإسلام والإيمان، ويزعم أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ساحر كذاب، وقد صور القرآن الكريم حالهم بقوله تعالى: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا

سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ * أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ} [ص: آية 4 إلى آية 8]، فهل من العدل والإنصاف في دين الله تعالى أن نساوي بين توسل المسلم الذي أقر بالتوحيد والإسلام والإيمان، وبين اتخاذ المشرك وسائط إلى الله على زعمه الكاذب الذي كذبه القرآن الكريم، وجعله كاذب كفار حرمه الله تعالى من الهداية، قال تعالى: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: 3]، **وعلى ذلك فإن المعنى المقصود من (التوسل) إذا قاله المسلم**، هو طلب القربى إلى الله تعالى بالوسائل الجائزة شرعاً، وليس المقصود به أبداً اتخاذ واسطة بين الله تعالى وبين العبد على غرار ما يفعله المشركون المنكرون لرسالة الإسلام، وهنا إذ تحرر موضع النزاع في معنى التوسل، بقي أن نعلم ما هي أنواع التوسل الجائزة شرعا، فنقول لها سمعاً وطاعةً، ولا نتقدم على الشرع الحكيم برأي أو هوى أو غلو أو تقصير، أو إفراط أو تفريط، والمسألة بابها الفقه وليس العقيدة، وجمهور أهل الفقه على جواز التوسل إلى الله تعالى بذوات الأنبياء والصالحين،

[21] تقييم مذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في علم التوحيد لمعرفة مدي تمثيله لمذهب السلف، ومدى قربه أو بعده عن مذهب السلف في بعض أقسام العلم: لقد تبنى الشيخ محمد ابن عبد الوهاب نشر كتب وأفكار الإمام ابن تيمية – بما فيها من أخطاء – بقوة السيف والسنان، ولكن أيضاً إضافة إلى تبنيه أخطاء ابن تيمية، كانت له كذلك اجتهادات خاطئة في مباحث توحيد الألوهية، وفي مباحث توحيد الربوبية، وفي مباحث تقرير حقيقة الشرك الأكبر، وفي مجال نقل مباحث خلافية من علم الفقه كالتوسل والتبرك وبناء المساجد على القبور وشد الرحال لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علم العقيدة وإلصاقها بالتوحيد والشرك، وبسبب هذا الخلل في استيعاب مسائل وأحكام التوحيد على منهاج أهل السنة والجماعة غالى في اتهام المسلمين بالشرك الأكبر في مسائل لا تبلغ بهم هذا المبلغ، وكانت النتيجة أن أعلن الحرب على طوائف عديدة من المسلمين، واستحل دماءهم وأموالهم وحرماتهم لمسائل لا تبلغ بهم هذا الحال أبدا،

[22] حال نجد الحجاز التي خرج منها الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما وردت في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أخرج البخاريُ في صَحيحِه عن مُحَمَّدِ بْنُ الْمُثَنَّى

عَن حُسَيْنِ بْنُ الْحَسَنِ عَن ابنِ عَوْنٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: ((اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا"، قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا، قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: "هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ)) [أخرجه البخاري]، وأخرج البخاريُ ومسلم عن مُسَدَّدٌ عن يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ عن قَيْسٌ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِيَدِهِ نَحْوَ اليَمَنِ فَقَالَ ((الإِيمَانُ يَمَانٍ هَا هُنَا، أَلاَ إِنَّ القَسْوَةَ وَغِلَظَ القُلُوبِ فِي الفَدَّادِينَ، عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ)) [متفق عليه]، ونجد الحجاز هي جهة المشرق تماما بالنسبة إلى أهل المدينة المنورة حيث أشار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقد أخرج البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الفتنة من قبل المشرق) (7092) من طريق معمر عن سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قام على المنبر فقال: ((الفتنة ههنا، الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان، أو قال قرن الشمس))، وأخرج البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الفتنة من قبل المشرق) (7092)، ومسلم في كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان (7292) بنحوه كلاهما من طريق الليث عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مستقبل المشرق يقول: ((ألا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان))، قلت: ومن نظر إلى الخريطة وجد أنّ نجد تقع تماما في جهة المشرق بالنسبة إلى المدينة المنورة حيث أشار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا يفند زعم البعض أنّ نجد المقصودة هي منطقة بالعراق، وآخرون أنّها منطقة بالشام، وكلامهم يفتقد إلى أدنى التحقيق والإنصاف، وذلك لأنّ نَجد الحِجاز كانت أرض الفَدّادين رِعاءِ الإبِل، والعراق كانت أرض زراعة وصناعة وتجارة وما كانت آنذاك أرضًا لرِعاء الإبل، كما أنّ "نجد" الحجاز هي بلاد ربيعة ومضر وليس نجد العِراق أو الشام ثم نحن لا نعلم نجدا معروفا إذا أطلق لفظ " نجد " سوى نجد الحجاز والتي ظهر منها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأتباعه من علماء الدعوة النجدية، التي ينتسبون إليها، وليس القصد من ذلك التجريح في اهل نجد، ولكن المقصود الحذر ثم الحذر مما ينفرد به أهل نجد من علوم الدين لأنه آنذاك يكون يقينا من الباطل الذي نفخ فيه الشيطان بقرنه، لأن الأحاديث دلت على التحذير من هذه المنطقة ومما يخرج منها من الضلال الذي يُخالف ما عليه عامة أهل السنة والجماعة من علوم الدين،

[23] أخطاء محمد بن عبد الوهاب في فهم توحيد الألوهية: أخطأ في تفسير العبادة، ففسرها بمعناها اللغوي وهو الإتيان بأقصى غاية الذل والخضوع، وذهل عن ضابطها الذي يضبط أحكامها ألا وهو (الاعتقاد) اعتقاد الربوبية والإلهية لمن يصرف إليه العمل العبادي، وقد كفر المشركون بسجودهم لأوثانهم و دعائهم إيّاهم، وغيرهما من أنواع الخضوع لتحقّق هذا القيد فيهم، وهو اعتقادهم ربوبية ما خضعوا له، أو خاصة من خواصها كما سيأتيك تفصيله لا يصحّ أن يكون السجود لغير اللّه فضلاً عمّا دونه من أنواع الخضوع بدون هذا الاعتقاد، عبادة شرعاً (كسجود الملائكة لآدم)، فانّه حينئذٍ يكون كفراً، وما هو كفر فلا يختلف باختلاف الشرائع، ولا يأمر اللّه عزّ وجلّ به {قُلْ إِنَّ اللّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ} [الاَعراف: 28]، {وَلا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْر} [الزمر: 7]، وذلك ظاهر إن شاء اللّه، ولكن لما رأى الشيخ النجدي محمد بن عبد الوهاب أنّ المشركين كانوا يتقربون لآلهتهم بالذبح والنذر والدعاء والاستعانة والاستشفاع والسجود والتعظيم ... الخ ظنّ أنّ مجرد إتيانهم هذه الأمور لذاتها هو العبادة، وأنّ كل عمل يصلح للتعبد به لا يقع إلا عبادة إن وقعت لله فهي التوحيد، وإن وقعت لغيره فهي الشرك، فأدى ذلك إلى الغلط في تصور العبادة والشرك المقابل لها، وإنّ الغلط في تفسير العبادة، كان المزلقةُ الكبرى والمزلَّة العظمى، الذي أُستحِلت به دماءُ لا تحصى، وانتهكت به أعراض لا تعد، وتقاطعت فيه أرحام أمر اللّه بها أن توصل، عياذاً باللّه من المزالق والفتن،

[24] أخطاء محمد بن عبد الوهاب في فهم توحيد الربوبية: قال في مجموعة التوحيد: " وبعد فهذه أربع قواعد من قواعد الدين يميز بهن المسلم دينه من دين المشركين: القاعدة الأولى: أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا مقرين لله بتوحيد الربوبية يشهدون أن الله هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر لجميع الأمور ولم يدخلهم ذلك في الإسلام والدليل قوله تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُون}" أهـ [مجموعة التوحيد ص 15 – 16]، والخطأ في هذا القول بين لأسباب عديدة، منها: أنّ توحيد الربوبية لله يعني اعتقاد أن الله أن الله تعالى هو وحده الخالق الرازق المحيي المميت المتعهد بالتربية لجميع خلقه إذ هو رب العالمين، واعتقاد أن مقادير كل شيء بيد الله يرفع من يشاء ويخفض ويعز من يشاء ويذل ويهدي من يشاء ويضل ويوسع الرزق على من يشاء ويضيق ويحيي من يشاء ويميت، له في لك كله المشيئة المطلقة والإرادة النافذة لا حق لأحد في مراجعته وأمره كله عدل وفضل {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون}، **هذا هو توحيد الربوبية**

عند المسلمين، أما مشركو العرب فقد اعتقدوا بأن لآلهتهم قدرة ذاتية على النفع والضر وهذا شرك في الربوبية وذلك باعتقادهم بقدرة غير الله على الضر والنفع والإعزاز والإذلال والنصر مستقلا عن الله، ويتضح ذلك في مثل قوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [مريم: 81]،وقوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ} [يس: 74]، وكانوا يخوفون الرسل من بطش آلهتهم وهذا يعني اعتقادهم أنها تنفع وتضر استقلالا وهذا واضح لمن تدبره في مثل قوله تعالى: {إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ} [هود: 54]، وقوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: 36]، **والخلاصة** أن المشركين كانوا يعتقدون بأن الآلهة التي عبدوها وآمنوا بها تضر وتنفع وتنتصر وتنتقم وتنصر ولهذا اتخذوها أربابا من دون الله لعلهم ينصرون، وكذلك فإن اعتقاد المشركين كان يقوم على اعتقاد وجود الشريك الذي له تأثير مستقل في الخلق وتدبير مملكة الله، ولهذا أمر الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إخبار المشركين بالبراءة من الشريك كما في قوله تعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء: 111]، وهذا يعني أن شرك المشركين لا يقتصر على شرك العبادة، ولكن معه شرك الربوبية الي يشمل اعتقاد الشريك في الملك والتدبير، وكذلك اعتقاد المشركين بوجود الند لله، والند كما جاء في معاجم اللغة هو الضد والشبيه والمثيل الذي له مشاركة في الملك والخلق والتدبير [انظر: تهذيب اللغة ج14 ص 51 و المفردات ص 486]، والمشركون كانوا يعتقدون في أصنامهم ومعبوداتهم أنها أنداد لله، والأدلة من القرآن الكريم على ذلك كثيرة منها: قوله تعالى:: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ} [ابراهيم: 30]، وقوله تعالى: {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [فصلت: 9]، وقوله تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[البقرة: 22]، وقوله تعالى: {أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الشورى: 9]، وقوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 41]، كما أنّ المشركين كانوا يساوون بين الله تعالى وبين معبوداتهم، كما في قوله تعالى – واصفا معتقد المشركين الذي أوداهم إلى النار–: {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: 96 إلى 98]، فهذه الآيات . التي تحكي عقيدة المشركين و هي أنّهم جعلوا للّه سبحانه تعالى أنداداً و أنّهم كانوا يسوّون آلهتهم بربّ العالمين

في صفات ربوبيته وتدبيره وتصريفه للكون وما فيه، كما أنّ المشركين كانوا يلهجون بدعاء آلهتهم رجاء نصرتها لهم واعزازها لهم، إذ لا يعقل في تاريخ البشر أن يدعو أحد أحدا لا يرجوه لتحقيق منفعة أو رد ضر وإلا خرج من دائرة العقلاء، ورد الله تعالى عليهم اعتقادهم الباطل بقوله تعالى: {والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون * أمواتٌ غير أحياءٍ وما يشعرون أيّان يبعثون * إلهكم إلهٌ واحدٌ} [النحل: 20إلى 22]، وبقوله عز وجل {فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لمّا جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب) [هود: 101]، وقوله تعالى: {وما يتّبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون} [يونس: 66]، ويظهر جليا من هذه الآيات أن مشركي العرب كانوا يتخذون آلهة لهم من دون الله وكانوا يدعونهم عند الشدائد ويستغيثون بهم اعتقادا أن آلهتهم هذه تسمع دعاءهم وتقدر على نصرهم وأنهم شركاء لله في ملكه العظيم، ومن هنا نعلم مدى الخطأ الجسيم في ادعاء أن المشركين كانوا على توحيد الربوبية،

[25] أخطاء محمد بن عبد الوهاب في تقرير حقيقة الشرك الأكبر: كما كان الخطأ في تقرير العبادة كان كذلك الخطأ في تقرير الشرك، وأنّه ليس مجرد صرف صور العبادة كالسجود والدعاء والذبح وغيرها من صور العبادة لغير الله تعالى، ولكنه الصرف المُصاحب بالاعتقاد لمن يصرف إليه صورة العبادة أنّه إله معبود أو رب قادر، وإلا لم يكن شركا أكبر يُخرج من الملة إلى الكفر الاكبر، ومن ذلك الخطأ في فهم آية الزمر، ومعرفة حقيقة اعتقاد المشركين بربوبية معبوداتهم: قال تعالى {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}[سورة الزمر: 3]، والولي في اللغة هو الناصر والمعين والمشركون اعتقدوا ذلك في آلهتهم بدليل قوله تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا}[مريم: 81]، فالآية ظاهرة الدلالة في أنهم يعتقدون أنها تحقق لهم العز،وقوله تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ}[يس: 74]، والآية ظاهرة الدلالة في أنهم يعتقدون أنها تحقق لهم النصر، وقوله تعالى {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ}[سورة هود] وهذا معتقد المشركين على مر الأزمان يعتقدون أن أصنامهم تحقق لهم الحماية وأن لها القدرة على إلحاق السوء والضرر بمن يكفر بها ويذكرها بسوء، وعلى ذلك فهم مشركون في الربوبية باعتقاد بعض مفرداتها وصرفها لمعبوداتهم مع الله، {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} ويستفاد من الآية: أنهم أقروا بعبادة أصنامهم وهو شرك في العبودية والألوهية (ما نعبدهم)، وأنهم زعموا أن عبادتهم للأصنام من أجل أن تقربهم إلى الله، ويستفاد

كذلك كذب دعواهم في أنهم ما عبدوها إلا لتقربهم إلى الله زلفى، بدليل رد الله تعالى عليهم بقوله في خاتمة الآية {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}، وكذبهم مفاده أنهم يعبدونها لأنهم يعتقدون أنها تنصرهم وتعزهم وتحميهم وتعتري أعدائها بسوء وضر، وهذا كله من أعظم الشرك في ربوبية الله تعالى وإلهيته لعباده، وفي الحديث (أنا أغنى الأغنياء عن الشرك)، وقوله تعالى: {كَاذِبٌ كَفَّارٌ} صيغة مبالغة من كافر لأنهم كفروا بربوبية الله وألوهيته وكذبوا على الله ورسوله،

[26] أخطاء محمد بن عبد الوهاب في نقل مباحث خلافية من علم الفقه كالتوسل والتبرك وبناء المساجد على القبور وشد الرحال لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علم العقيدة وإلصاقها بالتوحيد والشرك، وليس المقصد من الدعاء إلى تحقيق تلك المسائل هو الانتصار لرأي فقهي على حساب آخر، وليس هو من قبيل تهوين ما فعله الجهلاء من بناء المساجد على القبور، وما يفعلونه عند مقابر الصالحين، فإن المساجد بيوت الله تعالى في الأرض، وهي دور العبادة والطاعة والصلاة، ولابد من تنزيهها عن أفعال الجاهلين وغلو المغالين وتسيب المستهترين، وإنما المقصد الأساس من ذلك هو بيان أنّ هذه المسائل تتبع الفقه ولا تتبع التوحيد، وتتبع السنّة والبدعة ولا تتبع الشرك والتوحيد، وتتبع الصواب والخطأ ولا تتبع الإيمان والكفر لأنّ المسلمين – على مر عصور الإسلام – مهما بلغ الجهل منهم مبلغه، فلم يعبدوا إلا الله ولم يصرفوا العبادة إلا إلى الله، كيف وشعار هم هو (لا إله إلا الله)، ومن ثم تهذيب مسائل التوحيد والشرك، فلا يشوبها شائبة الغلو والجفاء، واتهام المسلمين بالشرك الأكبر وهم منه برآء، فعلاج الخلل لا يكون بالخلل، وعلاج الخطأ لا يكون بالخطأ، وعلاج التفريط لا يكون بالإفراط، ودين الله تعالى عدل بين ظلمين، ووسط بين طرفين،

[27] أخطاء محمد بن عبد الوهاب في الهجوم على علم التصوف برمته، بحسنه وسيئه، واعلان الحرب على أهله واستحلال حرماتهم لمسائل لا تبلغ بهم هذا الحال أبدا ، وإخراجهم من دين المسلمين أو من اطار أهل السنّة والجماعة بظلم وبغي ناشئ عن الغلو في فهم مفردات التوحيد والشرك والسنّة والبدعة، وقد كان الإمام ابن تيمية يفصل في مسائل التصوف، وجعلهم طوائف منهم الصديقون والأولياء، ومنهم الأدعياء المرتزقة، ومنهم أهل الجهل والخرافة، ومنهم أهل البدعة والضلالة، ولكن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب لم يفصّل وإنما اعتبر التصوف برمته ضلال ينبغي أن يُزال، مع أنّ السبب الاساس الذي أُنشأ من أجله

التصوف هو تزكية الباطن، وقد كان هو العلم المتخصص في إصلاح القلب وسلامته وتزكيته، وتخليته عن صفاته الذميمة، وتحليته بعظيم الآداب والأخلاق، وقد أجمع الفقهاء على أن الأمراض والآفات القلبية كالكبر والشح والحقد وغيرها من الذنوب والكبائر القلبية التي تحتاج إلى توبة وطهارة وغالبها لا ينفك عنها بشر، والتصوف هو العلم الذي اختص بمعالجة هذه الأمراض القلبية والعمل على تزكية النفوس والتخلص من صفاتها الناقصة الذميمة، كما أنّه هو العلم الذي تخصص في بيان درجات الإحسان ومنازل المقربين من رب العالمين وهو العلم الذي تخصص في رسم الطريق العلمي العملي الذي يوصل المسلم إلى أعلى مقامات الكمال الأخلاقي مع الله تعالى ومع الناس، وقد كان السادة الصوفية الحقة هم العلماء العاملون الصادقون والمرشدون المربون والعارفون بمناهج التربية والإحسان، وبالتالي فإن إلصاق كل التهم بالصوفية دون تفريق ودون مبالاة بما دس على بعضهم، أو قالها بعضهم في ساعة ذهول لا يقصدها، أمر لا ينبغي، إن كلمة (صوفي) كانت على مر عصور الإسلام السابقة – منذ القرن الثالث الهجري وإلى يومنا هذا – كلمة ثناء، وصفة مدح، فلا يعقل أن ينادي اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى اقتلاع التصوف من جذوره، وابادة التصوف وأهله، وردم التراب على تراث المتصوفة بحجة تطهير المنهج من المبتدعة، فهل بعد هذا من تنطع، وأين يذهب أكثرية أهل السنة والجماعة في العالم اليوم في مصر والسودان وبلاد الشام، ودول المغرب العربي واندونيسيا والباكستان وغيرها من بلاد المسلمين، وليس معنى ذلك أن نبرأ جميع الصوفية من الخطأ، فهناك من أدعياء الصوفية من أساء للصوفية أكثر من أعداء التصوف،

[28] أخطاء محمد بن عبد الوهاب في باب الغلو في تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وحرماتهم: إذ هناك العديد من نصوص الإمام محمد بن عبد الوهاب والتي آلت به إلى تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وحرماتهم، ومن تلك النصوص، قوله: – وهو يتحدث عن أربع قواعد في التوحيد –: (الأُولى): إنّ الكفار الذين قاتلهم رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم مقرّون بأنّ اللّه هو الخالق الرازق المدبر، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام لقوله تعالى: {قُلْ مَنْ يَرزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالأرضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأبصَارَ ..،فَسَيَقُولُونَ اللّه فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ} [يونس: الآية ٣١]، (الثانية): إنهم يقولون: ما دعونا الأصنام وما توجهنا إليهم الاّ لطلب القرب والشفاعة لقوله تعالى: {الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَولِياءَ مَا نَعْبُدُهُم اِلاّ لَيُقَرِّبُونا إلى اللّه زُلفَى} [الزمر: الآية ٣]، وقوله: {وَيَعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللّه مَالا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُم وَيَقُولُونَ هَؤلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّه} [يونس: الآية ١٨]، (الثالثة): إنّه ظهر صلى الله عليه وآله وسلم على قوم متفرقين

في عبادتهم، فبعضهم يعبد الملائكة، وبعضهم الأنبياء والصالحين، وبعضهم الأشجار والأحجار، وبعضهم الشمس والقمر، فقاتلهم ولم يفرق بينهم، (الرابعة): إنّ مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين، لأن أولئك يشركون في الرخاء، ويخلصون في الشدة، وهؤلاء شركهم في الحالتين لقوله تعالى: {فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوا اللّهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُم إِلَى البَرِّ إذا هُمْ يُشْرِكُونَ} [العنكبوت: الآية ٦٥]، [رسالة أربع قواعد ص ١ . ٤] وهو يقصد بمشركي زمانه كافة المسلمين دون أتباعه، وذلك لأنهم يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في شدتهم ورخائهم، ولذلك صاروا عنده أغلظ من مشركي عهد الرسالة، هذا مع أن التوسل بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم جائز عند جمهور الفقهاء، وقصاراه أنّه من المسائل الفقهية الخلافية وليس من مسائل التوحيد والشرك، كما أنّ هناك فرقاً جلياً بين المسلمين وعبدة الأوثان والأصنام، فإنّ المسلمين يعبدون اللّه وحده، ولا يتوجّهون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ بقصد أن يدعو لهم عند اللّه، ويشفع لهم عنده، وأين هؤلاء من عبدة الطاغوت الذين كانوا يعبدون الأصنام ولا يعبدون اللّه، ويتوجهون إليها على أنها آلهة تملك ضرهم ونفعهم، وهذا الخطأ أدى به إلى استحلال دمائهم على أنّهم مشركون، وقد تكرر هذا الخطأ في رسالته كشف الشبهات، حيث يقول في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " أرسله إلى أُناس يتعبّدون ويحجّون ويتصدقون ويذكرون اللّه كثيراً، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات بينهم وبين اللّه، يقولون نريد منهم التقرب إلى اللّه، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة وعيسى ومريم وأُناس غيرهم من الصالحين " [كشف الشبهات: ص ٣]، فانظر كيف وصف المشركين بأنّهم يتعبّدون ويحجّون ويتصدقون ويذكرون اللّه كثيراً، وهذه مغالطة فجة، فإنّ كفرهم كان في عبادة غير الله، وانكار رسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ثم اتخاذهم واسطة على سبيل الشراكة، فالوساطة لم تكن قط سبب شركهم، وإنّما عبادة غير الله: {ما نعبدهم إلا}، فقد أقروا بعبادتهم، ثم الوساطة الجبرية على سبيل الشراكة مع الله، وهذه وتلك لم يفعلها مسلم قط، إذ المسلم لا يعبد إلا الله، وهو بريء عن عقيدة الواسطة الشركية التي تكون جبرا على الله، وقصاراه التوسل بمن لهم جاه عند الله لقبول الأعمال، دون أي اعتقاد في شفاعتهم الجبرية على الله، ويقول في موضع آخر ما نصه: " إنّ التوحيد الّذي جحدوه هو توحيد العبادة، الّذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد، كما كانوا يدعون اللّه سبحانه ليلا ونهاراً، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من اللّه ليشفعوا له، أو يدعو رجلا صالحاً مثل اللات، أو نبياً مثل عيسى " [كشف الشبهات، ص ٤]، وهو هنا لا يفرق بين الدعاء وبين العبادة، مع أنّ الدعاء لا يكون عبادة حتى

يصاحبه اعتقاد الإلهية أو الربوبية لمن يدعوه، ولو كان الدعاء لعبد صالح من عباد الله، لعل الله تعالى ان يستجيب دعوته، فلا تكون الدعوة لهذا العبد عبادة له، وإنّما توسل به إلى الله، ويقول أيضاً: " تحققت أنّ رسول اللّه قاتلهم ليكون الدعاء كله للّه، والذبح كله للّه، والنذر كله للّه، والاستغاثة كلها باللّه " أه، وهذه كما ذكرت في كتاب التجديد الثالث " التجديد في علم التوحيد " كلها مفردات للعبادة إن اشتملت على اعتقاد الإلهية والربوبية لمن تُصرف له كانت عبادة، وإن لم تشتمل على تلك العقيدة لم تكن عبادة، ويقول أيضاً: « إنّ المشركين يقرّون بالربوبية وإن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء »، وهذا خطأ، لأن كفرهم إنما كان لعبادتهم الملائكة والأنبياء لا لتعلقهم بها إذ ليس مجرد التعلق مع الاعتراف بعبوديتهم وعدم تفويض الأمر إليهم موجباً للتكفير، ويقول أيضاً: « إنّ الذين قاتلهم رسول اللّه مقرّون بأن أوثانهم لا تدبّر شيئاً وإنما أرادوا منها الجاه والشفاعة »، وهذا أيضاً خطأ، لأنّ كفرهم لم يكن لأجل طلب الشفاعة، بل لعبادتهم قال تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّه مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُم وَيَقُولُون هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّه} [يونس: الآية ١٨]، ويقول: " إنّ اللّه كفّر من قصد الأصنام، وكفّر من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول اللّه " أه، وهذا أيضاً خطأ، لأنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم كفّر من عبد الصالحين، لا من قصدهم، فمن قصد الصالحين لطلب الدعاء لا يكون كافراً أبداً، ويقول أيضاً – وهو يعلّم أتباعه كيف يناظرون المخالف–: " اقرأ عليه: {ادعوا ربّكم تضرعاً وخفيةً إنه لا يحبّ المعتدين} فإذا أعلمته بهذا فقل له: هل علمت هذا عبادة للّه ؟ فلا بد أن يقول نعم، والدعاء مخ العبادة، فقل له: إذا أقررت أنها عبادة، ثم دعوت تلك الحاجة نبياً أو غيره، هل أشركت في عبادة اللّه غيره؟ فلابد أن يقول نعم " أه، وهذا أيضاٍ خطأ، لأنّ الدعاء بنية العبادة، والدعاء لمن يعتقده ربا وإلهاً، عبادة، وما خلا عن ذلك فليس بعبادة، والدعاء مخ العبادة لمن دعا من يعتقد أنه يدعو الرب الإله، فأين ذلك من دعوة الأنبياء والصالحين بمعنى التوسل بهم إلى الله، والذين يتكلم عنهم الشيخ مسلمون موحدون، لا يعبدون غير الله، ويعلمون أنّ هؤلاء جميعا عباد صالحون لا يملكون شيئاً لأنفسهم ولا لغيرهم، إلا الشفاعة بفضل الله، فلا يجوز تشبيه دعاء الكافرين والمشركين بدعاء المسلمين الموحدون، وبسبب بتلك القواعد المغلوطة توصل الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى تكفير المسلمين، وجعلهم أشد كفراً من المشركين الأصليين، ومن ثم استحل دماء المسلمين في نجد والحجاز بتهم الشرك والكفر والخروج من ملة الإسلام، ونظرة عابرة إلى تاريخ نجد لابن غنّام، نعلم كيف كانت (الغزوات) ! على أعراب نجد والحجاز، وكيف كانت الدماء والحُرمات تُستحل حتى في المساجد، والغنائم

توزع على المجاهدين وكأنّهم يحاربون عُباد الأوثان، لا مسلمين يقولون (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ويعتقدون أنّه لا إله ولا رب لهذا الكون إلا الله، وأنّ كل ما جاء به رسول الله تعالى من عند الله حق يدينون به لله، **(تنبيه ضروري):** لقد مرت تلك المحنة وانتهت والحمد لله، والجميع اليوم يأبى ذلك ويرفضه، ولكن لابد من تصفية المنهج واعتماد التخصص العلمي لأنّه ما أودى بنا إلى تلك الحال إلا اعتماد مؤسسة الحشو على أنّها البديل العلمي لجميع التخصصات العلمية الإسلامية،

[29] تقييم مدى أصالة الحركة السلفية المعاصرة المنتسبة إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب: إنّ مسمَّى الحركة السلفية المعاصرة نقصد به امتداد المدرسة النجدية، التي أسسها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد، ثم انتشرت في انحاء العالم الإسلامي في مشارقه ومغاربه، إن أكثر أصحاب هذه الحركة يعتبرون جماعتهم هي الامتداد الصحيح الوحيد للفكر الإسلامي السليم الذي ينبغي أن يكون عليه كافة المسلمين، ومع ذلك فلا بد من التأكيد على وجود أخطاء منهجية في الفكر، والتطبيق على السواء، حيث تتسم تلك الحركة على تنوع فصائلها بالجمود في التفكير، وأنها ترى الحق حكرا عليها في آرائها العقدية الساذجة التي هي أقرب إلى السطحية منها إلى العلم الراسخ المتخصص، وفي آرائها الفقهية المتشددة المولعة بتحريم الحلال والتضييق على عباد الله فيما جعل الشرع الحكيم فيه سعة ودفعا للحرج، كما أنّها تعمل جادة بلا هوادة على إحياء قضايا عقائدية خاطئة، تشق بها وحدة المسلمين العلمية والعقدية، وهم فيها ضد أهل التخصص وأهل العلم الراسخ والحق الزلال، مثل إثبات العلو الحسي والفوقية المكانية، لقد دخلت الحركة السلفية المعاصرة بسبب التصورات الخاطئة في صراعات كبيرة مع بقية طوائف اهل السنّة والجماعة، وزاد الطين بلة أنّهم تصوروا أنهم الأوصياء على الجميع، فما فهموه هو الإسلام وهو الهدى والرشاد، وما عارضوه فهو الضلال، فشددوا النكير على المخالفين، وصارت علاقتهم مع غيرهم من المسلمين علاقة التبديع والتاثيم والتفسيق، ثم لم تلبث تلك الحركة السلفية المعاصرة أن انقسمت على نفسها إلى سلفية جهادية أُبتليت بالغلو في تكفير المخالفين، ولو كانوا من السلفية نفسها، والسلفية المُدخلية والجامية التي تُبدع المجاهدين والدعاة والمصلحين، والسلفية العلمية التراثية التي تستخرج من بطون الكتب الكثير مما يثير الخلاف ويشق الصف، والسلفية العلمية الحسبية السرورية، وهكذا انشطرت السلفية إلى عشرات الطوائف والفصائل، أكثرها يبدع أكثرها، وبعضها يكفّر بعضها، والعلاقة السائدة بينها هي علاقة العداوة والبغضاء، إنّ السلفية الحقة هي امتثال هذا الدين بأخلاقه ومبادئه وعقائده وشرائعه، والرجوع في فهمه

والعمل من أجله إلى السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، إنّ أهم ما يميز السلفيين الصادقين هو الرجوع إلى الكتاب والسنة والتمسك بهما، والاستعانة على فهمهما بما كتبه المتخصصون من أهل العلم السائرين على منهاج الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، **إنّ للحركة السلفية المعاصرة تورطت في أخطاء كثيرة**، لابد من تصحيحها، وقد ذكرتها ببعض التفصيل في (المبحث الخامس): تقييم الحركة السلفية المعاصرة ما لها وما عليها، من الفصل الخامس: تعقيبات على أخطاء في باب التوحيد والشرك تهذب هذا العلم، لقد كان السلف الصالح هم خير قرون الإسلام علما وعملا، وفقها وفهما، وهم أعلم الناس بدين الله عز وجل وأرسخ الناس إحاطة بعلومه وجوانبه وأقل الناس تكلفا في أمره وأبعد الناس غلوا في فهمه أو تفريطا في القيام بجوانبه، واهل السنة والجماعة يعرفون لسلفنا الصالح فضلهم ويسيرون على هديهم ومناهجهم فإنهم كانوا على الهدى القويم والصراط المستقيم، إنّ من خيرية عصور السلف الصالح أنّها وضعت الأسس والأصول واللبنات الأولى للتخصص الإسلامي في كل فن من فنون العلم، ثم تركت المجال للعلماء ليظهروا تخصصهم العلمي وابداعهم الفكري، وظل المسلمون يحترمون أهل التخصص في العلوم الشرعية إلى أن جاءت فوضى عدم احترام التخصص متمثلة في طرح السلفية على أنّها بديل عن جميع التخصصات العلمية، إن الحركة السلفية المعاصرة تعيش أزمة منهجية عقدية علمية عملية، وصارت في امس الحاجة إلى مراجعات عقائدية وفقهية وتزكوية صحيحة، وإلى مراجعات علمية وعملية جادة من أجل تصحيح المسار، وبعد فهذه أهم مفاتيح علم التوحيد التي ارجو من الله أن تسهم في الفهم الصحيح للتوحيد والاحاطة بأهم جوانبه، كما أرجو من الله ان توحيد كلمة طوائف أهل السنة والجماعة على علم التوحيد، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

***

الفهارس

[الفصل الأول]: أهمية علم التوحيد، وقد تناولت فيه هذه المفاتيح

(المبحث الأول): التوحيد تعبير شرعي جاء في القرآن والسنة وهو المرادف لمعنى شهادة التوحيد

(المبحث الثاني): شهادة **التوحيد (لا إله إلا الله – محمد رسول الله) هي الجامعة لعلم التوحيد**

(المبحث الثالث): مفاتيح مهمة تتعلق بالشهادتين باب الإسلام الأوحد

[الفصل الثاني]: مفاتيح العلم في قسم توحيد الذات أعظم أقسام التوحيد، وقد تناولتها – بحمد الله تعالى – في الكتاب الأول مفاتيح علم التقديس،

[الفصل الثالث]: مفاتيح العلم في قسم توحيد أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله، وقد تناولتها أيضا في الكتاب الأول مفاتيح علم التقديس،

[الفصل الرابع]: مفاتيح العلم في قسم توحيد الربوبية والعبودية، وقد تناولت فيه هذه المباحث

(المبحث الأول): مفاتيح فهم معاني الربوبية والمقصود من توحيد الربوبية

(المبحث الثاني): مفاتيح تمنع من الغلو في توحيد الربوبية

(المبحث الثالث): مفاتيح فهم العبودية والمقصود من توحيد العبودية

(المبحث الرابع): مفاتيح تمنع من الغلو في توحيد العبودية

(المبحث الخامس): مفاتيح فهم معاني الشرك واقسام الشرك

(المبحث السادس): مفاتيح أخطاء الوهابيين في باب الشرك

(المبحث السابع): أخطاء الوهابيين في تقسيم علم التوحيد

[الفصل الخامس]: تعقيبات على أخطاء في باب التوحيد والشرك تهذب هذا العلم

(المبحث الأول): بيان دعوة الشيخ ابن تيمية في ميزان الإسلام ما لها وما عليها

(المبحث الثاني): بيان دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ميزان الإسلام ما لها وما عليها

(المبحث الثالث): تعقيب مهم على كتاب كشف الشبهات

(المبحث الرابع): تعقيب مهم على نواقض الإسلام العشرة التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب

(المبحث الخامس): تقييم الحركة السلفية المعاصرة ما لها وما عليها

(المبحث السادس): مفاتيح مستفادة في علم التوحيد، من كتاب (السلفية المعاصرة شبهات وردود)

(المبحث السابع): مفاتيح مستفادة في علم التوحيد، من رسالة (مسائل في التوحيد والشرك)

[الفصل السادس]: مسائل فقهية خلافية ألحقت بباب التوحيد والشرك وليست منه

(المبحث الأول): تحقيق القول في التوسل

(المبحث الثاني): تحقيق القول في الاستغاثة والاستعانة

(المبحث الثالث): تحقيق القول في التبرك

(المبحث الرابع): تحقيق القول في بناء المساجد على المقابر

(المبحث الخامس): تحقيق القول في شد الرحال إلى زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم

[الخاتمة وأهم التوصيات]

***

تم بحمد الله تعالى الكتاب الثالث: من سلسلة مفاتيح العلوم الإسلامية، [مفاتيح علم التوحيد والشرك]، تلك المفاتيح التي ذكرها أهل كل علم المتخصصين فيه والتي يحتاجها طالب العلم الشرعي حتى يكون على الاعتدال الشرعي بعيدا عن الإفراط والتفريط، **ويليه – إن شاء الله – الكتاب الرابع (مفاتيح علم الاتباع والابتداع) أو (علم السنة والبدعة)**، ومفاتيح علم السنّة والبدعة غاية في الأهمية لأنها تُحصن طالب العلم من الإفراط والتفريط، الافراط الذي يؤول إلى الغلو في التبديع والوقوع في هوس التبديع الزائد لكل مخالف وفوضى تبديع أهل العلم الذين تلقت الامة علمهم بالقبول والرضا، والتفريط الذي يسهل البدعة ويخدش صفاء هذا الدين ونقاءه وحفظه من عوامل التبديل والتحريف، **وأرجو من الله الكريم أن تكون مفاتيح هذا العلم** سببا في نشر العلم الصحيح الراسخ الذي تحلى به المحققون من علماء أهل السنّة والجماعة في باب الاتباع والابتداع ومباحث السنّة والبدعة، فإنّه كما عانى المسلمون كثيرا من أهل الغلو في

التكفير، وكما عانى المسلمون كثيرا من أهل الغلو في التشريك الذين يرمون المسلمين بالشرك الأكبر على أمور لا تبلغ هذا الحد، كذلك عانى المسلمون كثيرا من أهل التبديع الذين يرمون المسلمين بالبدعة والضلالة بأقل المخالفات وأهون الاختلافات، ولهذا كان التوسط عن علم وفقه في باب السنّة والبدعة من اهم الأمور التي تلزم طالب العلم الشرعي أن يفهمها، وإلا كان على خطر عظيم، نسأل الله عز وجل أن يلهمنا الصواب وأن يجنبنا الخطأ والزيغ وأن يهدينا صراط علماء أهل السنّة والجماعة المحققين إنه وليّ ذلك وهو سبحانه نعم المجيب، رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ

***